


**أسامة أبوترابة**

# السيلماريلِيُن
# The Silmarillion

تأليف جي,آر,آر, تولكين




أبوترابة

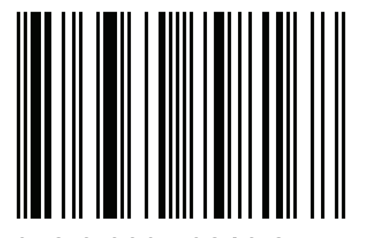
## السيلماريلِيُن The Silmarillion

تعتبر السيلماريلِيُن كروايةٍ رومِانسيةٍ من القرون الوسطى وتَرْوي التاريخَ السابقَ والضروريَ للأرضِ الوسطى. ابتداءً مِنْ خَلق آردا، والمعارك الأولى بين الخيرِ والشرِّ، وتارِيخ الأجناس الرئيسيَةِ وتبدلاتهم. وأعمال ملحَمية وحكايات مأساوية وقصص الحبِّ والقدر. كُتبتْ السيلماَريلِيُن بالأسلوبِ القديم .وعبّرت بطريقة مرضيةٍ أكثر عن مأساة ملوَكية. تُصنِّف من قبل قراء كثيرين بأنها أعلَى حتىَ مِنْ سيد الخواتم. لكن المعروف عن هذا الكتاب صعوبة قراءته، حتى للبالغين أَو المتكِلمين بالإنجليزيةِ؛ لأنها كتبت بالإنكليزية القديمة لذا، فَالقرّاء الذين يَستمتّعون بسيد الخواتم قدْ لا يَحْبّون بالضرورة هذا الكتابِ.



أسامة أبوترابة من مواليد4آذار 1969 حاصل على إجازة في الهندسة الميكانيكية من جامعة دمشق



978-3-330-79816-8

**أسامة أبوترابة**

**The Silmarillion السيلماريلئن**

أسامة أبوترابة

# السيلماريليُن The Silmarillion

تأليف جي,آر,آر, تولكين

Noor Publishing

**Impressum**
Bibliografische Information der Deutschen Nationalbibliothek: Die Deutsche Nationalbibliothek verzeichnet diese Publikation in der Deutschen Nationalbibliografie; detaillierte bibliografische Daten sind im Internet über http://dnb.d-nb.de abrufbar.


**البيانات القانونية**
معلومات ببليوجرافيـة للمكتبة الوطنية الألمانية : المكتبة الوطنية الألمانية تسـجل هذا
تفاصـيل البيانات:.http://dnb.d-nb.de المنشور في الببليوجرافيـا الوطنيـة الألمـانية
البيليوغرافية موجودة على شبكة الإنترنت تحت الموقع التالي


Coverbild / صورة الغلاف
www.ingimage.com

Verlag / دار النشر
Noor Publishing
ist ein Imprint der / is a trademark of
OmniScriptum GmbH & Co. KG
Bahnhofstraße 28, 66111 Saarbrücken, Deutschland / Germany
Email / البريد الإلكتروني
info@omniscriptum.com

Herstellung: siehe letzte Seite /
طبع :انظر أخر صفحة
**ISBN / رقم دولي معياري للكتاب:**
**978-3-330-79816-8**

# السيلماريلينُ

# The Silmarillion



**TOLKIEN**

ترجمة أسامة أبوترابة




# The Silmarillion

تأليف: جون رونالد رويل تولكين

John Ronald Reuel Tolkien

ترجمة: أسامة أبوترابة

# فهرس المحتويات

# مقدمة المترجم

يُطلِقُ البعضُ على هذهِ الروايةِ اسماً معرَّباً وهو (السليمارية)، ولم آخذ بهذا الاسم، بل فضلت أن يبقى الاسم كما هو بالإنكليزية Silmarillion، سيلماريليُن، بياء مضمومة. أو تكتب هكذا سيلماريليون، بواو مخففه. وهو اسم يشير إلى الجواهر الثلاث التي صنعها فيانور، والواحدة منها تسمى سيلماريل.

لا تشبه السيلماريليُن رومانسيات القرون الوسطى وقصص البطولة والحب، بل تشبه كتب التاريخ، والملاحم، لكثرة ما تحتويه بين جنباتها على أسماء أشخاص وأماكن وتفاصيل دقيقة. وتبدأ من فكرة خلق العالم، وسلطات العالم والجان والبشر والأقزام ،عابرة الأحداث الجسام مروراً بكل العصور حتى النهاية.

تحتوي السيلماريليُن على أربعة وعشرين فصلاً .وأضيف إليها من قبل المحرر(كريستوفر تولكين) أربعة أجزاء رئيسية، اثنان قبل البداية. اينولينـدالي، موسيقى آينور، وڤالا كوينتا، لتوضيح تاريخ السيلماريليُن، وجزأين بعد النهاية، وهما، أكالابيث، الطوفان وغرق نومينور، والأخير عن خواتم القوة والعصر الثالث.

نظراً لاحتواء الكتاب على عدد ضخم من الأسماء وأحياناً نفس الشخص قد يحمل أكثر من اسم مما يؤدي بالقارئ إلى الملل والإحباط أحياناً، حتى مع وجود دليل الأسماء، فستكون عملية القراءة صعبة، وكذلك الأمر بالنسبة للأماكن والبلدان. لذلك حاولت قدر المستطاع، تبسيط السرد والاشارة إلى بعض الأسماء والأماكن.

ولكي لا تكون المقدمة طويلة ومملة، فقد حاولت الإشارة إلى أغلب الأسماء والأعراق والأجناس، دون إضافة ملحقٍ للأسماء في الختام. لكي لا يضيع القارئ في تقليب الصفحات والعودة إلى الخلف كثيراً. بالإضافة إلى بعض الخرائط عند اللزوم.

*أسامة أبوترابة*



# مقدمة المحرر

نُشـرَت السـيلماريليُن بعـد مـوتِ مُؤلفِهـا بـأربع سَـنَواتَ، وهـي التـاريخ الأقـدم للأيـام والعصـور الأولى للعـالمِ المعـرّف في رِوايـة سـيِّد الخـواتم، وتـاريخُ الأحـداثَ العظيمـةَ في نهايـة العصـر الثالـثِ. تعتـبر حكايـات السـيلماريليُن كاشـتقاق لأسـاطيرَ مِـنْ الماضـي السـحيق. عنـدما سـكن مورغـوث سـيدُ الظـلام الأول في الأرض الوسـطى، وشـنَّ الحـرب عليـه الجـانُ العلـويين. لـيس ذلـك وحسـب. فعلـى أيـة حـال، إن عمـل السـيلماريليُن يتعلـق بأحـداثٍ سـابقة. أقـدم مـن زمـن سـيد الخـواتمْ. وهـي ضـرورية لفهـم العمـل السـابق. علـى الـرغم مـن أنهـا كانـت قبلـه بنصـف قـرن. وسُميـت فيمـا بعـد السـيلماريليُن. وفي دفـاتر الملاحظـات القديمـة الـتي تمتـد منـذُ منتصـف ١٩١٧، والـتي يُمْكِـنُ أنْ أكُـونُ قـد قَـرأتْ النسـخَ الأقـدم منهـا بعجالـةٍ في أغلـب الأحيـان. وهـي تلـك القصـصِ المركزيـةِ لعِلْـمِ الأسـاطير، لَكنَّهـا لم تنشـر أبـداً (مـع بَعْـض الإشـارة إلى محتواهـا الـذي يُمْكِـنُ أَنْ يُجْمَـعَ مِـنْ سـيد الخـواتم). وفي كافـة الأحـوال، فلـم أتوقـف في السـنوات الماضـية، مـن العمـل علـى كـل مـا تركـه أبي في عمـرة الطويـل وبالأوقـات الـتي كـان يـؤرخ فيهـا. اعتـبرت السـيلماريليُن ببسـاطة كتركيـب قصصـي مـرَّ بتغـيراتٍ جذريـة حـتى أصـبحت نسـبياً، وإلى حـدٍ مـا، خلفيـة تاريخيـة للكتابـات اللاحقـة. لكنهـا كانـت بعيـدةً عـن أن تكـون مثبتـةً بـنص كامـل مـن دون تغيـير. حـتى في بعـض الأفكـار الأساسـية الـتي تتعلـق بطبيعـة العـالم الـذي كـان في طـور التشـكيل وقتهـا. بينمـا جـاءت نفـس الأسـاطير لتخبرنـا ثانيـة وبأسـاليب مختلفـة عـن الشـكل، والطـول، والقصـر. أضـف إلى ذلـك، طـول السـنوات الـتي غـيرت كثـيراً بالتفاصـيل، وغـيّرت أكثـر بـالمنظورات. لـذا أصـبحت السـيلماريليُن مركـب ضـخمٌ جـداً وذو عـددٍ هائـل مـن الصـفحات. بحيـث أن جمـع نسـخة نهائيـة وجازمـة منـه بـدت عمليـة مسـتحيلة. عـلاوة علـى ذلـك فقـد أصـبحتِ السـيلماريليُن مسـتودعاً لكـل الأسـاطير القديمـة وانعكاسـاتها العميقـة (قديمـة. لَـيسَ فقـط في اشـتقاقهم مِـنْ العصـر الأول البعيـد، لكـن أيضـاً من ناحية حياةِ أبي).

سَـبح تـولكين في عِلْـمِ الأسـاطير وفي كتاباتـه الشـعرية، أكثـر وراء انشـغالاتٍ فلسـفية لاهوتيـة. وهـو مـا أظهـر منـه أحيانـاً عـدم موافقـة النغمـة. وبعـد وفاتـه سَـعيتُ لكـي يكـون العمـل صـالحا للنشـر. وأصـبح واضـحاً لـدي أن محاولـة تقـديم كتـاب وحيـد متنـوع المـوارد والمـواد يسـتدعي مراجعـة السـيلماريليُن كمـا هـي في الحقيقـة. ومـع التغيـير الـذي حـدث لهـا علـى مـدى نصـف

قرن من الزمن، وما يؤديه ذلك من التشويش والغوص في أشياء غير ضرورية. لذلك حزمت أمري على اختيار وتركيب النص الوحيد بطريقة –كما بدا لي – ليكون القصة الأكثر تماسكاً وانسجاماً ذاتياً وداخلياً. ففي هذا العملِ، نجد أن الفصول الختامية (مِنْ موت تورين تورمبار) تقدّمَ صعوباتَ غريبةَ، لأنّهم بَقوا بدون تغييرَ لعدّة سَنَوات، وكَان هناك تنافر جدّيٍ من بعض النواحي بالمفاهيمِ الأكثر تقدُّماً، في أجزاء أخرى مِنْ الكتابِ لكي تكمل بنفس النسق (إمّا ضمن بوصلةِ السيلماريليُن نفسها أَو بين السيلماريليُن وكتابات أخرى مَنْشُورةً مِنْ قبل أبي). لذا فإن هذه الكلفة الثقيلة وغير الضرورية لن تكون في الإنجاز وإنما يمكن أن تكون في البحث فقط. علاوة على ذلك. عمل أبي لجعْل السيلماريليُن كتجميع، قصة موجزة، ثم جَعلَها ولمدة طويلة بعد ذلك مصدراً مِنْ مصادرِ التنويع الكثيرة، (قصائد، وسجلات، وحكايات شفهية) والتي بَقيت كذلك لفترة طويلة. وفي الحقيقة فإن هذا المفهوم متوازي مع التاريخِ الفعليِ للكتابِ، فالكثير مِنْ النثرِ السابقِ والشعر الذي أتى بعده، هما بالحقيقة خلاصة. ولا ينسبوا فقط نظرياً إلى السرعات المختلفة للقصة وامتلاء التفصيل في أجزائها المختلفة، مقارنة (على سبيل المثال) التذكّرِ الدقيقِ للمكانِ والدافعِ في أسطورةِ توراين تورمبار بجانب الحساب العالي والبعيد لنهايةِ العصر الأولِ، عندما انكسر ثانغوروديم وهُزم مورغوث. وأيضاً بَعْض اختلافات النغمةِ والتصويرِ، وبَعْض الغموضِ هنا وهناك وبَعْض قلةِ التماسكِ. كما في حالة ڤالكوينتا (على سبيل المثال).

لذلك يَجِبُ أَنْ نفترض بأنه يحتوي الكثير من الأحداث التي يجب أن تعود إلى الأيام الأولى لإيلدار في ڤالينور. وهذا ما أُعيدَ تشكيلة في الأوقاتِ اللاحقة. وهو الذي يُوضّحُ انتقاله المستمرَ بالأزمنة ووجهةِ النظر، لكي تَبْدو السلطاتُ القدسيةُ حاليُة ونشيطةُ في العالمِ الآن. وكان هناك طلب مخفي مدون فقط في الذاكرةِ، ومعنون في الكتاب باسم كوينتا سيلماريليُن. بينما هو يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مع السيلماريليُن، ولا يَحتوي فقط على كوينتا سيلماريليُن ، أَو السيلماريليُن، لكنه يحتوي أيضاً على أربعة أعمالَ قصيرةَ أخرى وهي: اينوليندالي وفالكوينتا، الموجودين في البِداية، وهما بالحقيقة على صلةٍ وثيقة بالسيلماريليُن. لكن أكالابيث وخواتم القوَّةِ، اللذان يظْهرا في النهايةِ، فهما بالتأكيد منفصلين ومستقلين تماماً. ويتضمنان طبقاً لنيةِ أبي الواضحةِ بإدراجِهم في هذا الكتاب. الذي يبدأ من عرض التاريخِ الكامل مِنْ موسيقى آينور، الذي بَدأَ فيها صياغة العالمُ وحتى الوصول إلى عبور حاملي الخواتم مِنْ مرافئ ميثلوند في نهايةِ العصر الثالث. إنّ عددَ الأسماءِ الموجود في

الكتـابِ كبـيرٌ جـداً، وقـد زودتـه بـدليل كامـل. لكـن عـدد الأشـخاصِ (مـن الجـان والبشـر) الـذي يَلْعـبُ دوراً مهمـاً في قصـةِ العصـر الأولِ صـغير جـداً. وكُلّهـا موجـودةً في الملاحـق، بالإضـافة إلى الملاحـق المجهـزة والـتي تَعْـرضُ التَسْـمِية المعقّـدةَ. مِـنْ لغـات شـعوب الجـان المختلفـة، ومُلاحظـات حـول كيفيـة لفـظ الأسمـاءِ الجنيّـة، وقائمـة لـبعض العناصـرِ الرئيسـيةِ الموجـودة في هـذه الأسمـاءِ. أمـا في الخريطـة فقَـدْ يُلاحـظُ بـأنّ إيريـد لـوين أو إيريـد لينـدون، الجبـال الزرقـاء وهـي السلسـلة الجبليـةَ العظيمـةَ في الشـرقِ. تظْهـرُ في غـرب الخريطـةِ في سـيد الخـواتم. وفي جسـمِ الكتـابِ هنـاك خريطـة أصـغر. والغايـة مـن هـذه الخريطـة هـي التوضـيح وبنظـرة خاطفـة أمـاكن تمـدد ممالـك الجـان بعـد عـودةِ نولـدور إلى الأرض الوسـطى. ولم أثقـل علـى الكتـابَ كثـيراً بـأيّ نـوع مـن التعليـقِ أَو التـذييلِ. فهنـاك في الحقيقـة ثـروة كبـيرة مـن الكتابـات غـير المنشـورةِ مِـن قِبـل أبي والمتعلقـة بالعصـور الثلاثـة، فلسـفية وتاريخيـة ولغويـة وقصصـية. وأَتمـنّى أن يكـون باسـتطاعتي نشـر بعضـها في وقـتٍ لاحـق. وفي هـذه المهمّـةِ الصـعبةِ والمريبـةِ لتَهْيئـة نَـصِّ الكتـابِ فقـد تلقيـت مسـاعدات كبـيرة مِـن قِبـل السـيد غـاي كـاي، الـذي عَملَ مَعي في الأعوام ١٩٧٤و ١٩٧٥.

كريستوفر تولكين



# آينوليندالي

## موسيقى آينور[١]

في البدء كان إيرو[٢]، الواحد، الذي يدعونه في أردا[٣] إلوڤاتار[٤]. خلق إلوڤاتار أولاً آينور المقدّسين، نسلُ فِكرِهِ الذي كان معه قبل أيَّ شيء آخر. خاطبهم واضعاً أمامهم الأفكار الرئيسية للموسيقى، فغَنّوا أمامهُ وكان سعيداً. لمدةٍ طويلة غَنّوا كلَّ واحدٍ على حده، وفي بعض المرات غنَى قلةٌ مع بعضهم مجتمعين، بينما ضلَّ البقية منصتين. لأن كل واحد منهم استوعب فقط ذلك الجزء من ذات عقل إلوڤاتار الذي منه جاء، وفي الفهم لأخويتهم نموا لكن ببطء. هكذا كانوا دائماً، كما أنصتوا بلغوا أعماق الفهم وزيادة التآلف والانسجام.

نادى إلوڤاتار إلى كل آينور قاطبةً وأظهر لهم الصيغة الموسيقية الهائلة، كاشفاً لهم بها أشياء أعظم وأروع مما كُشفَ لحد الآن. فمجد بدايتها وروعة نهايتها أدهشت آينور وجعلتهم ينحنوا أمام إلوڤاتار خاشعين.

بعد ذلك قال لهم إلوڤاتار: أريد منكم أن تخلقوا من هذا الانجسام الموجود بينكم موسيقى عظيمة، مستندين بذلك على الفكرة الرئيسية التي أظهرتها لكم. فمنذ أن أوقدتكم بالشعلة الخالدة وأنتم مجهزون لإظهار قدراتكم في زخرفة هذه الصيغة. كلُّ واحدٍ بأفكاره وحيّلهُ الخاصة، إن أراد. أما مكسبي فهو أن أجلس وأصغي. وأكون مسروراً فقد استفاق جمالكم العظيم في أغنية.

---

[١] آينور.Ainur ، جمع مفرده آينو، لا يمتلكون هيئةً أو شكل مرئي، وهم أشبه ما يكونوا بالملائكة، لأنهم أوصياء العالم، والمشتركون بموسيقى الخلق.

[٢] إيرو.Eru ، هو الرب الواحد، ويسمونه في أردا إلوڤاتار Ilúvatar

[٣] أردا،Arda ، أي الأرض.

[٤] إلوڤاتار،Ilúvatar ، وهو اسم إيرو بلغة الجان، وهو خالق الخلق، والإله المصور.

في ذلـك الحـين أخـذت أصـوات آينـور تصـدح مثـل القيثـاراتِ والأعـوادِ، والنايـات والأبـواق، والكمانـات والأرغـن، ومثـل جوقـاتٍ لا حصـر لهـا تنشـد وتغـني. عنـدها بَـدأَ آينـور بصـياغة أفكـار إلوڤاتـار وتحويلهـا إلى موسـيقى عظيمـة. فظهـرت أصـوات اللحـن المنسـوج بتعاقـبٍ وتوافـق لانهـائي. عَـبرَ خـارج الأسمـاع إلى المرتفعـات والأعمـاق. فـامتلأت أمـاكن سـكن إلوڤاتـار وفاضـت. وخرجـت الموسـيقى وصـداها إلى الفـراغ، ولم يعـد فراغـاً بعـد ذلـك. فمنـذ أن بـدأ آينـور بخلـق الموسـيقى لم يـؤدوا أبـداً مثـل هـذه الموسيقى. علـى الـرغم مـن أنـه قيـل بـأن الأعظـم سـوف يـؤدى أمـام إلوڤاتـار بجوقـات آينـور وأبنـاء إلوڤاتـار بعـد نهايـة الأيـام. عنـدها سـتكون صـيغ إلوڤاتـار معزوفـةً بشـكلها الأمثـل، والـوارد أن يكـون ذلـك في لحظـةِ نطقهـم. لأن الجميـع عنـدها سـيفهم في أي جـزء مـنهم كانـت نيتـه. وسـيتعرف كـل واحـدٍ علـى مـدى اشـتمال كـلٍ منها، ولأفكارهم سيمنح إلوڤاتار حماسةً سرية، لكونهم راضين جداً.

جلـس إلوڤاتـار يصـغي وقـد بـدا العظـيم جيـداً إليـه. ولم يكـن في موسـيقاهم عيـوب. لكـن مـع تطـور الصـيغة، فقـد جـاءت إلى قلـبِ ميلكـور[١] وكأنهـا تمـازج أمـوراً خاصـةً بتخيلاتـه، والـتي لم تكـن متتطابقـةً مـع أفكـار إلوڤاتـار. لأنـه سـعى في تلـك المسـألة لزيَـاْدَة قـوَّةِ ومجـدِ الجـزءِ المسـتند إلى نفسـه. وكَـانَ ميلكـور قَـدْ أُعطـي أعظـم صـفات القـدرة والمعرفـة مـن بـين كـل آينـور. ودائمـاً كَـانَ لـه نصـيبٌ مـن كُـلِّ صـفةٍ مـن صـفات إخوتـه. وفي أغلـب الأحيـان كـان ميلكـور يـذَهبُ لوحـده إلى أمـاكن الفـراغ سـاعياً وراء الطاقـة الخالـدَه. وبسـبب رغبتـه فقـد زادت حماسـته، وراح ينـو إلى استحضـار أشـياءَ مـن تلقـاء نفسـه وجلبهـا إلى حيّـز الوجـود. وبـدا لـه بـأن إلوڤاتـار يوجـه أفكـاره نحـو الباطـل. لأنـه كـان قليـل الصـبر مـن حماقتـه. رغـم كـلّ ذلـك فلـم يجـد الطاقـه، لأنها مَع إلوڤاتار. لكنه وأثناء خلوته أصبح يتخيل أفكاراً من تلقاء نفسه بخلاف إخوتِه.

قـام ميلكـور بمـزج بعـض أفكـاره الخاصـة وأدخلهـا إلى موسـيقاه،فظهر مباشـرةً تنـافره عمـا حولـه. ونمـا اليـأس لـدى غالبيـة الـذين غَنّـوا بـالقرب منـه، فأبـدوا انزعـاجهم، واضـطربت أفكـارهم وتعثـرت موسـيقاهم. لكـنَّ بعضَـهم بَـدأ بمُنَاغَمَـة موسـيقاه لموسـيقى ميلكـور بـدلاً مِـنْ مناغمـة الأفكـارِ الـتي كَـانَ يملكهـا منـذ البدايـة. عنـدها أصـبح التنـافر مـع ميلكـور واسـع الانتشـار، والألحـان الـتي سُمِعـتْ مـن قبـل غرقـت في بحـرٍ مـن الصـوتِ الهـائج. لكـن إلوڤاتـار جَلـسَ يسـتمع حـتى بَـدا ذلـك حـول عرشـه كعاصـفة هوجـاء، ومِيـاه مظلمـة تشـنُّ حروبـاً فيمـا بينهـا بغضـبٍ أبدي، لَنْ يهدأ مطلقاً.

---

[١] ميلكور،Melkor ، سيد الظلام.

عندها نهض إلوڤاتار، ولاحظ آينور بأنّه يبتسم، فرَفعَ يدّه اليسرى، وبدأت الصيغة الجديدة وسط العاصفة. لكأنها تشبه أو لحدٍ ما لا تشبه الصيغة السابقة. وقد جَمعَت قوَّةً وجمالاً جديدين. لكن تنافرها مع ميلكور ارتفع بصخبٍ وبدأ يتنافس معه. ومرة أخرى كانت هناك حربٌ أكثر عنفاً من ذي قبل. حتى أن الكثير مِنْ آينور فزعَوا وأوقفوا غناءهم. أما ميلكور فقد كان بارعاً. ثم وقف إلوڤاتار ثانيةً، ولاحظ آينور بأنّ ملامحه أصبحت صارمَه، فرَفعَ يدّه اليمنى. واستهلَّ نشوء الصيغة الثالثة، التي نمت في خضم التشويش والارتباك. ولم تكن هذه الصيغة تشبه سابقتيها. لأنها ظهرت في البداية ناعمةَ وحلوة، وكأنها مجرد امتدادٍ لصوت أنيق في الألحان المرهفه. لكنة لا يمكن أن يهدأ، وقد أَخذَ لنفسه قوَّةً وعمقاً. وفي نهاية المطاف بدا بأن هناك موسيقتان تتقدمان في وقت واحد أمام مجلس إلوڤاتار، وكانتا متباينتين تماماً. واحدة عميقة وواسعة وجميله، لكنها بطيئة وممزوجة بحزنٍ غير محدود، وهذا الحزن هو ما أضفى عليها جمالاً خاصاً. أما الأخرى فقد حققت من تلقاء نفسها تماسكاً صاخباً متهوراً وبتكرار لا نهائي، مع القليل من التوافق، أو بالأحرى كانت عبارةً عن ائتلافٍ صاخب لعددٍ من الأبواق التي راحت تحرش بضعة نغمات. محاولةً حجب الموسيقى الأخرى بشدّةِ صوتها، لَكن بَدا بأنّ أكثر نغماتها المنتصرةِ كانت قد أُخِذتْ من الأخرى، ثم نُسجت بنمطٍ مهيبٍ خاصٍ بها.

في خضم هذا الصراع اهتزت قاعات إلوڤاتار، هزةً قادت إلى صمت راسخ. ثم نهض إلوڤاتار مرة ثالثة، وكان وجهه فظيعاً للنَظْر. ورَفعَ كلتا يديه للأعلى، وفي تناغمٍ واحد، أعمق مِنْ الهاويةِ، أعلى مِنْ السماءِ، ثاقبٌ كنور عين إلوڤاتار، انقطعت الموسيقى.

تكلم إلوڤاتار قائلاً: هائلٌ وجبارٌ آينور والأقدر بينهم ميلكور، لكن هل يَعلَمْ هو وكل آينور أيضاً بأنني أنا إلوڤاتار الذي سأظهر لكم تلك الأشياء التي أُنشدت. لكي تشاهدوا ماذا صنعتم؟ أما أنت يا ميلكور فستعلم بأن كل موسيقى عزفتها كان مصدرها مني. ولا يمكنك تعديل الموسيقى رغماً عني. لأن محاولاته تلك سيثبتها هذا الكشف. أما بالنسبة لي، فلم تكن غايتي تعديل الموسيقى، بل استنباط أشياء قد لا تتصورها، لكنها أكثر جمالاً وروعةً.

خاف آينور لأنهمَ لمْ تستوعبوا الكلام الذي قِيل لهم، ومُلىء ميلكور بالخزي، الذي جاء منه الغضب السري. أمّا إلوڤاتار فقد نهض بفخامةٍ وخرج. وتبعه آينور، خارجين مِنْ المناطقِ الجميلة التي كان قد خلقها لأجلهم.

وعندما أتوا إلى الفراغ قالَ لهم إلوڤاتار: ها هي موسيقاكم، وأظهر لهم رؤية. معطياً لهم البصر حيث كانوا من قبل فقط يسمعون. تخيلوا بأنهم رأوا عالماً جديداً، برؤيةٍ مصنوعةٍ أمامهم. *وكان ذلك العالم متكوراً وسط الفراغ، محفوظاً فيه، لكنه ليس منه*. وعندما نَظروا وتساءلوا، بدأ هذا العالمِ بكشف تاريخِه. ثم بدا لهم وكأنه حيٌّ ويتطور، وبينما كان آينور يحدقون لفترة صامتون. قالَ لهم إلوڤاتار ثانيةً: ها هي موسيقاكم! وهذا إنشادكم. وسيجد كُلّ واحد منكم مُحتَواه هنا، وسط هذا التصميمِ الذي وَضعتُه أمامكم. وربما تبدو له كُلّ تلك الأشياء وكأنه هو مَنْ ابتكرها أو أضافها. أما أنت يا ميلكور، بتخبط تَكتشفُ كُلّ أفكار عقلك السرية. والتخبط يميزهم، لكنهم جزء من كل وخاضعاً لمجده.

تحدث إلوڤاتار مع آينور عن أشياء كثيرة أخرى. وبفضل تذكرهم لأحاديثه، ومعرفة كل واحدٍ منهم للجزء الذي صنعه من الموسيقى. عرف آينور أيضاً الكثير عما كان، وما يكون، وما سيأتي في قادم الأيام، وكانت بعض الأشياء محجوبةً عنهم. رغم ذلك فبَعْض الأشياء لا يَستطيعونَ رُؤيتها، لا إن كانوا لوحدهم أو كانوا مجتمعين. فلم يكشف إلوڤاتار لأحد إلا لنفسه عن كل ما في جعبته. ففي كُلّ عصر تظْهرُ لنا أشياءَ جديدة لم يكن بمقدور أحد التنبؤ بها، لأنها لم تنبثق من الماضي. وهكذا كان منظر العالم الذي تمثّل أمامهم، فقد رأى آينور بأنّه يحتوي على أشياء لم يفكروا فيها. وشاهدوا باستغراب مجيء أبناء إلوڤاتار، والمسكن الذي أُعدَ لهم، فأدركوا بأنّهم هم أنفسهم وأثناء توليدهم لموسيقاهم كَانَوا يعملون على تجهيز هذا المسكن، ولم يعرِفوا بعد ما الغاية من وراء جماله. فأبناء إلوڤاتار كانوا من تصوره لوحده، وقد جاؤوا بالصيغة الثالثة، ولم يكونوا في الفكرة الرئيسية التي طرحها إلوڤاتار منذ البِداية. ولم يشارك آينور في أي جزءُ من خلقهم. لذلك عندما رأوهم أحبوهم كثيراً، وعلموا بوجود كائنات غيرهم حرة وغريبة، حيث رَأوا فيهم عقلَ إلوڤاتار ينعكس من جديد. وبأنهم لم يتعلموا إلا النزر اليسير مِنْ حكمتِه، التي أُخفيت عن الجميع، حتى عن آينور.

أبناء إلوڤاتار هم الجان والبشر، البكر والتالي. من ضمن كل روائع العالم قاعاته وفضاءاته الواسعه والنيران المتحركة فيه. فقد اختار إلوڤاتار مكاناً لسكن أبناءه في أعماق الزمن، وسطِ النجومِ التي لا تعد ولا تحصى. ربما يبدو هذا المسكن شيئاً قليلاً بالنسبة لأولئك الذين يقدرون فقط فخامةَ آينور، ولا ينظرون إلى حدة ذكائهم الرهيبة. فمثلهم كمثل الذي سيَأْخذَ كامل حقل أردا قاعدة لعمود، ويرفعه حتى مخروط قمته التي سيكون أَدق

مـن رأس الإبـرة. أو الـذي يعتـبر فقـط السـعة غـير المحـدودة للعـالم، والـذي مـازالَ في طـور التشـكيل علـى أيـدي آينـور. ولَـيس إلى الترتيـب الـدقيق الـذي احتـوى علـى تشـكيل كـل شـيء. وعنـدما رأىَ آينـور هـذا السـكنِ في الرؤيـة ورَأوا أبنـاء إلوڤاتـار يَظْهـرُون علـى هـذا المسـكن. عقـد العـزم كثيرٌ مـن جبـابرة القـوة بيـنهم، وركـزوا كُـلّ أفكـارهم ورغبـاتهم نحـو ذلـك المكـانِ. وفي هـذه كـان ميلكـور رئيسياً، فقـد كـان في البِدايـة أعظـم مـن كـل آينـور الـذين أخـذوا جـزءً مـن الموسـيقى، وهـو مـدَّعي حـتى لنفسـه في البدايـة، بـأن رَغبَتـه بالـذِهاب إلى هنـاك كانـت، لترتيـب كُـلّ الأشـياء لخـير أبنـاء إلوڤاتـار، وللسـيطرة علـى اضـطرابات الحـرارةِ والـبرودةِ الـتي كانـت قـد عبرتـه. لَكنَّـه بالحقيقـة رَغـبَ بإخْضـاع الجـان والبشـر لإرادتـهِ فقـط. فحسـد الهـدايا الـتي وعـد إلوڤاتـار بـأن يهـبهم إياهـا، وتَمـنّى بـأنّ يَكُـونَ لديـه رعايـا وخـدم، ويدعونـه سيّداً، وتكُونَ له السيطرة على الآخرين وإراداتهم.

لكـن بقيـة آينـور نَظـرَوا إلى هـذا المسـكن الموجـود ضـمن فضـاءات العـالم الواسـعة، والـذي سيسـميه الجـان فيمـا بعـد أردا، الأرض، ففرحـت قلـوبهم بالضـوءِ، ونظـرت عيـونهم للكثـيرَ مـن الألـوان فـامتلأت بـالفرح. لكـنهم شَـعروا بقلـق كبـير بسـبب هَـدْير البحـرِ. ولاحظـوا الريـاحَ والهـواءَ، والأشـياء الأخـرى الـتي خلقـت منهـا أردا، كالحديـدِ والحجـارةِ الفضّـية والذهبيـة والكثـير مِـنْ المـواد الأخـرى. ومـن بـين كـل هـذه الأشـياء هللـو كثـيراً للمـاء. ويقـال في أخبـار إيلـدار بـأن صـدى موسـيقى آينـور مـازال حيّـاً في المـاء لحـد الآن أكثـر مـن أي شـيء آخـر مـن المـواد الموجـودة علـى هـذه الأرض، ومـازال كثـيرون مِـنْ أبنـاء إلوڤاتـار يسـتمعون بشـغفٍ لصوت البحر، ولا يعلمون سبب هذه الرغبة.

للمـاء كـان عنـده ذلـك الآينـو[١] الـذي يـدعوه الجـان أولمـو[٢]، وهـو مَـن يـدير فكـرهُ، ويكـون مـأموراً في كـل الأعمـاق مـن إلوڤاتـار بواسـطة الموسـيقى. لكـن في الهـواء والريـاح مـانوي[٣] هـو الأكثـر تقـديراً ونُـبلاً مـن كـل آينـور. وفي نسـيج الأرض كـان عنـده فكـر أوليـي[٤] الـذي أعطـاه إلوڤاتـار الغـلاف والمعرفـة النـادرة، لكنهـا أقـل مـن تلـك الـتي أعطاهـا لميلكـور. سـعادة أوليـي وفخـره يكونـان دائمـاً في أعمـال الصـناعة والخلـق، فهـو لا يحـب التملـك والسـيادة. لـذلك يُعطـي ولا يكتنز، ويكون خالياً من الهم، وينصرف دائماً إلى بعض الأعمال الجديدة.

---

[١] آينو. مفرد آينور، وهو واحدٌ من آينور

[٢] أولمو، Ulmo. هو سيد مياه أردا، التي تجري في عروقها وينابيعها وأنهارها وبحارها.

[٣] مانوي،Manwë ، أعظم آينور كلهم، وهو ملك ملوك أردا، ويقال له سوليمو، Súlimo، سيد أنفاس أردا.

[٤] أوليي، Aulë ، وهو سيد الحرف والصناعة، سيد البنائين، صانع آنية الشمس والقمر. والوكيل على ثروات أردا.

تَكلَّـمَ إلوڤاتـار مـع أولمـو، قـائلاً: ألم تـرى هنـا في أعمـاق الـزمن، في هـذه المملكـة الصـغيرة كيـف شـنَّ ميلكـور الحـرب علـى منطقتـك؟ وكـان تفكّـيرَه مُفـرطُ الـبرودة. رغـم ذلـك لم يسـتطع تحطـيم جمـالَ ينابيعـك، ولا صـفاء بحـيراتي. انظـر، هـا هـو الـثلجَ، والأثـر المـاكر للصـقيع! ابتكـر ميلكـور الحـرارة والنـار بـدون قيـود، فـلا تمكنـت مـن تخفيـف رغبتـك، ولا إخضـاع موسـيقى البحـرِ تمامـاً. انظـر بـالأحرى إلى عُلـوّ ومجـدَ الغـيمِ والسُـحُب المتَغَـيّرة باسـتمرار، واَسـتمع إلى سـقوطِ المطـرِ على الأرض! ففي هذه الغيومِ تقترب مهارتك أكثر من مانوي صديقك الذي تحبه.

أجابَـه أولمـو: حقـاً، تَخيّـلَ أن يصـبح المـاء أنقـى مِـنْ قلـبِي، ولا أكـون قـادراً علـى تصُّـور ندفـة الــثلج في فكــري الســري، ولا تحتــوي موســيقاي علــى صــوت سُــقُوط المطــرِ. سأســعى إلى مـانوي، ربمـا ننصـنع أنغامـاً أبديـةً لبهجـتي. فمنـذ البدايـة كـان مـانوي وأولمـو متحالفـان. و كانـا يخدما دائماً وبإخلاص كبير كلَّ أهداف إلوڤاتار.

بينمـا كَـان كـل آينـور محـدقين في هـذه الرؤيـة – عنـدما كـان أولمـو يـتكلم[1] – وإذا بهـا تبتعـد وتختفـي عـنْ أبصـارِهم. وأحسّـوا في تلـك اللحظـةِ بشـيءٍ جديـد. وهـو **الظـلام**. الـذي لم يعرفـوه مــن قبــل ســوى في الفكــرِ. لَكــنَّهم بالمقابــل أصــبحوا معجبــين بجمــالِ الرؤيــة. ومنهمكــين في تجلـي العـالمِ الـذي ابتـدأ وجـوده هنـاك. وامـتلأت عقـولهم بـه. *ولأن التـاريخ كَـانَ ناقصـاً ودوائـرَ الوقـتِ لم تكـن قـد اكتملـت بعـد عنـدما حُجبـت الرؤيـة، قـالَ الـبعض بـأنّ الرؤيـة انقطعـت قبـل إنجــاز ســلطان البشــر وزوال الجــان. ولهــذا الســبب، لم يشــاهد الڤــالار[2] العصــور اللاحقــة أو نهاية العالم، مع أن كل الموسيقى كانت قد انتهت.*

بعـد ذلـك كـان اضـطراب بـين آينـور. لكـن إلوڤاتـار اسـتدعاهم وقـالَ لهـم: أَعْـرفُ الرغبـةَ الكامنـة في عقـولكم وهـي بـأن تصـبح هـذهِ الرؤيـةُ حقيقـةً ولا تكـون فقـط في فكـركم. فكمـا وُجِـدَتْ أَنفسـكم، سـتُوجَدُ أنفسٍ أخـرى فيمـا بعـد. لـذلك أَقُـولُ. **إيـا**[3]! فلـتكن كـل هـذه الأشـياء موجـودة (كُـنْ)! وسأرسـل عليهـا عـبر الفـراغ، اللهـب الخالـد الـذي سَـيكُونُ علـى قلـبِ العـالمِ. وسـيكون العـالم موجـوداً. ومـن مـنكم لديـه الرغبـة فسـوف يهـبط إليـه. رَأى آينـور مباشـرةً ضـوء مِـنْ بعيـد، إذا جـاز التعبـير غيمـةً بقلـبٍ حـيٍّ مـن اللهـبْ، فـأيقنوا بِأَنَّهـا لم تكـن رؤية فقط، فلقد خلق إلوڤاتار شيء جديد،إنه العالم. **إيا**.

---

[1] هنا اشارة إلى أن عمل أولمو ومانوي كان أسبق من بقية أعمال آينور في إعداد وتجهيز أردا وبالتالي فهما أسبق بالخلق من بقية آينور. (المترجم)

[2] الڤالار،Valar ، ڤالار جمع مفرده ڤالا، عدهم أربعة عشر ڤالا وهم الأقوى والأصفى بين آينور المقدسين.

[3] إيا، Eä . أي الكون، لأنه عندما أراد، إيرو إلوڤاتار، أن يجعل الرؤيا التي شاهدها آينور حقيقية وموجودة بالفعل، قال Eä وهي تشابه فعل الكون Be ,لذلك قال إلوڤاتار: إيا "كُنْ"، أي كُنْ فيكون. وتم خلق العالم.

أراد بعض آينور البقاء مقيمين مَع إلوڤاتار خارج حدودِ العالم. لكن الآخرين ومن بينهم كان الأعظم والأجمل والأكثرُ نقاءً، أَخذَوا إذناً من إلوڤاتار بالنزول إلى هذا العالم. فخلق إلوڤاتار حالةً، أو هي ضرورة حبِّهم. ويجب أن تكون قواهم واسعه في ذلك المكان ومحدودةً في العالم. وأن تبقى ضمنه إلى الأبد، حتى يكتمل. بحيث يكونون حياته وهو ملكهم. لذلك يَسمَّونَ ڤالار، أي سلطات العالم القوية.

لكن عندما دخل الڤالار إلى إيا كانوا في بادئ الأمر مذهولين ومتحيرين، لأنه لم يكن هناك أي شيء من الذي شاهدوه في الرؤية، وكل شيء كان على نقطة البداية، لم يتشكل بعد، ولما كان هناك إلا الظلام. صحيح أن الموسيقى العظيمة كانت قد خُلقت، لكن نمو وإزهار الأفكار سيكون في قاعات غير متناغمة، ولما كانت الرؤية إلا نبوءةً فقط. لكنهم دَخلوا الآن في بداية الزمن، فأدركَ الڤالار هذا العالم الذي وُجد، لكنه مايزال في بداية التشكل وبداية الأغنية، وعليهم إنجاز ذلك. فابتدأت أعمالهم العظيمة في قِفارٍ مبهمةٍ، شاسعة غير محدودة. واستمرت لعصورٍ منسيةٍ لا تعد ولا تحصى. إلى أن وصلوا إلى أعماق الزمن في وسط قاعات إيا الواسعة، عندها حانت تلك الساعة وذلك المكان ليكونا، زمان ومكان اكتمال إنجاز سكن أبناء إلوڤاتار. أُلقي الجزء الرئيسي من هذا العمل على عاتق كلٍ من مانوي وأوولي وأولمو. أيضاً ميلكور كَانَ مِنْ السباقين، فقد تَدخّلَ في كُلّ الأعمال التي صيغت هناك. وأدارها كلما حانت له الفرصة وفق رغباته وأهدافه مُوقداً نيراناً عظيمة. وعلى الرغم من أن الأرض كَانتْ لا تزال بكراً ومليئة باللهبِ في وقتها لكنه اشتهاها لنفسهِ وقالَ للڤالار الآخرين: هذه سَتَكُونُ مملكتَي، وسأتخذها لنفسي.

يعتبر مانوي الذي كَانَ أَخّو ميلكور (هذا في باطن عقل إلوڤاتار فقط). بأنهُ الأداةَ الرئيسيةَ للصيغة الثانية، وبه وقف إلوڤاتار بوجه تنافر ميلكور. لذلك طلب مانوي من إلوڤاتار بأن يرسل له الكثير من الأرواح، عظيمة وأقل عظمة. فنَزلوا إلى حقولِ أردا لمساعدة مانوي، خوفاً من أن يُعيقَ ميلكور إنجازَ عملِهم إلى الأبد، وعندها ستذبل الأرض قبل أن تزهر. قال مانوي لميلكور: لن تأخذ هذه المملكةِ لنفسك بغير وجه حق، لأنه لا يقلُّ عمل وتعب الآخرين عن تعبك. فنشأ هناك صراعٌ بين ميلكور والڤالار الآخرين. وفي ذلك الوقتِ انسحب ميلكور وذهب إلى مناطق أخرى وعَمِلَ هناك ما أراد، لَكنَّه لَمْ يطرح مِنْ قلبِه رغبته في مملكةِ أردا.

اتخذ الڤالار لأنفسهم أشكال وهيئاتٍ. ولأنهم انجذبوا إلى العالمِ بمحبِّة أبناء إلوڤاتار، فتمنوا أخذ أشكالهم على غرار الأسلوب الذي شاهدوه في رؤية إلوڤاتار، باستثناء الفخامةِ والعظمة فقط. لذلك أتت أشكالهم من مدى إدراكهم للعالم المرئي، بدلاً مِنْ العالمِ نفسه. مع أنهم لا يَحتاجونَ لهذه الأشكال إلا كما نحتاج نحن إلى الثياب، فقد نكون عراة ولا يعاني وجودنا من النقص. لذا فقَدْ يحدث بأن يَمْشي الڤالار- إن أرادوا- مجردين غير مغلفين بأشكال، ولا يستطيع أحد ملاحظتهم بشكل واضح، حتى إيلدار[١]، مع أنهم موجودين. لكن عندما يَرْغب الڤالار بكَسوة أنفسهم، سيأخذ بعضهم أشكال الذكور والبعض الآخر أشكال الإناث. وهذا الاختلاف في الطبع كَانَ لديهم مُنْذ نشأتهم، وقد وُضعت عليهم الأجساد وفق اختيارهم، لكن لم يخلقوها باختيارهم. كَمَا هو الحَال مَعَنا فقد نميز الذكر والأنثى من الثياب، أمّا الڤالار فلَمْ يُخلقوا بهذه الطريقة. فالأشكال العظيمة المرتبة التي كسوا بها أنفسهم لا تشبه في جميع الأوقات أشكال ملوك وملكات أبناء إلوڤاتار. فقد يَكْسوا أنفسهم أحياناً بطريقتهم الخاصة، فتظهرهم بأشكالٍ من الرهبة والفخامة.

اجتذب الڤالار إليهم العديد مِنْ الرفاقِ، فالبعض يقترب من عظمتهم والبعض الآخر أقل عظمة، وعَملوا سوية في إدارة الأرض وضبط ضوضائِها. رأى ميلكور ما حصل، وكيف مشى الڤالار على الأرض كقوى مرئية، يرتدون من هذا العالم ثياباً فاتنةً ورائعة للنظر. وكيف أصبحت الأرض حديقة لبهجتهم، لأنهم أُخضعوا الاضطراب فيها. لذلك نما حسد ميلكور وتعاظم بداخله، فاتخذَ لنفسه شكلاً مرئياً أيضاً. لكن بسبب طبعه والحقدِ المشتعل بداخلهِ فقد أنتجَ شكلاً ظلامياً فظيعاً. هبط ميلكور بهذا الشكل إلى أردا، بقوةٍ وفخامةٍ أعظم مِنْ الڤالار الآخرين. لكأنهُ جبلٌ يَخُوضُ في البحرِ ورأسهُ فوق الغيوم، مغطى بالثلجِ ومتوّجَ بالنار والدخانِ، وكان نور عيونه كشعلة ذابلة فيها توهج يخرق ببرودة قاتلة.

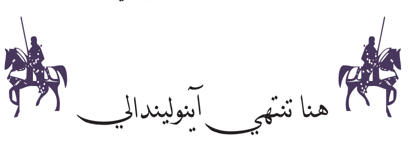
هكذا بَدأَت المعركةَ الأولى للڤالار مَع ميلكور للسيطرة على أردا. ولم يعرف الجان عن ضوضاء تلك الأيام إلا القليل وهي التي أخبرهم بها الڤالار، عندما تكلموا مع إيلدالي[٢] في أرضِ ڤالينور. ولم يوعز إليهم بأن يخبروا عن ما قبلها من الأيام، إلا بعض الأخبار القليلة عن الحروبِ التي حدثت قبل مجيئ

---

[١] إيلدار.Eldar ، وهو الاسم الذي أطلقه اورومي على الجان عندما اكتشفهم لأول مرة ومعناه شعب النجوم.

[٢] إيلدالي،Eldalië ، كل قبائل إيلدار .

الجان. على الرغم من ذلك فقد قيل بين إيلدار بأن عمل الڤالار الدائم موجه لحُكْم الأرض وتَهْيِئتها لمجيئ البكر. فكانوا يبنون الأراضي وميلكور يحطمهم، يحَفرون الوديان ويردمها ميلكور، ينحتون الجبال ويسقطها ميلكور، جوفوا البحار فقام ميلكور بإغلاقها وسكبها. نادراً ما كان يسعى إلى الديمومة أو نمو السلام الدائم. والشيء المؤكد أنه كلما بدأ الڤالار بعمل كان ميلكور يسعى لإفساده وإلغاءه. رغم ذلك فلم يكن عملهم كُلّه دون جدوى، على الرغم من أنه في أي مكان وفي أي عمل كَانَت إراداتَهم وأهدافهم كاملة الإنجاز، ولم تكن كُلّ الأشياء في الهيئة والتشكيل كما كانت في نية الڤالار منذ البداية. لكن وبرغم البطء فقد شُكلت الأرض وكانت راسخةً ومتينة. وأخيراً أصبح مسكن أبناء إلوڤاتار مؤسساً في أعماق الزمن وسط النجومِ التي لا تعد ولا تحصى.



# ڤالا كوينتا

## قيمةُ **الڤالار** والميّار[١] طبقاً لعلوم إيلدار

في البدء كان إيرو، الواحد، والمسمى بلغة الجان إلوڤاتار. خلق آينور من فكره، وهم صنعوا موسيقى عظيمة أمامه. ومن هذه الموسيقى ابتدأ العالم. لأن إلوڤاتار جعل أغنية آينور مرئية. وهم شاهدوها كضوءٍ في الظلام. فأصبح الكثيرين منهم مفتونين بجمالها، وبتاريخها الذي رأوا بدايته وانكشف أمامهم كما شاهدوه في الرؤية. لذلك أعطى إلوڤاتار لرؤيتهم وجوداً. ووَضعَ هذا الوجود وسط الفراغ. وأرسل النار الخفية لتشتعل في قلب العالم. ودُعي هذا الوجود **إيا**.

ومَنْ مِنْ آينور كانت لديه الرغبة بهذا العالم. فقد نهض ونزل إليه في بداية الزمان. وكانت مهمتهم انجاز ذلك العالم. وبفضل جهودهم التي بذلوها تم تحقيق الرؤية التي شاهدوها. فقد عملوا لفترة طويلة في مناطق إيا الواسعة، والتي هي خارج نطاق تفكير الجان والبشر. حتى وصلوا إلى الوقت الذي أتموا فيه صنع أردا. مملكة الأرض. ثم اتخذوا رداءً لهم من الأرض وهبطوا إليها وسكنوا بها.

[١] الميّار، Maiar ، هم من آينور المقدسين لكنهم أقل منزلة من الڤالار، أيضاً ميار جمع ومفرده مايا.

# الڤالار

هـم العظمـاء بـين هـذه الأرواحِ[١] ويسـمون باللغـة الجنيـه ڤـالار. أي قـوى السـلطة في أردا. ويسـميهم البشـر غالبـاً آلهـة. أسـياد الڤـالار سـبعة، وملكـات الڤـالار سـبعة أيضـاً ويسـمون الڤـالير. توجـد للڤـالار عـدة أسمـاء أخـرى في لغـات جـان الأرض الوسـطى، وأسماؤهم متنوعـة بـين البشـر. لكـن عُرِفـت أسماؤهم أكثـر باللغـة الجنيـة، وهـي اللغـة الـتي تكلـم بهـا الجـان أثنـاء سـكنهم في ڤـالينور[٢]. فأسمـاء أربـاب الڤـالار وفـق الترتيـب الصـحيح هـو: مـانوي، أولمـو، أوليـي، أورومـي[٣]، مانـدوز[٤]، لـورين[٥]، تولكـاس[٦]. وأسمـاء ملكـات الڤـالار: ڤـاردا[٧]، ياڤانَـا[٨]، ناينـا[٩]، إيسـتي[١٠]، ڤـاييري[١١]، ڤانـا[١٢]، نيسسـا[١٣]. ولم يعـد يحتسـب ميلكـور مـن بـين الڤـالار، ولا يُتحدث باسمه على الأرض.

كانـت أخـوة مـانوي وميلكـور في فكـرِ إلوڤاتـار فقـط. وكـان مـانوي وميلكـور همـا الأكثـر قـوةً مـن بـين كـل آينـور الـذين جـاءوا إلى العـالم في بداياتـه. لكـن مـانوي الأعـز عنـد إلوڤاتـار لأنـه يَفْهَـمُ بوضـوح تـام معظـم أهـداف إلوڤاتـار. لـذلك عُـين ليكـون وفي كـل الأزمنـة، الأوّل بـين كـل الملـوك. سـيد مملكـة أردا وحاكمـاً علـى كـل مـن يعـيش فيهـا. وبهجتـه في أردا هـي بالريـاحِ والغيـوم، وفي كُـلّ منـاطقِ الهـواءِ، مِـنْ المرتفعـاتِ إلى الأعمـاقِ، مِـنْ أقصـى الحـدودِ العليـاِ لحجابـات أردا إلى الأنسـامِ الـتي تهـب علـى العشـبَ. ولقبـه سـوليمو، أي سـيد أنفـاس أردا. تحبه كُلّ الطيور السريعة وقويات الأجنحة، وهي تأتي وتذهب طبقاً لأوامره.

---

[١] الارواح هنا تشير إلى آينور.

[٢] ڤالينور هي الأرض التي أسسها الڤالار وسكنوا فيها بعد أن دمر ميلكور مسكنهم الأول في إيلمارين.

[٣] أورومي، Oromë، وهو الفارس والصياد، سيد الوحوش، أول من اكتشف وجود الجان. واسمه Araw أراو بلغة سيندار. وله لقب آخر هو Tauron ، تاورون سيد الغابات، وأيضاً اسم Aldaron آلدارون، سيد الأشجار.

[٤] ماندوز، Mandos ،خامس الثمانية، وهو سيد الهلاك، حارس بيوت الموتى، اسمه الحقيقي Námo، نامو.

[٥] لورين،Lórien ، واسمه الشائع Irmo ،إرمو، صانع الحدائق. وسيد الرؤى والأحلام،

[٦] تولكاس،Tulkas ، سيد الحرب ،البطل، الشجاع ، القوي ، ولقبه Astaldo ،استالدو.

[٧] ڤاردا،Varda ، زوجة مانوي، ملكة النجوم، يعظمها الجان ويسمونها Elbereth،ايلبيرت. و Elentári ايلينتاري.

[٨] ياڤانا،Yavanna , زوجة أوليي، مانحة الثمار وحبيبة كل نباتات اردا، ولقبها Kementári كيمينتاري،

[٩] ناينا،Nienna , سيدة الحزن والرحمة، أخت نامو و إرمو وكلاء الموت، وتسكن لوحدها على الحدود الغربية.

[١٠] إيستي،Estë ، سيدة الشفاء من الحزن والتعب، وهي زوجة إرمو، وسكنت معه في حدائق لورين في ڤالينور.

[١١] ڤاييري، Vairë ، زوجة ماندوز(نامو)، وهي الحائكة التي تسجل أحداث التاريخ على منسوجاتها.

[١٢] ڤانا، Vána ،وهي زوجة اورومي وشقيقة ياڤانا الصغرى، تتفتح كل الزهور عندما تمر من فوقهم.

[١٣] نيسسا، Nessa ، وهي زوجة تولكاس وأخت اورومي، مسرتها بالرقص على مروج ڤالينور الخضراء.

تسكن مَع مانوي في مكان إقامته. ڤاردا، سيدة النجوم، التي تَعْرفُ كُلّ مناطق إيا. جمالها عظيم جداً، وهو الجمال المعلن في كلماتِ البشر أَو الجان، لأن ضياء إلوڤاتار باقٍ في وجهِها. في الضوءِ قوّتُها وبهجتُها. من أُعماق إيا خرجت وجاءتْ لإعانة مانوي على ميلكور، فقد عَرفتْ مِنْ قبل صيغة ميلكور الموسيقية ورَفضتْها، وكان هو يكْرهها ويَخافَها أكثر مِنْ كُلّ الآخرين الذين خلقهم إيرو. نادراً ما افترق مانوي وڤاردا، وهما باقيان في ڤالينور. قلاعهم فوق الثلجِ الأبديِ. على أويولوسي[1] البرج الأعلى في تَني كويتيل[2]، أطول الجبال على الأرض. هناك حيث يعتلي مانوي على عرشُه ويراقب أردا، وعندما تكون ڤاردا بجانبه فإنه يَرى أبعد مِنْ كُلّ العيون، من خلال السحبِ والظلامِ وعلى امتداد البحرِ. أما بالنسبة لڤاردا، فعندما يكون مانوي مَعها، فإنها تسمع أكثر مِنْ كُلّ الآذان. تسمع همسة الصوت التي تنادي مِنْ الشرقِ إلى الغربِ، مِنْ التلالِ والوديان، ومِنْ الأماكن المظلمة العميقة التي صنعها ميلكور على الأرض. يبجل الجان ڤاردا بالخشوع والحب، من بين كل العظماء الذين يسكنون هذا العالم، ويسمونها ايلبيرت، وينادون باسمِها للخروج من ظلال الأرض الوسطى، ويرفعون ذلك في أغنية عند إشراقة النجومِ.

أولمو سيد المياه. يسكن لوحده منذ مدة طويلة هنا، لكنه إجمالاً يتحرك كما يريد في كل المياه حول الأرض أو تحتها، وهو الثاني في القوة بعد مانوي، وقبل خلق ڤالينور كَانَ أقرب الأصدقاء إلى مانوي، لكن فيما بعد، قلما ذَهبَ إلى مجالسِ الڤالار، إلا إذا كانت ستناقش هناك أمورٌ عظيمة. فهو يحافظ على كل أردا في الفكر، ولا يحتاج لأي مكان للاستراحة. علاوة على ذلك فإِنَّهُ لا يُحبُّ المِشي على الأرض، ونادراً ما يكسو نفسه بجسد يخالف أسلوبه في الظهور. وإذا ما نظر إليه أبناء إيرو فقد يصيبهم فزع عظيم، لأن ظهوره كملك للبحر يكون فظيعاً. كموجاتٍ متسلقة خطواتهُ الواسعة إلى الأرض. بخوذته القاتمة المتوجة بالزبد. يلبس درعاً لامعاً بلونٍ فضيٍّ من الأسفل وينتهي بظلال اللون الأخضر في الأعلى. صحيح أن أصوات أبواق مانوي عالية، لكن صوتَ أولمو عميقٌ كعُمق المحيطِ الذي لم يره أحد سواه.

يُحبُّ أولمو كلاً من الجان والبشر، ولم يتْرَكهم أبداً، حتى عندما كانوا منطرحين تحت غضب الڤالار. وفي بعض الأحيان يستهويه المجيء غير مرئي إلى شواطئِ الأرض الوسطى، أو يعبر

[1] أويولوسي. Oiolossë ، البرج الأعلى على قمة تني كويتيل، مسكن مانوي وڤاردا.
[2] تني كويتيل. Taniquetil ، قمة أعلى جبل في العالم وهو المسكن العالي المخصص لمانوي وڤاردا.

مبتعـداً إلى داخـل الأرض عـبر الألسـنة البحريـة، وهنـاك يصـنع موسـيقاه بأبواقـه العظيمـة أولومـوري[1]، تلـك الأبـواق المشـغولة مـن الصـدف الأبـيض. أمـا مَـنْ تصـل إليـه هـذه الموسـيقى فيسـمعها وتسـتقر في قلبـه، يكـون عنـده اشـتياقٌ دائـمٌ للبحـر لا يفارقـه أبـداً. غالبـاً مـا يكـون كـلام أولمـو مـع سـكان الأرض الوسـطى بأصـوات تسـمع فقـط كموسـيقى قادمـة مـن المـاء. كُـلّ البحـار والبحـيرات والأنهـار والنـافورات والينـابيع تـدخل ضـمن حكومتـه وتحـت سـيطرته، لـذلك يقـول الجـان بـأن روح أولمـو تعـيش في كـل عـروق العـالم. فكـل الأخبـار بخصـوص حاجـات وأحـزان أردا تصـل إلى أولمـو حـتى ولـو كـان في أعمـق الأعمـاق. إلا تلـك الأخبـار الـتي يخفيهـا مانوي.

أمـا أوليـي فلـه ترتيـب أقـل بقليـل مـن أولمـو. وسـيادته كائنـة علـى كُـلّ المـواد الـتي صُـنعت منهـا أردا. في البدايـة عمـل كثـيراً بصـحبة مـانوي وأولمـو، وكـان عملـه في تكـوين كـل الأراضـي. فهـو الصـانع وسـيد الحِـرَف، يَـتهجُ في الأعمـالِ المـاهرةِ، مهمـا كانـت صـغيره، بقـدر ابتهاجـه بالأبنيـة الكبـيرة. كانـت لديـه منـذ القِـدم مجـوهراتَ مخبـأة في أعمـاق الأرض، والـذهب الجميـل في يـده لا أقـل مـن أسـوار الجبـالِ وأحـواض البحـر. أخـذت غالبيـة نولـدور[2] العلـم منـه وكـان صـديقهم الـدائم. كـان ميلكـور يغـار منـه دائمـاً. لأن أوليـي كـان يشـبهه كثـيراً في التفكـير والسـلطات. لـذلك نشـأ خـلاف طويـل بينهمـا، والـذي أفسـدَ فيـه ميلكـور وخـرَّب باسـتمرار أعمـالَ أوليـي، فأنهـك أوليـي في إصـلاحها. وكلاهمـا رغـب في عمـل أشـياء خاصـة بـه، جديـدة ولا يعلـم بوجودهـا الآخـرين. وكلاهمـا ابـتهج في امتـداح مهارتـه. لكـن أوليـي بَقـي مخلصـاً لإيـرو. وقـدّمَ كُـلّ أعمالـه لإرادتـهِ، ولَمْ يَحْسـدْ أعمـالَ الآخـرين، لكنـه طلـب فـأعطي النصـيحة. بينمـا ميلكـور اسـتهلك روحَـه في الحسـدِ والكراهيـة، حـتى أنـه أخـيراً لم يقـم بعمـل أي شـيء إلا السخرية من أفكار الآخرين. وإن استطاع كان يحطم كل أعمالهم.

ياڤانَـا. هـي زوجـة أوليـي. مانحـة الثمـار. عاشـقة كُـلّ الأشـياء الـتي تَنْمـو علـى وجـه الأرض، وكُـلّ أشـكالهم الـتي لا تعـد ولا تحصـى محمولـةً في فكرهـا، مـن الأشـجار الـتي تشـبه الأبـراج والموجـودة في الغابـات منـذ مـدة طويلـة إلى الطحالـب الـتي فـوق الأحجـار، وحـتى الكائنـات الدقيقـة المخفيـة الموجـودة علـى سـطح الأرض. وفي التقـديس والتبجيـل تـأتي ياڤانَـا بالمرتبـة

[1] أولوموري، Ulumúri ، اسم أبواق أولمو.

[2] نولدور.Noldor ، هم قسمٌ من الجان، وهم الذين تبعوا فينوي واتخذوه سيداً عليهم، ويعتبر نولدور ثاني أكبر عشيرة من عشائر الجان التي هاجرت إلى ڤالينور. تعلموا من أوليي فنون الصناعة، وكانوا من أعظم الجان في الصناعة والحكمة، عاشوا في أرض امان لفترة طويلة، ولكن القسم الأكبر منهم ترك أمان وعاد إلى الأرض الوسطى، طلباً للثأر من مورغوث الذي قتل فينوي، وسرق السيلماريلس التي صنعها فيانور بن فينوي.

الثانيـة بعـد ڤـاردا بـين ملكـات الڤـالار، وهيئتهـا علـى شـكل امـرأة طويلـة مكسـوة بالأخضـر. لكنهـا أحيانـاً قـد تأْخـذُ أشـكالاً أُخـرى. وهنالـك بعـض الـذين اطلعـوا علـى مكانتهـا فقـالوا بأنها كانـت مثـل شـجرة تحـت السـماء متوّجَـة بالشـمس، ومِـنْ كُـلِّ فروعهـا ينسَـكب نـدىً ذهبيـاً علـى الأرض القاحلِـة فـأنتج الخضـروات والحبـوب. وكانـت جـذورَ هـذه الشـجرةِ في ميـاهِ أولمـو، وريـاح مـانوي تهمـس في أوراقِهـا. لقبهـا كيمينتـاري في لغـة إيلـدارين[١]. ومعنـاه ملكـة الأرض.

فيـانتوري، سـادة الأرواح، وهمـا أَخـوان. في أغلـب الأحيـان يسـميان مانـدوز ولـورين. والغريـب أن هذه بالحقيقة هي أسماء أماكن سكنهم. أما أسماؤهم الحقيقية فهي، نامو وإرمو.

نـامو، وهـو الأكـبر، يسـكن في مانـدوز الكائنـة في الجهـة الغربيـة مـن ڤـالينور. وهـو حـارس بيـوت المِـوتى، ومسـتدعي أرواح القتلـى ولا ينسـى أحـد مـنهم. يَعْـرفُ كُـلّ الأشـياء الـتي سَـتَكُون، إلا الـتي لم يحررهـا إلوڤاتـار بعـد. هـو رجـل الهـلاك في الڤـالار، لَكنَّـه ينطـق قراراتـه وأحكامَه فقط بطلبٍ من مانوي.

ڤـايري الحائكـة، هـي زوجـة نـامو، تنْسـجُ كُـلّ الأشـياء الـتي سَـبَقَ أَنْ كَانـتْ، وتخزنها في نسيجها. وتكون قاعات ماندوز الواسعة كاتساع مرور العصور مَكْسُوة بهم دائماً.

إرمـو، هـو الأصـغر، وهـو سـيدُ الـرُؤى والأحـلامِ. تقـع حدائقـه في لـورين مـن أرض الڤـالار، وهي أجمل مكان في العالم. مملوءةً بالكثير مِنْ الأرواح.

إيسـتي اللطيفـة، معالجـة الأضـرار والتعـب، وهـي زوجـة إرمـو، رداؤهـا رمـادي، تهـدي الراحـة والسـكون. لا تمشـي في النهـار. تنـام علـى جزيـرةٍ في بحـيرة لـورين المظللـة بالأشـجار. وكـل السـاكنين في ڤـالينور ينتعشـون مـن ينـابيع إرمـو وايسـتي. يـأتي الڤـالار إلى لـورين غالبـاً ليرتـاحوا وليخففوا عنهم أعباء أردا.

ناييننـا أقـوى مـن إيسـتي، وهـي أخـت فيـانتوري. تسـكن لوحـدها، وهـي المطلعـةُ علـى الأحـزان. تنـدب كـل جـراح أردا الـتي عانتهـا بسـبب تشـويهات ميلكـور. الحـزن المنتشـر في موسـيقاها عظيـم جـداً، وهـذا الحـزن هـو الـذي حـول أغنيتهـا إلى الرثـاء قبـل النهايـة بفـترة طويلـة. وبالتـالي نُسـج صـوت الحـزن إلى صـيغ العـالم قبـل أن يبـدأ، لكنهـا لا تنـوح لنفسـها، وأولئـك الـذين يصـغون إليهـا يتعلمـون الشـفقة، والقـدرة علـى التحمـل والأمـل. قاعاتها في غـربي الغـرب علـى

[١] إيلدارين، Eldarin, هي لغة إيلدار.

حـدودِ العـالم. ونـادراً مـا تـأتي إلى مدينـةِ ڤاليمـار[١] حيـث كـل شـيء سـعيد. بـل تَـذْهبُ إلى قاعـاتِ مانـدوز القريبـة منهـا، وجميـع المنتظـرين في قاعـات مانـدوز يهتفـون لهـا. لأنها تجلـب القوة إلى الروح وتحول الحزن إلى حكمه. ونوافذ بيتِها تبدو خارجةً من جدران العالم.

تولكـاس هـو الأعظـم في القـوّةِ وأعمـالِ البطولـة، لقبـه اسـتالدو، الشـجاع. وهـو آخـر الـذين جـاؤوا إلى أردا لمِسَـاعَدَة الڤـالار في المعـاركِ الأولى مَـع ميلكـور. يَـتهجُ في المصـارعة ومنافسـات القـوّة. لا يَرْكَـبَ جـواداً قـط، لأن قدميـه تسـبق كـل الأشـياء الـتي تسـير، ولا يتعـب. شَـعرُهُ ولحيتـهُ ذهبيـانْ، جسـده متـورّد وأسـلحته يديـه. قلمـا يحسـب حسـاباً للماضـي أو المسـتقبل، واستشارته بلا جدوى، لكنه الصديق الشجاع.

نيسسـا زوجـة تولكـاس وأخـت أورومـي، وهـي أيضـاً رشـيقة وأقـدامها سـريعة. تحبهـا الغـزلان، ويتبعـون دربهـا كلمـا ذهبـت إلى البريـة، لَكنَّهـا يُمْكِـنُ أَنْ تسـبقهم، فهـي سـريعة كسـهم مـع الريح في شَعرِها. في الرقص بهجتها، وهي تَرْقصُ في ڤاليمار على المروج دائمة الخضرة.

أورومـي السـيِّد الجبـار، إذ هـو أقـل قـوة مـن تولكـاس، لكـنَّ غضـبَهُ مرعـبٌ. في حـين تولكـاس يَضْـحكُ دائمـاً، في الرياضـةِ أَو في الحـربِ وحـتى أنـه ضَـحكَ في وجـه ميلكـور في المعـاركِ القديمـة قبـل ولادة الجـان. أحـبَّ أورومـي أراضـي الأرض الوسـطى وتَرَكَهـا مرغمـاً وكـان آخـر الواصـلين إلى ڤـالينور. وغالبـاً في القـديم كـان يعـبر عائـداً للشـرق عـبر الجبـال، ويرجـع إلى جماعتـه في السـهول والـتلال. ويصـطاد مـن الوحـوش ومـن البهـائم. يَـتهجُ في الخيـولِ وكـلاب الصـيد. يحـب كـل الأشـجار ولهـذا السـبب كـان يـدعى ألـدارون. ومـن قِبـل سـيندار[٢] كـان يـدعى تـاورون، أي سـيِّد الغابـات. واسـمُ حصـانِه ناهـار، أبـيض في الشـمسِ وفضـة مشـرقة في الليـل. واسـمُ بوقـه العظـيم فالارومـا، وصـوت بوقـة يشـبه طلـوع الشـمس القرمزيـة، أَو الـبرق الـذي يَشْـقُّ الغـيمَ. سمـع صـوته في الغابـات قبـل كـل أبـواق جمهـوره، وكانـت ياڤانَـا قـد جلبتـه مـن ڤـالينور. لأن أورومـي كـان يـدرب شـعبه ووحوشـه علـى مطـاردة مخلوقـات ميلكـور الشـريرة.

ڤانـا دائمـة الشـباب هـي زوجـة أورومـي، وهـي أخـت ياڤانَـا الصـغرى. كُـلّ الزهـور تنمـوُ وتتفـتح إذا ما مرَّت من فوقهم، وكُلّ الطيور تَغنّي لقدومها.

---

[١] ڤاليمار،Valimar ، هو اسم مدينة الڤالار في ڤالينور.

[٢] سيندار.Sindar ، شعب جني أصله من تيليرين، وهم الذين وصلوا مع أقاربهم إلى الشواطئ الغربية للأرض الوسطى ولكنهم لم يعبروا البحر وبقوا في بيليرياند للبحث عن ايلوي، فيما اقتنع بعضهم باتباع اوسي الذي هو من المايا.

كانت هذه أسماءَ ڤالار وڤالير، وهنا ذكرنا بإيجاز أشباههم، كما شاهدها إيلدار في أمان[١]. وكانت أشكالهم صافيةً ونبيلةَ كما ظهرت لأبناء إلوڤاتار. لكن هذه الهيئات كانت أيضاً حجاباً على جمالهم وقوتهم، وإذا ذُكر القليل هنا عن الكثير الذي كان يعرفه إيلدار فيما سبق. فإن وجودهم الحقيقي لا يمكن مقارنته بأي شيء. والذي يرجع إلى مناطق وعصور بعيدةً جداً عن تفكيرنا. من بينهم كان تسعة هم الأعلى في القدرة والمهابة، لكن حذف مِنْ تعدادِهم واحد(وهو ميلكور)، فتبقى ثمانية، وهؤلاء الثمانية يسمون أراتار، أي أعلى الأشخاص في أردا وهم: مانوي، ڤاردا، أولمو، ياڤانَا، أوليي، ماندوز، نايينا، أورومي. ومع ذلك فإن مانوي هو الملك، ويَحْمِلُ ولائَهم تحت إيرو. في الفخامةِ هم نبلاء، ولا مجال لمقارنتهم بالآخرين أبداً، سواء كانوا من الڤالار والميار، أَو أيّ مرتبة أخرى أرسلها إلوڤاتار إلى إيا.

[١] امان.Aman ، هي الأراضي الخالدة. تقع على الحافة الغربية المتطرفة من العالم ، ما وراء البحر العظيم، وفي أقدم الأوقات، عندما كان العالم مضاء بمصابيح الڤالار كانت أراضٍ فارغة وبلا اسم.

# الميَّـار

جاءت مَع الڤالار أرواحٌ أخرى كانت موجودة أيضاً قبل ابتداء العالم. وهم من نفس مرتبة الڤالار لكن بمنزلة أقل. وهم الميَّار، شعب الڤالار وخدمهم المساعدين لهم. عددهم غير معروف للجان، والقلة منهم يمتلكون أسماء بأي لغة من لغات أبناء إلوڤاتار. على الرغم من ذلك فإن وجودهم في أمان مختلف عن وجودهم في الأرض الوسطى. ففي الأرض الوسطى نادراً ما ظهر الميَّار بالأشكال المرئية إن كان للناس أو للجان.

من أهم الميّار في ڤالينور والذين مازالت أسماؤهم مذكورة في تاريخ الأيام القديمة. ايلماري وصيفة ڤاردا. وايونوي رسول مانوي وحامل رايته. وهو الذي لا يجاريه أحد في استعمال السلاح في كل أردا. لكن أفضل المعروفين لأبناء إلوڤاتار من بين كل الميَّار هما أوسي و أوينين.

أوسي هو تابع أولمو. وهو سيد البحار التي تغمر شواطئ الأرض الوسطى. لا ينزل للأعماق لكنه يحب السواحل والجزر ويفرح في رياح مانوي. ففي العاصفة مسرته ويضحك وسط هدير الموج. أما أوينين سيدة البحار فهي زوجته، وهي التي تفرش شعرها وتنشره عبر كل المياه الموجودة تحت السماء. تحب كل المخلوقات التي تعيش في الجداول المالحة والأعشاب التي تَنْمو هناك. إليها يهتف البحارة لأنها تستطيع تهدئة الموج. ومقاومة وحشية أوسي. وقد عاش النومينوريون[1] فترة طويلة في حمايتِها، واعتبروها في وقارٍ يوازي تقديس الڤالار.

كَرِهَ ميلكور البحر، لأنه لم يَستطعْ إخضاعه والسيطرة عليه. ويقال بأنه حاول سحب أوسي إلى ولاءه الخاص إبان صناعة أردا. ووعده بكل مملكة وسلطة أولمو إذا قبل بخدمته. لذلك ومنذ عهدٍ بعيد صنع الشغب العظيم في البحر الذي خرب الأراضي. عندها قامت أوينين بناءً على تضرعات أوليي بتقييد أوسي واحضاره إلى أولمو. فعفا عنه وأعاده إلى ولائه وبقي مخلصاً له فيما بعد. وانخفض جزء كبير من بهجة العنف لديه. لكنها لم تفارقه

[1] النومينوريون،Númenóreans ، هم شعب نومينور. ونومينور هي أرض الهدية التي كافأ فيها الڤالار البشر لما قدموه من شجاعة في الحرب على قوى الظلام. (سيأتي ذكر قصتها مفصلاً في الفصول اللاحقة).

بشكل كامل فأحياناً سيهتاج متعمداً من دون أي أمر من سيده أولمو. لذلك فإن الساكنين بجانب البحر أَو الذين يركبون السُفنِ قَدْ يُحبُّونه لَكنَّهم لن يَأمنوا جانبه.

ميليان هو اسم المايا[1] التي كانت تقدم خدمات لكلٍ من ڤانا وايستي. وقبل أن تذهب إلى الأرض الوسطى سَكنتْ لمدة طويلة في لورين، تعتني بالأشجارِ التي تُزهرُ في حدائقِ إرمو. وكانت العنادل تغني حولها حيثما ذَهبتْ.

أما أولورين فهو الأعقل والأكثر حكمة بين الميَّار. كان يسكن في لورين أيضاً لكن دروبه قادته إلى بيت نايننا، ومنها تعلم الشفقة والصبر.

أُخبر الكثير عن ميليان في كوينتا سيلماريليان، لكن أولورين لم نتكلم عن حكايته. والمعروف عنه أنه أحبَّ الجان ومَشى بينهم غير مرئي. أَو في شكلٍ واحدٍ منهم، فلم يعرفوا من أين جاءتهم الرؤى الصافية أو تلقين الحكمة التي وضعها في قلوبهم. وفي الأيام اللاحقة سيكون صديقاً لكل أبناء إلوڤاتار ويشفق على أحزانهم. وكل الذين أصغوا إليه تنبهوا من الغفلة واليأس وأبعدوا عنهم التخيلات الظلامية[2].

---

[1] مايا ،Maia، هو مفرد ميَّار. أي شخص من الميَّار

[2] اولورين، Olórin، يعتبر من أحكم الميار وقد اختير لكي يذهب إلى الأرض الوسطى في العصر الثالث، واتخذ شكل ساحر، وقد ساعد على اشراف وتوجيه المقاومة ضد ساورون. ( وأعتقد شخصياً بأنه هو نفسه الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم غاندالف الرمادي) (المترجم)

# الأَعداءْ

يوضـع اسـم ميلكـور في الأخـير بـين جميـع الأسمـاء، وهـو الـذي ظهـر في الجـبروت، لكنه خسر ذلك الاسم. وكانت نولدور ومن بين كل الجان هي أكثر مَنْ عانى من حقدِه. فـلا ينطقـوا باسمـه بـل يسـموه مورغـوث، أي العـدو المظلـم للعـالم. منحـه إلوڤاتـار قـوةً عظيمـةً فكـان معـادلاً لمـانوي في الصـلاحيات والمعرفـة. وكـان يمتلـك ميـزة مـن كُـلّ ميـزات الڤـالار الآخرين. لكنـه اسـتخدمها للأعمـال الشـريرة وبـدد قوتـه في الظلـم والاسـتبداد، لأنـه طـامعٌ في أردا وكل من فيها. راغباً فيها بمنزلة مانوي وسيادته على ممالك أقرانه.

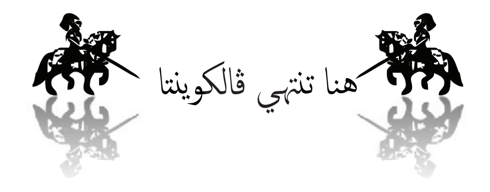
مـن العظمـة سـقط عـبر غطرسـته واحتقـاره لكـل شـيء إلا نفسـه. فهـو روحٌ مبـذرةٌ عديمـة الرحمـه. أدرك قـدرة ذكائـه في تحريـف كـل مـا يريـد وفقـاً لرغبتـه. حـتى أصـبحَ كـذاباً بـدون خجـل. بَـدأ برغبتـه للنـور، لكنـه عنـدما لم يـتمكن مـن أن يحتكـره لنفسـة، انحـدر بنـار الغضـب للاحـتراق الكبـير، وهـبط إلى الظـلامِ. مسـتخدماً الظـلام في كـل أعمالـه الشـريرة علـى أردا. فملأ جميع الكائنات الحيّة فيها بالخوف والرعب.

ومـن ضـخامة قـوة تمـرده تلـك، أنـه وفي العصـور المنسـية تنـافس مـع مـانوي وكـل الڤـالار. وعـبر سـنوات طويلـة في أردا سـيطر علـى معظـم أراضـي الأرض. لكنـه لم يكـن لوحـده. فقـد سـحب الكثـير مـن الميّـار لفخامتـه في أيـام عظمتـه، وبقـوا في ذلـك الـولاء سـاقطين في ظلمتـه. وأفسـد آخـرين بعـد ذلـك وجـرهم إلى خدمتـه عـبر خـداعهم بالأكاذيـب والهـدايا الغـادرة. والمرعـب مـن بـين كـل هـذه الأرواح كـانوا ڤالاراوكـار، أي سـياط النـار. وقـد سمـوهم في الأرض الوسـطى باسم بالروغز[1]، أي شياطين الرعب.

مـن بـين أعظـم عبيـده الـذين يمتلكـون الأسمـاء المرعبـه. كانـت تلـك الـروح الـتي يسـميها إيلـدار. سـاورون، أَو غورثـور. أي القاسـي. حيـث كـان في البدايـة مـن الميَّـار التـابعين لأوليـي،( أي الميَّـار الـذين يعملـون بالصـناعة والتعـدين)، كـان عظيمـاً في علـوم الصـناعة والتعـدين. وبقـي كـذلك في كـل أعمـال ميلكـور، مورغـوث علـى أردا. وكـل تلـك الأعمـال المخادعـة المـاكرة، كـان عنـد سـاورون جـزء منهـا. وكَـانَ بـذلك أقـل شـرّ مِـنْ سيدِه فقـط. وفي ذلـك خَـدمَ لمـدة

[1] بالروغز.Balrogs . نشأت من الميّار، مثل ساورون بالطبيعة، وكانوا من الأرواح البدائية التي تحالفت مع ميلكور في العصور القديمة، وأصبحوا من أكثر عبيده رعباً، وخصوصاً خلال حروب بيليرياند في العصر الأول، عددهم على الأغلب غير معروف، ولكنه قليل فلا يزيدون عن السبعة. وطبيعتهم بالأساس هي طبيعة نارية. وبعض الروايات تقول بأن البالروغز تمتلك أجنحة، والبعض يقول لا تمتلك أجنحة، وبقي هذا الموضوع محل نقاش لحد الآن.(المترجم)

طَوِيلة شخص آخر ولم يخدم نفسه. لكن في السنوات اللاحقة ارتقى فأصبح كظِلّ مورغوث وشبح حقده. ومَشى خلفه على نفس الطريقِ المدمّرِ الهابط إلى العدم.



# كوينتا سيلماريلْيُن

# (تاريخ السيلماريلس)

## الفصل الأول

## بداية الأيام

روي بين الحكماءِ. بأن الحرب الأولى وقعت قبل أن تصبح أردا على هيئتها التامةَ، وقبل أن يمشي أو ينمو أيّ شيء على وجه الأرض. وفي هذه الحرب امتلك ميلكور اليد الطولى ولمدة طويلة. لكن في وسط هذه الحربِ جاءت روح القوّةِ والشجاعةِ العظيمةِ لمساعدةِ الڤالار، فقد سُمع في السماء البعيدة بنشوب معركة في المملكة الصغيرة. لذلك جاء تولكاس القوي وامتلأت أردا بصوت ضحكاته، فمرَّ غضبة مثل ريحٍ هائلةٍ بعثرت غيوم الظلام من أمامه، وهرب ميلكور من غضبة وسخريته وغادر أردا. بعدها ساد السلام لزمن طويل. وبقي تولكاس هناك كواحداً من ڤالار مملكة أردا. أما ميلكور فقد حُضنَ في الظلامِ الخارجيِ، ووصل حقده على تولكاس لأبعد مدى.

جلب الڤالار في ذلك الوقت النظام إلى البحارِ والأراضي والجبالِ. وقامت ياڤانَا أخيراً بتوزيع البذورُ التي ابتكرتها منذ مدة طويلة. وفي ذلك الحين عندما كانت النار لا تزال كامنةً أو مدفونةً تحت التلال البدائية. والحاجةُ ماسةً للضوءِ. قام أوليي كاستجابةً لتوسلات ياڤانَا بعمل مصباحين هائلين لإضاءة الأرض الوسطى المبنية وسط البحار المحيطة. ثم مَلأَت ڤاردا المصابيح وقدّسَهُمْ مانوي ووَضعَهما الڤالار على أعمدة عالية، أعلى من قمم الجبال العالية. فرَفعوا مصباحاً واحدا بالقُرْب من شمال الأرض الوسطى وسُمّي إللوين، والآخر رُفِعوه في الجنوبِ وسُمّي أورمال، فتَدفّقَ ضوء مصابيحِ الڤالار إلى خارج الأرض، ليتسنى للجميع الاستفادة من الضوء الذي كان لا يفرق كثيراً عن ضوء النهار.

بـدأت الحيـاة تـدب في البـذور الـتي بَـذرَتها ياڤانَـا، وبَـدأتْ تتـبرعم بسـرعة، فظَهـر نمُـوٌ متنـوعٌ لأشـياءَ عظيمـة وصـغيرة، كالطحالـب والأعشـاب والسـراخس العملاقـة، والأشـجار العاليـة الـتي تُوّجـتْ قممهـا بـالغيوم وكأنها جبـالٌ حيّـه مغطـاة بالغسـق الأخضـر. ظهـرت البهـائم وسـكنت في السـهول المعشوشـبة، أو بالأنهـار والبحـيرات أو مشـت في ظـلال الغابـة، ولحـد الآن لا زهـرةَ أزهـرت ولا طـيرٌ غَـنّى، لأن هـذه الأشـياء مـا زالَـتْ تنتظـر وقتهـا في صـدرِ ياڤانَـا. لكـن الـوفرة كانـت موجـودة هنـاك، فـلا يوجـد مكـان خصـبٌ أكثـر مـن الأجـزاء الأوسـطية لـلأرض. حيـث امتـزج ضـوء كـلا المصـباحين. وهنـاك علـى جزيـرة ألمـارين في البحـيرة الكـبرى كـان المسـكن الأول للڤـالار عنـدما كَانـتْ كُـلّ الأشـياء شـابة وفتيـة، وكـان الأخضـر الجديـد كأعجوبة في نظر الصنّاع، وبقي الجميع قانعين هناك لمدة طويلة.

بينمـا كـان الڤـالار يرتـاحون مِـنْ أعمـالِهم، ويراقبَـون النمـو وكشـف ابتـداء الأشـياء الـتي ابتكروهـا. قَـدّر لهـم مـانوي عيـداً عظيمـاً. لـبّى جماهير الڤـالار دعوتـه، لكـن أوليـي وتولكـاس كَانـا مُـرهَقين، لأن حرفـة أوليـي وقـوة تولكـاس كانتـا في عمـلٍ متواصـلٍ ولأيـامٍ طويلـه. عـرف ميلكـور بالـذي حصـل لأنـه كـان لديـه أصـدقاء سـريون وجواسـيس مـن بـين الميّـار الـذين تحولـوا إلى مصـدر لمعلوماتـه. وبعيـداً في الظـلامِ امـتلأ بالكراهيـةِ، وابتـدأت غيرتـه مـن عمـل أقرانـه ورغـب في إخضـاعهم لسيطرته. لـذا فقـد جمـع إلى نفسـه كـل الأرواح الفاسـدة الـتي تخدمـه مـن قاعـات إيـا. معتـبراً نفسـه قـوي. لأنـهُ يَـرى بـأن وقتَـه قـد اقـترب ثانيـةً إلى أردا. وعنـدما نظـر إليها ورأى جمال الأرض في ربيعِها ازداد حقده أكثر.

اجتمـع الڤـالار علـى ألمـارين غـير خـائفين مـن أي شـر، وبسـبب أضـواءِ إللـوين فلَـمْ يكونـوا مـدركين للظِـلّ المتحـرك الـذي ألقـاه ميلكـور مـن الشـمال البعيـد. غـنّى الڤـالار في عيـدِ ربيـعِ أردا، وتـزوج تولكـاس مـن نيسسـا أخـت أورومـي ورقصـتْ هـي أمـام الڤـالار علـى العشـبِ الأخضرِ لجزيرة ألمارين.

بعـد ذلـك نـام تولكـاس وبـدا كأنـه متعبـاً لكـن مطمئنـاً. لـذلك اعتـبر ميلكـور بـأنّ سـاعتَه قـد حانـت مـع نـوم تولكـاس، فمـرَّ علـى أسـوار الليـل مـع جماعتـه وجـاء إلى الأرض الوسـطى قادمـاً من الشمال. ولم يعلم الڤالار بقدومه.

بَـدأ ميلكـور بـالحَفْر عميقـا تحـت الأرض لبنـاء قلعـة واسـعة، تحـت ظـلام الجبـال حيـث أشـعّة إللـوين كَانـتْ بـاردة وخافتـة. وذلـك كـان هـو المعقـلِ الـذي سُمّـي أوتومنـو. وعـن ذلـك كلـه لم يكـن الڤـالار يعلـم شـيئاً لحـد الآن. لكـن شـرّ ميلكـور وآفـة كراهيتِـه تَـدفّقَا مـن هنـاك، وأفسـد

ربيع أردا. فالأشياء الخضراء مرّضتْ وتَعفّنتْ، والأنهار غَصَّت بالأعشاب الضارةِ والوحلِ، فتشكلت مستنقعات آسنة وسامّة وأصبحت أماكن لتربية الذباب. نمت الغابات مظلمة وخطرة ولازمها الخوف. وأصبحت البهائمُ وحوشاً ولها قرونٌ وعاجٌ وتخضبت الأرض بالدمّ. عرف الفالار من هذه الظواهر بأنّ ميلكور قد عاد للعمل ثانيةً، فقصدوا مخبأه، لكن ميلكور يَثِقُ بقوّةِ أوتومنو وجبروت عبيده. فبرز للحربِ وضَربَ ضربته الأولى، ولم يكن الفالار بعد مهيأين، فهاجم أضواء إللوين وأورمال ودمّرَ أعمدتَها وَكَسر مصابيحَها، وبهذا السقوط الهائل للأعمدة. فقد سُكِبَ حطامها لهباً خارجاً على الأرض وتكسرت الأرض وهاجت البحار، وأُفسد شكل أردا وتناسق مياهِها وأراضيها. لذلك فإن التصميم الأول للفالار لم يعد بالإمكان استعادته أبداً.

ضمن هذا التشويشِ والظلامِ هرب ميلكور خائفاً. فقد سُمع صوتَ مانوي يتردد إلى أعالي البحار الصاخبة كريحٍ هائلة، فارتعدت الأرض تحت أقدام تولكاس لأنه كان قد وصل إلى أوتومنو، حيث تحصن ميلكور واختفى ولم يستطع الفالار في ذلك الوقت من التغلب عليه، لأنهم كانوا بحاجة إلى قوتهم لتهدئة ضوضاء الأرض ولإصلاح الخراب، أو اصلاح ما كان يمكن اصلاحه. بعد ذلك خافوا على الأرض من التمزيق ثانية، قبل أن يعرفوا أين كانت مساكن أبناء إلوفاتار والتي مازال وقتهم لم يحن بعد، لأن أماكن هذه المساكن كانت مخفيةً حتى عن الفالار.

هكذا أنتهىَ ربيعَ أردا. وتحطم مسكن الفالار على ألمارين تماماً، ولم يكَنَ لديهم مسكنٌ على وجهِ الأرض. لذلك ارتحلوا مِنْ الأرض الوسطى وذَهبَوا إلى أرضِ أمان، والتي تقع في أقاصي غرب الأرض على حدودِ العالمِ، وتطل شواطئها الغربية على البحر الخارجي الذي يسميه الجان إكايا وهو يُطوّقُ مملكةَ أردا. ولا أحد يَعْرفُ إلا الفالار كم هو عرض ذلك البحرِ الذي تقع خلفَهُ أسوار الليل. لكن الشواطئ الشرقية لأرض أمان كَانتْ هي النهايةَ القصوى لبحر بيليغار، وهو البحر العظيم الذي يقع غرب الأرض الوسطى. ومنذ أن عاد ميلكور إلى الأرض الوسطى لم يكن بالإمكان التغلب عليه. لذلك حَصّنَ الفالار مسكنهم الجديد، فرفعوا على شواطئِ البحرِ جبال بيلوري، وهي جبال أرض أمان، وكانت أعلى من كل الأرض. وفي أعلى قمم جبال بيلوري وضع مانوي عرشه ''تَني كويتيل''. يسمي الجان ذلك الجبلِ بالجبلِ المقدّسِ. وأيضاً يسمونه أويولوسي أي البياض الأبدي، وايليرينا أي المتوَّج بالنجوم. وقد أطلقوا عليه الكثير من الأسماء. لكن سيندار تَكلّمَوا عنه

فيما بعد في لغتهم وسموه آمون اويولوس. يتمكن مانوي وڤاردا مِنْ قلاعهم على تَني كويتيل من مشاهدة كل الأرض حتى أقاصي الشرق.

أَسّسَ الڤالار مملكتهم وراء أسوار بيلوري، ودعيت تلك المنطقةِ ڤالينور، وكانت هناك بيوتهم وحدائقهم وأبراجهم. وفي تلك الأرض المحمية جمع الڤالار مخزناً كبيراً للضوء وأجمل الأشياء التي سلمت من التخريب. وصنعوا الكثير من الأشياء النفيسة الجديدة، وأصبحَت ڤالينور أكثر جمالاً حتى مِنْ الأرض الوسطى في ربيع أردا. وكانت مباركة لأن الخالدين سكنوا فيها، فهناك لا يبهت ولا يذبل شيء، ولم توجد أي لطخة على زهرة أو على ورقة شجر في تلك الأرض. ولا أيّ فساد أَو مرض في أيّ كائنٍ حيٍ يعيش هناك، حتى الأحجارِ والمياهِ ذاتها كانت مقدسه.

وعندما أصبحت ڤالينور كاملة الانشاء. بنى الڤالار قصورهم في وسط السهل الواقع خلف الجبال، وأنشأوا مدينتهم ڤالمار، كثيرة الأجراس. يوجد أمام بوابة ڤالمار الغربية تل أخضر اسمه ايزيللوهار، ويسمّى أيضاً كورولايري. وهو التل الذي قدسته ياڤانَا، وجَلستْ هناك لمدة طويلة على العشبِ الأخضرِ وغَنّتْ أغنية للسلطة، واضعةً فيها كل فكرها من الأشياء التي تنمو على الأرض. لكن ناييننا تفكر في صمت وتسقي سطح الأرض بدموعها. وفي ذلك الوقّتُ تَجمّعَ الڤالار لسَمْاع أغنيةِ ياڤانَا، وجَلسوا صامتين على عروشِهم في المجلسِ، في مهاناكسار، دائرة الحساب. بالقرب من الأبواب الذهبية لڤالمار وغنت ياڤانَا، كيمينتاري أمامهم وكان الجميع يراقبها.

وبينما كانوا يراقبون ياڤانَا ظهر من خلال التل نبتين رشيقتين، وساد في تلك الساعة صمت على كُلّ العالم، ولم يكن هناك أيّ صوت إلا ترانيم ياڤانَا. وتحت أغنيتها نَمتْ الشتلات وأصبحتْ جميلة وممشوقة، ثم أزهرت هذه الشتلات، فولد نوعين مِنْ الأشجار في ڤالينور. ومن بين كل الأشياء التي عملتها ياڤانَا كان لهذين النوعين الشهرة الأكثر. ونُسجت حول مصيرهم كل حكايات الأيام القديمة.

الشجرة الأولى كانت أوراقها خضراء داكنة ومن الأسفل كانت مشرقةً كالفضة. ولها عدد لا يحصى من الأزهار، وكان ندى الضوء الفضي يسقط منهما دائماً. ورُقطت الأرض من تحتهم بظل رفرفة الأوراق. أما أوراق الشجرة الثانية فكانت بلونٍ أخضرَ فتي مثل لون خشب الزان الجديد بأول تبرعمه، وكان لها حواف ذهبية متلألئة. تتأرجح أزهارها على الفروعِ لكأنها عناقيدٌ من لهبٍ أصفر. يُشكل تجمع هذه العناقيد بوقاً ملتهباً يسكب على

الأرض ندى ذهبي. ظهر مِنْ زهرةِ تلك الشجرةِ دفءٌ وضوءٌ عظيمين. دعي نوع الشجرة الأولى في ڤالينور، تيلبيريون (وتعني الشجرة البيضاء) وسيلبيون (وتعني ذات الضوء الفضي)، ونااينكويلوتي (الشجرة البيضاء) والكثير من الأسماء الاخرى. والنوع الثاني كان اسمه لاوريلين ( وتعني الشجرة الذهبية) ومالينالدا وكولوراين. والكثير من الأسماء الأخرى التي قيلت عنهما بالأغنيات والأناشيد فيما بعد.

خلال سبع ساعاتٍ فقط، أصبحَ مجدَ كُلّ شجرة إلى أكبر حجم، ومن ثم تضاءل ثانيةً إلى لا شيء، وكان كل واحد منهما يستيقظ ويعود إلى الحياة من جديد قبل ساعة من توقف الآخر عن الإشراق. هكذا كان في ڤالينور مرّتين في كُلّ يوم تأتي ساعة لطيفة مِنْ الضوءِ الناعم عندما تكون أضواء كلتا الشجرتين خافته، فتختلط أشعّتَهما الفضّيةَ والذهبيةَ. كان تيلبيريون كبير الأشجار وجاءَ بالمرتبة الأولى في اكتمال القوام وفي الإزْهار، وفي الساعة الأولى التي يشرق فيها، يبزغ بصيص أبيض في فجر فضي. لم يتكل الڤالار على حكاية الساعات. لكن سموها الساعة الافتتاحية. وابتدأوا منها باحتساب الزمن لهذه المنطقة من ڤالينور. لذا ففي الساعةِ السادسةِ مِنْ اليومِ الأولِ. يتوقف وقت تيلبيريون عن الازهار. (واستمر هذا الحال في كُلّ السنين البهيجة التي أتت بعد ذلك الوقت، وحتى زمن تعتيم ڤالينور). وفي الساعةِ الثانية عشرةِ تزهر لاوريلين. وكان يوم الڤالار في أمان يحتوي على اثنتي عشْرة ساعةَ، وينتهي هذا اليوم عند الاختلاط الثاني للأضواء، وهو الوقت الذي كانت تخبو فيه لاوريلين ويزداد ضوء تيلبيريون. كان الضوء ولمدة طويلة يستمر بالانسكاب مِنْ الأشجار قبل أن يصعد إلى الأعلى ويتبدد في الأجواء أو يسقط إلى الأسفل وتبتلعه الأرض. لذلك قامت ڤاردا بتخزين ندى تيلبيريون والندى الساقط مِنْ لاوريلين في أحواضِ عظيمةِ مثل بحيراتِ مشرقةِ. بحيث أصبحت كل أرض الڤالار بمثابة آبار من الماء والضوء. وهكذا بَدأت أيامَ النعمة في ڤالينور، وبَدأَ معها أيضاً حسابَ الوقت.

لكن كما سُحبتْ العصور إلى ساعة محددة مِن قِبل إلوڤاتار لمجيئ البكر، كذلك ألقيت الأرض الوسطى في الغسق تحت النجوم التي كانت قد خلقتها ڤاردا في الأزمنة المنْسيةِ أثناء كدحها في إيا، وسكن ميلكور في الظلامِ وما زالَ يَمْشي غالباً في الخارج بأشكالٍ متعددة من السلطة والخوف، وسيطر على البرد والنار، مِنْ قِمَمِ الجبالِ إلى الأفرانِ العميقةِ التي تقع تحتها، ووكل ما كان قاسياً أو عنيفاً أو قاتلاً في تلك الأيام، فقد أضيف إلى مسؤولياته.

قلمـا عـبر الڤـالار ممـرات الجبـال ليغـادروا جمـالِ ونعمـةِ ڤـالينور إلى الأرض الوسـطى، لكـنهم أعطـوا بالمقابـل لـلأرضِ الـتي تقـع خلـف بيلـوري كـل عنـايتهم وحـبّهم. بـنى أوليـي القصـور في وسـطِ هـذا العـالم المبـارك. وعَمـلَ في ذلـك لمـدة طويلـة، فقـد كـان لـه الجـزء الرئيسـي مـن كـل شـيء صـنع في تلـك الأرض. وعمـل هنـاك الكثـير مِـنْ الأعمـالِ الجميلـةِ المتناسـقة إن كـان في السـر أو في العلـن. فمنـه يـأتي العلـمَ والمعرفـةَ عـن الأرض ومـا تحتويـه مـن أشـياء. سـواء بـالعلوم النظريـة أو العلـوم الحرفيـة، كالحياكـة وتشـكيل الخشـب والتعـدين والفلاحـة والزراعـة أيضـاً. مـع أنـه في هـذه الأخـيرة وكُـلّ الأشـياء المرتبطـة بـالنمو والثمـر يَجِـبُ أَنْ نَنْظـرَ أيضـاً إلى زوجتـه ياڤانَـا (كيمينتـاري). يُعـرف أوليـي أيضـاً كصـديقَ نولـدور، فمنـه تَعلّمـوا الكثـير في الأيـام اللاحقـة، وهـم الأكثـر مهـارةً بـين كـل الجـان، فقـد أضـافوا كثـيراً إلى تعاليمـه في حـرفهم الخاصـة، طبقـاً للملكـات الـتي أعطـاهم إياهـا إلوڤاتـار. فكانـت بهجـتهم باللغـات والمخطوطـات والأرقـام وطـرازات جديـدة مـن الرسـم والنحـت. فكـان نولـدور هـم أول مـن أنجـز عمـل المجـوهرات. وأنقى وأصفى المجوهرات على الإطلاق كانت السيلماريلس التي ضاعت فيما بعد.

لكـن مـانوي سـوليمو، الأعلـى والأقـدس بـين الڤـالار، الجـالس علـى حـدودِ أرض أمـان، لم يغفـل بفكـره عـن الأراضـي الخارجيـة[1]. لأنـه وضـع عرشِـه الفخـم علـى ذروةِ تَـني كويتيـل الجبـل الأعلـى في العـالم والواقـف علـى حافـة البحـرِ. وعنـده الأرواح الـتي تشـكلت وتجسـدت بأشـكالٍ كالصـقور والنسـور تطـير مـن وإلى قلاعـه، عيونهـا تـرى مـا في أعمـاقِ البحـارِ والكهـوفَ المخفيـةَ تحـت العـالمَ. فيأتونـه بالأخبـار كلمـا اقتربـوا مـن أردا. رغـم كـل ذلـك فقـد أخفيـت بَعْـض الأشـياء حـتى عـن عيـونِ مـانوي وخدمـه. وتلـك الأشـياء كانـت حيـث يجلـس ميلكور في ظلامة طارحاً ظلال فكره المنيعة.

لم يكـن مـانوي يفكـر بـالفخر، أو الحسـد والغـيرة علـى سـلطته، لكنـه كـان يقـود الجميـع إلى السـلام. كـان يحـب الڤانيـار[2] أكثـر مـن بقيـة الجـان الآخـرين ومنـه أخـذوا الأناشـيد والشـعر، فالشـعر هـو بهجـة مـانوي، وأغنياتـه الكلمـاتِ، لباسـه أزرق، والنـار الـتي تخـرج مـن عيونـه زرقـاء أيضـاً، وصـولجانه مـن اليـاقوت الـذي صـنعه لـه نولـدور. وهـو معـين لكـي يكـون نائـب إلوڤاتـار ووكيلـه وملـك عـالمِ الڤـالار والجـان والبشـر. وهـو الحمايـة الرئيسـية ضـدّ شـرِّ ميلكـور. ومَـع

[1] الأراضي الخارجية: هي الأراضي الواقعة خارج أمان والمقصود بها هنا الأرض الوسطى

[2] ڤانيار.Vanyar . أو "جان الضوء" وهم أول موكب من مواكب الجان التي هاجرت إلى ڤالينور. زعيمهم اينغوي، ويحمل لقب ملك الجان الأعلى، يسكن في تني كويتيل تحت قاعات مانوي، سافر جميع الڤانيار إلى ڤالينور منذ بداية العصر الأول، وبقوا هناك، لذلك لا نجد لهم أخبار كثيرة في الأرض الوسطى.

مـانوي كانـت تسـكن ڤـاردا الأكثـر جمـالاً، وهـي المسـماة في لغـة سـينداربن ايلبـيرت، ملكـة الڤالار صانعة النجومِ، ومعهما في ذلك النعيم مجموعة كبيرة من الأرواح.

أولمـو هـو الوحيـد الـذي لم يسـكن في ڤـالينور، ولا يـذهب إلى ڤـالينور أبـداً مـا لم تكـن هنـاك حاجـةَ لوجـوده في المجلـس العظـيم، فقـد سَـكنَ مِنْـذ البِدايـة في البحـر المحـيطِ لأردا، ومـازالَ يَسْـكنُ هنـاك. ومـن هنـاك يَحْكـمُ تَـدَفُّق الميـاه، والمـد والجـزر، والأنهـارِ وروافـد الينـابيع، وقطـرات النـدى والمطـر في كُـلّ أرض تحـت السـماء. وفي الأمـاكن العميقـة يعطـي موسـيقى عظيمـة وفظيعـة. يمـر صـدى تلـك الموسـيقى عـبر عـروق العـالمِ في الحُـزنِ والبهجـةِ، يبـتهج في الينـابيع الـتي تَرتفـعُ في الشـمسِ. تـروي ينابيعـه آبـار الحُـزنِ العميـق في أساسـاتِ الأرض. تَعلّمَـت منـه تيلـيري[1] مُعظـم العلـوم، ولهـذا السـبب فـإن موسـيقاهم لَهـا مفهـومي الحـزن والسـحر. جـاءَ مَعـه إلى أردا سـالمار[2]، وهـو الـذي صـنع لـه الأبـواق الـتي لا يمكـن أن يُنسـى صـوتها لـدى سماعهـا لمـرة واحــده، ويتبعـه أيضـاً أوسـي وأوينـين. وهمـا اللـذان أعطاهمـا أولمـو حكـم الأمـواج وحركـاتِ البحـارِ الداخليـةِ، وتسـاعده في ذلـك الكثـير مِـنْ الأرواحِ الأخـرى. فكـل مـا سـبق يـدخل ضـمن سـلطات أولمـو. بالإضـافة إلى أنـه حـتى في الظـلام، يكـون متعقبـاً لظـل حيـاة ميلكـور حـتى في العـروق السـرية لـلأرض. ولهـذا السـبب فـالأرض لَمْ تَمُـتْ. وكـل الـذين سـقطوا في الظلمـة أَو تَحوّلـوا بعيـداً عـن ضـوءِ الڤـالار، كانـت آذان أولمـو مفتوحـة لهـم باسـتمرار، ولم يـترك الأرض الوسـطى أبـداً، ومنـذ أن حـلَّ الـدمار والخـراب والتغيـير فلـم يتوقـف عـن التفكـير بهـا مطلقاً، ولن يتوقف حتى نهاية الزمان.

في ذلـك الوقـتِ المظلـم كانـت ياڤانَـا أيضـاً غـير راغبَـة تمامـاً في تَـرْك الأراضـي الخارجيـةِ، فكُـلّ الأشـياء الناميـة كانـت عزيـزة عليهـا، وقـد حزنـت وتـأثرت للأعمـالِ الـتي بَـدأتْ في الأرض الوسـطى. لكـن ميلكـور كَـانَ مُفسَـد لهـا. لـذلك تْركـت بيـتَ أوليـي، ورحيـق الأزهـار في ڤـالينور، فيجـب أن تعـود لشـفاء أذى ميلكـور، وبعودتهـا سـتحث الڤـالار علـى الحـرب للتخلص من سيطرة الشر على الأرض، والتي يجب أن يشنوها قبل أن تجلب الموت للبكر.

---

[1] تيليري.Teleri . وهم القبيلة الأكثر عدداً والأقل ترابطاً من بين قبائل الجان الثلاثة التي ذهبت بالرحلة الكبرى إلى ڤالينور، وقد اختاروا طريقهم عبر بيليرياند، ومن تيليري ينحدر ڤالماري ونادور وسيندار، وجزء ليس بالقليل منهم ترك جماعته وغادر إلى بيليرياند عند عبورهم للجبال الزرقاء، بعد أن كان قد ضاع زعيمهم ايلوي رفض الكثير من الشعب الاستمرار بالرحلة إلى امان حتى يجدوا ايلوي، لذلك فقد تقسمت تيليري الكبيرة إلى عدة مجموعات، سيندار و نادور وغيرهم الذين بقوا في الأرض الوسطى، في حين أن اولوي شقيق ايلوي قاد مجموعة من الشعب عبر البحر الكبير إلى الأرض المباركة، وكانت تيليري آخر الواصلين إلى امان، وقد سكنوا في الكوالوندي على الشواطئ الغربية للبحر الكبير.

[2] سالمار،Salmar ، هو واحد من الميّار الذين يتبعون اولمو، وهو صانع اولوموري أبواق اولمو، وكل من يسمعها يتوق إلى البحر ومن سمع موسيقاها لا ينساها أبداً.

أمـا أورومـي قـاهر ومـروض الوحـوشِ فسـيَرْكبُ لفـترة إلى الغابـاتِ المظلمـة، وهـو الصـيّاد الجبـار، فقـد جـاء بـالرمح والقـوس لقتـل الوحـوش والمخلوقـات العنيفـة مـن مملكـة ميلكـور. وقـد أشـرقَ حصـانَه الأبـيض ناهـار مثـل الفضـةِ في الظّـلال وارتعـدت الأرض النائمـة مـن وقـع حـوافره الذهبيـة. وفي غسـق العـالم نـادى أورومـي عـبر بوقـه العظـيم (ڤالارومـا) علـى سـهولِ أردا وردّدتْ الجبـال صـدى صـوته، فهربـت ظـلال الشـرِّ بعيـداً. حـتى ميلكـور نفسـه ارتجـف في أوتومنـو. لأن أورومـي هـو نـذير الغضـبَ القـادم. لكـن مـا إن يرجـع حـتى يتجمـع خـدم ميلكـور وتمتلئ الأرض بالظل والخداع مجدداً.

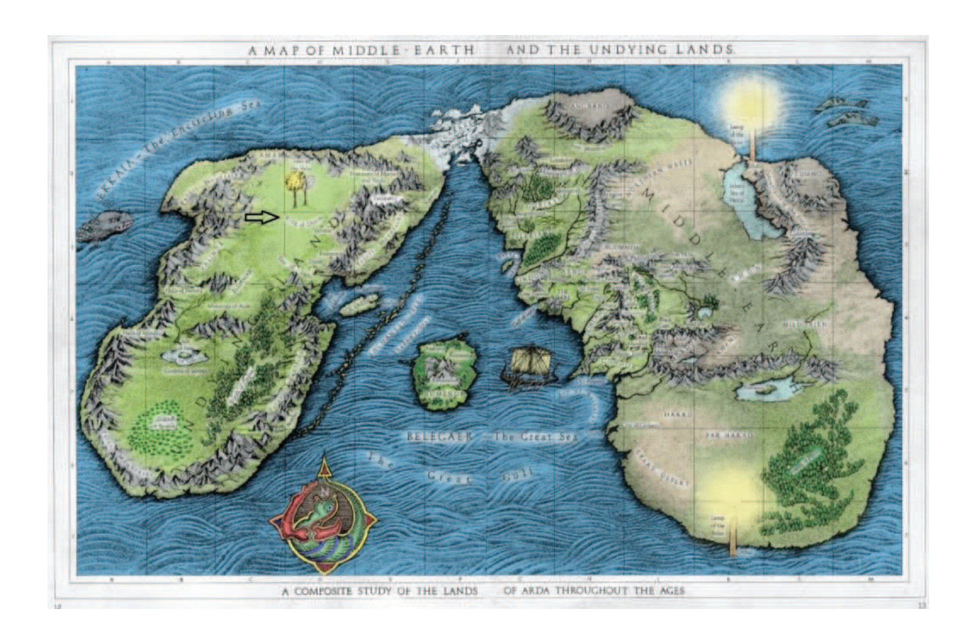
كـل مـا ذكـر سـابقاً بخصـوص أسـلوب الأرض وحكمهـا في بِدايـة الأيـامِ، وقبـل أن يصـبح العـالم كمـا يعرفـه أبنـاء إلوڤاتـار. فالجـان والبشـر هـم أبنـاء إلوڤاتـار. ونظـراً لأن آينـور لم يفَهمـوا تمامـاً ذلـك الموضـوعِ الـذي دخـل فيـه الأبنـاء إلى الموسـيقى، فلـم يتجاسـر أحـدٌ مـنهم علـى إضـافة أيّ شـيء إلى صـيغة أبنـاء إلوڤاتـار. ولـذلك فالڤـالار أقربـاؤهم، أو بـالأحرى فـإن الڤـالار هـم أقربـاؤهم الأكـبر سـنّاً وهـم الزعمـاء والسـادة. حـرص آينـور في تعـاملاتهم مـع الجـان والبشـر علـى الإجبـار إذا لم تكـن الهدايـة ممكنـة. ونـادراً مـا اتجـه هـذا الإجبـار إلى نتيجـة جيـده، مهمـا كانـت نوايـا آينـور في ذلـك الأمـر طيبـة. وكانـت تعـاملات آينـور في معظمهـا مـع الجـان. لأن إلوڤاتـار جَعـلَ الجـان مثـل آينـور في الطبيعـةِ، لكـنهم أقـل في المنزلـة والقـدرة. بينمـا أعطـى للبشر هدايا غريبةَ.

لم يكـن بعـد رحيـل الڤـالار مـن الأرض الوسـطى إلا الصـمت. ولمـدة عصـر مـن الزمـان جلـس إلوڤاتـار مفكـراً لوحـده ثمّ تَكلّـمَ قـائلاً: انظـروا! إني أحـب الأرض الـتي سَـتَكُونُ قصـر كوينـدي وأتنّـاني، لكـن كوينـدي سَـيَكُونُ الأجمـل مِـنْ بـين كُـلّ المخلوقـات الدنيويـة، وهـم سـيحبلون ويلـدون أبنـاءً أجمـل مـن كـل أولادي، ولهـم سـيكون النعـيم الأكـبر في هـذا العـالم. لكـني سـأعطي أتنّـاني هديـة جديـدة. لقـد أراد بتلـك الهديـة أن تسـعى قلـوب البشـر إلى مـا وراء العـالم وينبغـي أن لا يجـدوا أي راحـة فيـه، لكـنْ ينبغـي أَنْ تكـونَ لـديهم فضـيلة تشـكيل حيـاتهم وسـط سـلطات ومصـادفات العـالم، خـارج إطـار موسـيقى آينـور الـتي هـي مصـير لكـل شـيء آخـر، ومـن جـرّاء عمليـتهم هـذه فكـل شـيء في العـالم ينبغـي أن يكـون تامـاً في شـكلِ والفعـل، حتى ينجز العالمُ إلى آخر وأصغر الأشياء.

يعـرف إلوڤاتـار بـأنّ وضـع البشـر وسـط اضـطراب سـلطات العـالمِ، سـيجعلهم في أغلـب الأحيـان تـائهين، ولـن يَسـتعملَوا مـواهبهم بتوافـق، فقـالَ أيضـاً: في وقـتِهم سـنجد بـأن كـل مـا

يفعلوه سيساهم في النهاية فقط في تمجيد أعمالي. رغم ذلك يعتقد الجان بأنّ البشر سيجلبون في أغلب الأحيان الحزن والكآبة إلى مانوي الذي يَعْرفُ معظم أفكار إلوڤاتار، لذلك قد يبدو البشر بالنسبة للجان أشبه بميلكور أكثر من آينور الآخرين، على الرغم من أنه يكرهم ويخاف منهم، حتى أولئك الذين كانوا في خدمته.

ومع هذه الهديةِ الوحيدة مِنْ الحرية فإن حياة أبناء البشر ستكون قصيرة في هذا العالم، وغير مقيدة فيه. فهم يغادرونه في وقت قصير إلى أماكن لا يعلمها الجان. بينما الجان باقون حتى نهايةِ الأيامِ، لذلك فحبّهم للأرضِ ولكُلّ العالم أكثرُ تفرداً وأكثرُ تأثيرا. وبينما تطول السَنَوات حزينةً. فليس للجان موت حتى تموت أرضية العالم ما لم يُقتلوا أو يتبددوا من الحزن. (بكلتا الحالتين فقط تكون طريقة موتهم ). ولا تضعف قوتهم مع تقدمهم بالعمر. ما لم يرهق الواحد منهم قد يبقى لعشرة آلاف قرن، يتم تجميع الموتى منهم في قاعات ماندوز في ڤالينور، ويجوز أن يعودوا إلى الحياة بمرور الوقت. لكن أبناء البشر يَمُوتونَ. ويَتْركونَ العالمَ، ولهذا السبب يدعونهم الضيوفَ، أَو الغرباء، والموت هو المصير المقدّر عليهم من إلوڤاتار كهدية. وفي وقت ارتداءهم للموت حتى أن كل القوى سوف تحْسدُهم عليه. ألقى ميلكور ظلاله فوق الموت، فأربكه بظلمته وأخرج الشرّ من الخير والخوف من الأمل. (وهكذا كان الموت يعني الخير والأمل قبل أن يلقي ميلكور عليه ظلاله فحوله إلى الشرِّ والخوف). ومنذ القدم كان قد أعلن الڤالار للجان في ڤالينور بأن البشر سينضموا إلى موسيقى آينور الثانية. في حين أن إلوڤاتار لم يكشف للڤالار عن أهدافه المتعلقة بالجان بعد نهايةِ العالمَ، ولم يكتشف ميلكور ذلك أيضاً.




الشكل (١) . مصور أردا. الأرض الوسطى وأرض أمان. وتظهر فيها نومينور أيضاً، ومصابيح الڤالار وأشجار ڤالينور.

الفصل الثاني

# أوليـــي و ياڤانَا

هــي حكايــة تخبرنــا عــن بدايــة الأقــزام الــذين خَلقهــم أوليــي في ظــلامِ الأرض الوسـطى، لـذا نقـول: كثـيراً مـا رغـب أوليـي بمجيـئ الأبنـاء، لكـي يعلمهـم ويدرسـهم علمَـه وحِرَفَتـه، فلقـد نفـذ صـبره مـن انتظـار إنجـازِ تصـاميمِ إلوڤاتـار الـتي مـاتزال في طـور الخلـق، لـذلك فـإن أشـكال الأبنـاء الـتي أتـت إلى فكـرهِ كانـت غـير واضـحة. وبسـبب سـيطرة قـوَّةَ ميلكـور علـى الأرض في ذلـك الوقـت، فقـد قادتـه أفكـاره إلى أنّ تصـميمهم يَجِـبُ أَنْ يَكُـون قويـاً وعنيـداً. لكنـه خـافَ بـأنّ يلومـه القـالار الآخـرين في عملـه هـذا، لـذلك أنجـز عملـه بالسـرّ، وخلـق أولاً آباء الأقزام وعددهم سبعة. وذلك في قاعةٍ تحت الجبال في الأرض الوسطى.

أنهـى أوليـي العمـل وأكملـه وكـان مسـرورا وبـدأ بإعطـاء الأوامـر للأقـزام في اللغـة الـتي اخترعهـا لهـم. علـم إلوڤاتـار بـأمرهم في اللحظـة الـتي تم فيهـا اكتمـال إنجـازهم. فـتكلم مـع أوليـي الـذي بقـي صـامتاً، وقـال لـه صـوت إلوڤاتـار: لمـاذا فعلـت هـذا؟. لمـاذا تحـاول معرفـة الأشـياء الـتي تقـع خـارج سـلطتك ونفـوذك ؟. لأني منحتـك موهبـة الخلـق لكـن فيمـا يخصـك فقـط لا أكثـر مـن ذلـك. وبالتـالي فـإن مخلوقـات يـديك وعقلـك يمكـن أن تعـيش فيهـا فقـط. تحـركهم عنـدما تنـوي تَحريكهم. وإذا كان تفكيرك في مكان آخر فهل يبقوا خاملين. هل تلك هي رغبتك؟

فأجـاب أوليـي: أنـا لَمْ أَرْغَـبْ في مثـل هـذه السـيادةِ. بـل رَغبـتُ بأشـياءَ أخـرى. لكـي أحـبهم وأعلمهـم، وربمـا لكـي يـدركوا جمـال إيـا أيضـاً. الـذي أنـت هـو علـة وجـودة. وقـد بـدا لي بـأنّ هنـاك في أردا غرفـة كبـيرة تتسـع للكثـيرِ مـن الأشـياء الـتي قَـدْ تَبـتهجُ فيهـا، علـى الـرغم مـن أن الجـزء الأكـبر منهـا مـازال فارغـاً وصـامتاً. وبنفـادِ صـبري سَـقطتُ إلى الحماقـةِ، رغـم ذلـك فلـم يكـن عمـل أيَّ شـيء في قلـبِي وفي فكـري إلا بواسـطتك. فالطفـل قليـل الفهـم صـنع لعبـة مـن أعمـال أبيـه، وهـو قَـدْ يعْمـلُ ذلـك بسـخريةٍ وبـدون تفكـير. لأنـه ابـن أبيـه. لكـن مـاذا سـأفعل الآن لكـي ترضـى عـني ولـن تكـون غاضـباً علـيَّ إلى الأبـد ؟. وكطفـل إلى أبيـه أقـدم لـك هـذه

الأشياء، عمل يدي التي صنعتها أنت، فافعل بهم ما تريد. لكن ألا ينبغي لي أن أُحطّمُ أنا عملي الذي افترضته ؟.

رفع أوليي مطرقة عظيمة لضَرْب الأقزامِ وكان يبكي، لكن إلوڤاتار كان يمتلك شفقة على أوليي ورغباته بسبب تواضعِه. انكمش الأقزام مِنْ المطرقة وتلبسهم الخوف، وأحنوا رؤوسَهم وطلبوا الرحمةً. فقال صوت إلوڤاتار إلى أوليي: قبلت العرض حتى كما هو معمول، هيه أنت ،ألا تَرى بِأَنَّ هذه الأشياء لَها الآن حياتها الخاصة ويتكلمون بلغتهم الخاصة؟ وإلا لما كانوا خائفين من ضربهم، ولا ينفذون أوامرك. فأنزل أوليي مطرقتُه وَكانَ مسرورا، وقدم شكراً إلى إلوڤاتار قائلاً: فلتبارَكن يا ''إيرو'' عملي وتصلحه.

تكلم إلوڤاتار ثانية وقال: كما وهبت الوجود لأفكار آينور في بداية العالم، كذلك الآن أعطيهم موقعاً فيه بناء على رغبتك، لكن بأي وسيلة أخرى قد أعدل عمل يديك هذا، وكما عملته أنت كذلك سيكون، لكني سوف لن أقبل بأن يأتي هذا التصميم قبل مجيء ابني البكر. فلا يجب أن يكافأ نفاذ الصبر، لذلك فهم سينامون الآن في الظلام تحت الحجارة ولن يظهروا حتى يظهر البكر على الأرض، وإلى ذلك الوقت، أنت وهم ستنتظرون وعلى ما يبدو لمدة طويلة، لكن عندما يأتي الوقتَ فأنا سَأُوقظهم، وهم سَيَكُونونَ إليك كالأبناء، وفي أغلب الأحيان سَيَظْهرُ نزاع بين ما هو لك وما هو لي، أي بين أبنائي بالتبني وأبنائي الحقيقيين.

ثمّ أَخذَ أوليي آباء الأقزام السبعة، ووَضعَهم ليرتاحوا في الأماكن المنفصلة البعيد. وعادَ إلى ڤالينور، وانتظر مرور السنوات الطويلة.

وكما قلنا بأَنْ الأقزام خلقوا في أيامِ سلطة ميلكور، فقد خلقهم أوليي متمتعين بالقوة، لذا فهم كالحجارة بالشدة والعناد، سريعين إلى الصداقة والعداوة، يتحملون التعب الشديد والجوع وأذى الجسم بقساوة أكثر من بقية الناس الناطقين، ويَعِيشونَ لمدة طويلة، أكثر كثيراً من حياة البشر، لكنهم غير خالدين. في البداية يكون الأقزام كما الجان في الأرض الوسطى لكن عند موتهم يعودون إلى الأرض والحجارة التي منها خُلقوا، فوق ذلك فلا يوجد لديهم معتقدات، لأنهم يقولون بأن أوليي هو الخالق ويسمونه ماهال، أي الذي يعتني بهم. ويجمعهم إلى ماندوز في قاعات خاصة بهم، وبأنّ إلوڤاتار أعلنَ إلى آبائِهم في القدم بأنه سيقدسهم، وأعطاهم موقع بين الأبناء في النهاية. ثمّ إن حصتهم ستكون في خدمة أوليي ومُسَاعَدَته في إعادة صياغة أردا بعد المعركةِ الأخيرةِ. ويعتقدون أيضاً بعودة

الآبـاء السـبعة للأقـزام للعـيش ثانيـة بقبـائلهم الخاصـة، حـاملين مـرة أخـرى أسمـاءهم القديمـة، ومـنهم دوريـن الأكثـر شـهرة في العصـور. فهـو أبـو العشـيرة وكانـت لديـة صـداقة ووُدْ مـع الجـان، وهو الذي كانت له القصور في خازاد دوم[1].

عنـدما صـنع أوليـي الأقـزامِ كـان قـد أخفـى ذلـك العمـل عـن الفـالار الآخـرينِ، لكنـه أخـيراً فَـتحَ قلبـه إلى ياڤانَـا وأخبرَهـا بكُـلّ مـا حصـل. فقالـت لـه ياڤانَـا: إيـرو رحـيم، وإنـني أَرى بـأنّ قلبَـه ربمـا قـد يبـتهج طالمـا أن الأمـر قـد أنجـز، لـذلك فقـد يسـتلمها منـك لـيس فقـط كمغفـرة وإنمـا كثمـرة. رغـم ذلـك ولأنـك أخفيـت عـني هـذه الفكـرة حـتى أكملـت انجازهـا. فـإن أبنـاءك سـيكون لـديهم القليـل مـن المـودة للأشـياء المحبوبـة لـدي. وهُـمْ سـيحبون أولاً الأشـياء الـتي صـنعوها بأيـديهم، مـثلهم في ذلـك مثـل أبـيهم. وسـيحفرون في الأرض، ولـن يهتمـوا بالأشـياء الـتي تنمـو وتعيش عليها، وستشعر أشجارٌ كثيرةٌ بضربات فؤوسهم بدون شفقة.

لكـن أوليـي أجابهـا: ذلـك قـد يكـون واقـع أبنـاء إلوڤاتـار أيضـاً في مـأكلهم وأبنيـتهم، علـى الـرغم مـن أن الأشـياء في مملكتـك لهـا قيمـة بحـد ذاتهـا. فكيـف سـتكون قيمتهـا إذا لم يـأتِ إليهـا الأبنـاء؟ لأن إيـرو سَـيَعطيهم السـيادةَ، ويجـوز لهـم اسـتخدام كـل مـا يجـدوه في أردا، بـدون أي احترام أو امتنان. وإن لم يكن هذا من أهداف إيرو.

لم تكـن ياڤانَـا راضـية تمامـاً وقالـت: مـا لم يُظلـم ميلكـور قلـوبهم، لكـن الحـزن في القلـب، والخـوف ممـا قـد يحصـل علـى الأرض الوسـطى في الأيـام القادمـة. لـذلك فعنـدما ذَهبـتْ ووقفـت أمـام مـانوي لم تفشـي سِـرَّ أوليـي، لَكنَّهـا قالـتْ: يـا ملـك أردا، هـل صـحيح مـا قالـه لي أوليـي بأنّـه عنـدما يـأتي الأبنـاء سَـتكونُ لـديهم سـيادةُ علـى كُـلّ الأشـياء الـتي عملتهـا أنـا. ليفعلوا فيها ما يريدون؟.

فقـالَ مـانوي: نعـم هـو كـذلك، لكـن لمـاذا تسـألين، فهـل اسـتغنيت عـن تعـاليم أوليـي ولم تعودي بحاجة لها ؟.

صـمتت ياڤانَـا وفكـرت قلـيلاً ثم أجابـتْ: لأن قلـبي ملتهـب وقلقـة مـن التفكـير بالأيـام القادمـة. فكُـلّ أعمـالي غاليـة علـيَّ. ألا يكفيـني بـأن ميلكـور أفسـد الكثـير منهـا ؟ أيضـاً فـوق ذلـك لـن يكون لي أي اختراع خالٍ من سيطرة الآخرين عليه ؟.

---

[1] خازاد دوم: هي أروع وأشهر قصور الأقزام، وتقع في الجزء الأوسط من جبال الضباب، منحوتة في الصخر ويمكن الوصول إليها عبر نفق محفور تحت الجبال، وعبرها كان المسافر يستطيع العبور من الغرب إلى الشرق. وقد تأسست في أول أيام دورين، الذي جاء إلى بحيرة متلألئة تحت جبل كيليبديل، وكان انعكاس ضوء النجوم فوق مياهها مثل تاجٍ من النجوم. لذلك سماها في لغة الأقزام. خيليد زارام. وأيضاً ميرورميري، وهناك بدأ ببناء خازاد دوم.

فقال لها مانوي: وإذا كان هذا ما سيحصل لهم فما هو تحفظك ؟ ومِن كُل عالمك مَنْ هو الأغلى على قلبك ؟

فقالَت ياڤانَا: كل واحد منهم له قيمته الخاصة وكُلّ واحد يُساهمُ بقيمة الآخرين. لكن كيلفار[1] يُمْكِنُ أَنْ يَهْربَ منهم أَو يُدافعَ عن نفسه، بينما أولفار[2] الذي يَنْمو لا يَستطيعُ. لكني أَقدر الأشجار كثيراً فهي عزيزة عليَّ، لأنها تأخذ وقتاً طويلاً في النمو لكنها بالمقابل تسقط سريعاً. غير ذلك أيضاً فإن الأشجار دائماً تدفع ضريبة من ثمارها، فعند مغادرة الثمرة يكون هناك حزن قليل من قبل الغصن على هذه الثمار. لذلك أرى بأنه يجب أن يكون هناك أشجار تتكلم وتتحرك، وبالتالي فإنها قد تدافع عن كل الأشياء التي لها جذور وتعاقب المخطئين بحقهم.

قال مانوي: هذه فكرة غريبة !

فقالَت ياڤانَا: على الرغم من أن هذه الفكرة كَانَت موجودةً بالأغنيةِ عندما كنت أنت وأولمو تبنيان الغيوم في السماوات، عندما سكبت الغيوم أمطارها، ورفعت أنا فروع الأشجار العظيمة لاستقبال المطر، فقامت بعض هذه الأشجار بالترنيم لإلوڤاتار وسط الريحِ والمطرِ.

جَلسَ مانوي صامتاً، ودخلت تلك الفكرة التي قالتها ياڤانَا إلى قلبِه وانكشفت له وكأنها لمحة من إلوڤاتار. ثمّ بَدا إلى مانوي وكأن الأغنية أشرقت من جديد حوله فاحترم أشياء كثيرة من الأشياء التي سمع عنها من ياڤانَا، مع أنه من قبل لم يكن يعيرهم أي اهتمام. وأخيراً تجددت الرؤية، لأن مانوي لم يعد بعيداً الآن كما كان سابقاً عندما ظهرت لهم الرؤية أول مرة وهم في الفراغ، بل أصبح مانوي نفسه داخل الرؤية، ورَأى بأنّ كُلّ ذلك قد أُيدته يَدِّ إلوڤاتار، وهذه اليَدّ دخلت إلى الرؤية من جديد، وأخرجت منها الكثير مِنْ العجائبِ التي كَانَت مخفيةً عن قلوبِ آينور.

ثمّ نهض مانوي ونزل إلى ياڤانَا على ايزيللوهار، وجَلسَ بجانبها تحت الشجرتين. وقالَ: يا كيمينتاري، قد تَكلّمَ إيرو قائلاً: هل يظن أحد من الڤالار بعد ذلك بأني لم أسمع كل الأغنية، حتى آخر صوت من أصغر صوت فيها ؟ انظر فعندما ينهض الأبناء سوف

[1] كيلفار.kelvar . (الحيوانات)، هي كلمة باللغة الجنية وتعني الكائنات الحية التي تملك قدرة على الحركة. كالبهائم. وعلى الأغلب أنها مشتقة من الجذر.Kel . كيل، والذي معناه ،ذَهبَ، أو ركَضَ. ومن أشهر الكيلفار المسكونين بأرواح عظيمة. النسور التي شاركت بالأحدث العظيمة للأرض الوسطى.

[2] أولفار.olvar . (النباتات)، هي الكائنات الحية الراسخة او الثابتة ولا تملك قدرة على الحركة. كالأشجار.

يصحو فكر ياڤانَا أيضاً وسَتستدعى الأرواحَ مِنْ بعيد، وستذهب هذه الأرواح بين كيلفار وأولفار، وبعض هذه الأرواح سَيَسْكن في كيلفار أو أولفار، ويحمله بالخشوع، وسيخشى فقط من غضبهم، ووقت استدعائهم سيكون في تلك الفترة التي يكون البكر فيها مايزال في عزِّ قوته، والثاني ما يزال شاباً. هل تعلمي بأنهم لا يتذكرون الآن يا كيمينتاري وبأن فكرك لم يُغَني لوحده دائماً ؟ لم لا يلتقي فكرك مع فكري أيضاً ؟ حتى يتسنى لنا أخذ أجنحة مثل الطيور الكبيرة التي تحلِّقُ فوق الغيوم ؟ وهذه أيضاً ستأتي لتكون موجودة ولتقف بجانبهم بعناية من إلوڤاتار، وقبل أن ينهض الأبناء سيخرجون بأجنحة مثل الريح، إنها نسور سادات الغرب.

بعدها نهضت ياڤانَا مسرورَة، ومدت ذراعيها نحو السماواتِ، وقالَت: عالياً سترتفعون يا أشجارُ كيمينتاري، وتكونون مأوى لنسور الملك.

نهض مانوي وبَدا عالياً جداً ونَزلَ صوتَه إلى ياڤانَا وكأنه يأتي مِنْ ممرات الرياحِ وقال: كلا فقط أشجار أوليي ستكون عاليةً بما فيه الكفاية لتكون مسكناً للنسور، وسيكون مأوى النسور في الجبال. لتسْمع أصواتَ الذين يَدْعونَنا. لكن في الغاباتِ سَتَمشّي رعاة الأشجار[1].

ثمّ افترق مانوي و ياڤانَا في ذلك الوقتِ، وعادَت ياڤانَا إلى أوليي، ووجدته في ورشته يصب معدناً منصهراً في قالب فقالت: إيرو ذو فضل عظيم. حذّر أبناءك بأنهم قد يكونوا في خطر! فهنالك في الغابات ستمشي قوة ومن يغضبها سيكون في خطر.

فقالَ لها أوليي: مع كل ذلك فستكون لديهم حاجةَ للأخشابِ، واستمر بعمله في التعدين.



[1] رعاة الأشجار: الإينتس.Ents . وهو جنس عملاق، على شكل شجرة تشبه الناس، واسمهم رعاة الأشجار. والهدف من وجودهم هو حماية غابات الأرض الوسطى. ومع حلول العصر الثالث وتقلص الغابات فقد تقلص ساكنيها من الإينتس، ولكن مازال البعض من الإينتس يعيشون في غابات فانغورن.

# الفصل الثالث

## مجيء الجان وأسر ميلكور

سكن الفالار لعصورٍ طويلةٍ في الأرض الواقعةِ وراءَ جبالِ أمان متمتعين بنعمةِ الضوءِ الآتي من الأشجار. أمّا الأرض الوسطى فقد كانتْ مدفونة في الغسق تحت النجومِ. وفي السابق عندما أشرقتْ مصابيح الفالار على الأرض الوسطى فقد ابتدأ النمو هناك. لكنه أصبح مقيداً الآن بسبب عودة الظلام مجدداً. وبالتالي فإن أقدم الكائنات الحيّةَ كانت قد نشأت. ففي البحار نشأت الحشائش الكبيرة. وعلى الأرض نشأت الأشجار الكبيرة، أما في وديان التلال المكسّوة بالعتمة فقد وجدت هناك مخلوقات مُظلمة قديمةَ وقويةَ. نادراً ما ذهب الفالار إلى تلك الأراضي والغابات، إلا ياڤانا وأورومي. مشت ياڤانا هناك في الظّلال حزينة لأن النمو ووعدَ ربيعِ أردا كانا متوقفان. فأسدلت ستار النوم على الكثير مِنْ الأشياء التي ظَهرتْ في الربيع لكي لا يكبروا ويتلاشوا. فعلى هذه الأشياء انتظار زمن اليقظة الذي سيأتي فيما بعد.

في الشمال شرٌّ لا ينام. فقد بَنى ميلكور قوّتَه وكان يراقبَ ويعَملَ، والأشياء الشريّرة التي أفسدَها سارت في كافة الأنحاء. أصبحت العتمة والغابات النائمة ملعباً للوحوشِ وأشكالِ الفزِع. جَمعَ ميلكور في معقله أوتومنو كل شياطينه حوله، وهي تلك الأرواحِ التي تبعته بدايةً منذ أيام عظمتِه. وأصبحَت غالبية تلك الأرواح مثله في الفسادِ. منهم من كان قلبه مِنْ النارِ المخفية تحت رداءه المظلم، وسياط اللهب بيديه تثير الرعب أمامه، وهو الذي دعي في الأرض الوسطى فيما بعد باسم بالروغز[1]. ربى ميلكور أيضاً الكثير مِنْ الوحوشِ الأخرى في ذلك الوقتِ المظلمِ. وكانت متعددة الأشكالِ والأنواعِ، وهي التي أزعجت العالمِ كثيراً، وأصبحت مملكته ممتدةً إلى جنوبي الأرض الوسطى.

[1] بالروغز.Balrogs . نشأت من الميّار، مثل ساورون بالطبيعة، وكانوا من الأرواح البدائية التي تحالفت مع ميلكور في العصور القديمة، وأصبحوا من أكثر عبيده رعباً، وخصوصاً خلال حروب بيليرياند في العصر الأول، عددهم على الأغلب غير معروف، لكنهم قلة فلا يزيدون عن السبعة. وطبيعتهم بالأساس هي طبيعة نارية. وبعض الروايات تقول بأن البالروغز تمتلك أجنحة، والبعض يقول لا تمتلك أجنحة، وبقي هذا الموضوع محل نقاش لحد الآن.(المترجم)

بنى ميلكور أيضاً قلعة ومستودع أسلحة غير بعيدَين عنْ الشواطئِ الشمالية الغربيةِ للبحرِ، لصدِّ أيّ هجومٍ قَدْ يأتيه مِنْ أمان. وكان قائد تلك القلعة مُساعد ميلكور الذي هو من الميّار واسمه ساورون، واسم تلك القلعة أنغباند.

عقد الڤالار مجلساً لأنهم كانوا قلقين من الأخبار التي جلبها لهم مِنْ الأراضي الخارجيةِ كلٌّ من ياڤانَا وأورومي. تكلمت ياڤانَا أمام الڤالار قائلةً: يا عظماء أردا، لقد كانت رؤية إلوڤاتار قصيرةً وسرعان ما اختفت، فلم نَستطعُ التخمين. هل ستتحقق ضمن هذا الوقت الضيّق من هذه الأيام ؟ أم أن ساعتها لم تحن بعد ؟ لكننا متأكدون بأن الساعة تقترب، وضمن هذا العصر سوف يتحقق أملنا باستيقاظ الأبناء، وبعدها هل سنترك لهم الأرض مسكناً موحشاً مليئاً بالشرِّ؟ وهل يجوز أن نتركهم يَمْشونَ في الظلامِ بينما نحن نمتلك الضوء؟ وهل سنتركهم لينادوا ميلكور بالسيد، بينما يجلس مانوي هنا على تَني كويتيل؟.

صاح تولكاس: كلا! دعونا نَشْنُّ حرباً خاطفةً!. ألم نسترح من الصراع لمدة طويلة أكثر من اللازم ؟ أليست قوّتنا متجددة الآن؟. هَلْ سيبقى واحد لوحده ينازلنا جميعاً إلى الأبد.

وبدعوة من مانوي تكلم ماندوز فقال: في هذا الزمن فعلاً سيأتي أبناء إلوڤاتار، لَكنَّهم لم يأتوا بعد. علاوة على ذلك فإنه من العذاب أن يكون قدوم البكر في ظلام الأرض، لذلك علينا أن ننظر أولاً إلى النجومِ التي يجب أن يكون ضوؤها عظيم بلا خفوت. وفي مثل هذه الحاجات سننادي دائماً إلى ڤاردا.

خرجت ڤاردا مِنْ المجلسِ ونظرت من أعالي تَني كويتيل، فرأت الأرض الوسطى مظلمةً تحت النجومِ الخافتة البعيدة. عندها بَدأتْ بالعمل العظيم والذي يعتبر من أعظم أعمال الڤالار منذ مجيئهم إلى أردا. فأخذت ندى الفضة مِنْ أحواضِ تيلبيريون، وصنعت منه نجومَاً جديدةَ ساطعة أكثر من القديمة استعداداً لمجيء البكر. ولهذا السبب أُطلق على ڤاردا اسماً يعبر عن أعماق الزمن والكدح في إيا. فكان اسمها تينتالي، أي المشعل. وسميت بعد ذلك من قبل الجان ايلينتاري، أي ملكة النجومِ. جمعت ڤاردا النجوم التي عملتها في ذلك الوقتِ وهي: كارنيل، لوينيل، نينار، لومبار، الكارينكوي، ايليميري، مع نجومٍ أخرى كانت قد صنعتها منذ القدم وهي: ويلوارين، تيلومنديل، سورونمي، أناريما، منيلمكار، ووضعتهم كإشارات في سماواتِ أردا. مشكّلةً الحزام المشرقِ الذي يُنذرُ بحدوث المعركةَ الأخيرةَ التي سَتَكُونُ في نهاية الأيام. وكتحدي لميلكور وضعت في أعالي الشمال إكليل مكون من

سبعة نجوم هائلة متأرجحه، اسمها فالاكيركا، أي منجل الفالار. وهي تشير إلى القدر والحساب.

عندما أنهت ڤاردا عملها الذي استمر لمدة طويلة. سار منيلمكار أولاً عبر السماء وكانت نار الهيلوين الأزرق تومض في السحب فوق حدود العالم. يقال بأنه في تلك الساعة استيقظ الأبناء من الأرض. من بحيرة كويڤيينين المضاءة بالنجوم نهض بكر إلوڤاتار، من ماء اليقظة نهضوا من نوم إلوڤاتار. وأول ما وقعت عليه عيونهم عندما استيقظوا قُرب كويڤيينين كانت نجوم السماء، وكانوا لا يزالوا صامتين في حينها. لذلك أحبوا دائماً ضوء النجوم وبجلوا ڤاردا ايلينتاري فوق كل الڤالار.

أثناء تغييراتِ العالم، لم تبقَ أشكال الأراضي والبحارِ كما هي، لقد كَانتْ مهدمة وبحاجة لأعاده التصنيع، فلا الأنهار احتفظت بمساراتها، ولا الجبال بقيت صامدة بمكانها، حتى كويڤيينين لم تبقى في مكانها. ويُقالُ بين الجان بأنها نُقلت من مكانها وأصبحت في شرقي الأرضِ الوسطى، أما مكانها فأصبح خليج في البحرِ الداخلي هيلكار. توقف البحر في المنطقة التي كانت فيها جبل إللوين قبل أن يخربه ميلكور بالكثير من المياه التي تدفقت إلى هناك من المرتفعات الشرقية. لذلك كانت أول الأصوات التي سمعها الجان هو صوتَ الماءِ المتدفق الساقط على الحجارة.

سكن الجان لمدة طويلة في بيتهم الأول بجانب الماء وتحت النجوم ومشوا فوق الأرض مندهشين. بدأوا بالكلام واعطاء الأسماء لكل الأشياء التي شاهدوها، فسموا أنفسهم كويندي وهي كلمة تشير إلى الكائنات الناطقة، ولحينها لم يكونوا بعد قد اجتمعوا بأشياء حيَّة أخرى غيرهم تتكلم أو تغني.

ذهب أورومي إلى الشرق بغية الصيد، فاستدار شمالاً بمحاذاة شواطئ هيلكار وعبر من تحت ظلال اوروكارني، وهي الجبال الواقعة في الشرق. فبدأ حصانه ناهار بالصهيل فجأةً وتوقف بلا حراك. جلس أورومي يتساءل بصمت. فبدا إليه وكأنه سمع في هدوء الأرض تحت النجوم أصواتاً كثيرةً تغني من بعيد. نظر أورومي إلى الجان بدهشةٍ، كما لو أنهم كانوا كائنات رائعة غير متوقعة.

هكذا عن طريق الصدفة، اكتشف الڤالار أخيراً وجود أبناء إلوڤاتار الذين انتظروهم طويلاً. وهم سيكونون دائماً مع الڤالار من دون كل العالم. مع ذلك فكل الأشياء مقدرةً أو قد تكون تدبيراً من الموسيقى أو رؤيا وتنبؤات منذ زمن بعيد، وكل تلك التقادير كانت

لكـي يـدخل أولئـك فعـلاً إلى إيـا. فكـل شـيء سـيتحقق في وقتـه فجـأةً كشـيء جديـد وغـير متوقع.

في البدايـة كـان بِكْـرُ إلوفاتـار أقـوى وأضـخم ممـا أصـبح عليـه فيمـا بعـد. لكـن لم يكـن أكثـر جمـالاً، مـع أن جمـال كوينـدي في أيـام شـبابهم كـان يتفـوق علـى جمـال كـل الأشـياء الأخـرى الـتي خلقهـا إلوفاتـار. صـحيح أنهـم لا يفنـوا ولا يضـعفوا لكـن حيـاتهم في الغـرب والحـزن والحكمـة، كلهـا أشـياء أثـرت علـيهم. أحـب أورومـي كوينـدي كثـيراً، وسمـاهم في لغـتهم الخاصـة إيلـدار أي شـعب النجـوم، لكـن هـذا الاسـم حَملـهُ فيمـا بعـد فقـط أولئـك الـذين تبعـوه علـى الطريق نحو الغرب.

رغـم ذلـك فقـد فـزع الكثـيرون مـن كوينـدي جـراء مجـيء أورومـي إلـيهم، وهـذا الفـزع كـان بسـبب أفعـال ميلكـور، لأنـه وبعـد المعرفـة، فقـد تبـين للحكـيم بـأن ميلكـور كـان دائـم الانتبـاه، وكـان مـن أوائـل المـدركين لاسـتيقاظ كوينـدي، لـذلك أرسـل الظـلال والأرواح الشـريرة للتجسـس وقطـع الطريـق علـيهم. وحـدث قبـل مجـيء أورومـي بـبعض سـنوات، بأنـه إذا مـا تـاه أحـد مـن الجـان أو ضـل الطريـق أكـان لوحـده أو ضـمن مجموعـة. علـى الأغلـب كـانوا يختفـون نهائيـاً ولا يعـودون أبـداً، وكـان كوينـدي يفسـر تلـك الحـوادث، بـأن الصـياد قـد أوقـع بهـم وكـانوا يخـافون مـن ذلـك، وفي الحقيقـة فـإن أقـدم أغـاني الجـان والـتي مـازال صـداها متـذكراً في الغـرب، تخـبر عـن أشـكالٍ مـن الظّـلال كانـت تمشـي فـوق تـلال كـويڤيينين. وعـن الظـلال الـتي تحجـب النجـوم فجـأةً، أو عـن الفـارس المظلـم الـذي يركـب علـى حصـانه الـبري ويلاحـق الـذين تـاهوا مـنهم لأخـذهم وافتراسـهم. وبمـا أن ميلكـور يكـره أورومـي كثـيراً ويخـاف مـن ركوبـه إلى الأرض الوسـطى. فإمـا أنـه أرسـل بالفعـل خدمـه المظلمـون كخيالـة، أو نشـر همسـات الكـذب في الخارج من أجل تحقيق هدفه الذي يقضي بتحاشي التقاء كويندي مع أورومي.

وهكـذا كـان عنـدما صـهل ناهـار وجـاء أورومـي بيـنهم. فقـد اختبـأ بعـض كوينـدي والـبعض الآخـر هربـوا وضـاعوا. وبقـي مـنهم مـن كانـت لديـة الشـجاعة، والـذي أدرك بسـرعة بـأن الفـارس العظـيم لم يكـن علـى هيئـة مـن خـرج مـن الظـلام، فقـد كـان ضـوء أمـان علـى وجهـه. والأكثر نبلاً من بين الجان، هم الذين اتجهوا إليه أولاً.

لكـن مـن تلـك الأشـياء الحزينـة الـتي ورطهـم بهـا ميلكـور، وهـي معروفـة قلـيلاً. أن أولئـك الـذين نزلـوا ليعيشـوا في حفـر أوتومنـو، فقـد اكتشـفوا ظلاميـة نصـائح ميلكـور. وهـذه الحقيقـة الـتي

نقلها حكماء إيريسيا[١]، بأن كل الذين وقعوا في أيدي ميلكور، قبل سقوط قلعته أوتومنو، قد وُضعوا بالسجن وقام ميلكور بالتفنن التدريجي في تعذيبهم بوحشية، فأفسدهم واستعبدهم. وبذلك أنشأ ميلكور عرق الأوركس، ذلك النسل القبيح بسبب حسده وسخريته من الجان. والذين أصبحوا فيما بعد من ألد الأعداء. لكن للأوركس حياة وتكاثر على نحو أبناء إلوڤاتار، وحياتهم الخاصة شبه معدومة لأنها لا تحتوي على مظاهر الحياة. يمكن أن يكون هذا أسوأ عمل لميلكور منذ تمرده في آينوليندالي قبل البداية. هكذا يقول الحكيم. وعميقاً في قلوبهم المظلمة احتقر الأوركس السيد وخدموه خوفاً، فهو الصانع الوحيد لبؤسهم. وهذا قد يكون العمل الأكثر حقارة لميلكور والأكثر بغضاً لدى إلوڤاتار.

بقي أورومي لفترة بين كوينِدي ومن ثم عاد مسرعاً عبر الأراضي والبحار إلى ڤالينور. وجلب الأخبار إلى ڤالمار[٢] وأخبر الڤالار عن الظلال التي ضايقت كويڤيينين. ابتهج الڤالار رغم أنهم كانوا في شكٍ وسط بهجتهم، ودار نقاش طويل حول أفضل رأي لصيانة كوينِدي من ظل ميلكور، لكن أورومي عاد ثانية إلى الأرض الوسطى وأقام مع الجان.

جلس مانوي على تني كويتيل مفكراً لمدة طويلة وطلب استشارة إلوڤاتار، ومن ثم نزل إلى ڤالمار واستدعى الڤالار إلى دائرة الحساب. وجاء الجميع حتى أولمو جاء من البحر المحيط.

خاطب مانوي الڤالار قائلاً: هذه هي نصيحة إلوڤاتار التي قالها لي. يجب أن نسيطر ثانية على أردا ونحرر كوينِدي من ظل ميلكور مهما كانت التكلفة. فرح تولكاس بالخبر لكن أوليي كان حزيناً لأنه تنبأ بالأذى الذي سيأتي على العالم جراء ذلك النزاع، لكن الڤالار كانوا جاهزين وخرجوا من أمان في قوة الحرب. حل الهجوم على قلاع ميلكور وتم القضاء عليه. ولم ينسَ ميلكور تلك الحرب أبداً، وهي التي قامت من أجل الجان وكانوا السبب في هزيمته. على الرغم من أنه لم يكن لديهم أي دور في تلك الحرب. وكانت معرفتهم عن زحف قوة الغرب ضد الشمال قليلة في بداية أيامهم.

في بداية الحرب تقابل ميلكور مع الڤالار في المنطقة الشمالية الغربية من الأرض الوسطى. فَعَمَّ الخراب والدمار في كل تلك المنطقة. وكان الانتصار الأول لجيش الغرب خاطفاً. فهرب عبيد ميلكور من أمامهم إلى أوتومنو، ثم مر الڤالار على الأرض الوسطى ووضعوا

---

[١] إيريسيا. Eressëa . هي الجزيرة الوحيدة للجان، وهي تتبع لأرض أمان، وهي الجزيرة التي جلب اولمو فيها الجان إلى ڤالينور، منذ عصور طويلة قبل طلوع الشمس والقمر، ومايزال يسكن فيها الكثير من الجان على مرأى من العالم المبارك. ومعنى اسم إيريسيا، هو الجزيرة المنعزلة، وهذا الاسم أتى من الفترة اللاحقة من تاريخها عندما رست وحيدة في خليج إيلدامار.

[٢] ڤالمار.Valmar . هي مدينة الڤالار في أمان، واسم هذه المدينة ڤاليمار.Valimar . كما ذكرنا سابقاً.

حراسةً على كويڤيينين. أيضاً لم يعرف كوينـدي شيء عن هذه المعركة العظيمة لقوى أردا. إلا أنهم أحسوا بالأرض تهتز من تحتهم وشاهدوا المياه تتحرك، ورأوا أضواء هائلة كحرائق النيران في الشمال. ضرب الڤالار حصاراً طويلاً وشديداً على أوتومنو، ووقعت معارك كثيرة أمام بواباتها، ولم يعرف الجان عن هذه المعارك إلا ما انتشر منها كإشاعة بينهم. وفي ذلك الوقت تبدل شكل الأرض الوسطى، فازداد البحر الكبير[١] الذي يفصلها عن أرض أمان وأصبح أكثر عمقاً واتساعاً، فحطم الأرض عند السواحل وصنع خليجاً عميقاً في الجهة الجنوبية، وتشكلت معه الكثير من الخلجان الصغيرة بين هذا الخليج العظيم وهيلكاراكسي[٢] الواقع أقصى الشمال في المنطقة التي تقترب فيها الأرض الوسطى من أرض أمان. ومن هذه الخلجان كان خليج بالار هو الخليج الرئيسي، وهو الذي تتدفق إليه مياه نهر سيريون[٣] الهائل، قادمة من المرتفعات التي نهضت حديثاً في الشمال والمسماة دورذونيون[٤]، وأيضاً تدفقت إليه المياه من الجبال التي حول هيثلوم[٥]. وفي تلك الأيام خربت كل أراضي الشمال البعيد، لأن أوتومنو كانت محفورة عميقاً هناك. وقد امتلأت حفرها بالنيران وبحشود كبيرة من خدم ميلكور.

وأخيرا كُسرتْ بوابات أوتومنو وأصبحت قاعاتها بلا أَسقف، ووجد ميلكور يلوذ بأعمق الحفر فيها، عندها وقف تولكاس بطل الڤالار فتصارع معه وألقاه أرضاً على وجهه وربطه بسلسلة أنغاينور التي صنعها أوليي وقاده كأسير. بعدها عَمَّ السلام في كل العالم لعصر طويل.

مع هذا فلم يستطع الڤالار اكتشاف كل تلك الأقبية والكهوف القوية، والمخفية بالخداع والحيل، والموجودة تحت قلاع أنغباند وأوتومنو، فما زال الكثير من المخلوقات الشريرة تقيم هناك وآخرون منهم كانوا قد تفرقوا وهربوا في الظلام، ثم تاهوا في أماكن العالم المقفرة، ينتظرون ساعة الشر الأكبر، ولم يتمكن الڤالار من إيجاد ساورون أيضاً.

---

[١] البحر الكبير. هو المحيط الهائل الذي يحد الأرض الوسطى من الجهة الغربية.

[٢] هيلكاراكسي. Helcaraxë . هي أراضي الجليد المطحون والقفار المحفوفة بالمخاطر التي كانت تقع سابقا بين أرض أمان والأرض الوسطى.

[٣] سيريون. Sirion .هو أكبر أنهار بيليرياند وطول مجراه ٨٥٠ ميلاً من منبعه في المرتفعات الباردة من جبال ايريد ويثرين حتى مصبه في الدلتا العظيمة على خليج بالار. ويسير من منتصفه بطريق غير عادي تحت الأرض لمسافة تسعة أميال، من المستنقعات المسحورة آيلين أويل تحت الأرض العالية المسماة باسم أندرام. وكان سيريون يعتبر الحد الطبيعي بين شرق وغرب بيليرياند.

[٤] دورذونيون. Dorthonion . هي أعلى هضبة في بيليرياند وهي عبارة عن أحراج من الصنوبر، تمتد عند أقصى- شمال بيليرياند. وبعد أن احتلها مورغوث في معركة داغور براغوللاخ تغير اسمها وأصبح تاور ناو فوين.

[٥] هيثلوم. Hithlum . هي أراضي الضباب الواقعة شمال بيليرياند، تحيط بها سلسلة جبال ايريد ويثرين من الشمال الشرقي ، ومن الغرب ايريد لومين.

مـع انتهـاء المعركـة ظهـرت مـن خـراب الشـمال غيـوم عظيمـة حجبـت ضـوء النجـوم. أخـذ الڤـالار ميلكـور مقيـد اليـدين والقـدمين ومعصـوب العينـين. وأحضـروه إلى دائـرة الحسـاب في ڤـالينور. هنالـك رُمـي علـى وجهـه أمـام أقـدام مـانوي فـالتمس العفـو والمغفـرة. لكـن كـل توسـلاته رُفضـت ودفـع إلى السـجن في أمـاكن مانـدوز النائيـة والمعزولـة، هنالـك حيـث لا شـيء يسـتطيع الهـرب، لا ڤـالا ولا جـني ولا حـتى بشـرٌ فـاني. فقـد كانـت تلـك القاعـات واسـعة وقويـة وتقـع غـرب أرض أمـان. هنـاك كـان محكـوم علـى ميلكـور بالسـجن لثلاثـة عصـورٍ طويلـة قبـل أن تعاد محاكمته مرة ثانية، أو قبل أن يحق له طلب العفو مرةً ثانية.

عقـد الڤـالار مجلسـاً آخـر وكـانوا منقسـمين في النقـاش، فـالبعض مـنهم تمسَّـك بوجـوب تـرك كوينـدي يعيشـون في الأرض الوسـطى بحريـة، مـع مـواهبهم مـن المهـارات المختلفـة لتنظـيم أراضـيهم ومعالجـة الأذى فيهـا وإصـلاحه، وكـان متـزعم هـذا الطـرح أولمـو. لكـن الجـزء الأكـبر خـاف علـى كوينـدي مـن مخـاطر العـالم وسـط خـداع العتمـة المضـاءة بـالنجوم. عـلاوة علـى ذلـك فقـد أحـب الڤـالار جمـال الجـان ورغبـوا بصـحبتهم. فمـن أجـل كـل تلـك الأسـباب قـام الڤـالار باسـتدعاء كوينـدي إلى ڤـالينور لكـي يجتمعـوا بخشـوع السـلطات في ضـوء الأشـجار إلى الأبـد. عنـدها كسـر مانـدوز صـمته قـائلاً: هـذا الأمـر محكـوم عليـه بالفشـل. وفيمـا بعـد جـرَّ هذا الاستدعاء الكثير من المشاكل.

كـان الجـان في بـادئ الأمـر غـير راغبـين بتلبيـة الاسـتدعاء. لأنهـم لم يـروا الڤـالار إلا في غضـبهم عنـدما دخلـوا الحـرب. باسـتثناء أورومـي فقـط، الـذي رأوه قبـل الحـرب. لـذلك كـانوا مرعـوبين مـن الڤـالار واسـتدعائهم. أرسـل إلـيهم الڤـالار أورومـي ثانيـةً. فاختـار مـن بيـنهم سـفراء لكـي يـذهبوا إلى ڤـالينور ويتحـدثوا نيابـةً عـن شـعوبهم. فكـان أولئـك السـفراء هـم إينغـوي، فينـوي، إيلـوي. وهـم الـذين أصـبحوا ملوكـاً فيمـا بعـد. ذهـب هـؤلاء السـفراء إلى ڤـالينور مليئـين بـالروع مـن مجـد وعظمـة الڤـالار. لكـنهم أحبـوا كثـيراً الضـوء وروعـة الأشـجار. بعـدها أعـادهم أورومـي إلى كـويڤيينين. وتكلـم الملـوك مـع شـعوبهم ونصـحوهم بـاحترام استدعاء الڤالار، للانتقال إلى الغرب.

عنـدها حصـلت الفرقـة الأولى بـين الجـان. لأن عشـيرة إينغـوي والجـزء الأكـبر مـن عشـيرتي فِينـوي وإيلـوي تـأثروا بكلمـات سـاداتهم وكـانوا علـى اسـتعداد للرحيـل واللحـاق بـأورومي. وهـؤلاء هـم مـن عرفـوا فيمـا بعـد باسـم إيلـدار، وهـو الاسـم الـذي أعطـاه لهـم أورومـي منـذ البدايـة في لغـتهم الخاصـة. لكـن بالمقابـل رفـض كثـيرون أمـر الاسـتدعاء. فهـم يفضـلون ضـوء

النجوم والفضاءات العريضة للأرض الوسطى، على كل تلك الاشاعات التي قيلت عن الأشجار. وهؤلاء عرفوا فيما بعد باسم أڤاري، أي المعارضين. ومع الوقت انفصلت أڤاري عن إيلدار ولن يلتقوا مجدداً حتى تمضي عصورٌ وأزمنةُ كثيرة.

جهزت إيلدار موكباً عظيماً من بيوتهم الأولى في الشرق واصطفوا بثلاثة حشود. فالحشد الأول الذي ذهب كان الأصغر بينهم وسار تحت قيادة إينغوي الملك الأعلى لكل العرق الجني. وإينغوي هذا هو الذي دخل إلى ڤالينور وبقي هناك في كنف السلطات، وكل الجان تبجل اسمه. لكنه لن يعود أبداً إلى الأرض الوسطى. اسم شعبه الڤانيار، أجمل الجان وأصفاهم وهم محبوبون من قبل مانوي وڤاردا، وقلة من البشر استطاعوا التحدث معهم.

بعدهم أتى نولدور، ونولدور من أسماء الحكمة. هم شعبُ فِينوي وهم الجان الغامضون. أصدقاء أوليي، وهم المشهورين بالأغنية. لأنهم قديماً عملوا وناضلوا بشكل مؤلم في الأراضي الشمالية.

آخرهم جاء الحشد الأكبر. يسمون تيليري لتلكؤهم على الطريق، ولم يكونوا مكتملي العقل بعد للعبور من العتمة إلى ضوء ڤالينور. يبتهجون كثيراً بالماء. وفي نهاية المطاف وصلوا إلى الشواطئ الغربية. وكانوا مفتونين بالبحر، ومنهم جان البحر الذي أصبح اسمهم في أرض أمان فيما بعد، ڤالماري. لأنهم صنعوا موسيقى بجانب الأمواج المتكسرة. وبسبب ضخامة أعدادهم فقد كان لهم زعيمان. إيلوي سينغولو (الذي يشير إلى العباءة الرمادية)، وأخوه أولوي.

هذه كانت العشائر الثلاثة من إيلدالي، التي عبرت إلى أقاصي الغرب في أيام الأشجار وكان الجان وقتها يسمون كالاكويندي، أي جان الضوء. أما أولئك الآخرين من إيلدار الذين انطلقوا بالفعل بالمسيرة الغربية لكنهم ضاعوا على الطريق الطويل أو تنحوا جانباً أو بقوا على شواطئ الأرض الوسطى. وغالبيتهم كانوا من عشيرة تيليري كما قيل فيما بعد. فقد سكنوا بجانب البحر أو تجولوا في غابات وجبال العالم، رغم ذلك فإن قلوبهم كانت دائماً متوجهةً إلى الغرب. هذا الجزء من الجان كالاكويندي، يلقبون أومانيار، لأنهم لم يأتوا إلى أرض أمان والمملكة المباركة. لكن أومانيار وأڤاري على حد سواء يدعون موريكويندي. أي جان الظلام. لأنهم لم يروا ضوء الأشجار الذي كان قبل الشمس والقمر.

يقال. عندما غادرت حشود إيلدالي من كويڤيينين، بقيادة أورومي على حصانه الأبيض ناهار ذو النعل الذهبية. وعندما مروا شمالاً حول بحر هيلكار متجهين نحو الغرب. كانت

تلك الغيوم السوداء الكبيرة المعلقة فوق أنقاض الحرب في الشمال ما تزال أمامهم. وهي التي حجبت عنهم نجوم تلك المنطقة. لهذا السبب ازداد خوف الكثيرين منهم وندموا على مسيرهم بهذه الرحلة، فعادوا إلى الأرض الوسطى وأصبحوا من الجان المنسيين.

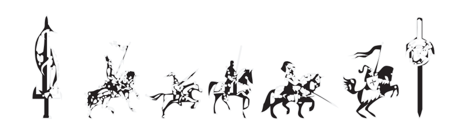
طويلة وبطيئة كانت مسيرة إيلدار إلى الغرب لأن تجمعات الأرض الوسطى كانت كثيرة ومرهقة وبدون ممرات. ولم تكن لدى إيلدار رغبة في التعجيل. بسبب استغراقهم في السؤال عن كل ما كانوا يروه. وأمنياتهم بالسكن بجانب الكثير من الأراضي والأنهار التي صادفوها. فكانوا راغبين في أن يهيموا على وجوههم. بالإضافة إلى خوف الكثيرين منهم أو بالأحرى فقدان الأمل من نهاية الرحلة. فحينما كان يتركهم أورومي لبعض الوقت بسبب اهتماماته الأخرى. كانوا يترددوا في السير إلى الأمام كثيراً. حتى يعود أورومي ثانيةً لتوجيههم. وحدث بعد الكثير من سنوات الترحال بهذه الطريقة أن قادهم الطريق إلى الغابة فجاؤوا إلى النهر العظيم الذي هو أوسع نهرٍ رأوه لحد الآن. وخلفه كانت تقع الجبال التي بدت قممها وكأنها قرونٌ حادةٌ تخترق مملكة النجوم. ويقال أن هذا النهر هو الذي سمي فيما بعد نهر أندوين العظيم، الذي كان فيما مضى يعتبر آخر الحدود الغربية للأرض الوسطى. وتلك الجبال كانت هي هيثايغلير أبراج الضباب الواقعة على حدود إيريادور، وهي الجبال التي رفعها ميلكور لاعاقة ركوب خيل أورومي، على الرغم من أنها كانت في تلك الأيام أكثر طولاً ورهبةً. استقر شعب تيليري لفترة طويلة على الضفة الشرقية للنهر وتمنوا البقاء هناك، بينما عبر شعب ڤانيار ونولدور ممرات الجبال مبتعدين عنهم بقيادة أورومي. وعندما غادر أورومي وابتعد عنهم، نظر تيليري بريبة إلى الظلال الغامضة فخافوا منها.

ظهر من بين المتأخرين على الطريق شخص من جماعة أُولُويْ يدعى لينوي. قاد كثير من الشعب إلى الجنوب نزولاً إلى النهر العظيم متخلياً عن المسير إلى الغرب. ولم يعرف عنهم أقرباؤهم أي شيء فيما بعد حتى انقضت سنوات طويلة، وهؤلاء عرفوا باسم نناندور. وأصبحوا شعبٌ مستقل مختلف عن أقربائه. باستثناء حبهم للماء، وغالبية مساكنهم كانت بجانب الجداول والشلالات. يمتلكون معرفة عالية عن الأحياء والأشجار والأعشاب والطيور والبهائم، دوناً عن الجان الآخرين. بعد عدة سنوات وقبل ظهور القمر توجه دينثور ابن لينوي أخيراً إلى الغرب يقود جزءاً من ناندور عبر جبال أراضي بيليرياند.

وبالتفصيل فإن ڤانيار ونولدور وصلوا إلى إيريد لوين، الجبال الزرقاء. وهي الجبال الواقعة بين إيريادور والأراضي الغربية للأرض الوسطى. وهي الأرض التي سماها الجان فيما بعد

بيليريانـد. أمـا الجماعـات الرئيسـة فقـد عـبرت وادي سـيريون ونزلـت إلى شـواطئ البحـر العظـيم بـين لسـان درينغيسـت وخلـيج بـالار. لكـن عنـدما رأوه وقـع علـيهم خـوف عظـيم فانسـحب أكثـرهم إلى غابـات ومرتفعـات بيليريانـد. عنـدها تـركهم أورومـي وعـاد إلى ڤـالينور قاصـداً مشورة مانوي.

مـرَّت حشـود تيلـيري فـوق الجبـال الضـبابية. وعـبروا أراضـي إيريـادور الواسـعة، يحـثهم علـى الاسـتعجال إيلـوي سـينغولو المتلهـف للعـودة إلى ڤـالينور والضـوء الـذي شـاهده هنـاك، وتمـنى أن لا يكـون منفصـلاً عـن نولـدور بسـبب الصـداقة العظيمـة الـتي تجمعـه مـع فِينـوي سـيِّد نولـدور. وبعـد عـدة سـنوات وصـلت تيلـيري في نهايـة المطـاف أيضـاً إلى جبـال إيريـد لـوين الواقعـة في المنـاطق الشـرقية مـن بيليريانـد. وهنـاك توقفـوا .وأقـاموا في المنطقـة الواقعـة وراء نهـر جيليون لمدةٍ من الزمن.



# الفصل الرابع

## ثينغول و ميليان

ميليــان هــي مايــا مــن الميّــار. والميّــار عِــرق مــن الفــالار. كانــت ميليــان تســكن في حــدائق لــورين ولم يكــن هنــاك بــين شــعبها مــن هــو أجمــل أو أكثــر حكمــة ومهــارة في أغــاني الســحر منهــا. ويقــال عنــدما امتزجــت الأضــواء وغنــت ميليــان في لــورين، فقــد تــرك الفــالار أعمــالهم، وطربــت طيــور فــالينور، وصــمتت أجــراس فالمــار وتوقفــت نافوراتهــا عــن التــدفق. ترافقهــا العنــادل دائمــاً وهــي الــتي علمــتهم الغنــاء. أحبــت ميليــان الظــلال العميقــة للأشــجار العظيمــة. تنســب ميليــان نفســها إلى ياڤانّــا مــن قبــل أن يوجــد العــالم. وفي ذلــك الوقــت الــذي صــحا فيــه كوينــدي بجانــب ميــاه كــويڤيينين غــادرت ڤــالينور وجــاءت إلى هيثــير لانــدس[١]. وهنــاك قبل الفجر ملأت صمت الأرض الوسطى بصوتها وبأصوات طيورها.

يقــال أيضــاً. عنــدما كانــت رحلتــهُ قريبــةً مــن نهايتهــا، جلــس شــعب تيلــيري للاســتراحة لمــدة طويلــة شــرقي بيليريانــد خلــف نهــر جيليــون. وفي ذلــك الوقــت كــان مــايزال الكثــيرين مــن نولــدور مقيمــين بالجهــة الغربيــة مــن تلــك الغابــات الــتي أصــبح اسمهــا فيمــا بعــد نولــدوريث و ريجيــيُن. كــان إيلــوي ســيّد تيلــيري يــذهب في أغلــب الأحيــان إلى تلــك الغابــة العظيمــة للبحــث عــن صــديقه فِينــوي في مســاكن نولــدور. وصــادف مــرةً ذهــاب إيلــوي إلى غابــة نــان إيلمــوث المضــاءة بــالنجوم فســمع أغنيــة العنــدليب. وفجــأةً وقــع عليــه الســحر ووقــف ثابتــاً بــلا حــراك. فقــد سمــع مــن البعيــد وراء أصــوات لوميلينــدي(العنادل) صــوت ميليــان، وامتلكــت قلبــه الدهشــة والرغبــة، ونســي تمامــاً كــل شــعبه والغايــات الــتي جــاء مــن أجلهــا إلى هنــا. فتبــع الطيــور تحــت ظــلال الأشــجار حــتى وصــل إلى أعمــاق نــان إيلمــوث وضــاع هنــاك. ثم وصــل إلى فســحة

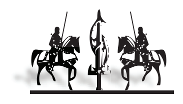
[١] هيثير لاندس. Hither Lands. وهي الأراضي الواقعة شرقي البحر الكبير. أي الأجزاء الغربية من الأرض الوسطى

خالية من الأشجار ومفتوحة على النجوم، وهناك كانت تقف ميليان، نظر إليها خارج العتمة، فرأى ضوء أمان في وجهها.

لم تتكلم ميليان ولا كلمة لكن حب إيلوي وقع في قلبها، تقدم إيلوي إليها وعندما أمسك يدها ألقت عليه مباشرةً تعويذةً سحرية. لذلك بقيا واقفين هناك لسنوات طويلة، قياساً لحركة النجوم التي تدور فوقهم. حيث نمت أشجار نان إيلموث طويلة ومظلمة من حولهما قبل أن يتكلما أية كلمة.

بحث شعب إيلوي عن سيدهم كثيراً ولم يجدوه. لذلك استلم أخوه أُولُويْ منصب الملك على تيليري ورحل. كما قيل فيما بعد. أما إيلوي سينغولو فلن يعبر البحر مرة أخرى مطلقاً متوجهاً إلى ڤالينور طالما هو حي. وأيضاً ميليان لن تعود إلى هناك، مادامت مملكتهما هي وإيلوي قائمة ومستمرة. ومنهما ستأتي سلالة فيها نسل آينور الذين كانوا مع إلوڤاتار قبل خلق إيا وستحكم هذه السلالة بين كلٍ من الجان والبشر. وفي قادم الأيام سيصبح إيلوي سينغولو ملك مشهور، وكل إيلدار الذين في بيليرياند سيكونون شعبة. ويدعون اسمهم سيندار، وهم الذين يسمون الجان الرماديون. أو جان الغسق الذين كان ملكهم هو ذو العباءة الرمادية. وأصبح اسمه إيللو ثينغول في لغة تلك البلاد، وزوجته الملكة ميليان، الأعقل والأكثر حكمةً من كل أبناء الأرض الوسطى، وكان مسكنهم في القاعات المخفية في مينغروث.

أما مينغروث فهي الكهوف الألف (أو الألف كهف) وتقع في دورياث. أعارت ميليان قوتها العظمى إلى ثينغول وهذه القوة هي التي جعلته عظيماً بين إيلدار، فقد كان الوحيد من كل سيندار الذي رأى بعينيه الأشجار بيوم إزهارها، وأصبح ملكاً مع أنه كان من أمانيار[1]، ولم يحسب من بين موري كويندي، لكنه حُسب مع جان الضوء عظماء الأرض الوسطى. لأنه كان قد ذهب إلى أرض أمان عندما كان واحداً من السفراء الثلاثة. خرج حب ثينغول وميليان إلى العلن وكان هو الحب الأنقى والأجمل على الاطلاق بين كل أبناء إلوڤاتار، فلم يأتِ قبله ولن يأتي بعده أصفى أو أجمل منه.



[1] أمانيار.Amanyar .: هم ڤانيار ونولدور وذلك الجزء من تيليري الذين عبروا البحر إلى أمان. أما أومانيار.Úmanyar .: فهم غالبية تيليري الذين بقوا في الأرض الوسطى ولم يذهبوا إلى أمان.

# الفصل الخامس

## إيلدامار[1] وأمراء إيلدالي

بمـرور الوقـت وصـلت جمـاهير ڤانيـار ونولـدور إلى أقاصـي شـواطئ هيثـير لانـدس الغربيـة، وبالتحديـد إلى الجهـة الشـمالية مـن هـذه الشـواطئ. وكانـت هـذه الشـواطئ في الأيـام القديمـة بعـد معركـة السـلطات تميـل نحـو الغـرب حـتى تصـل إلى الأجـزاء الشـمالية مـن أردا. حيـث لا يفصـلها سـوى مضـيق بحـري عـن أراضـي أمـان الـتي بنيـت عليهـا ڤـالينور. لكـن بسـبب قسـوة صـقيع ميلكـور فقـد مُلـئ هـذا المضـيق بـالثلج المكسـر، ولـذلك لم يسـتطع أورومـي قيـادة جمـاهير إيلـدالي إلى أقصـى الشـمال، لكنـه جلـبهم إلى الأراضـي الجميلـة حـول نهـر سـيريون والـتي سميـت فيمـا بعـد بيليريانـد. ومـن تلـك الشـواطئ بـدى علـى إيلـدار ولأول مـرة الخـوف والتسـاؤل عـن البحـر، الـذي امتـد كمحـيط عـريض وعميـق ومظلـم يفصـل بيـنهم وبـين جبال أمان.

وبنـاء علـى قـرار مجلـس الڤـالار، ذهـب أولمـو إلى شـواطئ الأرض الوسـطى وتكلـم مـع إيلـدار الـذين كـانوا ينتظرونـه هنـاك محـدقين بـالأمواج المعتمـة، وبسـبب كلماتـه وموسـيقاه الـتي عزفهـا بأبواقـه المصـنوعة مـن أصـداف البحـر، انتـزع أولمـو خـوفهم وبدّلـه برغبـة وعشـق البحـر. لـذلك قـام أولمـو بـاقتلاع الجزيـرة الـتي بقيـت تقـف وحيـدةً في وسـط البحـر منـذ ضـجيج سـقوط إللـوين، وأبعـدها عـن الشـاطئ بمسـاعدة أعوانـه وحركهـا كمـا لـو أنهـا سـفينة هائلـة ثم أرسـاها في خلـيج بـالار، الـذي تصـب فيـه ميـاه سـيريون. صـعد ڤانيـار ونولـدور إلى تلـك الجزيـرة وسـارت بهـم بعيـداً في البحـر حـتى وصـلت إلى الشـواطئ الطويلـة تحـت جبـال أمـان. ودخلـوا إلى ڤـالينور مرحـبٌ بهـم بنعمتهـا. لكـن عنـدما قـام أولمـو بسـحب الجزيـرة وأرسـائها في خلـيج بـالار فقـد غـرق الـرأس الشـرقي للجزيـرة في الميـاه الضـحلة قبالـة الشـواطيء حيـث تصـب روافـد نهـر

[1] إيلدامار .Eldamar : هي أرض الجان في أمان وهي المنطقة التي تقع شرقي جبال بيلوري. وفيها مدينة تيريون. Tirion .

سـيريون في البحـر. لـذلك، عنـدما سـحبوا الجزيـرة انكسـر هـذا الـرأس وانفصـل عـن الجزيـرة وبقـي ثابتـاً بـالبحر خلفهـم. وهـو الـذي أصـبح فيمـا بعـد جزيـرة بـالار. الـتي سـيأتي إليهـا أوسـي كثيراً.

لكـن تيلـيري الـذين مـازالوا في الأرض الوسـطى، وبسـبب سـكنهم في شـرقي بيليريانـد البعيـدة عـن البحـر، فلـم يسـمعوا نـداء أولمـو إلا بعـد فـوات الأوان، وكثـيرون مـنهم كـانوا يبحثـون عـن سـيدهم إيلـوي، فلـم تكـن لـديهم الرغبـة في المغـادرة مـن دونـه. وعنـدما علمـوا بـذهاب إينغـوي وفينـوي وشـعبيهما. تـزاحم كثـيرون مـنهم علـى شـواطئ بيليريانـد وسـكنوا فيمـا بعـد بـالقرب مـن مصـبات نهـر سـيريون. وكـانوا في شـوق دائـم إلى أصـدقائهم الـذين غـادروهم. ثم اتخـذوا أُولُـويْ أخـو إيلـوي ملكـاً علـيهم، وأقـاموا لمـدة طويلـة علـى سـواحل البحـر الغـربي. وهنـاك جـاء إلـيهم أوسـي وأوينـين وصـادقوهم، وأصـبح أوسـي يجلـس أمـامهم علـى صـخرة قريبـة مـن الشـاطئ ويعلمهـم أُسـاليب العلـوم والموسـيقى البحريـة. وبمـا أن شـعب تيلـيري هـو منـذ البدايـة عاشـقٌ للمـاء، فقـد أصـبحوا مـن أنقـى وأجمـل المغنـين بـين الجـان. وأصـبحوا عاشـقين للبحـار. وتضـج أغنياتهم بصوت الأمواج الشاطئية.

وبمـرور السـنوت أصـغى أولمـو لصـلوات نولـدور وسـيدهم فينـوي الـذين حزنـوا لفـراق تيلـيري، وتوسـلوا لـه لجلـبهم إلى أمـان إن أرادوا ذلـك. وبالفعـل فالغالبيـة العظمـى مـن تيلـيري برهنـت عـن الرغبـة الحقيقيـة بـالمجيء إلى أمـان. وعنـدما عـاد أولمـو إلى شـواطئ بيليريانـد لأخـذ تيلـيري إلى ڤـالينور. كـان حـزن أوسـي كبـيراً لأنـه لـن يسـتمع بعـد اليـوم لأصـوات تيلـيري في منطقتـه الـتي يهـتم بهـا وهـي بحـار الأرض الوسـطى وشـواطئ هيثـير لانـدس، فقـام بإقنـاع الـبعض مـن تيلـيري بالبقـاء هنـاك وهـم الـذين أصـبحوا فيمـا بعـد فـالاثريم، جـان فـالاس، وهـم الـذين سـكنوا فيمـا بعـد في مرافـئ بريثومبـار وإيغلاريسـت. وهـم البحـارة الأوائـل في الأرض الوسـطى، وأول من صنع السفن، وسيدهم كيردان صانع السفن.

بقـي أقربـاء وأصـدقاء إيلـوي سـينغولو يبحثـون عنـه في هيثـير لانـدس، علـى الـرغم مـن أنهـم كـانوا راغبـين بالـذهاب إلى ڤـالينور والعـيش بضـوء الأشـجار لـو كـان بمقـدور أولمـو وأولـوي انتظـارهم لفـترة أطـول. لكـن أُولُـويْ ذهـب. صـعد الجـزء الرئيسـي مـن تيلـيري إلى الجزيـرةُ وسـحبهم أولمـو بعيـداً مخلّفـين وراءهـم أصـدقاء إيلـوي. فلـم يبقـى غـيرهم ولـذلك سمـوا أنفسـهم إيغـلاث، أي المنبـوذين. وسـكنوا في الغابـات وفي تـلال بيليريانـد، بـدلاً مِـنْ البحـر الـذي مَلأَهـم بـالحُزنِ، لكن الرغبةَ بالذهاب إلى أمان كَانتْ دائماً تعصف بقلوبهم.

عندما صحا إيلوي من غيبوبته الطويلة خرج مع ميليان من نان إيلموث. وسكنا فيما بعد في الغابة التي في وسط الأرض. وعلى الرغم من رغبته الكبيرة برؤية ضوء الأشجار ثانية إلا أنَّ رؤية ضوء أمان في وجه ميليان كانعكاسٍ على مرآة صافية جعله راضياً. اجتمع الناس من حوله فرحين ومندهشين بمظاهر النبل البادية عليه. فظهر بأعينهم وكأنه سيدٌ من الميّار. شعره كالفضة الرمادية ويبدو أطول من كل أبناء إلوڤاتار، وبانتظاره قدرٌ عظيم.

تبع أوسي جماهير أُولُويْ عندما كانوا ذاهبين حتى وصلوا إلى خليج ايلدامار (الذي هو موطن الجان شرقي جبال بيلوري ). ناداهم فعرفوا صوته، وقام تيليري بالتوسل إلى أولمو لكي يوقف رحلتهم البحرية. لبى أولمو طلبهم. وبناءً على أوامره قام أوسي بسرعة بربط جذور الجزيرة إلى أساسات البحر. وهذا ما جعل أولمو مسروراً أكثر لأنه يفهم قلوب تيليري، وفي مجلس الڤالار هو الوحيد الذي كان ضد استدعاء الجان إلى ڤالينور. لأنه كان يعتقد بأنه من الأفضل لكويندي البقاء في الأرض الوسطى. وكان الڤالار غير ممتنين لأنهم علموا بما فعله. حزن فَينوي لأن تيليري لن يأتوا، وحزن أكثر عندما علم أن إيلوي أصبح من المنبوذين ولن يراه ثانيةً. ما لم يجتمعوا معاً في قاعات ماندوز. لكن الجزيرة ما كانت لتتحرك ثانية. وانتصبت هناك واقفة في خليج ايلدامار. وسميت تول إيريسيا. الجزيرة المنعزلة. هناك كانت مساكن تيليري تحت نجوم السماء كما تمنوا. وهم الآن ضمن حدود الجهة اليمنى لأرض أمان والشواطئ الخالدة. وهذه الإقامة الطويلة في الجزيرة المنعزلة أدت إلى انفصال لغتهم عن لغة ڤانيار ونولدور.

لهؤلاء أعطى الڤالار أراض وأماكن للسكن بين أنوار زهور الأشجار المضيئة في حدائق ڤالينور، لكنهم مازالوا يتوقون في بعض الأوقات لمشاهدة النجوم، ولأجل ذلك عُملت فتحة في جبال بيلوري الكبيرة. وبهذه الفتحة وادي عميق ينزل إلى البحر، هناك نصبت إيلدار تونا وهو التل الأخضر العالي الذي يطل شرقاً على خليج ايلدامار (بيت الجان) والجزيرة المنعزلة (تول إيريسيا) والبحار الغامضة. وعلى هذا التل سقط ضوء الأشجار من الغرب، وتمدد ظله شرقاً، ثم من خلال كالاكيريا (أي ممر الضوء) تدفق نور المملكة المباركة فأشعل موجات الظلام وحولها إلى فضية وذهبية حتى لامس الشواطئ الغربية للجزيرة المنعزلة فنمت فيها شتى أنواع النباتات وتحولت إلى خضراء جميلة. فأزهرت هناك الزهور الأولى التي لم تكن موجودة من قبل شرقي جبال أمان.

علـى قمـة تلـة تونـا بـنى الجـان مـدينتهم تيريـون ذات الشـرفات والجـدران البيضـاء والأبـراج. وأعلـى أبـراج المدينـة كـان بـرج إينغـوي واسمـه مينـدون إيلـداليڤا، بمصـباحه الفضـي الـذي يشـع بعيـداً في عتمـة البحـر. وقلـة مـن سـفن البشـر الفـانيين اسـتطاعوا رؤيـة شـعاعه المرهـف. سـكن ڤانيـار ونولـدور في تيريـون لمـدة طويلـة متحـابين، ومـن بـين كـل الأشـياء الموجـودة في ڤـالينور أحبـوا كثـيراً الشـجرة البيضـاء. فقـد صـنعت لهـم ياڤانَـا شـجرة تشـبه شـجرة تيلبيريـون إلى حـد مـا. إلا أنهـا لا تشـعُّ ضـوء، وقـد سميـت غـالاثيليون بلغـة سـيندارين. كانـت هـذه الشـجرة مزروعـةً في القصـور تحـت بـرج مينـدون وازدهـرت هنـاك وكثـرة شـتلاتها في ايلـدامار. زُرعـت واحـدة منهـا فيمـا بعـد في تـول إيريسـيا فـازدهرت هنـاك وسميـت كيليبـورن، ومـن هنـاك انتقلـت في آخر الزمان إلى مكان آخر وأصبح اسمها نيملوث. وهي نفسها شجرة نومينور البيضاء.

أحـبَّ مـانوي وڤـاردا كثـيراً شـعب ڤانيـار، وهـم الجـان اللطفـاء والوسـيمون، لكـن نولـدور كـانوا محبـوبين مـن قبـل أوليـي، وفيمـا بعـد تعامـل شـعب أوليـي (الأقـزام) كثـيراً مـع نولـدور. أصـبحت مهـاراتهم ومعـارفهم عظيمـةً، وكـان تعطشـهم للمعرفـة كبـير إذ تفوقـوا في أكثـر الأشـياء علـى معلمـيهم. وكـانوا يبـدلون في اللغـات، وبسـبب حـبهم العظـيم للكـلام والمفـردات أرادوا أن يجـدوا الأسمـاء الملائمـة لكـل الأشـياء الـتي عرفوهـا أو تخيلوهـا. ويقـال بـأنهم اكتشـفوا الأحجـار الكريمـة أثنـاء حفـرهم لمقـالع الحجـر عنـدما كـانوا يبنـون بيـت فَينـوي (فقـد كانـت سـعادتهم عظيمـةً ببنـاء الأبـراج العاليـة)، واسـتخرجوها بكميـات كبـيرة جـداً لا تعـد ولا تحصـى. وهـم الـذين ابتكـروا أدوات القطـع وتشـكيل المجـوهرات ونقشـها. ولم يكنزوهـا بـل وهبوهـا للنـاس بدون مقابل، وبعملهم هذا أغنوا كل ڤالينور.

بعـد ذلـك عنـدما تعـود غالبيـة نولـدور إلى الأرض الوسـطى، سـينقلون معهـم حكايـاتهم ومعارفهم وخبراتهم والأسماء وصلات القرابة بين أمرائهم إلى لغة جان بيليرياند.

كـان فَينـوي هـو ملـك نولـدور ولـه ثلاثـة أبنـاء: فيـانور، فينغـولفين وفينـارفين. وكانـت ميريـل سـيريندي هـي والـدة فيـانور بينمـا والـدة فينغـولفين وفينـارفين كانـت اينـديس وهـي مـن ڤانيـار. أمـا فيـانور فهـو بكـر فينـوي وهـو الأقـدر بـين أخوتـه وأكثـرهم مهـارةً في الكـلام وفي اليـد، روحـه متوهجـة مثـل اللهـب، لكـن فينغـولفين هـو الأقـوى والأكثـر صـموداً وشـجاعةً. أمـا فينـارفين فكـان الأكثـر حكمـةً ووسـامة ونقـاء سـريرة وهـو زوجٌ إيـاروين ،العـذراء فائقـة الجمـال مـن ألكوالوندي، بنت أولوي سيد تيليري، وصديق أخوتها.

كـان لـدى فيـانور سـبعة أبنـاء: مايـذروس طويـل القامـه. مـاغلور المغـني ذو الصـوت الهائـل والـذي كـان يُسـمع بعيـداً علـى الأرض والبحـر. كيليغـورم الوسـيم، كـارانثير الـداكن، كـوروفين الـذكي الـذي ورث أكثـر مهـارة يـد أبيـه .والأصـغرين كانـا أمـرود وأمـراس وهمـا تـوأم يشـبهان بعضــهما في الشــكل والمــزاج. وفي الأيــام التاليــة سيصــبحان صــيادين عظيمــين في غابــات الأرض الوسـطى. أيضـاً كيليغـورم كـان صـياداً وصـديق أورومـي، وغالبـاً مـا تبـع صـوت بـوق ڤالا في ڤالينور.

أمـا أبنـاء فينغـولفين فكـانوا: فينغـون والـذي أصـبح فيمـا بعـد ملـك نولـدور في شمـال العـالم. وتورغـوُنْ سـيد غونـدولين، وأخـتهم أريـذيل البيضـاء وهـي الأصـغر بـين أخوتهـا. وعنـدما بلغـت أريـذيل رشـدها وكـبرت كانـت جميلـة وطويلـة وقويـة، وأحبـت كثـيراً ركـوب الخيـل والصـيد في الغابـات، وغالبـاً مـا كانـت تـذهب برفقـة أبنـاء عمهـا فيـانور. لكنهـا لم تعـط حـب قلبهـا لأحـد، ولقبـت ،آر فينيـل، سيدة نولـدور البيضـاء. علـى الـرغم مـن أنهـا كانـت شـاحبة وشـعرها أسود فاحم ولم تكن تلبس إلا الأبيض والفضي.

أبنـاء فينـارفين كـانوا: فينـرود المخْلـص (الـذي دعـي فيمـا بعـد فيلاغونـد سـيد الكهـوف)، أورودريـث، أنغـرود وإيغنـور. وكـان أبنـاء فينـارفين بمنتهـى الصـداقة مـع أبنـاء فينغـولفين، كمـا لـو كـانوا كلهـم أخـوة. وأخـتهم غالادريـل بنـت فينـارفين، الأجمـل في بيـت فَينـوي، فقـد كـان شعرها يلمع بلونٍ ذهبيٍ كأنه أشعة من نور لاوريلين المتألقة.

هنـا يجـب أن نخـبر كيـف جـاءت أخـيراً تيلـيري إلى أرض أمـان. حيـث كـانوا قـد سـكنوا لأزمنـة طويلـة في تـول إيريسـيا، وبطـول المـدة تبـدلت قلـوبهم واتجهـت نحـو الضـوء الـذي تـدفق إلى الجزيـرة المنعزلـة عـبر البحـر قادمـاً مـن ڤـالينور، فتمزقـوا بـين حـب موسـيقى المـوج علـى شـواطئهم والرغبـة في رؤيـة أقربـائهم ثانيـة ورؤيـة فخامـة ڤـالينور. وفي النهايـة كانـت الرغبـة للضـوء هـي الأقـوى ممـا جعـل أولمـو يخضـع لإرادة الڤـالار ويرسـل إلـيهم صـديقهم أوسـي، وعلـى الـرغم مـن حزنـه علـى فـراقهم فقـد علمهـم حرفـة بنـاء السـفن، وعنـدما بنـوا سـفنهم وزع علـيهم هـداياه وهـي أعـداد كبـيرة مـن البجعـات قويـات الأجنحـة. قامـت هـذه البجعـات بسـحب سـفن تيليري البيضاء على البحر الهادئ، وأوصلوهم بالنهاية إلى شواطئ ايلدامار وأرض أمان.

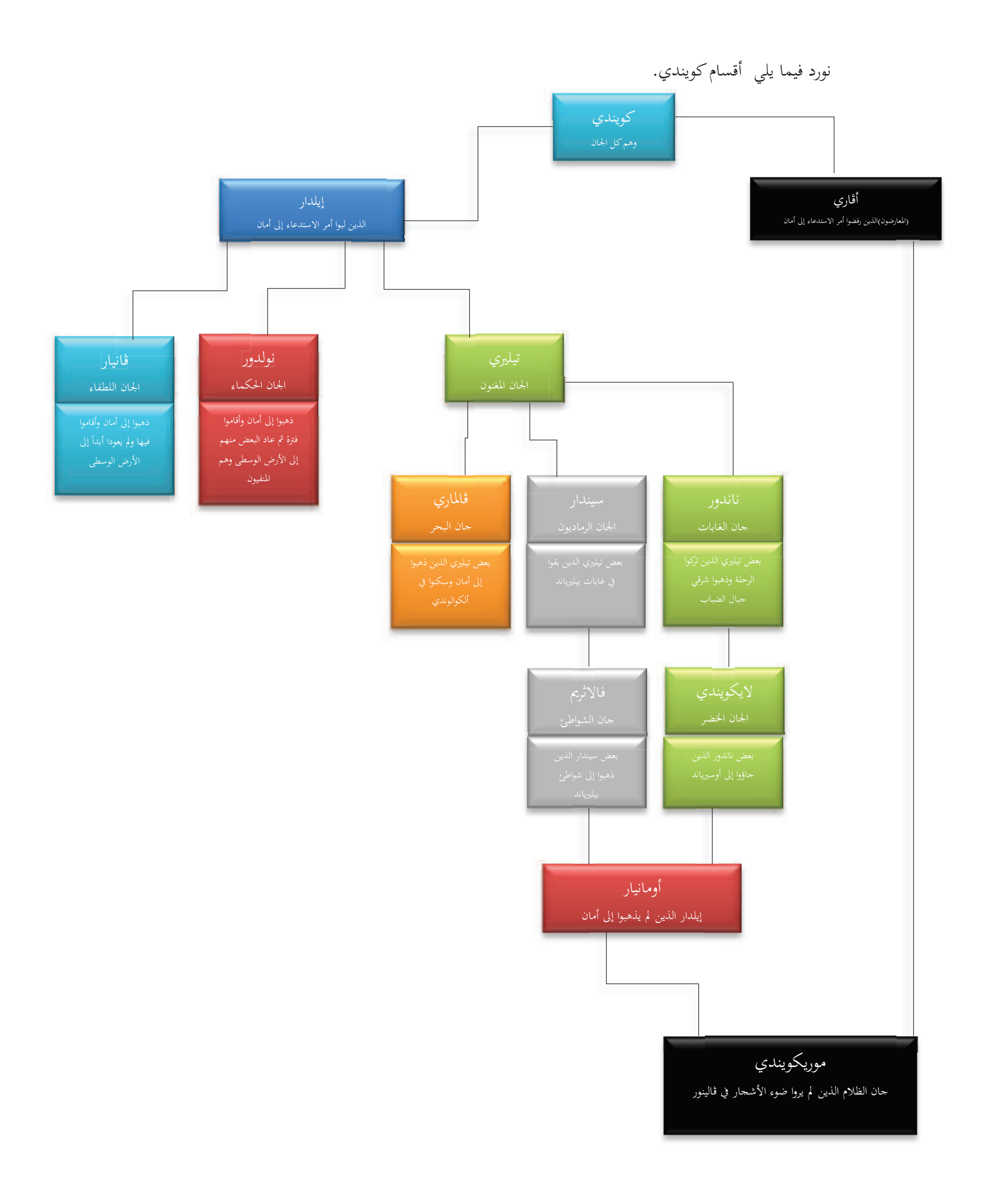
فسـكنوا هنـاك حيثمـا تمنـوا أن يـروا ضـوء الأشـجار وأن يدوسـوا الشـوارع الذهبيـة والـدرجات البلوريـة لمدينـة ڤالمـار علـى التـل الأخضـر تونـا. ولكـن الأهـم مـن ذلـك فقـد أبحـروا بسـفنهم السـريعة علـى ميـاه خلـيج ايلـدامار(موطن الجـان). أو مشـوا علـى الشـواطئ المتموجـة وشـعرهم

يلمــع في الضــوء إلى مــا بعــد التــل، وكــان نولــدور قــد أعطــاهم الكثــير مــن الجــواهر والمــاس والبلـورات الشـاحبة. فانتشـرت هنـاك علـى الشـواطئ وأحـواض السـفن. رائعـة كانـت شـواطئ إيلينـدي في تلـك الأيـام. فقـد اسـتخرجوا مـن البحـر الكثـير مـن اللؤلـؤ، وكانـت قصـور أُولُـويْ في ألكوالونـدي(مرفأ البجعـات) مرصـعةً بـاللؤلؤ ومضـاءة بمصـابيح كثـيرة. تلـك كانـت مـدينتهم ومرفـأ سـفنهم الـتي صـنعوها بأشـكال تشـبه البجـع، بمنـاقير مـن ذهـب وعيـون مـن ذهـب وكهرمـان أسـود، وكانـت بوابـة الميـناء عبـارة عـن قـوس مبنيـة مـن صـخور البحـر المنحوتـة، وتقـع على حدود إيلدامار إلى الشمال من كالاكيريا حيث كان ضوء النجوم لامع وواضح.

وكمـا تمـر الازمنـة كـذلك نمـا حـب ڤانيـار لأرض الفـالار والضـوء الكامـل للأشـجار، فتركـوا مدينـة تيريـون علـى تلـة تونـا وسـكنوا فيمـا بعـد علـى جبـل مـانوي، أو حـول سـهول وغابـة ڤـالينور، وأصـبحوا منفصـلين عـن نولـدور، لكـن ذاكـرة الأرض الوسـطى تحـت النجـوم بقيـت في قلـوب نولـدور وهـم بقـوا في كالاكيريـا، في الـتلال والوديـان ضـمن حـدود البحـر الغـربي. مـع ذلــك فقــد ذهــب كثــيرون مــنهم في أغلــب الأحيــان حــول أرض الڤــالار. وقــاموا بــرحلات استكشـافية بعيـدة لمعرفـة أسـرار الأرض والمـاء وكـل الأشـياء الحيـة. وبعـد انفصـال شـعوب تونـا وألكوالونـدي عـن بعضـهما. أصـبح فَينـوي ملكـاً في تيريـون، وأُولُـويْ ملكـاً في ألكوالونـدي، أمـا الملـك العـالي لكـل الجـان فقـد كـان مـن نصـيب إينغـوي. والـذي فيمـا بعـد استمر كحـاكم تحت راية مانوي على تَني كويتيل.

نـادراً مـا بقـي فيـانور وأبنـاءه في مكـان واحـد لفـترة طويلـة. فقـد كـانوا يسـافرون بعيـداً منتشـرين علـى حـدود ڤـالينور. سـافروا حـتى حـدود الظـلام والشـواطئ البـاردة للبحـر الخـارجي. سـعياً مــنهم لاكتشــاف المجهــول. وغالبــاً مــا كــانوا ضــيوفاً في قاعــات أوليــي. لكــن كيليغــورم كــان يـذهب إلى بيـت أورومـي. وهنـاك حصـل علـى المعـارف العظيمـة عـن الطيـور والوحـوش، وتعلـم لغـات كـل المخلوقـات الحيـة الـتي كانـت في مملكـة أردا. باسـتثناء المخلوقـات السـاقطة في الشـر وهــم مخلوقــات ميلكــور. عاشــت مخلوقــات كثــيرة في أرض أمــان لم تكــن موجــودة علــى الأرض الوسطى وربما لن تكون موجودة فيما بعد. منذ أن تغير وجه الأرض.

نورد فيما يلي أقسام كويندي.




الشكل(٢) أقسام كويندي (كل الجان)

الفصل السادس

# فيانور وتحرير ميلكور

أخـيراً اجتمعـت عشـائر إيلـدار الثلاثـة في ڤـالينور، وكـان لا يـزال ميلكـور مقيـداً في وقتهـا. وكانـت هـذا الفـترة هـي فـترة اكتمـال شـباب الملكـة المباركـة، بمجـدها ونعمتهـا. في الحقيقـة هـي حكايـا سـنين طويلـة لكنهـا في الـذاكرة قصـيرة جـداً. ففـي تلـك الأيـام أصـبح إيلـدار بالغـاً حـدود الكمـال في قـوام الجسـم والعقـل. وتقـدم نولـدور في المهـارة والمعرفـة علـى كـل إيلـدار، وامـتلأت السـنوات الطويلـة بأعمـالهم البهيجـة، فقـد ابتكـروا الكثـير مـن الأشـياء الجميلـة والرائعـة. فهـم أول مـن فكـر واخـترع الأحـرف والكتابـة، وكـان سـيد العلـم في ذلـك الزمـان روميـل مـن تيريـون، هـو مَـن أنجـز ابتكـار الأحـرف بغيـة تـدوين الكـلام والأناشـيد. فبعض الأحرف كان للنقش على المعادن والحجر، والبعض الآخر للرسم بالفرشاة أو القلم.

ولـد في ذلـك الوقـت في إيلـدامار في بيـت ملـك تيريـون علـى قمـة تلـة تونـا الابـن الأكـبر لفَينـوي، وقـد أحبـه الجميـع. كـان اسمـه كوروفَينـوي لكـن أمـه كانـت قـد سمّتـه فيـانور، أي روح النار. وهذا هو اسمه المذكور والمشهور في كل حكايات نولدور.

أمـه اسمهـا ميريـل. دعيـت بلقـب سـيرين‌دي بسـبب تفوقهـا علـى الجميـع في مهـارة التطريـز والنسـيج. فيـديها كانتـا الأمهـر في كـل نولـدور. كـان حـب فينـوي وميريـل رائـع وبهـيج لأنـه بـدأ في أيـام نعمـة الأرض المباركـة. وفي أثنـاء حملهـا بابنهـا كانـت ميريـل قـد اسـتهلكت روحهـا وجسـمها. وبعـد أن ولدتـه تاقـت لإعفائهـا مـن أعبـاء الحيـاة. فقالـت لزوجهـا فينـوي في نفـس الوقـت الـذي سمّـت فيـه ابنهـا. لم تعـد في جسـمي قـوة لأتحمـل متاعـب حمـل آخـر، لأن الحمـل بحاجة إلى قوة، وهذه القوة التي يجب أن تغذي الكثير من الأولاد، ذهبت كلها إلى فيانور.

حـزن فَينـوي لأن نولـدور كانـت فتيـةً وقليلـة العـدد في أيـامهم، وكانـت لديـة رغبـة في انجـاب الكثـير مـن الأبنـاء مـن سـيدة أمـان. فقـال لهـا: لابـد مـن وجـود شـفاء لـك في أمـان، فهنـا كـل الأوجـاع يمكـن أن يكـون لهـا عـلاج. لكـن ضـعف ميريـل وتعبهـا أخـذا بالازديـاد مـع الوقـت ولم

تتحســن. لــذلك ذهــب فينــوي لطلــب نصــيحة مــانوي. فســلمها مــانوي إلى إرمــو في لــورين لكـي يعتـني بهـا. وهكـذا تم الفـراق بـين فينـوي وميريـل (والـذي ظنـه فينـوي بأنـه سـيكون لفـترة قصـيرة). مـع ذلـك فقـد كـان فينـوي حـزين جـداً. فهـذه مصـادفة غـير سـارة، أن تفـترق الأم عـن ابنها في بداية أيام طفولته على الأقل.

قالـت لـه ميريـل: فعـلاً إنهـا مصـادفة تعيسـة فأنـا أتـأ لم كثـيراً، لكنـني مرهقـة جـداً، ويجـب أن لا تلومني على هذا وكل ما سيأتي من بعده.

بعـد ذلـك ذهبـت إلى حـدائق لـورين ورقـدت لتنـام. علـى الـرغم مـن أنهـا بـدت نائمـه لكـن في الحقيقــة، كانــت قــد ماتــت وعــبرت روحهــا بصــمتٍ إلى قاعــات مانــدوز. قامــت وصــيفات إيسـتي بتقليـب جسـد ميريـل لكـي لا يـذبل. لكنهـا لم تَعُـدْ للحيـاة مجـدداً. عـاش فينـوي بعـدها حــزين، وكــان يــذهب دائمــاً إلى حــدائق لــورين. لــيجلس تحــت الصفصــاف الفضــي بجانــب جســد زوجتــه وينــاديهــا بأسمائهــا، لكــن كــل ذلــك كــان بــلا جــدوى. فمــن بــين كــل ســكان المملكــة المباركــة هــو الوحيــد الــذي حُــرم مــن البهجــة. وبعــد فــترة قنــع ولم يعــاود الــذهاب إلى لورين ثانية.

أعطـى فينـوي فيمـا بعـد كـل الحـب والاهتمـام لابنـه. فكـبر فيـانور بسـرعة شـديدة كمـا لـو أن نـاراً سـريةً أوقـدت بداخلـه. وكـان بـارع الحسـن، طويـل القامـة جميـل الوجـه. عيونـه براقـة وحـادة النظـر. وشـعرة أسـود لمـاع. وكـان متحمسـاً وحازمـاً في كـل أعمالـه. ونـادراً مـا غـيَّر مـن دروبـه لا بالنصـيحة ولا حـتى بـالقوة. فقـد أصـبح هـو كـل نولـدور، فـلا شـيء يجاريـه بـالقوة. ولا يوجـد في كـل نولـدور أحـد قبلـه أو بعـده، فهـو الأكثـر براعـة وذكـاء ودقـة في العقـل، والأكثـر مهـارة بأعمـال يديـه. طـوَّر فيـانور في شـبابه أعمـال روميـل، وابتكـر الأحـرف الـتي تحمـل اسمـه، وهـي الأحــرف الــتي اســتعملتها كــل إيلــدار فيمــا بعــد. وهــو الأول في نولــدور الــذي اســتخرج الأحجــار الكريمــة مــن الأرض وصــنع منهــا المجــوهرات اللماعــة، وكانــت أولى المجــوهرات الــتي صــنعها فيــانور بيضــاء وشــفافة، مــا إن توضــع تحــت ضــوء النجــوم حــتى تتــوهج بأشــعة زرقــاء وفضــية فتلمــع أكثــر مــن ضــوء هيللــوين[١]. صــنع أيضــاً بلــورات أخــرى كعيــون نســور مــانوي تقـرب الأشـياء البعيـدة وتريـك إياهـا صـغيرة لكـن واضـحة. ونـادراً مـا كـان يرتـاح عقـل فيـانور من التفكير أو يديه من العمل.

[١] هيللوين.Helluin . أكثر نجوم ڤاردا لمعاناً. ومعنى اسم هذا النجم، الجليد الأزرق.

تـزوج فيـانور وهـو مـايزال في بدايـة شـبابه مـن نيردانيـل بنـت ماهتـان حـداد نولـدور العظـيم، فمـن بـين كـل شـعب نولـدور كـان أوليـي يحترمـه ويقـدره كثـيراً. ومـن ماهتـان تعلـم فيـانور الكثـير عـن صـناعة التعـدين والحجـارة. كانـت نيردانيـل أيضـاً قويـة الإرادة، لكنهـا أكثـر صـبراً مـن فيـانور، وراغبـة بـالفهم أكثـر مـن السـيطرة علـى العقـول. في البدايـة حاولـت تقييـده عنـدما كانـت نـيران قلبـة حـارة جـداً، لكـن أعمالـه اللاحقـة جلبـت لهـا الحـزن وأوقعـت التجـافي بينهمـا. وكانـت نيردانيـل قـد ولـدت لـه سـبعة أبنـاء وأورثـت جـزء مـن طبعهـا إلى بعضـهم ولـيس للكل.

اتخذ فينـوي اينـديس الجميلـة زوجـةً ثانيـة لـه، وكانـت ڤانيـا أي مـن شـعب ڤانيـار. تنتهـي قرابتهـا إلى إينغـوي الملـك الأعلـى. شـعرها ذهـبي طويـل، ولا تشـبه ميريـل في شـيء. أحبهـا فينـوي كثـيراً وعـاد إليـه السـرور ثانيـةً. لكـن ظـل ميريـل لم يغـادر بيـت فينـوي أو قلبـه، وفي كـل شـيء أحبـه كان عنده لفيانور دائماً النصيب الرئيسي.

لم يجلـب زواج فينـوي السـرور إلى قلـب فيـانور ولم يحمـل الكثـير مـن الـود لإينـديس ولا إلى أبنائهـا فينغـولفين وفينـارفين. فقـد عـاش مبتعـداً عـنهم يستكشـف أرض أمـان. ويشـاغل نفسـه بالمعرفـة والصـناعة الـتي فيهمـا بهجتـه. وفي كـل الأشـياء التعيسـة الـتي حـدثت معـه لاحقـاً، فقـد كـان هـو القائـد. ورأى كثـيرٌ مـن النـاس بـأن سـبب ذلـك الخـرق في بيـت فينـوي. هـو، لـو أن فينـوي تحمـل خسـارته بفقـدان زوجتـه واحتـوى هـذا الابـن الجبـار. لكـان بالإمكـان أن تكـون طـرق فيـانور مختلفـة، وربمـا كـان قـد منـع وقـوع الشـرّ العظـيم فيمـا بعـد. فمـازال الحـزن والفتنـة الـتي حـدثت في بيـت فينـوي، محفـورة في ذاكـرة الجـان النولـدورين كلهـم. لكـن أبنـاء اينـديس كـانوا أيضـاً عظمـاء وممجـدون هـم وأبنـاؤهم. ولـولاهم لمـا كـان في تـاريخ إيلـدار الكثـير ليـذكر فيما بعد.

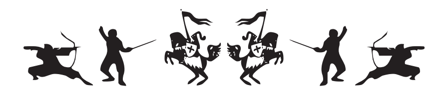
بينمـا كـان فيـانور وحرفيـو نولـدور يعملـون بلـذّةٍ، غـير متـوقعين لمـا سـتؤول إليـه أعمـالهم. وأبنـاء اينـديس كـبروا وبلغـوا أشـدّهم. وكـأن ڤـالينور تسـير إلى نهايـة مجـدها. فقـد صـدرت أوامـر الڤـالار بـأن يُخلـى سـبيل ميلكـور الـذي أكمـل مـدة سـجنه بإقامتـه لمـدة ثلاثـة عصـورٍ طويلـة، مكرهـاً في قاعـات مانـدوز لوحـده. وكمـا كـان وعـد مـانوي بأنـه يجـب أن يجلـب ثانيـة أمـام عـروش الڤـالار. فعنـدما رأى مجـدهم ونعمـتهم ازداد الحسـد في قلبـه ونظـر إلى أبنـاء إلوڤاتـار الـذين يجلسـون تحـت ظـل عـالم الڤـالار الهائـل وقـد ملأتـه الكراهيـة. نظـر أيضـاً علـى ثـروة المجوهرات اللامعة فاشتهاهم لنفسه، لكنه أخفى كل ذلك وأجَّل انتقامه.

أمـام بوابـة ڤالمـار ركـع ميلكـور عنـد أقـدام مـانوي مـذللاً نفسـه طالبـاً للعفـو. وأقسـم بأنـه لـو تُركـت لـه حريـة أقـل مـن حريـة شـعب ڤـالينور، فإنـه سيسـاعد الڤـالار في كـل أعمـالهم، والأهـم مـن ذلـك، فإنـه سـيعينهم علـى عـلاج الكثـير مـن الأذى الـذي سـببه للعـالم. تشـفعت لـه نايننـا في توسلاته لمانوي لكن ماندوز بقي صامتاً.

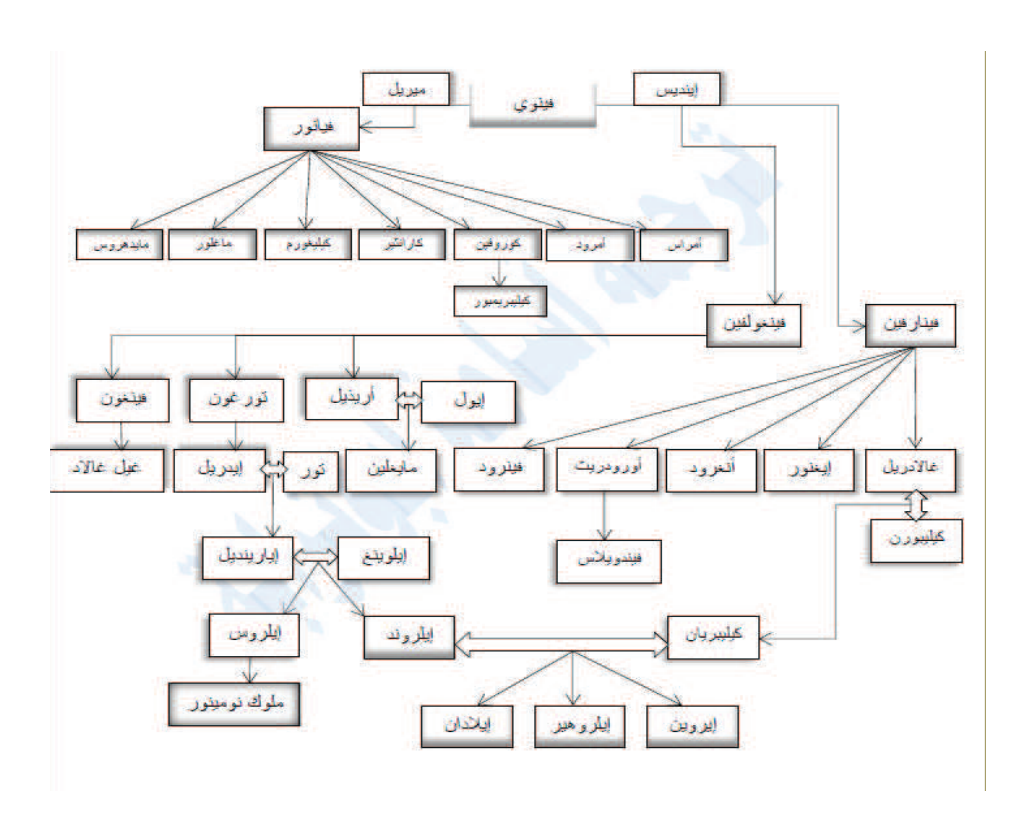
مـنح مـانوي العفـو لميلكـور، ولم يعـاني منـه الڤـالار إلا بعـد أن ابتعـد عـن بصـرهم ويقظـتهم. أُجـبر ميلكـور علـى السـكن ضـمن بوابـات ڤالمـار، فبـدا صـافي السـريرة، نقيـاً في أعمالـه وكلامـه في ذلـك الوقـت. واسـتفاد كـلٌ مـن الڤـالار وإيلـدار مـن مسـاعداته وآرائـه. لـذا فإنـه عنـدما طلـب إذنـاً للـذهاب والتجـول بحريـة حـول الأرض سمحـوا لـه بـذلك. فقـد بـدا لمـانوي بـأن شـرور ميلكـور قـد عولجـت. لأن مـانوي كـان خاليـا تمامـاً مـن الشـر ولم يكـن باسـتطاعته أن يفهمـه. ذلـك معـروف منـذ البدايـة في فكـر إلوڤاتـار. لكـن لأن ميلكـور كـان كمـا هـو، فلـم يـتمكن مـانوي مـن رؤيـة أعمـاق قلـب ميلكـور، ولم يـدرك أن كـل تلـك المحبـة قـد غادرتـه إلى الأبـد. لكـن أولمـو لم ينخـدع بـه، وتولكـاس كـان يشـد قبضـتيه كلمـا رأى خصـمه ميلكـور يعـبر مـن أمامـه، صـحيح أن تولكـاس قـد يأخـذ وقتـاً ليغضـب لكنـه لا ينسـى الأذيـة بسـهولة، ولكنهمـا مـع ذلـك أطاعـا قـرار مـانوي. لأن المـدافعين عـن السـلطة ضـد أي تمـرد يجـب أن لا يكونـوا هـم أنفسهم متمردين عليها.

في قلـب ميلكـور كـره وحقـد علـى إيلـدار أكثـر مـن الجميـع. لسـببين لأنهـم أنقيـاء ومبتهجـون ولأنـه رأى فـيهم سـبب رفعـة وعـزة الڤـالار وهزيمتـه هـو، لـذلك اختلـق حبـاً لهـم وأراد صـداقتهم. وقـدم عـروض خدماتـه لهـم في العلـم وفي أي عمـل عظـيم يعملـوه. أمـا ڤانيـار ففـي الحقيقـة سـاورهم الشـك. لـذلك سـكنوا في ضـوء الأشـجار وكـانوا راضـين وقـانعين. أعطـى ميلكـور القليـل مـن الإنتبـاه إلى تيلـيري. فقـد كـان يضـنهم لا يسـتحقون إلا القليـل، وبـأنهم سـيكونون أدوات ضـعيفة جـداً لتنفيـذ أهدافـه. علـى عكـس نولـدور الـذين وثقـوا بأنـه يمكـن أن يكشـف لهـم المعرفـة المخفيـة وقـد أصـغى بعضـهم لكلامـه، مـع أنـه كـان مـن الأفضـل لهـم عـدم الاسـتماع لـه. في الحقيقـة كـان ميلكـور قـد صـرّح بـأن فيـانور تعلـم منـه الكثـير مـن الفنـون بالسـرّ، وأنـه أي ميلكـور هـو الـذي أوعـز إليـه في صـناعة أعظـم أعمالـه. لكنـه كـان كاذبـاً في ذلـك بسـبب حسـده وشـهوته وحقـده. فلـم يكـره ميلكـور أحـد مـن إيلـدالي كمـا كـان يكرهـه فيـانور بـن فَينـوي، وهـو أول مـن سمـاه مورغـوث، وهـذا الكـره هـو الـذي أوقـع فيـانور فيمـا بعـد في شـرك شـبكات حقـد ميلكـور بـالتمرد ضـد الڤـالار، فهـو لم يتحـدث معـه ولم يأخـذ منـه أي

استشـاره. لـذلك كـان فيـانور مسـيّراً بنـار قلبـه فقـط، وكـان يعمـل لوحـده وبسـرعة، ولم يطلـب المسـاعدة أو الاستشـارة مـن أحـد سـكان أمـان، عظيمـاً كـان أو صـغيراً. باسـتثناء فقـط ولفـترة قصيرة، طلب مساعدة زوجته الحكيمة نيردانيل.



نـورد فيمـايلي شـجرة عائلـة فينـوي، والـتي تنحـدر منهـا سـلالة ملـوك نومينـور ثم فيمـا بعـد نشأت منها سلالة ملوك البشر.




الشكل (٣) شجرة عائلة فينوي

## الفصل السابع

# السِيلماريلسْ والفتنة في نُولدورْ

أتـت شـهرة الجـان في أعمـال الصـناعة مـن تلـك الأيـام بسـبب فيـانور. فقـد امتلـك كـل الفكـر المتنـور والجديـد. أو قـد يكـون ذلـك بعـض ظـل المعرفـة المسـبقة الـتي أتـت إليـه مـن المصـير الـذي بـدأ يقـترب. فكـان يتأمـل ضـوء الأشـجار الـذي هـو مجـد الأرض المباركـة، وكيـف يسـتطيع الإبقـاء علـى ذلـك الضـوء خالـداً ؟ لـذا بـدأ بالعمـل السـري الطويـل. مسـتدعياً كـل علمة وقوته ومهاراته الخفية. وفي النهاية صنع السيلماريلس.

كانـت السـيلماريلس كـثلاث جـواهر عظيمـة في الشـكل فقـط، أمـا مـادتهم فهـي غـير معروفـة، لأن فيـانور لم يخـبر أحـد عـن هـذا السـر فهـل سـتكون معروفـة عنـدما يعـود فيـانور وهـو الـذي مـات قبـل أن تُخلـق الشـمس، ويجلـس الآن في قاعـات الانتظـار ولـن يعـود ثانيـة بـين أهلـه وعشـيرته. لكـن إلى أن تفـنى الشـمس ويسـقط القمـر، لـن يكـون معروفـاً لأحـد مـاهي المـادة الـتي صـنعوا منهـا. تبـدو السـيلماريلس للنـاظر إليهـا مثـل بلـورات المـاس، صـلبة جـداً كصـلابة الحجـر، فـلا يمكـن لأي قـوة ضـمن مملكـة أردا أن تكسـرهم أو تشـوه شـكلهم. أمّـا البلـورة المحتويـة للسـيلماريلس فهـي تشـبه الجسـد بالنسـبة لأبنـاء إلوفاتـار، لأنهـا بيـت نـاره الداخليـة، وهـذه النـار كائنـةً ضـمنه وفي كـل أجزائـه وهـي أيضـاً سـبب حياتـه. صـنع فيـانور النـار الداخليـة للسـيلماريلس مـن الضـوء الممـزوج لأشـجار ڤـالينور. وهـذا الضـوء مـازال يعـيش فـيهم لحـد الآن مـع أن الأشـجار ذبلـت منـذ مـدة طويلـة ولم تعـد تشـرق. لـذلك حـتى في ظـلام أعمـق الخـزائن. تشـرق جـواهر السـيلماريلس مـن ذاتهـا مثـل نجـوم ڤـاردا. وفـوق ذلـك كلـه تشـعر بـأن السـيلماريلس وكـأنهم فعـلاً أشـياء حيّـة، ابتهجـوا بالضـوء فاسـتقبلوه وعكسـوه بأشـكال أكثـر روعة من قبل.

كـل مـن سـكن في أمـان مُلـئ بالأعجوبـة والبهجـة مـن عمـل فيـانور. وقدسـت ڤـاردا السـيلماريلس. لـذلك فـلا يمكـن فيمـا بعـد لأي بشـري هالـك أو أيـادي نجسـة أو أي شـيء

مـــن الشـــر يمســـهم إلا أن يـــذبل ويحـــترق. وتنبـــأ مانـــدوز بـــأن مصـــير الســـيلماريلس في أردا سـيكون. في الأرض والبحـر والهـواء. وهـو محبـوس بـداخل السـيلماريلس. وسـرعان مـا تعلـق قلب فيانور بهذه الأشياء التي صنعها.

اشـتهى ميلكـور السـيلماريلس لنفسـه، فمجـرد التفكـير بهـم كـان يشـعل النـار في قلبـه. ومنـذ ذلـك الوقـت التهبـت هـذه الرغبـة وكانـت لهفتـه دائمـة لامـتلاكهم، فكيـف يجـب عليـه أن يحطـم فيـانور، وينهـي صـداقة الڤـالار مـع الجـان، ولكنـه أخفـى أهدافـه بمكـر. فـلا يمكـن أن يكـون لحقـده حـدود، أو تصـور للمظهـر الـذي يرتديـه ذلـك الحقـد. عمـل ميلكـور لمـدة طويلـة علـى ذلـك، بدايـةً كـان عملـه بطيئـاً وقـاحلاً، لكـن في النهايـة لم تفتقـر الأكاذيـب الـتي زرعهـا للحصـاد. بـل في الحقيقـة فإنـه عمـا قريـب سـيرتاح هـو مـن الكـدح بينمـا يحصـد الآخـرون ويبـذروا بـدلاً عنـه. ودائمـاً يجـد ميلكـور بعـض الآذان الـتي تحترمـه وبعـض الألسـن الـتي تضـخم مـا تسـمعه منـه. فأكاذيبـه مـرت مـن الصـديق إلى الصـديق كالأسـرار المثبتـة بمعرفـة حكمـة المتحدث. وفي الأيام القادمة ستعمل كل نولدور بمرارة لكي يكفروا عن حماقة إصغائهم له.

عنـدما رأى ميلكـور بـأن غالبيـة الشـعب مـالوا إليـه، راح يمشـي بيـنهم، ويرمـي الأكاذيـب المغلفـة بـالكلام المنمـق، فاسـتطاع بمهارتـه ودهائـه أن يـوحي إلـيهم بـأن هـذه الأكاذيـب مـا هـي إلا رؤيـا مـن ذاكـرة أفكـارهم، فكـم مـن العـوالم الهائلـة الـتي يمكـن أن يخضـعوها لإرادتهـم بالسـلطة والحريـة في الشـرق. وبعـدها راح يهمـس بـين النـاس بـأن الڤـالار جلبـوا إيلـدار إلى أمـان بسـبب حسـدهم وغـيرتهم. لأنهـم كـانوا خـائفين مـن جمـال كوينـدي، وبـأن قـدرة الخلـق الـتي أورثهـم إياهـا إلوڤاتـار، سـتزداد أكثـر مـن قـدرة سـيطرة الڤـالار مـع ازديـاد انتشـار الجـان في أراضي العالم الواسعة.

وفي تلـك الأيـام بـالرغم مـن معرفـة الڤـالار بحقيقـة مجـيء البشـر. إلا أن الجـان لم يعرفـوا شـيئاً عـن مجـيء البشـر، لأن مـانوي لم يكشـف لهـم لحـد الآن عـن هـذا الموضـوع. لكـن ميلكـور أخـبر الجـان عـن سـر البشـر الفـانين، وأوحـى إلـيهم بـأن صـمت الڤـالار سـيغلفهم بالشـر. ويـذكر أيضـاً بـأن ميلكـور نفسـه لا يعـرف إلا القليـل عـن سـر البشـر لأنـه كـان منشـغلاً بأفكـاره الخاصـة في الموسـيقى، ولم يعـطِ إلا القليـل مـن الانتبـاه لموضـوع إلوڤاتـار الثالـث. أمّـا الآن، فالسـر الـذي أخفـاه مـانوي في السـابق، قـد خـرج للعلـن وأصـبح معلومـاً بـين الجـان. فأولئـك البشـر سـوف يـأتون ويحلـون محلهـم في ممالـك الأرض الوسـطى. لأن الڤـالار يـروا بأنـه مـن السـهولة السـيطرة علـى هـذا الجـنس الضـعيف قصـير العمـر، والاحتيـال علـى الجـان مـن أجـل

مـيراث إلوڤاتـار. وفي ذلـك كـان بعـض الحقيقـة، فقلمـا أثّـرت سـيطرة الڤـالار علـى إرادات البشر. لكن أغلبية نولدور كانوا مصدقين أو شبه مصدقين لكلمات ميلكور الشريرة.

وهكـذا قبـل أن يـدرك الڤـالار بـأن السـلام في ڤـالينور أصبـح مُسـمّماً. كانـت نولـدور قـد بـدأت بالتـذمر مـنهم، وأصـبحت أكثريـة نولـدور متغطرسـة. فتناسـوا بـأن المعـارف الـتي اكتسـبوها كانـت عبـارة عـن هـدايا مـن الڤـالار. واشـتعلت رغبـة عنيفـة وجديـدة في قلـب فيـانور المتلهـف للعـالم الأوسـع وللحريـة. فضـحك ميلكـور في سـره لأن مؤشـرات أكاذيبـه اتجهـت نحـو بغـض فيـانور قبـل كـل شـيء والشـهوة الدائمـة للحصـول علـى السـيلماريلس. لكـن في هـذه لم يكـن يعـاني مـن الاقـتراب منهـا، لأن فيـانور كـان يلبسـهم فـوق حاجبيـه أثنـاء الأعيـاد العظيمـة. وفي الأوقـات الأخـرى كـان يقفـل علـيهم في غـرف الكنـوز العميقـة في تيريـون تحـت الحراسـة المشـددة. فقـد بـدأ حـبٌ طمـاع عنـد فيـانور للسـيلماريلس. ولم يكـن يسـمح لأحـد بـالنظر إلـيهم إلا أبيـه وأبنائـه السـبعة فقـط. وقلمـا تَـذكّرَ بـأن الضـوء الـذي تصـدره لم يكـن ملكـه وحده بل ملك الجميع.

كـان فيـانور وفينغـولفين ابنـا فينـوي الكبـيرين مـن الأمـراء العـاليين وكانـا مبجلـين بكـل أمـان. لكنهمـا شـبّا علـى الفخـر والغـيرة في حقـوقهم وأملاكهـم. نسـج ميلكـور أكاذيـب جديـدة ونشـرها علـى كامـل رقعـة إيلـدامار. وتقـول هـذه الأكاذيـب، بـأن فينغـولفين وأبنـاءه يخططـون لاغتصـاب حـق فيـانور ونسـله في ولايـة عهـد عـرش فينـوي بعـد أخـذ موافقـة الڤـالار علـى ذلـك، لأن الڤـالار كـانوا غـير ممتنـين مـن فيـانور لأنـه يحتفظ بالسـيلماريلس في تيريـون ولم يعهـد للڤـالار بحفظهـا. أوصـل ميلكـور هـذه الاشـاعات في النهايـة إلى فيـانور. أمـا لأخويـه فينغـولفين وفينـارفين فقـال لهمـا: علـيكم أن تحـذرا مـن ابـن ميريـل المتفـاخر الـذي كـان يكـره أبنـاء اينـديس قلـيلاً. أمـا الآن فقـد أصبـح هـذا الكـره عظيمـاً، ولطالمـا كـان أبـوه دائمـاً في صـفه فسـوف لـن تكون المدة طويلة قبل أن يطردكما من تونا.

أدرك ميلكـور بـأن أكاذيبـه نجحـت في زرع الفرقـة واسـتيقاظ الكبريـاء والغضـب في نولـدور، فـأخبرهم عـن أهميـة اقتنـاء الأسـلحة. بـدأت نولـدور بحـدادة السـيوف والفـؤوس والرمـاح منـذ ذلـك الوقـت. ونقشـوا علـى الـدروع الكثـير مـن الرمـوز الـتي تحـدد بيـوتهم وعشـائرهم ومنافسـة كـل عشـيرة للأخـرى، ولم يظهـروا للعلـن مـن أسـلحتهم إلا هـذه الـدروع، فكـل واحـد مـنهم اعتقـد بأنـه هـو وحـده مـن استلم التحـذير. أمـا فيـانور فقـد صـنع كـور حـدادة سـري، حـتى أن ميلكـور لم يكـن يعلـم بوجـوده، وهنـاك دق السـيوف وسـقاها لـه ولأبنائـه. وصـنع خـوذات

طويلـة بريشـات حمـراء. نـدم ماهتـان كثـيراً علـى ذلـك اليـوم الـذي عَلَّـمَ فيـه زوج نيردانيـل كـلَّ أساليب علم التعدين الذي لَقَنهُ إياه أوليي.

هكـذا وبسـبب أكاذيـب ميلكـور وهمسـاته الشـريرة وآراءه الزائفـة، أوقـدت قلـوب نولـدور للفتنـة، وأدت هـذه النزاعـات في النهايـة إلى أفـول أيـام مجـد ڤـالينور القـديم. لأن فيـانور بـدأ يـتكلم وبشـكل صـريح عـن التمـرد ضـد القـالار، ويصـرخ بالصـوت العـالي بأنـه سـيغادر ڤـالينور عائداً إلى عالم خالي وبأنه سينقذ نولدور من العبودية إذا تبعوه.

بعـد ذلـك حصـلت بلبلـة كبـيرة في تيريـون وانـزعج الملـك فَينـوي فاسـتدعى كـل سـادات نولـدور إلى المجلـس للتشـاور. سـارع فينغـولفين بالـذهاب إلى قاعـات فينـوي ووقـف أمـام المجلـس قـائلاً: أبي ومليكـي، هـل أنـت ضـعيف حقـاً حـتى لا تسـتطيع مقاومـة تفـاخر أخينـا كوروفينـوي الـذي يـدعى روح النـار ؟ وبـأي حـقٍ يـتكلم باسـم شـعبنا كمـا لـو كـان ملكـاً ؟ منـذ زمـن طويـل، عنـدما أرسـل إلـيهم القـالار ليقبلـوا الاسـتدعاء إلى أمـان، كنـت أنـت النـاطق باسـم هـذا الشـعب أمـام كوينـدي وأنـت مـن قـاد نولـدور علـى الطريـق الطويـل مـن مخـاطر الأرض الوسـطى إلى نـور إيلـدامار. فـإذا لم تطلـب منـه التوبـة عـن ذلـك، فعنـدك علـى الأقـل ابنـان غـير فيـانور يحترمان كلامك.

لكـن في الوقـت الـذي كـان يتحـدث فيـه فينغـولفين أمـام المجلـس، كـان فيـانور يتمشـى بسـلاحه الكامـل وخوذتـه علـى رأسـه وسـيفه الجبـار علـى جانبـه، فقـال لأخيـه: هكـذا إذاً، كمـا توقعـت! أخـي غـير الشـقيق، سـيكون قبلـي عنـد أبي، في هـذه كمـا في بقيـة الأمـور، ثم سـحب سـيفه وقام بمهاجمة فينغولفين وهو يصرخ قائلاً: خذ نفسك واذهب إلى المكان الذي يناسبك.

انحنى فينغـولفين أمـام فَينـوي وغـادر المجلـس بـدون أيـة كلمـه أو نظـرة لفيـانور. لكـن فيـانور تبعـه وأوقفـه عنـد بـاب بيـت الملـك واضـعاً رأس سـيفه اللامـع علـى صـدر فينغـولفين. وقـال انظـر يـا أخـي غـير الشـقيق: هـذا السـيف أَحَـدُّ مـن لسـانك. حـاول مـرة أخـرى اغتصـاب مكـاني ومحبـة أبي، فربما سيخلص هذا السيف نولدور من واحد كان يسعى لأن يكون سيد العبودية.

سمـع كثـيرون هـذه الكلمـات لأن بيـت فَينـوي كـان في السـاحة الكبـيرة تحـت مينـدون. ومـرة ثانيـة لم يَـرُدَّ فينغـولفين بأيـة كلمـة. ثم مـرَّ مـن خـلال الحشـد بصـمت وذهـب قاصـداً أخـاه فينارفين.

في الحقيقـة لم تكـن الفتنـة في نولـدور خافيـةً عـن القـالار، لكـن بـذورها كانـت قـد بُـذرت في الظـلام. فمنـذ أن تكلـم فيـانور بشـكل سـافر ضـدهم، وهـم مـدركين بـأن محـرك السـخط

ضـدهم سـيكون فيـانور لكونـه مشـهورٌ وقـوي الإرادة ومتغطـرس. مـع أن كـل نولـدور أصـبحوا متكـبرين. حـزن مـانوي وكـان يراقـب كـل شـيء لكنـه لم يقـل أيـة كلمـة. فالڤـالار كـانوا قـد أحضـروا إيلـدار إلى أرضـهم بحريـة إمـا للسـكن أو للمغـادرة. ومـع أنهـم قـد يرتكبـون حماقـة بالمغـادرة، لكـن مـع ذلـك فلـن يمنعـوهم مـن الرحيـل. لكـن بالمقابـل لا يمكـن لأفعـال فيـانور هـذه أن تمـر دون عقـاب. فلقـد كـان الڤـالار غاضـبين ومسـتائين مـن أعمالـه، لـذلك اسـتدعوه للمثـول أمـامهم عنـد أبـواب ڤاليمـار، لتوضـيح كـل كلامـه وأفعالـه. واسـتدعوا معـه إلى هنـاك أيضـاً كـل شـخصٍ كانـت لديـه معلومـةً عـن أي جـزء مـن هـذه المسـأله أو أي شـيء عنهـا. وقـف فيـانور أمـام مانـدوز في دائـرة الحسـاب وأُمـر بـأن يجيـب علـى كـل الأسـئلة. وعنـد إجاباتـه علـى أسـئلة الڤـالار انكشـف أسـاس المشـكلة وانكشـف معهـا خبـث ميلكـور. وحـالاً غـادر تولكـاس المجلـس مسـرعاً ليلقـي القـبض علـى ميلكـور ويجلبـه إلى القضـاء ثانيـةً. بالمقابـل فـإن فيـانور لم يكـن بريئـاً لأنـه كسـر سـلام ڤـالينور، وسـحب سـيفه علـى قريبـه. فقـال لـه مانـدوز: تـتكلم عـن العبوديـة. فلـو كانـت هنـاك عبوديـة فـلا يمكنـك الهـرب منهـا، لأن مـانوي هـو ملـك أردا ولـيس ملـك أمـان فقـط. وعملـك هـذا غـير شـرعي. لا في أمـان أو لا في غيرهـا. لـذا فجـزاؤك مـا يلـي: سـترحل عـن تيريـون وهـي المكـان الـذي تلفظـت بـه بتهديـداتك ولمـدة اثنـتي عشـرة سـنه، وفي تلـك الفـترة تشـاور نفسـك وتتـذكر كيـف سـيكون طريقـك، لكـن بعـد ذلـك الوقت فإن هذه المسألة يجب أن تُحل بسلام، وتحمل الصلح إذا اطلق الآخرون سراحك.

عنـدها قـال فينغـولفين: أنـا سـأعفو عـن أخـي. لكـن فيـانور لم يجـب بأيـة كلمـه. بـل بقـي صـامتاً أمام الڤالار، ثم استدار وترك المجلس راحلاً عن ڤاليمار.

ذهـب معـه إلى منفـاه أبنـاءه السـبعة. فصـنعوا هنالـك مكانـاً قويـاً وخزنـة في الـتلال الواقعـة في الجهـة الشـمالية مـن ڤـالينور. وهنـاك في فورمينـوس كـانوا قـد خزنـوا الكثـير مـن المجـوهرات والأسـلحة أيضـاَ. وأقفلـوا علـى السـيلماريلس في غرفـة مـن حديـد. ثم تـبعهم إلى هنـاك أيضـاً الملـك فَينـوي. بسـبب حُبـهِ لفيـانور. ونصّـب بـدلاً عنـه فينغـولفين كحـاكمٍ لنـودور في تـيرون. وهكـذا أظهـرت الحقيقـة أكاذيـب ميلكـور. علـى الـرغم مـن أن أفعـال فيـانور هـي الـتي سمحـت لهـذه الأكاذيـب بـأن تعـيش. فقـد عاشـت الآلام الـتي زرعهـا ميلكـور طـويلاً بعـد ذلـك واستمرت بين أبناء فينغولفين وأبناء فيانور.

علـم ميلكـور بـأن مكائـده قـد كشـفت فـأخفى نفسـه وراح ينتقـل مـن مكـان إلى مكـان آخـر كغيمـة فـوق الـتلال. بحـث عنـه تولكـاس كثـيراً لكـن دون جـدوى. بعـد ذلـك بـدا إلى شـعب

ڤالينور بأن ضوء الأشجار أصبح خافتاً في ذلك الوقت. وأصبحت معه ظلال كل الأشياء الواقفه طويلةً وقاتمةً أكثر.

يروى بأنه ولفترة من الوقت لم يعد يُرى ميلكور ثانية في ڤالينور ولم تسمع عنه أخبارٌ أبداً. حتى ظهر فجأةً في فورمينوس، فتكلم مع فيانور أمام الباب مختلقاً صداقَّة بحجج وخدع. وأخذ يحث فيانور على تكرار تفكيره السابق والإفلات من قيود الڤالار، وقال له: ها هي الحقيقة تظهر في كل ما كلمتك به، وكيف كانت طريقة نفيك ظالمةً، لكن إذا كان لايزال قلب فيانور حراً وجريئاً كما كان كلامه في تيريون. فأنا سأساعده وأبعده عن هذه الأراضي الهزيلة الضيقة. ألست أنا ڤالا أيضاً ؟ نعم إنني ڤالا أكثر من أولئك الذين يجلسون متفاخرين في ڤاليمار، وقد كنت فيما مضى صديقاً لنولدور أمهر شعوب أردا وأكثرها شجاعةً.

مازال قلب فيانور يعاني من مرارة إذلال ماندوز له، فأخذ ينظر إلى ميلكور في صمت ويتأمل إذا كان سيثق به مرة أخرى لمساعدته على الفرار. لاحظ ميلكور هذا التردد لدى فيانور، ويعلم بأن السيلماريلس كانت قد استولت على عقل فيانور واستعبدت قلبه. فقال له أخيراً: صحيح أن هذا المكان قوي ومحروس بشكل جيد جداً. لكن لا أعتقد بأنه يوجد خزنة آمنة للسيلماريلس في كل مملكة الڤالار.

لكن في هذه المره فقد جاوز مكرهُ كلّ حد، لأن كلماته لامست الأعماق، وأيقظت ناراً أكثر مما كان يتصور. عندها نظر إليه فيانور بعيونه التي لمعت وهي ترى مظهره الصافي مخترقةً كل الحُجب عن عقله. وأدرك رغبة ميلكور العنيفة للسيلماريلس، فتغلبت كراهية فيانور على خوفه. وقام بلعن ميلكور وطرده قائلاً: ابتعد عن بابي اذهب يا سجين ماندوز. ثم أقفل باب بيته بوجه الشخص الأكثر جبروتاً من بين كل ساكني إيا.

غادر ميلكور مخزياً لأنه هو نفسه كان في خطر. ورأى بأنه لم يأتِ وقت الانتقام بعد. لكن قلبه كان مسوّداً من الغضب. خاف فَينوي كثيراً وأرسل إلى مانوي في ڤالمار.

كان الڤالار جالسون في المجلس خلف أبوابهم خائفين من ازدياد طول الظلال، عندما جاءتهم الرسل من فورمينوس وحالاً وقف كلٌ من أورومي وتولكاس. وبينما هما كذلك يستعدان لملاحقة ميلكور جاء آخرون من إيلدامار، وأخبروهم بأن ميلكور قد هرب من خلال كالاكيريا، فقد شاهده الجان من تل تونا وهو يعبر بغضب مثل غيوم الرعد القاتمة.

وقـالوا أيضـاً بأنـه اسـتدار مـن هنـاك نحـو الشـمال. لأن تيلـيري السـاكنين في ألكوالونـدي شاهدوا الظلال تمر من خلال مرفأهم باتجاه أرامان.

هكـذا غـادر ميلكـور أرض ڤـالينور. ولفـترة مـن الوقـت عـاد إشـراق الشـجرتين غـير مظللتـين. وامـتلأت الأرض مجـدداً بالضـوء، وعبثـاً حـاول الڤـالار معرفـة أخبـار عـدوهم لكـن كـل ذلـك كـان دون جـدوى. فقـد كانـت أخبـاره بعيـدة كغيمـة عاليـة تلـوح في الأفـق البعيـد، ولـدت علـى ريـح بطيئـة بـاردة. أفسـد الشـك بهجـة سـكان أمـان لخـوفهم وجهلهـم مـن كميـة الشـرِّ المتربصـة بهـم.



## الفصل الثامن

# تعتيم ڤالينور

عنـدما سَمِعَ مـانوي عـن الطـرقِ الـتي سـلكها ميلكـور، بَـدا واضـحاً لـه بـأن ميلكـور قـد صـمّمَ علـى الهـرب إلى معاقلِـه القديمـةِ شمـال الأرض الوسـطى. لـذلك ذهـب أورومـي وتولكـاس بأقصـى سـرعة نحـو الشـمال بغيـة اللحـاق بـه. لكنهمـا لم يجـدا أي أثـر أو إشـاعة خلـف شـواطئ تيلـيري، في القفـار الخاليـة مـن السـكانِ الـتي كانـت قريبـةً مـن المنـاطق المتجمـدة. بعـد ذلـك ضـاعفوا المراقبـة علـى طـول الحـدود الشـماليةِ لأراضـي أمـان، لكـن مـن دون نتيجـة، لأن ميلكـور كـان قـد عـاد ومـرّ بسـريةٍ مبتعـداً إلى الجنـوبِ قبـل وضـع المراقبـة. ولأنـه واحـد مـن الڤـالار فبإمكانـه تغيـير شـكلَه، أَو السـير عاريـاً كأحـد أخوتـه. مـع ذلـك، فـإن تلـك القـوَّةِ سيفقدها قريباً وإلى الأبد.

هكـذا جـاءَ ميلكـور أخـيراً غـير مرئـيٍ إلى المنطقـةِ المظلمـةِ مـن أفاثـار. وهـي تلـك الأرض الضـيقة الممتـدة إلى الجنـوب مـن خلـيج إيلـدامار، تحـت السـفوح الشـرقية لجبـال بيلـوري. وتمتـد شـواطئَها الطويلـة الكئيبـةً إلى الجنـوب. كانـت هـذه الشـواطئ معتمـة وغـير مكتشـفه. هنـاك تحـت المنحـدرات الحـادة للجبـال وبـرودة البحـر المظلـم، كَانـتْ الظـلال أعمـق وأثخـن مـن أي منطقـة في العـالمِ، وهنـاك في أفاثـار وبشـكل سـريٍّ ومجهـول، صـنعت أونغوليانـت مسـكنها. لم يعـرف إيلـدار مـن أيـن أتـت. لكـن البعض قـالوا بأنها كانـت مـن أوائـل المخلوقـات الـتي حرفهـا ميلكـور مـن أجـل خدمتـه، أثنـاء الـزمن القـديم عنـدما نظـر ميلكـور بدايـةً بالحسـد لمملكـة مـانوي في أردا. لكـن أنغوليانـت رَفضـتْ تَمَلُّـكَ سـيِّدَها لأَنها كانـت راغبـةً بـأنْ تكـونَ سَـيدةَ شـهوتها. فَأَخـذتْ كـلَّ شـيءٍ لنفسـها ولإشـباعِ جوعِهـا، وكانَـتْ قَـدْ هَرَبَـتْ إلى الجنـوبِ للإفـلاتِ مـنْ اعتـداءاتِ الڤـالار وصـيادوْ أورومـي. ولأن الڤـالار كـانوا قـد أعطـوا انتبـاهَهُمْ للشَّـمالِ فقـطْ ولمْ ينتبهـوا كثـيراً للجنـوبْ، فقـد تسـللت أونغوليانـت مِـنْ هنـاكَ إلى المملكـةِ المباركةْ لأنها كانت جائعة للضوءِ لكنها تكرههُ أيضاً بنفسِ الوقتْ.

عاشت أونغوليانت في الوادي وتشكلتْ كعنكبوتٍ لها شكلٌ بشعٌ، تنسجُ شبكاتها السودْ في شقوقِ الجبالْ. هناك امتصت كلَّ الضوءِ الموجود، ثم عادتْ ونسجتْ عليها ثانيةً شبكاتٍ مظلمةٍ خانقةٍ وكئيبة. حتى لا يتمكنَّ الضوءُ من الدخولِ أكثرَ إلى مسكنها. ودائماً ما تكونُ جائعةً فهي لا تشبعْ.

جاءَ ميلكور إلى أفاثار ساعياً لإخراجها من مسكنها. فقد وضعَ على نفسهِ ثانيةً الشكلِ الذي ظهر فيه كطاغية في أوتومنو، سيد الظلام طويل القامة المرعبْ. وعلى هذه الهيئة بقي شكله إلى الأبد. هناك في الظلال السوداء، تآمر ميلكور مَع أونغوليانت لكي ينتقم من الفالار. خلف كل الأبصار حتى عن بصر مانوي من قاعاتِه العليا. ولكنها عندما فَهِمَت أهداف ميلكور، تمُزّقتْ بين الشهوة والخوف العظيم وقالت بأنها لن تتحرك من مخبأها، لأنها كانت تكره تحدي الخطر والقوة المروعة لسادة أمان. عندئذ قال لها ميلكور: افعلي ما أطلبه منك، وإن بقيتي جائعة بعد أن ينتهي كل شيء، فعندها كل ما تشتهيه وتطلبيه مني سأقدمه لك، نعم وبكلتا يدي، وأقسم على ذلك. ثم أقسم بخفةٍ بأنه سيوفي عهده معها، كما فعل فيما سبق، لكنه ضحك في قلبه. فهكذا يَنْصُبُ اللص الأكبر الفخ إلى اللِّص الأصغر.

نسجت أونغوليانت غطاءً من الظلام حولهما عندما خرجت هي وميلكور. فبدون الضوء تكون كل الأشياء غير واضحه، ولا تستطيع أية عيون أن ترى شيئاً. ثم بدأت ببطء تنسج شباكها، حبلٌ بحبلٍ من شقٍ إلى شق، من نتوء صخرة إلى ذروة الحجارة، متسلقةً دائماً للأعلى، تزحف وتتعلق حتى وصلت إلى قمة هايرمينتير تماماً، وهو أعلى جبل في تلك المنطقةِ مِنْ العالِم. ويقع أقصى جنوب تَني كويتيل العظيم. هناك لم يكن الفالار متيقظين لأنه في الغرب من بيلوري كانت تقع أراضي الغسق الفارغة، ومن الجهة الشرقية تطل عليها الجبال باستثناء أفاثار المنسية، ومياه البحر المظلم الذي لا ممرات له. استلقت أونغوليانت المظلمه على قمة الجبل، وصنعت سلماً من الحبال المجدولة ثم ألقته لميلكور، تسلق ميلكور عليه حتى وصل إلى القمة ثم وقف بجانبها ينظر إلى المملكة المحروسة. وتحتهم مباشرةً كانت تقع غابة أورومي. ومن غربهم تلمع حقول ومراعي يافانَا والسنابل الذهبية لقمح الآلهة الطويل. نظر ميلكور نظرة خاطفة إلى الشمال فرأى من بعيد السهل المشرق وقباب فالمار الفضية تلمع من اختلاط أضواء تيلبيريون ولاوريلين. فضَحكَ جهورياً وقَفَزَ مسرعاً إلى أسفل المنحدراتِ الغربيةِ الطويلةِ وكانت أونغوليانت بجانبه والظلمة تغطيهما.

الآن وقت الاحتفال، كما يعرف ذلك ميلكور جيداً. على الرغم من أن المد والجزر وكل المواسم والفصول كانت بإرادة الڤالار ولم يكن هناك شتاءٌ قاتل في ڤالينور، مع كل هذا فقد سكن الڤالار في مملكة أردا – وماهي إلا مملكة صغيرة ضمن قاعات إيا. الذي حياته الزمن المتدفق دائماً عبر إيرو. من أول علامة موسيقية حتى آخر نغمة. (كما أخبرَتنا في آينولينداِلي).– وأخذوا شكل أبناء إلوڤاتار وتصرفوا مثلهم، في ارتداء الملابس والمأكل والمشرب، وجمع ثمار ياڤانَا من الأرض، وفعلوا كل ذلك تحت إيرو.

لذا فقد جعلت ياڤانَا أوقاتاً معينةً للإزهار وأخرى لإنضاج الأشياء التي تنمو في ڤالينور، وقد عمل مانوي عيداً لتمجيد إيرو، عند كل اجتماعٍ لجني أوائل الثمار. فكان يخرج كل شعب ڤالينور للاحتفال ويصنعون الموسيقى والأغاني على تَني كويتيل، والآن وقت الاحتفال. فقد أمر مانوي بأن يكون هذا العيد أكثر تمجيداً من كل الأعياد التي كانت منذ مجيء إيلدار إلى أرض أمان إلى الآن. مع أن هروب ميلكور كان ينذر بمجيء الهم والحزن. وبالحقيقة لا أحد يمكنه أن يتوقع أبعاد الحزن الذي سيقع على أردا، قبل أن تهدأ ثانيةً. وفي ذلك الوقت كان مانوي قد صمم على استئصال الشر الذي ظهر بين نولدور، فطلب من الجميع أن يأتوا إلى قاعاته على تَني كويتيل، وليضعوا الحزن الذي وقع بين أمرائهم جانباً، ولينسوا تماماً أكاذيب عدوهم. فجاءت إلى هناك كل ڤانيار ونولدور من تيريون وتجمَّع الميّار مع بعضهم، واصطف والڤالار بجمالهم وفخامتهم، وغنوا كلهم أمام مانوي وڤاردا في قاعاتهم العاليه. ورقصوا على السفوح الخضراء للجبل الذي يطل على الأشجار من جهة الغرب. وفي ذلك اليوم كانت شوارع ڤالمار خالية، وسلالم تيريون صامته، والأرض تغط في نومها بسلام. فقط تيليري بقوا وراء الجبال يغنون على شواطئ البحر، لأنهم لم يعيروا الفصول الكثير من الاهتمام. ولم يعطوا أي اهتمام لحكام أردا، أو للظلال التي سقطت على ڤالينور، لأنها لحد الآن لم تلامسهم بعد.

شيء واحد فقط أفسد تصميم مانوي، فقد جاء فيانور فعلاً لأن مانوي بعث إليه دعوة أمرهُ فيها بالمجيء. ولكن فينوي لم يأتِ لا هو ولا أي شخص آخر من النولدوريين المقيمين في فورمينوس، لأن فَينوي كان قد قال: سأحتفظ بنفسي مخلوعاً عن الحكم ولن ألتقي بأحد من شعبي مادام قرار نفي ابني عن تيريون قائماً. ولم يرتدي فيانور لباس الإحتفال ولا أية حلية أخرى أكانت من فضة أو ذهب أو أي حجر كريم آخر. وأنكر على الڤالار وإيلدار مشاهدة السيلماريلس، فأبقاهم محبوسين في غرفتهم الحديدية في فورمينوس. على

الرغم من ذلك فقد التقى مع فينغولفين وتصالح معه بالكلام وتصافحا أمام عرش مانوي. ولم يهتم فينغولفين أبداً لقضية سحب السيف عليه، فرفع يده قائلاً: كما وعدت فيما سبق ها أنا ذا الآن أوفي بوعدي وأحررك ولن أذكر أية شكوى.

سحب فيانور يده ولم ينطق بأية كلمة، لكن فينغولفين قال: أخٌ غير شقيق في الدم، أخ كامل في القلب هكذا سأكون، أنت القائد وأنا أتبعك، ولن تكون هناك تفرقة أو حزن كما مضى.

أجابه فيانور: سمعتك، هكذا سيكون. لكنهما لم يعرفا المعنى الذي ستؤدي إليه كلماتهما.

وقيل بأنه بينما كان فيانور وفَيْنْغولفَينْ واقفين أمام مانوي جاء اختلاط الأضواء الممزوج من إشراق الشجرتين. وامتلأت مدينة ڤالمار الصامتة بتألق الفضة والذهب. وفي تلك الساعة بالذات جاء ميلكور وأونغوليانت مسرعين عبر حقول ڤالينور. وكانا كظلال غيمة سوداء محمولة على أساطيل الريح إلى الأرض المضاءة بالنور. حتى وصلا إلى أمام التل الأخضر ايزيللوهار. عندها ارتفعت عتمة أونغوليانت حتى غطت جذور الأشجار. فقفز ميلكور على التل وضرب برمحه الأسود كل شجرة عميقاً في قلبها. فسال نزيفهما كالدم منسكباً على الأرض. لكن أونغوليانت امتصته وانتقلت هكذا من شجرة إلى أخرى ووضعت فمها الأسود على جراحهما حتى سحبت كل عصاراتهما وجففتهما، ثم نفثت فيهما سم الموت الذي كان فيها. فأذبلت الجذور والأوراق والفروع، ثم ماتتا. رغم كل ذلك فمازالت عطشى، لذلك ذهبت إلى آبار ڤاردا لتشربهم وتجففهم. وكانت أونغوليانت تتجشأ أبخرة سوداء كلما شربت. بقيت هكذا حتى انتفخت إلى شكل واسع قبيح. حتى إن ميلكور كان خائفاً منها.

حل الظلام العظيم على ڤالينور. وقد ذكرت أكثر أعمال ذلك اليوم في ألدوديناي،(رثاء الأشجار)، وهي المراثي التي قالها إيليميري من ڤانيار المعروف في كل إيلدار. رغم ذلك لا أغنية ولا حكاية كان بإمكانها احتواء الحزن والرعب الذي حدث يومها. فقد اختفى الضوء. وكان حلول الظلام بعد ذلك أكثر من فقدان الضوء. ففي تلك الساعة صُنع ظلامٌ بدا وكأنه لا يتناقص لكأنه شيء وجد من تلقاء نفسه. لأنه بالحقيقة خُلق بالحقد خارج الضوء. فكانت لدية القوة ليخترق العيون ثم يدخل إلى القلب والعقل ليخنقهما.

نظرت ڤاردا إلى أسفل تَني كويتيل فرأت الظل يرتفع فجأة كأبراج من الكآبة، لقد غرقت ڤالمار في بحر عميقٍ من الليل، وبعد قليل وقف الجبل المقدس وحيداً كجزيرة أخيرة للعالم

الـذي أُغـرق، كـل الأغـاني توقفـت، وسـاد الصـمت في ڤـالينور، فـلا صـوتَ يمكـن أن يسـمع إلا صـوتٌ آتٍ مـع الـريح عـبر ممـرات الجبـال، كـان نـوح تيلـيري كبكـاء النـوارس البـارد، لـه رعشـةٌ إذ يهـب مـن الشـرق في تلـك السـاعة. واتسـعت الظـلال علـى البحـر متتابعـة قبالـة الشـواطئ. لكـن مـانوي مـن مقعـده العـالي نظـر خارجـاً، فعيونـه هـي الوحيـدة القـادرة علـى النظـر مـن خـلال الليـل، فـرأت عينـاه ظلامـاً مـا بعـده ظـلام، حـتى عيـون مـانوي لم تسـتطع اختراقـه، ورأى هيئتـين ضـخمتين لكـن بعيـدتين جـداً. تتحركـان بسـرعة عاليـة باتجـاه الشـمال. عـرف مـانوي بـأن ميلكـور قـد جـاء وذهـب. فبـدأت المطـاردة، واهتـزت الأرض تحـت خيـول جـيش أورومـي وانطلقـت النـار مـن تحـت حـوافر ناهـار، وكانـت تلـك النـار هـي الضـوء الأول الـذي عـاد إلى ڤـالينور. لكـن بعـد قليـل جـاءت سـحابة قاتمـة مـن أونغوليانـت فأعمـت عيـون خَيَّالـة الڤـالار، فأصـابهم الفـزع وتفرقـوا عـن بعضـهم فلـم يعرفـوا إلى أيـن يـذهبوا أو إلى أي اتجـاه. تعثـر صـوت فالارومـا وسـقط. أمّـا تولكـاس فقـد علـق في هـذا الليـل في الشـبكة السـوداء، وبقـي واقفـاً يقـاوم لكنـه أصـبح عـاجزاً وقـد ضـعفت قـواه، وراح يضـرب في الهـواء لكـن دون جـدوى. وعنـدما مـر الظـلام وقـد كـان الوقـت مؤاتيـاً. ذهـب إليـه ميلكـور حيـث هـو في الشـبكة وأنجـز انتقامـه مـن تولكاس.



الفصل التاسع

# هروب نولدور

بعد مدة من الزمن التقى جمعٌ غفيرٌ في دائرة الحساب. ولأن الوقت كان ليلاً فقد جلس الڤالار في الظل، ونجوم ڤاردا تلمع في السماء فوقهم. وأصبح الهواء صافياً لأن رياح مانوي أبعدت أبخرة الموت وبددت ظلال البحر. ثم ظهرت ياڤانَا ووقفت على التل الأخضر ايزيللوهار، بعد أن أصبح عارياً وأسود. وضعت يديها على الأشجار. لكنهم كانوا موتى ومظلمين. وكلما كانت تلمس أحد الفروع، كان يسقط ويتكسر عند قدميها بلا حياة. عندها ارتفعت أصواتٌ كثيرةٌ بالرثاء والعويل. فبدا وكأنه ندبٌ أو كأنهم لتوهم قد فرغوا من شرب كأس الكآبة التي جهزها لهم ميلكور، لكن الحقيقة كانت غير ذلك.

تكلمت ياڤانَا أمام الڤالار قائلةً: لقد انتهى ضوء الأشجار، وسيكون ضوء الحياة اعتباراً من الآن فقط هو من أضواء السيلماريلس التي صنعها فيانور، وهو يعي ذلك. حتى بالنسبة لأولئك الذين هم الأقوى تحت إلوڤاتار، فهنالك بعض الأعمال التي لا يمكن أن تنجز إلا مرة واحدة فقط. فقد استطعت أن أجلب ضوء الأشجار لكي يكون ضمن إيا لمرة واحده وهذا الفعل لا يمكنه أن يحدث مرة ثانية، رغم ذلك فهنالك القليل من الضوء الذي يمكنني أن استرده من أجل حياة الأشجار قبل أن تفسد جذورها. وبعد ذلك يجب أن تعالج جراحنا. لكي نستطيع رد حقد ميلكور.

ثم تكلم مانوي قائلاً: لقد سمعت يا فيانور بن فَينوي كلام ياڤانَا؟ فهل تريد أن تمنحها ما ستطلبه منك ؟.

ساد صمتٌ طويل بعد ذلك ولم يجب فيانور بأية كلمة، فصرخ به تولكاس وقال: تكلم أيها النولدوري قل أي شيء، نعم أو كلا ! لكن تذكر من ذا الذي سيرفض طلب ياڤانَا! أَوَلَمْ تأتِ بداية ضوء السيلماريلس من عملها.

لكن أوليي الصانع قال: لا تكن متسرعاً، نحن نسأل شيئاً أعظم من معرفتك. دع هذا الشيء ليكون بسلام بعد فترة.

لكن فيانور تكلم بمرارة قائلاً: في الأعمال الصغيرة كما في الكبيرة والعظيمة، وهذه أيضاً لا يمكن أنجازها إلا مرة واحدة فقط، وفيها راحة القلب. قد أستطيع فتح مجوهراتي لكن ذلك لن يحدث مرة أخرى مطلقاً ولن أستطيع صنع مثيلٍ لهم ثانيةً، ولكي أخرجهم يجب علي أن أكسرهم وبذلك العمل أكسر قلبي، وأكون أول قتيل من كل إيلدار في أرض أمان.

فقال مانـدوز لست الأول، لكنهم لم يفهموا قصده. ثم ساد الصمت ثانيةً، وأحسَّ فيانور بأنه محتضن بالظلام، فبدا وكأنه هوجم في حلقة من الأعداء. وعادت إلى ذهنه كلمات ميلكور عندما قال له بأن السيلماريلس لن تكون آمنه إذا أراد الڤالار امتلاكها، وقال في نفسه، أوليس ميلكور ڤالا مثلهم! فلن أستطيع فهم قلوبهم، نعم فاللص هو من سيكشف اللصوص، ثم صاح جهورياً: لن أفعل ذلك طواعية، لكن إذا أجبرني الڤالار على ذلك فعندها سأعرف بأنهم فعلاً أقرباء ميلكور.

فقال له ماندوز: أتعني ما تقول؟ ثم ظهرت نايننا وصعدت على ايزيللوهار، وألقت بقلنسوتها الرمادية إلى الخلف كاشفةً عن رأسها، وغسلت بدموعها نجاسات أونغوليانت، وغنت نادبةً بحزن لأوجاع العالم وفساد أردا.

وبينما كانت لا تزال نايننا تنوح وتندب. جاء الرسل من فورمينوس حاملين أخباراً شريرةً من نولدور، فأخبروا كيف أن ظلاماً يعمي الأبصار جاء من الشمال، ومشت في وسطه بعض القوة المجهولة التي تنشر الظلام، وكان ميلكور معها أيضاً. وأخبروهم بأن ميلكور ذهب إلى بيت فيانور وقام بذبح فينوي ملك نولدور أمام أبواب بيته. لأن فينوي كان هو الوحيد الذي لم يهرب من رعب الظلام وكان دمه أول دم يراق في العالم المبارك. وقالوا أيضاً بأن ميلكور كسر معقل الفورمينوس وأخذ كل جواهر نولدور التي اكتنزوها هناك، حتى أن السيلماريلس اختفت أيضاً.

عندها نهض فيانور، ورفع يديه أمام مانوي ولعن ميلكور، وكان قد أطلق عليه اسم مورغوث أي الخصم الأسود للعالم. وفيما بعد لم يعرف ميلكور إلا بهذا الاسم في إيلدار دائماً وابداً. ولعن فيانور أيضاً دعوة مانوي له والساعة التي جاء بها إلى تَني كويتيل. وفكر في جنون غضبة وحزنة. فلو أنه كان في فورمينوس فإن قوته كانت ستنفع أكثر من أن يُذبح أيضاً، كما كان يخطط له ميلكور. بعدها هرب فيانور من دائرة الحساب إلى الليل.

فأبوه كان عنده أغلى من ضوء ڤالينور وأعمال يديه الفريدة. لأن كل أبناء البشر أو الجان يحملون قيماً عظيمةً لآبائهم.

حَزن كثيرون لآلام فيانور، لكن من جهة أخرى فلم تكن الخسارة له لوحده بل كانت تخص الجميع. كذلك بكت ياڤانَا عند التل من الخوف لأن ذلك الظلام سوف يبتلع الأشعة الأخيرة لضوء ڤالينور إلى الأبد. ولم يفهم الڤالار لحد الآن ماذا حدث بالضبط. لكنهم أدركوا بأن ميلكور كان عنده مدعوّة قدمت له بعض المساعدة وقد أتت فيما أبعد من أردا. أما بالنسبة للسيلماريلس فقد اختفت وانتهت. وكذلك قد يبدو سواء قال فيانور لياڤانا نعم أو لا. رغم أنه كان قد قال نعم في بادئ الأمر قبل أن تأتي الأخبار من فورمينوس، فلو حصل ذلك لربما كانت لديه أعمال غيرهم فيما بعد ولن تكون السيلماريلس آخر أعماله، لكن يبدو بأن قدر ومصير نولدور قد اقترب كثيراً الآن.

في غضون ذلك هرب مورغوث من مطاردة الڤالار. فقد وصل إلى الأراضي القفر من أرامان. وتقع هذه الأرض بين جبال بيلوري والبحر العظيم شمالاً وأفاثار جنوباً. لكن أرامان كانت أرض شاسعة تمتد بين الشواطئ والجبال، وهي عبارة سهولٍ قاحلةٍ باردة جداً مثل برودة الجليد. عبر مورغوث وأونغوليانت هذه المنطقة بسرعة، مرّا من هناك كسحب عظيمة من اويوموري إلى هيلكاراكسي. حيث المضيق المليء بالجليد بين أرامان والأرض الوسطى. ورجعا في نهاية المطاف إلى شمال الأرض الخارجية. فقد ذهبا معاً. لأن مورغوث لا يستطيع التملص من أونغوليانت فغيمتها ماتزال عليه وكذلك عيونها. وصلا إلى تلك الاراضي التي تمتد إلى الشمال من اللسان البحري درينغيست. والآن اقتراب مورغوث أكثر من خراب أنغباند الذي كان في ما سبق معقله الغربي العظيم. فأدركت أونغوليانت هدفه وعرفت بأنه يريد الهروب منها فأبقته وطلبت منه أن ينجز وعده.

فقالت له: أيها القلب الأسود لقد أَنجزتُ ما طُلبَ مني ولكني مازلتُ جائعة. فقال لها مورغوث: وماذا تريدين أكثر ؟ هل تريدين أن يكون كل العالم في بطنك؟ فأنا لم أقسم على إعطائك تلك الأشياء، فهل أنا سيدها.

قالت أونغوليانت: ليس ذلك بكثير، فلديك كنزٌ عظيمٌ من فورمينوس، وأنا سآخذ كل ذلك، نعم، وبكلتا يديك ستعطيني إياه، ألم تقسم على هذا؟.

عندها تنازل لها مورغوث مضطراً عن المجوهرات التي حملتهم معه. فكان يعطيها إياهم الواحدة تلو الأخرى بتذمر. وكانت تلتهمهم فقضت على جمالهم من العالم. وتضخم

حجمها وأصبحت قاتمة ومظلمةً جداً. مع كل ذلك فلم تشبع رغبتها بعد، وقالت له: بيد واحده أعطيتني، وباليسار فقط. افتح اليمنى.

كان مورغوث مطبقاً في يده اليمنى على السيلماريلس، وعلى الرغم من أنهم كانوا محبوسين بصندوق بلّوري. فقد آذوه ومع كل ذلك الألم أبقى يده مضمومة ولم يفتحها وقال لها: صحيح أنك قمت بمساعدتي لكن بفضل القوة التي وضعتها فيكِ كان عملك بارعاً. ولن أحتاجك بعد الآن أبداً، أما بالنسبة لهذه الأشياء فلن تكون لك، ولن تريهم مطلقاً. لأنني اخترتهم لنفسي إلى الأبد.

تعاظم حجم أونغوليانت أكثر بعدما سمعت منه هذا الكلام، فقد كان أقل منها بالقوة مع أن قوتها قد خرجت منه. فما كان منها إلا أن انتصبت أمامه مطبقةً عليه بغيمتها ولفت شبكتها حوله، ثم أطبقت عليه بملاقطها لتخنقه، عندها أطلق مورغوث صرخةً فظيعةً ترددت في الجبال. لذلك دعيت تلك المنطقة، لاموووث لأن أصداء صوته بقيت تسكن هناك إلى الأبد. ولذلك كل من يصرخ في تلك الأرض بشكل جهوري فقد يوقظ صراخ مورغوث من جديد. امتلأت كل مناطق القفر بين التلال والبحر بصخب صرخات الألم. فقد كان بكاء مورغوث في تلك الساعة هو الأعظم والأكثر إخافة من بين كل الأصوات التي سُمعت في العالم الشمالي. فلقد اهتزت الجبال وارتعدت الأرض وتفتت الصخور. وسمع صوت بكائه إلى أعمق الأماكن المنسية تحت قاعات أنغباند الرطبة. فما زال البالروغز يعيشون في أقبيتها وسراديبها التي لم ينزل إليها الڤالار أثناء هجومهم السريع الذي حصل فيما مضى، ومازال هؤلاء البالروغز مترصدين منتظرين عودة سيدهم، وعند سماعهم لصوته ظهروا بسرعة، ومرّوا من فوق هيثلوم، ثم وصلوا إلى لاموووث كعاصفةٍ من نارْ. ضربوا شبكة أونغوليانت بسياط اللهب فقطّعوا أوصالها. خافت أونغوليانت وهربت تتجشأ أبخرة سوداء لكي تغطيها. نزلت إلى بيليرياند هاربةً من الشمال وسكنت تحت إيريد غورغوروث. في ذلك الوادي المظلم الذي أصبح اسمه فيما بعد نان دونغورثيب، وادي الموت المخيف. بسبب الرعب الذي كان قد ولد هناك من جراء تفقيس مخلوقات كريهة أخرى من العناكب التي سكنت هناك من أيام حفر أنغباند. فتزاوجت أونغوليانت معهم ثم التهمتهم. حتى أَنَّ أونغوليانت نفسها ذهبت إلى المناطق المنسية جنوب العالم. هناك مسكن نسلها وشبكاتهم القبيحة. وفيما بعد لم تُعرف حكاية تخبر عن أونغوليانت. رغم

ذلك فقد قال البعض بأنها ماتت أو انتهت منذ عهد بعيد، لأنها جاعت كثيراً فالتهمت نفسها في آخر المطاف وانتهت.

وهكذا فإن خوف ياڤانَا من أن تكون السيلماريلس قد ابتُلعت وسقطت إلى العدم لم يحدث. لكنهم بقوا تحت سلطة مورغوث، وها هو الآن عاد حراً من جديد فبدأ بجمع خدمة الذين قد يجدهم ثانية. وصل مورغوث إلى خراب أنغباند وهناك عكف من جديد على الحفر ثانية وأعاد بناء سراديبه وأقبيته الواسعة وحصونه. ونصب فوق بواباتها ثلاثة قمم وهي ثانغوروديم التي تفوح منها رائحة عفونة كبيرة والدخان الأسود يضللهم دائماً. هناك تضاعفت حشود شياطينه ووحوشه، فأصبحت كثيرة لا تعد ولا تحصى. وفقس عِرق الأوركس قبل فترة طويلة فنما وتضاعف في أمعاء الأرض. وسقط ضل الظلام على بيليرياند، كما علمنا فيما بعد.

صاغ مورغوث لنفسه تاجاً عظيماً من الحديد في أنغباند، ودعا نفسه ملك العالم. وكرمز على ذلك فقد وضع السيلماريلس في ذلك التاج. وكانت يديه قد احترقتا عندما لمس تلك المجوهرات المقدسة. وبقيت أيديه سوداء إلى الأبد. ولم يتخلص من ألم الاحتراق والغضب الناتج عن الألم. مع ذلك، فلم يخلع ذلك التاج عن رأسه أبداً، وقد أصبح وزنه يزداد بشكل متعب ومميت. ولم يغادر مكان سلطانه في الشمال إلا مرة واحده فقط عندما ذهب سراً ولفترة قصرة. في الحقيقة نادراً ما ترك الأماكن العميقة من قلعته. لكنه يحكم جيوشة من العرش الشمالي. ولم يستخدم السلاح هو شخصياً حينما كانت مملكته قائمة إلا مرة واحدة.

بسبب تواضع مجده أكثر من أيام أوتومنو، فقد التهمته الكراهية والحقد وصرف روحه في الهيمنة على خدمه وإثارة رغبة الشر فيهم. بالرغم من كل ذلك فقد بقي كواحد من الڤالار في عظمته لمدة طويلة، مع أنه اتجه إلى الإرهاب. وأمام وجهه الهائل كل الأمان غرق في حفرةٍ مظلمةٍ من الخوف.

عندما علم الڤالار بأن مورغوث قد هرب من ڤالينور وأن مطاردته أصبحت أمر غير ذي جدوى. جلسوا طويلاً في الظلال في دائرة الحساب. وقف المَيّار والڤانيار بجانبهم وبكوا. أمّا الجزء الأكبر من نولدور فقد عادوا إلى تيريون ليندبوا مصيبة مدينتهم الجميلة وما حل بها من الظلام الذي أتاها من انجراف ضباب البحار عبر وادي كالاكيريا الباهت، فغطى أبراجها بالظلمة، وأصبح احتراق مصباح ميندون شاحباً كئيباً.

فجأةً ظهر فيانور في المدينة ودعا الجميع إلى القصر الأعلى للملك على قمة تونا. لكن إدانته بعقوبة النفي لأنه تمرد ضد الڤالار لم تنتهي مدتها بعد. تجمع عدد كبير بسرعة لكي يستمعوا إليه وماذا سيقول. تقافزت جموع الشعب على كل مكان حوله وكل واحد منهم كان يحمل بيده مصباح، فأصبح التل والدرجات والشوارع التي تسلقها الشعب مضاءةً بالكثير من المصابيح. كان فيانور خطيباً بارعاً وتأثير لسانه كبير على القلوب، وبتلك الليلة ألقى خطاباً أمام نولدور بقي عالقاً في ذاكرتهم إلى الأبد، وقد تخللته بعض كلمات العنف والفخر والغضب. فتحرك غضب نولدور وحقدهم بجنون عندما استمعوا إليه، وكان أكثر هذا الغضب على مورغوث. بعد أن علموا بأن كل تلك الأكاذيب كانت قد جاءت من مورغوث نفسه. ومع أنه كان مذهولاً وحزيناً لمقتل أبيه، ومتألماً لاغتصاب السيلماريلس. فقد طالب فيانور بحقه في ملك نولدور، فمنذ وفاة فَينوي لم يعدْ يُقمْ وزناً لمراسيم الڤالار بل على العكس أصبح يسخر منها أيضاً.

صرخ فيانور: لماذا يا شعب نولدور، هذه الخدمة الطويلة للڤالار الغيارى. الذين لا يستطيعون لا حمايتنا ولا حماية مملكتهم من عدوهم. على الرغم من أن مورغوث عدوهم. لكن أليس هو قريبهم أيضاً ؟ ومن هنا فالثأر يدعوني، حتى ولو كان بطريقة أو بأخرى، بأن لا أسكن طويلاً في نفس الأرض التي فيها أقرباء قاتل أبي وسارق كنزي. رغم ذلك فأنا لست الشجاع الوحيد في هذا الشعب الصنديد. أولستم جميعاً فقدتم مَلكَكُمْ؟ وماذا لم نفقد بعد. ألم يحبسونا هنا في هذه الأرض الضيقة بين الجبال والبحر؟.

هنا مرةً كان الضوء، لكن الڤالار ضن به على الأرض الوسطى، أما الأن فالظلام متساوٍ على الكل هنا وفي الأرض الوسطى. هل سنندب قلة حيلتنا هنا للأبد. شعب الظل، نلاحق العتمه، نسقط دموعاً عقيمة في البحار الناكرة للجميل؟ أم نعود إلى وطننا في كويڤيينين؟ حيث المياه تجري عذبة تحت النجوم الصافية. وأراضٍ شاسعةٌ تتمدد حول أُناسٍ أحرار مازالوا يمشون ويعيشون وينتظروننا هناك. فكيف بحماقتنا تخلينا عنهم. فلنذهب بعيداً ولندع الجبناء يبقون في هذه المدينة.

تكلم فيانور مطولاً وحثَ نولدور ليتبعوه وبسبب مهارتهم العالية وشجاعتهم فإنهم سيكونون مؤهلين لاكتساب الحرية والعوالم العظيمة في أراضي الشرق قبل فوات الأوان. وراح يقلد ميلكور ويردد أكاذيبه حيث قال: إن الڤالار قد خدعوكم وسوف يحتجزونكم هنا كأسرى لكي يحكم البشر الأرض الوسطى. وبالنسبة للكثيرين من إيلدار كانت هذه

هي المرة الأولى التي يسمعون بها عن أولئك الذين سيأتون فيما بعد. ثم صاح مجدداً: على الرغم من أن الطريق شاقٌ وطويل، لكن نهايته ستكون سعيدة، ونقول وداعاً للعبودية، وداعاً للراحة، وداعاً للضعف، وداعاً للكنوز. فمازال يتعين علينا الكثير لنفعله في رحلة النور، اجلبوا سيوفكم معكم، لأننا سنذهب أبعد من أورومي ونتحمل أكثر من تولكاس، فلن نَكُفَّ عن مطاردة مورغوث حتى نهاية الأرض. سنستعد لحرب الكراهية الأبدية. وعندما نحصل على النصر ونستعيد السيلماريلس. عندها سنكون وحدنا فقط سادة الضوء الصافي الذي لا تشوبه شائبة. وأسياد البركة الأجمل في أردا. ولن يطردنا نسلٌ آخر من أرضنا.

بعد كل ذلك أقسم فيانور قسماً رهيباً. وقفز أبناءه السبعة إلى جانبه ليؤدوا معه نفس القسم. فسحبوا سيوفهم التي لمعت حمراء كالدم من وهج ضوء المشاعل. وأقسموا قسماً لا يكسره شيء، ولا يأخذه شيء حتى ولو باسم إلوڤاتار. واستدعوا الظلام الأبدي بأن يأتي فوقهم إذا لم يبروا بقسمهم، وليشهد عليهم مانوي وڤاردا وجبل تَني كويتيل المقدس. بأن يقسموا على متابعة الثأر والكراهية إلى النهاية، وفي كل الممالك إن كان في مملكة ڤالا، أو الأوركس، أو الجان، أو البشر الذين لم يولدوا بعد، أو أي مخلوق، عظيماً كان أو صغيراً شريراً أو خيِّراً. حتى نهاية الأيام. وهذا القسم يقع على كل من يحمل أو يأخذ أو يحتفظ بالسيلماريلس ويحرمهم من ملكيتها.

هكذا تكلم أبناء فيانورالسبعة: مايذروس، ماغلور، كيليغورم، كوروفين، كارانثير، أمرود وأمراس. أمراء نولدور. ارتجف كثرٌ ممن سمعوا هذا القسم. الذي يحوي الكثير من الوعيد خيراً أو شر. وبأنهم لن يكسروا قسمهم. وسيلاحقون حافظ قسمهم أو كاسره إلى نهاية العالم. عندئذٍ تكلم فينغولفين وابنه تورغون ضد فيانور واستفاقت الكلمات العنيفة، واقترب الغضب مرة أخرى من حَدّ السيف، لكن فينارفين وكما هي عادته تحدث بهدوء، وأراد تهدئة نولدور. وإقناعهم بالتوقف للتأمل، لأنه لا يمكن التراجع عن العمل بعد القيام به. والوحيد من بين أبناءه الذي تكلم بطريقة مشابهة له كان ابنه أورودريث. أما فينرود فكان مع صديقه تورغون. لكن غالادريل كانت هي الامرأة الوحيدة من نولدور التي تنتظر نهاية ذلك اليوم الطويل والعصيب من النزاع بين الأمراء وكانت حريصةً على إنهاء النزاع. فهي لم تقسم أي قسم. لكن كلمات فيانور المتعلقة بالأرض الوسطى. أشعلت في قلبها الشوق لرؤية تلك الأراضي الشاسعة غير المحمية، ولحكم ذلك العالم. وكان فينغون بن

فينغـولفين يفكـر بـنفس طريقـة غالادريـل وقـد حركتـه كلمـات فيـانور أيضـاً، مـع أنـه لم يكـن يحـب فيـانور كثـيراً. ووقـف مـع فينغـون كـل مـن أنغـرود وإيغنـور أبنـاء فينـارفين كمـا كانـا يفعـلان دائماً. لكن الصمت حمل السلام بينهم ولم يتكلموا ضد آبائهم.

تجمـع هنـاك الجـزء الأكـبر مـن نولـدور بعـد نقـاش طويـل كسـبه فيـانور، وكـانوا متلهفـين لرؤيـة الأشـياء الجديـدة والبلـدان الغريبـة. لـذلك عنـدما تحـدث فينـارفين ثانيـة للالتفـاف علـى أفكـارهم ولتأخيرهـا. ارتفعـت صـيحة عظيمـة: كـلا دعنـا نـذهب، وحـالاً بـدأ فيـانور وأبنـاءه استعداداتهم لرحلة العودة.

قلـة البصـيرة يمكـن أن تكـون موجـودة عنـد أولئـك الـذين تجاسـروا وسـلكوا الطريـق المظلـم جـداً. وحـتى الآن كـل الأمـور كانـت تـتم بسـرعة أكثـر مـن الـلازم، لأن فيـانور قـادهم مخافـة أن تـبرد كلماتـه في قلـوبهم وتـتقلص، أو قـد تكـون هنـاك آراء أخـرى مغـايره لـه. ومـع كـل كلماتـه الفخـورة فلـم ينسَ سـلطة الڤـالار. لكـن لم تأتـه رسـائل مـن ڤاليمـار، لأن مـانوي كـان صـامتاً، وقـال بأنـه لـن يمـانع أو يعيـق مخططـات فيـانور. ولأن الڤـالار كـانوا متضـررين مـن اتهـامهم بـأن لـديهم نوايـا شـريرة تجـاه إيلـدار، أو أنهـم احتجـزوا إيلـدار كأسـرى عنـدهم. وهـم الآن يراقبـون وينتظرون لأنهم يعتقدون بأن فيانور لا يمكنه أَن يُخضع كُلّ جَماهيرْ نُولدورْ لإرادتهِ.

وفي الحقيقـة عنـدما بـدأَ فيـانور بتنظـيمِ نُولـدُورْ للبـدء برحلـة العـودة، ظَهَـرَ الخِلَاف فـوراً، لأنهـم لـو جلبـوا جميـع الـذين في نيـتهم المغـادرة، فلـم يكـن الجميـع علـى رأي واحـد بالنسـبة لاتخـاذ فيـانور ملكـاً علـيهم. فقـد كـان الحـب الأعظـم بـين النولـدوريين يتجـه في معظمـه إلى فينغـولفين وأبنائِـهِ وأهـل بيتـه، حـتى أن الجـزء الأكـبر مـن سـكان تيريـون رفضـوا المغـادرة بدونـهِ. وهكـذا انقسـمت نولـدور إلى فـريقين علـى طريقهـا المـر. كـان فيـانور وأتباعـه في الطليعـة لكـن الجمهـور الأكـبر جـاء خلفهـم يمشـي تحـت رايـة فينغـولفين. سـار فينغـولفين ضـد حكمتـه لأن ابنـه فينغـون ألحَّ عليـه لكـي لا ينفصـل عـن شـعبه الـذي كـان متلهفـاً للـذهاب. ولا يـتركهم لآراء فيـانور الطائشـة، ولم ينـس بعـد كلماتـه أمـام عـرش مـانوي. رحـل فينـارفين مـع فينغـولفين أيضـاً، لـنفس الأسـباب لكنـه كـان الأكثـر اشمئـزازاً للمغـادرة مـن بـين كـل النولـدوريين في ڤـالينور، والـذين أصـبحوا الآن شـعباً عظيمـاً. رفـض عُشـرُ النولـدوريين المغـادرة مـن ڤـالينور ولكـلٍ أسـبابه، فـالبعض للحـب الـذي يحملـوه للڤالار (ناهيـك عـن حـبهم لاوولي) والـبعض الآخـر لمحبـتهم لتـيرون وللكثـير مـن الأشـياء الـتي عملوهـا هنـاك، وبالمناسـبة لم يكـن مـن أسـباب بقـائهم الخوف من الأخطار القادمة.

وعنـدما ضُـربت الأبـواق وخـرج فيـانور مـن بوابـات تيريـون، جـاء رسـول مـانوي أخـيراً وقـال: سـيكون كلامـي موجـه ضـد حماقـة فيـانور فقـط. وأقـول لا ترحـل ! لأنهـا سـاعة الشـر، وطريقـك سـيؤدي إلى الحـزن، فأنـت لا تعلـم الغيـب. ولا تنتظـر المعونـة مـن الڤـالار في مسـعاك هـذا. لكـنهم بـالعكس قـد يمنعـوك. فلـتعلم ذلـك، كمـا أتيـتَ إلى هنـا بكامـل حريتـك، فبكامـل حريتـك تغـادر، لكنـك يـا فيـانور بـن فينـوي. وبالنسـبة لطريقـة قسـمك في منفـاك. أفلـم تـتعلم مـن مـرارة أكاذيـب ميلكـور، فهـو ڤـالا، وأنـت قلـت ذلـك ومـن ثم أديـت قسـماً تافهـاً وعـديم الجـدوى. فلـتعلم بأنـه لا يمكنـك أن تنـازل أحـداً مـن الڤـالار وتتغلـب عليـه، لـيس الآن ولا في أي وقـت آخـر ضـمن فضـاءات إيـا. حـتى ولـو أعطـاك إيـرو، الـذي اسمـك منـه، حجمـاً أعظـم بثلاث مرات مما أنت عليه.

ضـحك فيـانور ولم يوجـه كلامـه إلى الرسـول بـل وجهـه إلى نولـدور وقـال: هكـذا إذاً ! هـل سـيبعث هـؤلاء القـوم الأشـداء وريـث ملكهـم وحيـداً إلى المنفـى مـع أبنـاءه فقـط، ويرجعـون هـم إلى العبوديـة ؟ لكـني أقـول للـذين سـيأتون معـي: إذا كنـتم تتوقعـون قـدوم الحـزن ؟. فـالحزن قـد رأينـاه في أمـان. وفي أمـان وصـلنا إلى المحنـة عـن طريـق النعمـة. وأقـول سـيحاول بعضـنا ومـن خلال الحزن أن يعثر على الفرح أو الحرية، على الأقل.

ثمّ اتجـه إلى الرسـول وصـرخ: قـل هـذا إلى مـانوي سـوليمو أعلـى ملـكٍ في أردا: إذا لم يَسـتطعُ فيـانور هزيمـة مورغـوث، علـى الأقـل فلـن يؤجـل الهجـوم عليـه، ولـن يَجْلـسُ لتضِـييع الوقـت في الحـزنِ والرثـاء. وربمـا يكـون إيـرو قـد وضـع فيّ حماسـةً أعظـم ممـا تعرفـه أنـت. وسـيكون هـذا الأذى علـى الأقـل ضـد خصـم الڤـالار. أولئـك الجبـابرة الجالسـين في دائـرة الحسـاب والـذين سيندهشون لسماعه. نعم وفي النهاية سيتبعوني. الوداع.

ارتفـع صـوت فيـانور في تلـك السـاعةِ وكـان عظيمَـاً وفعّـالاً جـداً حـتى أن رسـول الڤـالار انحـنى أمامـه وكأنـه اسـتلم جوابـاً كافيـاً، وغـادرَ. عنـدها أصـبح نولـدور خـارج السـيطرة. واصـلوا مسـيرهم بعـد ذلـك، وعجّـل بيـت فيـانور أمـامهم علـى طـول سـواحلِ إيلينـدي: والتفتـت عيـونهم أكثـر مـن مـرة إلى تيريـون علـى تـل تونـا الأخضـر. أمـا الأبطـأ والأقـل لهفـة للمجـيء فقـد كـان جمهـور فينغـولفين. كـان فينغـون في مقدمتـه وفي المـؤخرة فينـارفين وفينـرود وكثـيرين مـن نـبلاء وعقـلاء نولـدور، وكـانوا ينظـرون دائمـاً إلى الخلـف لرُؤيـة مـدينتِهم الجميلـة النقيـة الصـافية، حـتى غـاب عـن عيـونهم ضـوء مصـباحِ مينـدون ايلـدالايفا وضـاع في الليـلِ. كـان النولـدوريين

أكثر حنيناً من كل المنفيين الآخرين فقد حملوا معهم ذكريات النعمة التي تركوها هناك، حتى أنهم أخذوا معهم بعض الأشياء كتذكار، لتخفف عنهم عناء الطريق.

قادَ فيانور نولدور باتجاه الشمال، لأن هدفه الأولَ كَانَ ملاحقةَ مورغوث. علاوة على ذلك، فإن موقع تونا الكائن تحت تَني كويتيل، يَقترِبُ مِنْ حدود أردا، وهناك يكون البحر العظيم عريضاً جداً، بينما في الشمال يصبح عبارةً عن بحيرات صغيرة منفصله ضيقة. كما أنه في الشمال تقترب صحاري أرامان وسواحل الأرض الوسطى من بعضها. لكن همة فيانور فترت قليلاً واتخذ من نفسه ناصحاً، لأنه أدرك أخيراً بأن هذه المجموعات الكبيرة لن تتغلب على المسافات الطويلة إلى الشمال. ولا حتى عبور البحار إلا بمساعدة السفن. على الرغم من أنه سيحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد لبناء أسطول عظيم. هذا إن وجد ضمن نولدور مهرة في تلك الحرفة. والحل الآن هو في اقناع تيليري أصدقاء نولدور بالانضمام إليهم. لأنه وبسبب تمرده على الڤالار فقد اعتقد بأن نعمة ڤالينور ستكون شبه معدومة، لذلك فهو يحتاج إلى قوة إضافية لكي تصبح قوته المجهزة لحرب مورغوث أكبر، فحثَّ الخُطا إلى ألكوالوندي، وتَكَلَّمَ مع تيليري كما فعل قبل ذلك في تيريون.

لكن تيليري لم يكونوا متأثرين بما يمكن أن يقوله لهم. وبالحقيقة فقد حزنوا لرحيل أهلهم وأصدقائهم، لكنهم فضّلوا النصح على المساعدة، فلن يقدموا لهم المساعدة، لا في إعارة سفينة أو في بناءها دون أخذ موافقة الڤالار. أما بالنسبة لهم، فهم لا يرغبون في تبديل سكنهم على سواحل إيلدامار. ولا يريدون استبدال سيدهم أُولُويْ أمير ألكوالوندي. ولم يسبق لهم أن أعاروا أسماعهم لمورغوث، ولم يرحبوا به في أرضهم. فما زالوا يثقون بأن أولمو والعظماء الآخرين من الڤالار بإمكانهم إصلاح ما خربة مورغوث، ولا بد أن يمر هذا الليل إلى فجر جديد. ازداد غضب فيانور، خشية التأخير. فتكلم بحرارة مع أُولُويْ قائلاً: أتترك أصدقاءك في ساعة حاجتهم أيها الجبان، على الرغم من أنك بالحقيقة كنت مسروراً بأن تستلم مساعدتنا عندما جئت مؤخراً إلى هذه الشواطئ، متسكعاً باهت القلب، مقترباً منها خالي الوفاض. ولولاهم لكنت ماتزال تسكن هناك في الأكواخِ على الشواطئِ، أليس نولدور هم الذين نحتوا لك مرفأك وكدحوا وعملوا على أسوارك.

فأجابه أُولُويْ: لن نترك أي صداقة. لكننا نحتفظ بذلك الجزء من حق الصداقة الذي يسمح للصديق بأن يوبخ صديقه على حماقة ما. أما عندما رحب بنا نولدور ومنحنا مساعدته، وبقية الكلام الذي تكلمت به، فإننا في أرض أمان وسنسكن هنا للأبد،

كـالأخوة الـذين تقـف بيـوتهم جنبـاً إلى جنـب، أمـا بالنسـبة لسـفننا البيضـاء. فلـم تعطنـا إياهـا أنـت، ولم نـتعلم تلـك الحرفـة مـن نولـدور، بـل تعلمناهـا مـن سـادات البحـار، ونحـن مَـن صـنعنا الأخشـاب البيضـاء بأيـدينا. والأشـرعة البيضـاء تنسـجها زوجاتنـا وبناتنـا. لـذا فـلا نعطـيهم ولا نبـيعهم لأي حليـف أو صـديق. وأقـول لـك يـا فيـانور بـن فينـوي. إننـا جميعـاً في تيلـيري نعتبرهـا كما كانت المجوهرات بالنسبة إلى نولدور. عمل قلوبنا. التي مثلها لن نصنع ثانية.

تركـه فيـانور بعـد ذلـك وجَلـسَ بفكـره المظلـمِ خـارج أسـوار ألكوالونـدي، حـتى اجتمـع عنـده جمهـوره وقـرر فيـانور بـأنّ قـوّتَهم كَانـتْ بمـا فيـه الكفايـة. فـذَهبَوا إلى مرفـأ البجعـات وبَـدأوا بسـحب السُـفنِ الـتي كانـت راسـيةً هنـاك لأخـذهم بِـالقوة. لكـن تيلـيري قـاوموَهم، وألقـوا بالعديـد مِـنْ نولـدور في البحـرِ. ثمّ سُـحِبتْ السـيوف، واحتـدم صـراع مريـر علـى السـفن. وحـول أرصـفةِ مينـاء لامبلايـت وأرصـفة المرفـأ، وحـتى علـى بوابـة القـوس العظـيم. ثـلاث مـرات تراجـع شـعب فيـانور. وذبـح الكثـير مـن كـلا الجـانبين. لكـن طليعـة نولـدور أُنجـدت مـن قبـل فينغـون بأوائـل جمـاهير فينغـولفين الـذين وجـدوا المعركـة أمـامهم وهـم يصـعدون فانضـموا إليهـا بينمـا كـان أقربـاؤهم يتسـاقطون. فأسـرعوا قبـل أن يعرفـوا سـبب الشـجار. واعتقـد الـبعض مـنهم بـأن ثمـة كمين هناك من تيليري قد استهدفوا به موكب نولدور، بطلب من الڤالار.

وهكـذا في نهايـة المطـاف تم التغلـب علـى تيلـيري، وذُبـح الجـزء الأكـبر مـن الملاحـين الـذين سـكنوا في ألكوالونـدي ذبحـةً شـريرة بالسـكاكين والسـيوف، لأن نولـدور أصـبح عنيفـاً ومسـتميت، وكانـت تيلـيري أضـعف مـن أن تقـاوم قوتـه، حيـث كـان أكثـر سـلاح تيلـيري مـن الأقـواسِ الضـعيفة. سـحب نولـدور سـفن تيلـيري البيضـاء وأدارَ مجاذيفَهـا كأفضـل مـا يكـونْ. جـذفوا شمـالاً علـى طـول السـاحل. اسـتدعى أولـوي ملـك تيلـيري، صـديقهم أوسـي لَكنَّـه لم يـأت لأن القـالار لَمْ يُسْـمَحُوا لـه باسـتخدام القـوة لمقاومـة نولـدور. بكـت أوينـين ملاحـي تيلـيري، وهـاج البحـر غضـباً ضـدّ القَتَلَـةِ. لـذلك فقـد تحطمـت سـفنٌ كثـيرة وغرقـت بمـن فيهـا. وأكثـر أخبـار هـذا الاعتـداء في ألكوالونـدي أتـت مـن المراثـي الـتي سميـت فيمـا بعـد نولـدولانتي أي سقوط نولدور التي كتبها ماغلور قبل أن يُفقد ويضيع.

مـع هـذا فـإن الجـزء الأكـبر مـن نولـدور كـانوا قـد هَربـوا مبتعـدين عنـدما كَانـتْ العاصـفة ماضـيةَ، فبعضـهم بالسـفن وآخـرين بـالبر، لكـن كلمـا تقـدموا إلى الأمـام كـان الطريـق طويـل وشـرير. وبعـد مسـير طويـل في الليـالي الطويلـة وصـلوا أخـيراً إلى الحـدود الشـمالية للملكـة المحروسـة، علـى حـدود القفـار الفارغـة مـن أرامـان وكانـت جبليـة بـارده. هنـاك رأوا فجـأة قوامـاً هـائلاً

مظلماً يقف أمامهم منتصباً على صخرةٍ، وينظر إلى أسفل الشاطئ. بعضهم قال بأنه ماندوز، وآخرين قالوا بأنه رسول مانوي، ثم سَمعوا صوتاً مدوياً مهيباً فظيعاً. يطلب منهم الاستماع إليه. وقف الجميع بلا حراك منصتين، فسمعت منه كل جموع نولدور من أقصاها إلى أقصاها صوت يتحدث عن اللعنة والنبوءة، وهي المسماة نبوءة الشمال ومصير نولدور. في الحقيقية كثيرة هي النبوءات في الكلمات المظلمة التي لم يفهمها نولدور إلا بعد حدوثها. لكن الكل سمع اللعنة التي لفظت على أولئك الذين لم يبقوا ولم يريدوا المحاسبة ولم يلتمسوا عفو الڤالار.

وهذا نصُّ اللعنة ﴿ دموعٌ غزيرة ستراق .وسيسيج الڤالار ڤالينور ضدك ويبقيك في الخارج. حتى صدى بكائك لن يعبر فوق الجبال. وسيقع غضب الڤالار على بيت فيانور وكل من تبعهم، آتياً من الغرب إلى أقاصي الشرق. سيقودهم قَسَمُهُمْ ويغدر بهم. ويختطف بعيداً تلك الكنوز التي أقسموا على مطاردتها. وإلى النهاية الشريرة ستدور كل الأشياء التي كانت بدايتها جيدة. بخيانة القريب لقريبه والخوف من الخيانة، وهذه الأمور ستحدث، وسيكونون مطرودين للأبد.

لقد سَكبتَ دمَّ قريبِكَ بشكل آثم ولطّختَ أرضَ أمان. فاللدمٌ سَتُعيدُ دماً، وسَتَسْكنُ في ظلال الموتِ بعد أمان. مع أن إيرو قَدَّرَ عليك الموت لكن لَيسَ في إيا، فلا مرضٌ يُهاجمُك، لكنك قد تكون ذبيحاً، وذَبحَك سَيَكُونُ، بالسلاحِ والعذابِ والحزنِ، وستأتي روحك عارية بلا جسد إلى ماندوز. هناك ستبقى لمدة طويلة وسوف تَتُوقُ لجسدك، ولن تجد إلا القليل من الرحمة، فكل الذين ذبحتهم، توسلوا إليك ولم ترحمهم. أما أولئك الذين سيبقون على قيد الحياة في الأرض الوسطى ولم يأتوا إلى ماندوز، فسيكبرون مرهقين في هذا العالم كعبء عظيم. ويتضاءلون. وكظلال الندم سيكونون قبل مجيء النسل الأصغر الآتي فيما بعد.﴾ هكذا تكلم الڤالار.

بعد هذا الكلام جبن كثيرون، لكن فيانور بصلابة قلبه قالَ: أقسمنَا، ولَيس بخفةٍ وهذا القسم سنحفظه. فنحن مُهدّدون بالكثير مِنْ الشرورِ، وليست الخيانة آخرها، لكن شيء واحد لم يقله. بأننا سنعاني من الجبن. من الجبان أو الخوف من الجبان. لذلك أقول: نحن سنستمر، وهذا القدر سنضيفه إلى الأعمال التي سنقوم بها والتي ستكون مواضيع الأغاني والأناشيد حتى نهاية أيام أردا.

في تلـك السـاعةِ تـرك فينـارفين الموكـبَ، وعـاد يملـؤه الحـزن علـى بيـتِ فيـانور. وبسـبب صـلات القـربى الـتي تجمعـه مَـع أُولُـويْ مـن ألكوالونـدي. عـاد معـه أيضـاً الكثـير مِـنْ شعبه تتـابع خطـاهم في الحـزن. حـتى شـاهدوا مـرةً أخـرى الشـعاعَ البعيـدَ مـن مينـدون علـى تونـا، والـذي مـا زالَ يُشـرقُ في الليـلِ، حـتى وصـلوا أخـيراً إلى ڤـالينور. وهنـاك اسـتلموا عفـو الڤـالار، وقُـرّرَ فينـارفين حُكْـم بقيـةِ نولـدور في المملكـة المباركـة، لكـن أبنائَـه لم يكَونـوا مَعـه، لأنهـم لـن يَتْركـوا أبنـاءَ فينغـولفين، وكـل شـعب فينغـولفين مـازال متقـدماً. فهـم يشـعرون بقيـود قـرابتهم لفيـانور ويخـافون مواجهـة حسـاب الڤـالار. لأنهـم لم يكونـوا كلهـم بـريئين مـن ذبـح أقربـائهم في ألكوالونـدي. عـلاوة علـى ذلـك فـإن فينغـون وتورغـون كَانـا شـجاعين وقلوبهمـا ناريـة، ويشـمئزان مـن تـرك المهمـة الـتي وضـعوا أيـديهم عليهـا حـتى إيصـالها إلى نهايتهـا حـتى ولـو كانـت النهايـة مُـرَّة. لـذلك فقد كانوا من الجماهير الرئيسية، وبسرعة شديدة بدأت أعمال الشر التي كان متنبأٌ بها.

وصـل نولـدور أخـيراً مـن البعيـد إلى شمـال أردا، ورَأوا مقـدمات أسـنان الجليـد الـتي تعـوم في البحـرِ، فعلمـوا بـأنّهم يقتربـون مـن هيلكاراكسـي. لأنـه يقـع بـين أرضِ أمـان الشـمالية الـتي تلتـف شـرقاً، والشـواطئ الشـرقية مـن إينـدور ( وهـي الأجـزاء الغربيـة مـن الأرض الوسـطى). هنـاك كـان المضـيق الـذي تمـر وتتـدفق مـن خلالـه ميـاه المحيط البـاردة وأمـواج بيليغـار معـاً، وكـان الضـباب يعـم المكـان بالإضـافة لسـحب الـبرودة المميتـة. والتيـارات البحريـة الـتي تجـري باضـطراب بسـبب تكسـر قطـع الجليـد في الأعمـاق. هكـذا كـان هيلكاراكسـي، وإلى هـذه المناطق لم يتجرأ أحد لحد الآن أن يدوسها إلا الڤالار وأونغوليانت فقط.

لـذلك تـردد فيـانور ونـاقش نولـدور في أي طريـق علـيهم أن يـذهبوا، فقـد بـدأت معانـاتهم مـع الألم والـبرودة، والسـحب المعلقـة الـتي منعـت ضـوء النجـوم مـن الوصـول لهـم. نـدم كثـيرون علـى الطريـق وبـدأت الغمغمـة. خصوصـاً مـن أولئـك الـذين يتبعـون فينغـولفين .فقـد لعنـوا فيـانور ودعـوه مسـبباً لكـل مشـاكل إيلـدار. علـم فيـانور بكُـلّ الـذي قِيـلَ عنـه، فأَخـذَ الـرأي مَـع أبنائِـه، واسـتقر رأي مجمـوعتين مـنهم بـالهرب مـن أرامـان والـذهاب إلى إينـدور إمـا عـبر المضـائق أو بالسـفن. لأنهـم يعتـبرون بـأن هيلكاراكسـي غـير قابـل للعبـور. بالإضـافة إلى أن أعـداد السـفن كانـت قليلـة، فقـد ضـاع الكثـير منهـا في رحلـتهم الطويلـة. والسـفن الباقيـة لا تكفـي لحمـل كـل الجمهـور العظـيم معـاً. ولم تكـن لـدى أحـد مـنهم الرغبـة بالبقـاء عنـد السـاحل الغـربي. فعنـدما كـان يُنقـل أوائـل الشـعب بالسـفن، وخوفـاً مـن الخيانـة الـتي كانـت مسـتيقظةً بـين نولـدور. فقـد خطـر في بـال فيـانور وأبنـاءه الاسـتيلاء علـى كـل السـفن والمغـادرة فجـأةً. لأنهـم حـافظوا علـى

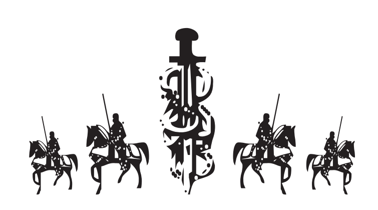
سيطرتهم على الأسطول منذ معركة المرافئ. وهذا الأسطول مشغل فقط بواسطة أولئك الذين قاتلوا هناك وهم من المرتبطين بفيانور. وكما لو أنها جاءت بناء على دعوته، هبت ريح من المنطقة الشمالية الغربية فانسحب فيانور سراً هو ومن كان يعتبره صادقاً معه وغادروا الحدود، خارجين إلى البحر. وتركوا فينغولفين في أرامان. وبما أن البحر ضيقاً هناك، فقد كان يقود أسطوله إلى الشرق تارةً، وتارةً أخرى إلى الجنوب حيث عبروا البحر بدون خسائر. وأول شخص من كل نولدور وضع قدمه مرة أخرى على شواطئ الأرض الوسطى كان فيانور. وكان نزوله في فم اللسان البحري الذي يدعى درينغيست ويدخل إلى دور لومين.

وعندما نزلوا، تحدث مايذروس( وهو الابن الأكبر لفيانور وبنفس الوقت يعتبر صديق فينغون منذ مدة طويلة من قبل أكاذيب مورغوث) إلى فيانور قائلاً: والآن ماذا بالنسبة للسفن والمجذفون هل ستبقيهم للعودة ؟ ومن سيحملون من الأقارب أولاً، فينغون الشجاع.

ضحك فيانور كطفل، ثم صاح: لا هذا ولا ذاك! من ذا الذي تركناه خلفنا ! أَحْسبَ أننا لم نخسر شيء، فقد تبين بأنهم متاع غير ضروري على الطريقِ. دعْ أولئك الذي لَعنَوا اسمَي، يلعنوه للأبد. ويتذمرون بطريق عودتهم إلى أقفاص الفالار. دع السفن تحترق. تنحى مايذروس جانباً. وقام فيانور بإشعال النار في سفن تيليري البيضاء بذلك المكان الذي يدعى لوزغار، وهو المكان الواقع عند مخرج لسان درينغيست. لقد قضى فيانور على أجمل السفن التي أبحرت بحريق هائل واشتعال فظيع. رأى فينغولفين وشعبه من بعيد ضوءاً أحمر تحت الغيوم. فعلموا بأنه قد غُدر بهم. هذه كانت من أولى ثمار مذبحة الأقارب وإحداث الموت في نولدور.

ثمّ رأى فينغولفين بأن فيانور تَرَكَه للمَوت في أرامان أَو للعودةُ في الخزي والعار إلى ڤالينور، لذلك فقد امتلأ بالمرارةِ، لَكنَّه رَغبَ الآن كما لم يرغب من قبل للحُصُول على أي طريقِ يوصله إلى الأرض الوسطى، لعله يلتقي بفيانور ثانيةً. بعدها تاه فينغولفين وشعبه لمدة طويلة في البؤسِ، لكن شجاعتَهم وقدرتهم على التحمل والمشقة ازدادت، لأنهم كانوا جبابرة هائلون .فهم أقدم الأبناء الأبديين لإيرو إلوڤاتار. لكنهم القادمون الجدد من المملكة المباركة. فلم يكونوا بعد مرهقين بتعب الأرض. ومازالت نيران قلوبهم شابة وفتيه، وتحت قيادة فينغولفين وأبناءه. وفينرود وأخته غالادريل تجاسروا لعبور الشمال القارس. فلم

يجدوا بدأً من تَحمل رهبة وخوف هيلكاراكسي. وتلال الثلج القاسية. فالقليل من أعمال نولدور فيما بعد فاقت هذا العبور المستميت إن كان بالعزم أو بالمصيبة. وهنا أيضاً فُقدتْ إيلينوي زوجة تورغون وفقد معها كثيرون ممن لاقوا حتفهم في هذا العبور. فبأقل جماعة استطاع فينغولفين وضع قدمه أخيراً على الأراضي الخارجية. فقد كانوا يحملون القليل من الحب لفيانور أو لأبنائه، وهم الذين مشوا خلفهم في الماضي. وهتفت أصوت أبواقهم في الأرض الوسطى عند الشروق الأول للقمر.



# الفصل العاشر

## سيندار

والآن كما أخبرنا فيما سبق، فإن سلطة إيلوي وميليان ازدادت في الأرض الوسطى. وكل جان بيليرياند، من بحارة كيردان إلى الصيادين الجوالين في الجبال الزرقاء وراء نهر جيليون، قد اعترفوا بأن إيلوي هو سيدهم. وهو إللو ثينغول الذي دعي ملك العباءة الرمادية، وفي لغتهم اسمهم سيندار. الجان الرماديون من بيليرياند المضاءة بالنجوم. وهم بالأساس موري كويندي، وخاضعين لسلطة ثينغول وتعاليم ميليان. مع أن غالبية الأرض الوسطى تخضع لنوم ياڤانَا. ففي بيليرياند كانت تحت سيطرة ميليان، وهناك كانت الحياة والبهجة. والنجوم اللامعة المشرقة كنيرانٍ فضية. لذلك أصبح الجان الرماديون، الأنقى والأكثر حكمةً ومهارةً من كل جان الأرض الوسطى. وعند نهاية العصر الأول عندما تمت هزيمة ميلكور وأُسره. عمَّ السلام في الأرض وكان مجد ڤالينور في أَوَجِّه. في ذلك الوقت أتت إلى العالم لوثايِّن. الطفلة الوحيدة لثينغول وميليان. هناك في غابة نيلدوريث ولدت لوثايِّن، وتفتحت زهور نايفريديل[1] كنجوم الأرض لكي تلقي عليها التحية.

وحدث أثناء العصر الثاني لأسر ميلكور أن جاء الأقزام من الجبال الزرقاء، إيريد لووين إلى بيليرياند. وهم يسمون أنفسهم خازاد لكن سيندار دعاهم ناوغريم أي الناس المعاقون. وغوون هاياريم، أي أسياد الحجارة. وكانت أكثر المساكن القديمة لناوغريم تقع في الشرق الأقصى. حيث حفروا لأنفسهم في الجانب الشرقي من إيريد لووين، قاعاتٍ وقصورَ عظيمة، تناسبهم وسميت تلك المدن بلغتهم غابيل غاثول و تومون زاهار. وإلى الشمال من الجهة العالية من جبل دولميد كان قصر غابيل غاثول. والذي ترجمه الجان إلى لغتهم باسم بيليغوست وتعني المدينة العظيمة، وجنوباً حفروا تومون زاهار وسماها الجان نوغرود، أي

---

[1] نايفريديل.Niphredil . وهي تلك الزهور الشاحبة اللون التي تنمو بين أشجار لورين الذهبية.

التجويف المنضد. أما أعظم قصور الأقزام فكان هو خازاد دوم، دوار وود ايلف. أي حفرة الأقزام، وفي لغة الجان كان اسمه هاذود روند. ثم في أيام ظلامه دعي موريا. لكنه كان بعيداً في جبال الضباب خلف المسافات الشاسعة من إيريادور. لكن إلى إيلدار لم يصل اسم موريا إلا كإشاعة من كلمات أقزام الجبال الزرقاء.

خرج ناوغريم أي الأقزام من نوغرود وبيليغوست إلى بيليرياند. فاندهش الجان كثيراً لأنهم كانوا يعتقدون بأنهم هم الكائنات الحية الوحيدة في الأرض الوسطى، التي كان باستطاعتها التكلم أو العمل بيديها، أما بقية الكائنات الحية الأخرى فهي مثل الطيور والوحوش. لكنهم لم يفهموا أي كلمة من لغة ناوغريم فقد كانت كريهة وتتعب الآذان. توصل بعض إيلدار إلى إجادتها. لكن الأقزام كانوا يتعلمون بسرعة. في الحقيقة كانوا أكثر رغبة في تعلم اللغة الجنية. من أن يعلموا لغتهم للأجناس الغريبة عنهم. لكن بعض إيلدار لم يذهب أبداً إلى نوغرود وبيليغوست، إلا إيول من نان إيلموث وابنه مايغلين. عندما هرب الأقزام إلى بيليرياند كانوا قد صنعوا طريقاً عظيماً يمر تحت أكتاف جبل دولميد. وقد تبعوا بذلك مسار نهر آسكار الذي يعبر جيليون في سارن أثراد معبر الحجارة. حيث مكان المعركة التي حدثت فيما بعد. كانت الصداقة فاترة بين ناوغريم وإيلدار. مع ذلك فكليهما كان رابحاً من هذه الصداقة الفاترة، لكن في ذلك الوقت لم يكن الأسى والألم قد وقع بينهما بعد. رحب الملك ثينغول بهم، لكن ناوغريم أعطوا صداقتهم بسهولة أكثر إلى نولدور فيما سيأتي من الأيام أكثر من أي أحد من الجان أو البشر. بسبب حبهم وتقديرهم لأوولي. وامتدحوا كثيراً مجوهرات نولدور وأثنوا عليها أكثر من كل الثروات الأخرى. دائماً كان يصنع الأقزام الأعمال العظيمة في ظلام أردا. حتى منذ الأيام الأولى، من أيام آبائهم كانت لديهم مهارة رائعة بأعمال التعدين والحجارة. لكن في ذلك الزمن القديم فضلوا في أعمالهم الحديد والنحاس على الفضة أو الذهب.

كانت ميليان متبصرة جداً لكونها من الميّار. وأثناء انقضاء العصر الثاني لأسر ميلكور. قالت ميليان لثينغول بأن السلام في أردا لن يدوم للأبد. لذا فيجب عليك أن تفكر في إيجاد مسكن ملوكي لنفسك، ويجب أن يكون في موضع قوي. ليكون في مأمن إذا ما استفاقَ الشرُّ ثانيةً في الأرض الوسطى. ومن أجل تحقيق ذلك فقد طلب مساعدة ورأي أقزام بيليغوست الذين منحوه رغبتهم في إنشاء ذلك المسكن. فقد كانوا دؤوبين في تلك الأيام ومشتاقين للأعمال الجديدة. مع ذلك فالأقزام لم يطلبوا أجراً على أعمالهم.

فبهجتهم بالعمل، والعمل فقط هو أجرهم. علمتهم ميليان كثيراً لأنهم كانوا متلهفين للتعلم. وكافأهم ثينغول بالكثير من اللآلئ النقية التي أعطاهُ إياها كيردان. لأن شعبه حصل على كميات كبيرة منها في المياه الضحلة حول جزيرة بالار. لم يرى الناوغريم مثل هذه اللآلئ من قبل فاحتفظوا بها كأشياء عزيزة وثمينة. وإحدى هذه اللآلئ كانت عظيمة، تشبه بيض الحمام، وكانت تلمع كضوء النجوم في رغوة البحر. فسموها نيمفيلوس. وقد بجلها زعيم أقزام بيليغوست كثيراً وقَيَّمها بأكثر من جبلٍ من الثروة.

لذلك عمل ناوغريم بسرور لدى ثينغول ولمدةٍ طويلةٍ وابتكروا له قصوراً بطرازٍ وأسلوبٍ مختلفين عن طرازات شعبهم. فقد حفروا عميقاً في الأرض. ومن المنطقة التي ينساب فيها إيسغالدوين هابطاً فيفصل نيلدوريث عن ريجيُن هناك رفعوا في وسط الغابة تل صخري. وجعلوا النهر ينساب هناك عند أسفل هذا التل. وفي ذلك المكان عملوا بوابة قاعة ثينغول. وبنوا جسراً من الحجارة فوق النهر. فلا يمكن الدخول إلى القصر إلا من هذا الجسر. وبعد الأبواب، ممرات عريضة تنزل إلى القاعات. أولاً المتوضعة في الأعلى ثم تحتها الغرف والأماكن التي حفروها في الحجارة الحية. فقد كان هناك أماكن كثيرة ومتنوعة بحيث سمي ذلك المسكن مينيغروث أي الألف كهف.

كان للجان أيضاً جزء من هذا العمل. فقد عمل الجان والأقزام سوية. كلٌ بما يملك من مهارةٍ. هناك عملوا من رؤى ميليان صوراً من أعاجيب وجمال ڤالينور خلف البحر. فلقد نُحتت أعمدة مينيغروث بشكل مشابه لزان أورومي. ونقشت عليها أشكالٌ لسهامٍ وأغصانٍ وأوراق. وأضاءوها بفوانيس من ذهب. هناك غنت العنادل كما تغني في حدائق لورين، صنعوا أيضاً نافورات من الفضة بأحواضٍ من الرخام. أما الأرضيات فكانت بألوانٍ متعددة من الحجارة. وعلى الجدران نحتت أشكالُ الوحوش والطيور. أو رفعوا بعض هذه المنحوتات على الأعمدة. أو وضعوها في الحدائق بين الكثير من الزهور المتشابكة. وبمرور السنوات ملأت ميليان ووصيفاتها هذه القاعات بالستائر المحاكة والمطرزة، بحيث يمكنك عن طريق هذه الستائر قراءة تاريخ ڤالار والكثير من الأشياء التي حدثت في أردا منذ تكوينها. فقد كانت ظلال تلك الأحداث تنتظر هناك. ذلك كان المسكن الأجمل لأي ملك كان في شرق البحر.

وعندما أُنجز بناء مينيغروث، كان السلام يَعمُ مملكة ثينغول وميليان. ومن وقت لآخر كان ناوغريم يأتون إلى الجبال أو يقتربون منها أثناء حركة مرورهم حول الأراضي. لكنهم قلما

ذهبوا إلى فالاس لأنهم يكرهون صوت البحر ويخافون النظر إليه. وإلى بيليرياند لم تأتهم إشاعات أو أخبار من العالم الخارجي.

إن ما حدث في العصر الثالث لأسر ميلكور، انسحب أيضاً على الأقزام الذين أصبحوا قلقين فتكلموا إلى الملك ثينغول قائلين، بأن الفالار لم يستأصلوا تماماً شرور الشمال، فما زال للشر بقية هناك وهذه البقية تضاعفت في الظلام بطول المدة. لأن هذه الشرور كانت تظهر مرة بعد أخرى، تتجول بالطول وبالعرض. فقد نزلت الوحوش من الجبال. وفي الأراضي الشرقية عند الجبال، تسكن هناك أحد عشائركم القدامى[1] فتتحرك من السهول إلى التلال.

وصلت قبل فترة طويلة مخلوقات شريرة حتى إلى بيليرياند، عبرت ممرات الجبال أو صعدت من الجنوب من خلال الغابات المظلمة. فقد كانت الذئاب موجودة، أو المخلوقات التي مشت في هيئة الذئب. وأخرى هبطت وكأنها كائنات الظل، وكان من بينهم الأوركس. وهم مَنْ أحدث الخراب في بيليرياند فيما بعد. لكنهم كانوا قلة وحذرين، فقد كانوا يشتمون روائح طرق الأرض منتظرين عودة سيدهم. بالحقيقة لم يعرف الجان من هم ومن أين أتوا، فقد اعتقدوا أنهم أفاري الذين أصبحوا أشراراً ومتوحشين في البرية. وفي هذا التخمين اقتربوا من الحقيقة كثيراً، على ما يقال.

لهذا فقد اتجه تفكير ثينغول نحو السلاح الذي لم يكن متواجداً لدى شعبه بعد. وهذه كانت أول أعمال الحدادة التي يصنعها له الناوغريم لأنهم كانوا ماهرين جداً في أعمال التعدين. مع ذلك لم يكن من بين الأقزام من يتفوق على حرفيي نوغرود، فمنهم الحداد تيلخار صاحب الصيت العظيم. بشكل عام كل الناوغريم هم جنس محارب منذ القدم، وهم يقاتلون بعنف ضد من يؤذيهم إن كان من خدم ميلكور أو إيلدار أو أفاري أو حتى وحوش البرية. وأحياناً قليلة يتقاتلون مع أقربائهم أقزام القصور والسيادات الأخرى. تعلمت سيندار حرفة الحدادة منهم. وتفوق الأقزام في حرفة التعدين وخلائط الفولاذ على الجميع حتى على نولدور، فقد عملوا دروع الزرد، وهي عبارة عن حلقات مترابطة ببعضها، وأول من صنعها هم حدادين من بيليغوست. فعملهم لم يكن له منافس على الإطلاق.

في ذلك الوقت، أصبحت سيندار مسلحة واستطاعت طرد المخلوقات الشريرة. وإحلال السلام بأرضها مجدداً. أما مستودعات سلاح ثينغول فقد مُلأت بالفؤوس والرماح

[1] المقصود هنا(أحد عشائركم القدامى) أي نياندور.

والسيوف والخوذات الطويلة، ومعاطف طويلة من الزرد اللامع. فقد كان درع الأقزام مصمماً بشكل جيد جداً فهو لا يصدأ ويحافظ على إشراقته دائماً وكأنه ملمع حديثاً. وذلك ما أثبت حُسن عملهم عند ثينغول فيما سيأتي من الوقت.

والآن كما قيل فيما سبق، فق تَرك لينوي مع مجموعة صغيرة من جماعة أُولُويْ موكب إيلدار عندما وقفت تيليري عند شواطئ النهر العظيم على الحدود الغربية للأرض الوسطى. وقلة مَن يعرفون عن تشرد ناندور وضياعه الذي قادهم في نهاية المطاف إلى وادي أندوين. وكما يقال فقد سكنوا لمدة طويلة في غابة وادي النهر العظيم. وقال البعض بأنهم أتوا مؤخراً إلى الثغور أو مصبات النهر فأقاموا بجانب البحر. رغم ذلك فآخرون منهم عبروا إيريد نيمرايس الجبال البيضاء، ووصلوا إلى الشمال ثانيةً، ثم دخلوا برية إيريادور بين إيريد لوين وجبال الضباب البعيدة. وهؤلاء كانوا سكان غابه فلم يكن لديهم أسلحة فولاذية. ونزول وحوش الشمال إليهم أخافهم كثيراً. لذلك عندما سمع دينثور بن لينوي عن قوة ثينغول وجلاله والسلام الذي في مملكته، قام بجمع ما استطاع جمعه من شعبة المتفرق وقادهم عبر الجبال إلى بيليرياند. هناك رحب بهم الملك ثينغول كقريب ضائع منذ مدة طويلة. وأسكنهم في أوسيرياند أرض الأنهار السبعة.

في سنوات السلام الطويلة التي تبعت مجيء دينثور، كان هناك القليل من الحكايات في تلك الأيام إلا واحدة صغيره وهي: يقال أن الشاعر دايرون رئيس سادة العلم في مملكة ثينغول ابتكر الأحرف الرونية. فتعلم ناوغريم الذين أتوا إلى ثينغول هذه الأحرف وكانوا ممتنين جداً لهذه الوسيلة الثمينة. وبنظرهم فإن قيمة ومهارة دايرون أعلى من كل أعمال شعب سيندار. أخذ كايرث من ناوغريم هذه الأحرف معه إلى الجبال في الشرق، ومنه انتشرت إلى غالبية الشعب. لكن هذه الأحرف فلم تستخدم إلا قليلاً من قبل سيندار، فقد كانت فقط لحفظ السجلات. حتى أتت الحرب ودمرت الكثير من ذاكرتهم في خراب دورياث. لكن قبل النهاية بقي القليل ليقال بأنه كان هناك بعض النعمة والحياة السعيدة وكانت كعمل صافي جميل مدهش. ومازالوا يمتعون أعينهم برؤية سجلاتهم الخاصة بالأحرف الرونية. وعندما يكونون في الخطر أو الانكسار يتجهون دائماً إلى الأناشيد التي تعزز ذاكرتهم.

في بيليرياند في تلك الأيام تنزه الجان، والأنهار متدفقة، والنجوم مشرقة، وروائح الأزهار الليلية تعم المكان، وجمال ميليان كالظهيرة، وجمال لوثايِّن كالفجر في الربيع. في بيليرياند

كـان الملـك ثينغـول علـى عرشـه وكأنـه سـيدُ الميَّـار. وسـلطته تـنعم بالسـكونِ والهـدوء، وكـان الفـرح عنـدهم كـالهواء الـذي يستنشـقونه في كـل أيـامهم. وهـو مـا جعـل الفكـر يتـدفق في مـدد صـافي مـن الأعلـى إلى الأعمـاق. في بيليريانـد مـازال أورومـي العظـيم يركـب جـواده ويمـر كـالريح فـوق الجبـال. وصـوت بوقـة قـرب مسـافات أضـواء النجـوم. كـان الجـان يهابونـه لعظمـة وجهـه والصـخب العظـيم الصـادر مـن حصـانه ناهـار. لكـن عنـدما يـتردد صـدى فالارومـا في الـتلال، فهم يعرفون جيداً بأن الأشياء الشريرة قد سمعته وهربت بعيداً.

لكنـه حـدث أخـيراً بـأن نهايـة النعمـة كانـت قريبـةً، وشمـس ڤـالينور شـارفت علـى الغيـاب. لأن نهايتهـا كانـت مرسـومة مـن قبـل كمـا هـو معـروف للجميـع، فهـي مسـجلة بـالعلم ومغنـاة بالأناشـيد. كيـف قطـع ميلكـور أشـجار الڤـالار بمسـاعدة أونغوليانـت. وعـن هروبـه وقدومـه إلى الأرض الوسـطى. وفي الشـمال البعيـد حيـث نـزاع مورغـوث وأونغوليانـت، لكـن صـرخة مورغـوث الكبـيرة وترديـدها مـن خـلال بيليريانـد. أدت إلى انكمـاش النـاس مـن الخـوف. فلـم يعرفـوا مـاذا كـان يعـني ذلـك لكـنهم سمعـوا مـن خلالهـا نـداء المـوت. بعـد ذلـك بقليـل هربـت أونغوليانـت مـن الشـمال وجـاءت إلى مملكـة ثينغـول. كانـت رهبـة الظـلام تحـيط بهـا، لكـن قـوة ميليـان حجّمتهـا، فلـم تسـتطيع الـدخول إلى نولـدوريث. وبسـبب مـدة سـكنها الطويـل تحـت ظـل الجـروف الـتي انحـدرت منهـا دورذونيـون جنوبـاً. أدت إلى تسـمية تلـك المنطقـة إيريـد غورغـورث أي جبـال الرعـب. ولم يتشـجع أحـد بالـذهاب إلى هنـاك أو العبـور قريبـاً منهـا لأن الضـوء والحيـاة هنـاك كانـا مخنـوقين، والميـاه مسـممه. لكـن مورغـوث وكمـا أخبرنـا سـابقاً، عـاد إلى حصـنه أنغبانـد وأعـاد بنـاءه، وفـوق أبوابـه رفـع أبـراج التبخـير مـن ثـانغورودريم، وكانـت بوابـات مورغـوث تبعـد حـوالي مئـة وخمسـين فرسـخاً عـن جسـر مينغـروث. فتعتـبر وكأنهـا بعيـدة نوعاً ما، لكنها كانت قريبةً أيضاً.

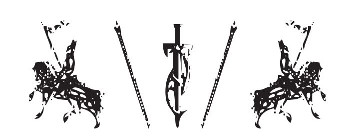
تزايـدت أعـداد الأوركـس في ظلمـة الأرض فنمـت قويـةً ونزلـت مـن الجبـال. لأن ظـلام سـيدهم أتخمهـم بشـهوتي المـوت والخـراب. انتشـر الأوركـس مـن بوابـات أنغبانـد تضـللهم الغيـوم الـتي أرسـلها مورغـوث فـوقهم، عـبروا بصـمت إلى مرتفعـات الشـمال. فمـن هنـاك وبشـكل مفـاجئ وصـل الجـيش الكبـير إلى بيليريانـد وهـاجم الملـك ثينغـول. يوجـد في هـذه المملكـة الواسـعة الكثـير مـن الجـان الأحـرار في البريـة. أو الـذين انفصـلوا بعشـائر صـغيرة مسـتقلة وسـكنوا بسـلام. فكثـر السـكان فقـط حـول مينيغـروث في وسـط الأرض وعلـى طـول فـالاس في بـلاد البحـارة. لكـن نـزول الأوركـس إلـيهم كـان مـن كـلا جـانبي مينغـروث، ومـن المعسـكرات في

الشرق بين كيلون وجيليون، ومن سهول الغرب بين سيريون وناروغ فاستباحوها بالطول وبالعرض. انقطع ثينغول عن كيردان في إيغلاريست، لذلك استدعى دينثور وجاء الجان بقواتهم من منطقة مابعد آروس ومن أوسيرياند. وقاتلوا في المعركة الأولى من حروب بيليرياند. فانكسر جيش الأوركس الشرقي بين جيوش إيلدار شمالي أندرام وبمنتصف الطريق بين آروس وجيليون، هناك تمت هزيمة الأوركس تماماً. ومن هرب منهم إلى الشمال كان بانتظاره مذبحة عظيمة بفؤوس ناوغريم الخارجة من جبل دولميد. في الحقيقة قلة منهم استطاعوا العودة إلى أنغباند.

دفع الجان لنصرهم على الأوركس ثمناً باهضاً، لأن أسلحة سكان أوسيرياند كانت خفيفة فلم يكونوا نداً للأوركس، الذين ينتعلون الحديد ويرتدون دروعاً حديدية ويحملون الرماح ذوات النصال الواسعة. حاصر هؤلاء الأوركس جيش الملك دينثور على تل آمون إيريب وأحاطوا به من كل جانب، فسقط هناك هو وكل الذين كانوا معه، قبل أن يهب لنجدته جيش ثينغول. وبهذا السقوط المر فقد انتقموا له عندما وقع جيش ثينغول على مؤخرة جيش الأوركس وذبحوهم كلهم وكوموا جثثهم في أكوام. رثا شعب دينثور ملكهم ولم يتخذوا عليهم ملكاً بعده. وبعد المعركة عاد بعضهم إلى أوسيرياند، وملأت أخبارهم بقية الشعب بالخوف العظيم. لذلك فيما بعد لم يذهبوا إلى حرب بشكل مفضوح بل بالسر وكانوا حذرين، ولهذا السبب سموهم لاكويندي، الجان الخضر لأن ردائهم كان لونه من لون أوراق الشجر. رحل الكثير من الجان الخضر شمالاً ودخلوا مملكة ثينغول المحمية واندمجوا بشعبه.

عندما عاد الملك ثينغول إلى مينيغروث، علم أن جيش الأوركس كان منتصراً في الغرب وقد هزموا كيردان وطروه إلى حافة البحر. لذلك قام بسحب كل شعبة واستدعى الجميع حتى حدود الأجزاء النائية من نيلدوريث وإيريجين. سيجت ميليان تلك المنطقة وسيطرت عليها، وأحاطتها بعويل غير مرئي من الظل والحيرة. وهو ما عُرف فيما بعد بزنار ميليان. وهو السياج الذي لا يمكن لأي شيء أن يعبره بدون رغبتها أو إرادة الملك ثينغول، ما لم تأتي قوة أعظم من قوة المايا ميليان. وهذه الأرض الداخلية التي كانت تدعى لمدة طويلة ايغلادور فقد سميت فيما بعد دورياث أي المملكة المحروسة، أرض الزنار، فضمنها كان السلام محروس. من دون وجود للخطر أو للخوف العظيمين. وكان خدم مورغوث يجوبون كل المنطقة إلا داخل الزنار وداخل أسوار مرافئ الفالاس.

لكـن الأخبـار الجديـدة كانـت سـريعة. والـتي لم يتوقعهـا أحـد في الأرض الوسـطى. لا مورغـوث في حفـره، ولا ميليـان في مينيغـروث، فلـم تـأتيهم أخبـارٌ مـن أمـان، سـواء مـن قبـل رسـول أو بـالروح أو برؤيـا الأحـلام بعـد مـوت الأشـجار. وفي هـذا الوقـت نفسـه جـاء فيـانور عـابراً البحـر بسفن تيليري البيضاء. وهبط في درينغيست وأحرق السفن هناك في لوزغار.



# الفصل الحادي عشر

## الشمس والقمر وإخفاء ڤالينور

قلنا فيما سبق بأنه بعد هروب ميلكور جلس الڤالار طويلاً بلا حراك على عروشهم في دائرة الحساب، لكنهم لم يكونوا خاملين كما وصفهم فيانور في حماقة قلبه. فيمكن للڤالار عمل أشياء كثيرة بالفكر بدلاً من عمل الأيدي. ولهذا السبب أطالوا السهر في ليل ڤالينور، وعقدوا عدة اجتماعات متواصلة الواحد تلو الآخر لكن بصمت. وعادوا بالفكر إلى ما قبل إيا وحتى إلى النهاية. رغم ذلك فلا قوة ولا حكمة خففت من حزنهم. وتحقق بذلك معرفتهم عن ساعة تكوين الشر. ندبوا لموت الأشجار لكن أكثر ندبهم كان بسبب إفساد فيانور. فقد كان من أكثر أعمال ميلكور شراً. لأن فيانور كان الأقدر في كل الأجزاء جسماً وعقلاً وشجاعةً وقدرةً على التحمل ويشتمل على جمالُ الخَلق والخُلق والفهم والمهارة والقوة والدقة على حدٍ سواء من بين كل أبناء إلوڤاتار، كان شعلةً مُتّقدةٌ. من جهة أخرى فإن عمل الأعاجيب لمجد أردا إلى حد التصور يكون فقط من قبل قدرة مانوي. وقد أَخبَرَنا الڤانيار الذين كانوا يقفون مع الڤالار عندما عاد الرسول إلى مانوي وأخبرهم عن أجوبة فيانور. بكى مانوي وأحنى رأسه، لكنه رفعه أثناء سماعه الكلمة الأخيرة لفيانور - كشخص يسمع صوتاً من بعيد - والتي قال فيها: يجب على نولدور العمل للعيش في الأغنية إلى الأبد. فقال مانوي: سيكون ثمن تلك الأغاني باهضاً. رغم ذلك فهي بضاعة جيدة، ولن يكون هذا الثمن لغيرها منذ أن تكلم إيرو معنا وقال بأنه سيخلق جمال فوق التصور وسيأتي هذا الجمال إلى إيا. ثم بعد ذلك سوف يصبح شريراً بعد أن كانت خيِّراً.

ثم قال ماندوز: مع ذلك فالشر باقٍ، وعما قريب سيأتي فيانور إليَّ.

لكن عندما علم الڤالار أخيراً بأن نولدور خرجوا فعلاً من أرض أمان وعادوا إلى الأرض الوسطى. نهضوا لتنفيذ ما قرروه في استشاراتهم بأن يبدأوا بإصلاح ما أفسده ميلكور.

فطلـب مـانوي مـن ياڤانَـا ونايننـا أن يضـعا كامـل قوتيهمـا للنمـو والاستشـفاء. وجهـت ياڤانَـا ونايننـا كامـل قوتيهمـا علـى الأشـجار. لكـن دمـوع نايننـا لم تفـد في شـفاء جـراحهم الهالكـة. وبقيـت ياڤانَـا تغـني لمـدة طويلـة لوحـدها في الظـل حـتى فقـدت الأمـل وتعثـرت أغانيهـا، وأخـيراً حمـل تيلبيريـون علـى أحـد أغصـانه الجـرداء زهـرة واحـدة كبـيرة مـن الفضـة، وحمـل لاوريلـين ثمـرةً من ذهب.

وعنـدما قطفـت ياڤانَـا الزهـرة الفضـية والثمـرة الذهبيـة ماتـت الأشـجار. لكـن جـذوعها بقيـت واقفـة في ڤـالينور لحـد الآن كنصـب تـذكاري لبهجـة متلاشـية. قـدمت ياڤانَـا الزهـرة والثمـرة إلى أوليـي وقـام مـانوي بتقديسـهم. ثم قـام أوليـي وشـعبه بصـنع أوعيـة لحفظهـم وتغليـفهم والحفـاظ علـى تـألقهم. كمـا قيـل في نارسـيليون[1] (أي أغنيـة الشـمس والقمـر). وفيمـا بعـد أصـبحت هـذه الأوعيـة الـتي أعطاهـا الڤـالار إلى ڤـاردا هـي مصـابيح السـماء، الـتي تتـألق أكثـر مـن النجـوم القديمـة كونهـا أقـرب إلى أردا، بعـد أن أعطـتهم ڤـاردا القـوة لاجتيـاز المنـاطق السـفلى مـن إيلمـين[2]. وجهـزتهم لـرحلات علـى مسـارات محـددة فـوق حـزام الأرض مـن الغـرب إلى الشـرق ثم العودة مجدداً.

عمـل الڤـالار هـذه الأشـياء بسـبب ازديـاد الظـلام في بقـاع أردا. لـذلك فهـم مصـممون الآن علـى إنـارة الأرض الوسـطى. لكـي يسـتطيعوا مقاومـة أعمـال ميلكـور. فقـد تـذكروا أڤـاري الباقيـة في الأرض الوسـطى علـى ميـاه اليقظـة، وأيضـاً لـن يتركـوا نولـدور لوحـدهم تمامـاً في المنفـى. ولعلـم مـانوي بـأن سـاعة مجـيء البشـر قـد اقتربـت. في الحقيقـة يقـال، منـذ أن شـنَّ الڤـالار حربـاً علـى ميلكـور لأجـل كوينـدي وحـتى الآن، ولازالـوا متمسـكين بالصـبر ولم يشـنوا حروبـاً أخـرى كـل ذلـك مـن أجـل هيلـدور، القـادمون الجـدد، الأبنـاء الأصـغر لإلوڤاتـار. فـالأرض الوسـطى قـد تـأذت كثـيراً أثنـاء الحـرب علـى أوتومنـو وكـان الڤـالار يخشـى بـأن يصـيبها الآن أذى أسـوأ مـن قبـل، حيـث أن هيلـدور ينبغـي أن يكـون فانيـاً، وأضـعف مـن كوينـدي لتحمـل الخـوف والاضـطراب. عـلاوة علـى ذلـك لأنـه لم يُكشـف لمـانوي مـن أيـن سـتكون بدايـة البشـر. شمـال، جنـوب، أو شـرق. لـذلك بعـث الڤـالار ضـوءاً لجعـل القـوة علـى أرض سكنهم.

[1] نارسيليون. Narsilion.هي قصائد للشمس والقمر وتحكي حكاية صنع الشمس والقمر من الفاكهة الذهبية والزهرة الفضية، ومن الشائع أن نجد تلميحات تولكين الدائمة إلى قصائد أو أعمال حقيقية كان قد ألفها في الماضي لكن في حالة نارسيليون لم يذكر تولكين اسم مؤلفها.

[2] إيلمين.Ilmen . هو عبارة عن طبقة الهواء النقي المتوضع فوق طبقة الغيوم.

إيسيل هو ذلك البريق اللامع الذي سماه الڤانيار منذ القدم، القمر، وهو زهرة تيلبيريون التي كانت في ڤالينور. أما كلمة أننار، فهي النار الذهبية، فاكهة لاوريلين فقد سموها الشمس. لكن نولدور سموا القمر رانا، أي المتمرد، وسموا الشمس فاسا، أي قلب النار، التي تنهض ثم تذوي. لذلك فالشمس وُضعت كعلامةٍ على يقظة البشر وتلاشي الجان. أمّا القمر فقد بقي متعلقاً بذاكرة الجان.

اختار الڤالار العذراء أرين من الميَّار لتوجيه وعاء الشمس. وقاد الميّار تيليون جزيرة القمر. فمنذ أيام الأشجار في ڤالينور كانت أرين تهتم بالزهور الذهبية في حدائق ڤانا وكانت ترويهم بندى لاوريلين اللامع. لكن تيليون كان صياداً ضمن جماعة أورومي، وكانت لدية قوس فضية، فهو يعشق الفضة. ومتى كان يريد الإستراحة، كان يترك غابة أورومي، فيدخل إلى لورين ويتمدد حالماً بنزول بركات إيستي عليه. في ومضات أشعة تيلبيريون طلب بأن يعطى مهمة إدارة الزهرة الأخيرة للفضة إلى الأبد. فالعذراء أرين كانت أقدر منه وقد اختيرت لأنها لا تخشى حرارة لاوريلين، ولم تصب بالأذى منها، لأن بدايتها كانت من روح النار. فهي التي لم يستطع ميلكور خداعها وسحبها لخدمته. فقد كانت عيون أرين لامعة جداً حتى بالنسبة لنظرات عيون إيلدار. غادرت أرين ڤالينور تاركةً الشكل والرداء الذي يشبه الڤالار لأنه بُليَ، وأصبحت كشعلة مجردة فظيعة في اتساع عظمتها.

كان إيسيل قد خلق أولاً وصُنع متأهباً، وكان أول نهوض في عالم النجوم، فهو شيخ الأضواء الجديدة، كما كان تيلبيريون شيخ الأشجار، ثم بعد مدة صار للعالم ضوء القمر. فاستيقظت الكثير من الأشياء التي انتظرت طويلاً في نوم ياڤانَا. ومُلىء خدم مورغوث بالذهول من ضوئه، لكنَّ الجان في الأراضي الخارجية، نظروا للأعلى بفرح وسرور مع ارتفاع القمر فوق الظلام في الغرب. سمح فينغولفين بنفخ أبواقه الفضية وبدأ بتسيير موكبه إلى الأرض الوسطى. فقد كانت ظلال جماهيره تسير أمامهم سوداء طويلة.

اجتاز تيليون السماء سبع مرات وكان في الشرق الأقصى عندما أصبحت سفينة أرين جاهزة. ظهرت أننار في المجد، وكان الفجر الأول للشمس مثل النار العظيمة على أبراج بيلوري، فتوهجت غيوم الأرض الوسطى. وسُمع الكثير من أصوات السقوط. في الواقع، فإن خوف مورغوث من الضوء هو الذي جعله ينحدر إلى أقصى أعماق أنغباند ويسحب خدمه معه. نافثاً الضباب والدخان العظيم، فتشكلت غيمة مظلمة أخفت أرضه عن ضوء ذلك النجم النهاري.

كـان مقصـد ڤـاردا بـأن تسـافر السـفينتين داخـل إيلمـين ويجـب أن تكونـا عـاليتين، ولا تكونـا معـاً. فكـلٌّ منهمـا تعـبر مـن ڤـالينور إلى الشـرق ثم تعـود. فتظهـر الأولى مـن الغـرب أمّـا الأخـرى فتـدور مـن الشـرق. هكـذا اعتمـدت بدايـة الأيـام الجديـدة بعـد طريقـة الأشـجار، مـن اخـتلاط الأضـواء لكـلٍ مـن أريـن وتيليـون عنـدما عـبرا مسـاريهما فـوق منتصـف الأرض. لكـن تيليـون كـان متمـرداً وسـرعته مضـطربة، فلـم يلتـزم بمسـاره المحـدد، لـذلك اقـترب مـن أريـن ليكسـب مـن عظمتها لكن لهب أننار أحرقه وأظلمت جزيرة القمر.

وبسـبب طبـع تيليـون المشـاكس وصـلوات لـورين وايسـتي لرفـع النـوم والاسـتراحة عـن الأرض وإعـادة إظهـار النجـوم، فقـد غـيرت ڤـاردا رأيهـا، وسمحـت بـأن يكـون هنـاك وقـت للعـالم يجـب أن يكـون فيـه ظـل ونصـف إنـارة. فسـمحت للشـمس بالاسـتراحة لفـترة في ڤـالينور مسـتلقيةً علـى صـدر المحيط البـارد، وذلـك كـان وقـت المسـاء. وهـي أعظـم سـاعة مـن الضـوء والبهجـة في أمـان. بعـدها يقـوم مسـاعدوا أولمـو بسـحب الشـمس إلى الأسـفل لتـذهب بسـرعة تحـت الأرض، فتصـل غـير مرئيـة إلى الشـرق، ومـن هنـاك تصـعد ثانيـةً إلى السـماء، خشـية أن يكـون الليـل أكثـر طـولاً، وبـذلك يمشـي الشـر تحـت القمـر. أصـبحت ميـاه البحـر الخـارجي دافئـة ومحمـرة كلـون النـار المتوهجـة بواسـطة أننـار. وأصـبح لـدى ڤـالينور ضـوء بعـد مـرور أريـن. رغـم ذلـك فكلمـا سـافرت تحـت الأرض وسـحبت نحـو الشـرق، كـان الـوهج يبهـت فتصـبح ڤـالينور خافتـه. فيتـذكر الڤـالار لاوريلـين ويبكـون لفقـده. لكـن عنـد الفجـر كانـت ظـلال جبـال الـدفاع تتمدد ثقيلة على الأرض المباركة.

قـادت ڤـاردا القمـر برحلـة مشـابهة ومررتـه تحـت الأرض ليظهـر بعـد ذلـك مـن الشـرق. لكـن ذلـك يحـدث فقـط بعـد أن تنحـدر الشـمس مـن السـماء. لكـن سـفر تيليـون كـان بسـرعة مضـطربة. ومـازال لحـد الآن يسـافر بهـذا الشـكل. ولازال يقـترب مـن أريـن، وسـيبقى كـذلك للأبـد، لـذلك في أغلـب الأحيـان قـد لا يشـاهدا في نفـس الوقـت فـوق الأرض، وأحيانـاً قـد يصـادف بـأن يقـترب منهـا كثـيراً بحيـث نجـد ظلـه يقطـع سـطوعها، في ذلـك الوقـت سـيقع الظلام على الأرض في وسط النهار.

وبسـبب ذهـاب أننـار ورجوعهـا. تمكـن الڤـالار مـن حسـاب الأيـام فيمـا بعـد، واسـتمروا علـى هـذه الطريقـة حـتى تغيـير العـالم. أمّـا بالنسـبة لتيليـون فقلمـا اسـتطاعوا ترويضـة في ڤـالينور، لكـن في أحيـانٍ كثـيرة، سـيعبر بسـرعة شـديدة فـوق الأرض الغربيـة. فـوق أفاثـار أو أرامـان أو

ڤـالينور. ويهـبط بـالهوة خلـف البحـر الخـارجي ثم يتـابع طريقـة وحيـداً وسـط عفونـة كهـوف أردا، هناك في أغلب الأحيان يتجول لمدة طويلة، ثم يعود متأخراً.

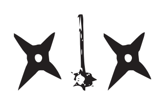
لهـذا السـبب فمـازال الضـوء يـأتي إلى ڤـالينور بعـد الليـل الطويـل أعظـم وأصـفى منـه علـى الأرض الوسـطى. لأن الشـمس ترتـاح هنـاك. وأضـواء السـماء تقـترب أكثـر إلى الأرض في تلـك المنطقـة، لكـن لا الشـمس ولا القمـر يمكـن أن يتـذكرا الضـوء الـذي كـان يـأتي مـن الأشـجار في الزمـان القـديم قبـل أن يمسـهم سُـم أونغوليانـت. ولم يبـق مـن ضـوئهم إلا ذلـك الجزء الذي يعيش فقط في السيلماريلس.

كـره مورغـوث الأضـواء الجديـدة، وارتبـك لفـترة مـن هـذة الضـربة غـير المتوقعـة مـن القـالار، لـذلك، قـام بمهاجمـة تيليـون فأرسـل عليـة أرواح الظـل، وحـدث هنـاك صـراع في إيلمـين تحـت طـرق النجـوم. لكـن في النهايـة كـان النصـر حليـف تيليـون. خـاف مورغـوث مـن أريـن خوفـاً عظيمـاً. فلـم يتشـجع حـتى علـى الاقـتراب منهـا. بـل في الحقيقـة لم تعـد لديـة القـوة لمواجهتهـا، لكـن حقـده نمـا أكثـر. فبعـث الشـر الـذي في نفسـه وحملـه في الأكاذيـب وفي مخلوقاتـه الشـريرة، لربمـا تصـل إلـيهم وتفـرقهم. أمّـا عـن نفسـه فقـد أصـبح أكثـر التزامـاً ببـاطن الأرض، غـير راغـب في الخـروج مـن معاقلـه المظلمـة، فقـد أخفـى نفسـه وخدمـه بـالظلال مـن أمـام وجـه أريـن لأنهـم لا يتحملون نظرة عيونها، وغطى الأراضي القريبة من مسكنه بالأدخنة والغيوم الكثيفة.

وقـع القـالار في الشـك عنـدما رأوا الإعتـداء علـى تيليـون. وخـافوا مـن ماهيـة المكيـدة والخدعـة الـتي يـدبرها مورغـوث ضـدهم الآن. فلـم تكـن لـديهم راغبـةً بشـن حـرب عليـه في الأرض الوسـطى. لأنهـم تـذكروا خـراب ألمـارين. وصـمموا علـى أن لا يحـدث ذلـك في ڤـالينور أيضـاً. لـذا ففـي ذلـك الوقـت حصـنوا أرضـهم ثانيـةً، ورفعـوا أسـوار جبـل بيلـوري لتكـون مائلـة ومرتفعـة ومخيفـة. مـن جهـات الشـرق والشـمال والجنـوب، فقـد كانـت جوانبهـا الخارجيـة ملسـاء مظلمـة بـدون مـوطئ قـدم أو حـواف أو نتـوءات، وأنزلوهـا بانحـدار كبـير بوجـوه قاسـية كالزجـاج. ووضـعوا علـى قمـم الأبـراج تيجـان مـن الـثلج الأبـيض. وأبقـوا فـوقهم مراقبـة سـاهرة دائمـة مـن دون نـوم. فـلا ممـر يقـود إلـيهم إلا في كالاكيريـا. لم يغلـق القـالار ذلـك المعـبر مـن أجـل المخلصـين مـن إيلـدار. ومـازال فينـارفين يحكـم بقيـة نولـدور في الشـق العميـق للجبـال في مدينـة تيريـون فـوق التـل الأخضـر. ولكـل هـذا العـرق الجـني وحـتى الڤانيـار، اللـذين كـان سـيدهم إينغـوي. يجـب علـيهم أن يتنفسـوا فقـط مـن الهـواء الخـارجي والريـاح الـتي تـأتي عـبر البحـر مـن الأراضـي الـتي ولـدوا فيهـا. أيضـاً لم يفصـل القـالار تيلـيري كليـةً عـن أقـاربهم. لكـنهم وضـعوا

أبراجاً قوية والكثير من الحراس في كالاكيريا، ونشروا على السهول معسكرات من شعب ڤالمار. بحيث لا يمكن لأي طير أو وحش أو إنس أو جان أو أي مخلوق يسكن بالقرب من مساكن الأرض الوسطى أن يعبر هذا المعسكر.

في ذلك الوقت أيضاً، وضعت تلك الأغاني التي تدعى نورتالي ڤالينوريفا أي إخفاء ڤالينور. وتم وضع الجزر المسحورة قرب الشواطئ الشرقية لأمان، وجعلت البحار عدائيةً من حولهم فقد مَلؤُها بالظلال والحيرة. ثم شدوا هذه الجزر بأوتارٍ كالشبكة إلى بحار الظلال من الشمال إلى الجنوب. أمّا تول إيريسيا، الجزيرة المنعزلة. فقد كانت تستطيع الاتصال بهم فقط عبر الإبحار غرباً. ومن غير الممكن أن تمرَّ أي سفينة بين هذه الجزر. بسبب الأصوات الخطرة لتنهدات الأمواج المتكسرة على الصخور المظلمة المغطاة بالضباب. وبهذا الغسق يقع الإرهاق العظيم على الملاحين فيبغضون البحر. وكل من وضع قدمهُ هناك على تلك الجزر فقد حوصر للأبد. وسيبقى نائماً حتى تغيير العالم. وهكذا يكون كما تنبأ لهم ماندوز في أرامان. فالأرض المباركة أصبحت مغلقة بوجه نولدور. والكثير من الرسل الذين سيأتون في قادم الأيام مبحرين إلى الغرب، فلن يصل منهم أحدٌ إلى ڤالينور. إلا وحداً فقط وهو الملاح الأكثر قدرة، والمعروف بالأغاني والأناشيد.



# الفصل الثاني عشر

## البشر

بعد ما منح الڤالار الضوء للأرض الوسطى، جلسوا خلف جبالهم بسلام. ولمدة طويلة تركوا إدارة هذه الأرض لغيرهم. فلم توجد هناك مقاومة لسلطة مورغوث إلا من بعض شجاعة نولدور. ولم يهتم أحد من الڤالار بالمنفيين إلا أولمو الذي كان يجمع أخبارهم من الأرض عن طريق المياه.

بدأ حساب سنوات الشمس منذ ذلك الوقت. وأصبحت سنوات الشمس أسرع وأقصر مما كانت عليه سنوات الأشجار في ڤالينور. وفي ذلك الوقت أصبح هواء الأرض الوسطى ثقيلاً على التنفس والنمو والفناء والتغيير، فأسرعت شيخوخة كل الأشياء كثيراً. وفي الربيع الثاني لأردا ولدت الحياة على التربة وفي المياه. ازدادت أعداد إيلدار. وأصبحت بيليرياند تحت الشمس الجديدة خضراء وجميلة.

نهض الأبناء الأصغر لإلوڤاتار عند أول شروقٍ للشمس من أرض هيلدورين، وهي الأرض الواقعة في المناطق الشرقية للأرض الوسطى. لكن شروق الشمس الأول كان من الغرب. اتجهت عيون البشر المفتوحة نحو. مشى البشر بأقدامهم على وجه الأرض وتاه الجزء الأكبر منهم عن طريقه. سمتهم إيلدار أتّاني، أي الأمة الثانية (الشعب الثاني). أطلقوا عليهم أيضاً اسم هيلدور، أي الاتباع. وأسماء أخرى كثيرة منها. أبانونار، الولد الثاني. إينغوار الضعفاء. فيريمار الهالكون (الفانون). وسموهم المغتصبون، الغرباء، الغامضون، النفس اللعينة. القساة، المخيفون بالليل، أبناء الشمس. لا يعرف من البشر بهذه الحكايات والمتعلقة بالأيام القديمة، من قبل ازدياد الفانيين وتضاؤل الجان، إلا آباء البشر الأتاناتري فهم الذين يعرفونها، وهم الذين ساروا على وجه الأرض في السنوات الأولى للشمس والقمر وذهبوا إلى شمال العالم. لم يأتِ أحد من الڤالار إلى هيلدورين لإرشاد البشر، أو لدعوتهم

للسكن في ڤالينور كما حدث مع الجان. لكن البشر خافوا من الڤالار بدلاً من أن يحبوهم، فلم يفهموا أهداف هذه السلطات بعد كونها متعارضةً معهم. فابتدأ النزاع بالعالم. مع كل هذا فقد أخذ أولمو على عاتقه فكرة تقديم المساعدة لهم بعد أن أخذ بذلك رأي مانوي. جاءت رسائل أولمو إليهم غالباً بالسيول والفيضانات. لكنهم لم يكونوا مهرةً في مثل هذه الأمور. فمازالوا أقل مهارة في تلك الأيام، قبل اختلاطهم بالجان. لذلك أحبوا الماء وأثيرت به قلوبهم. لكنهم لم يفهموا رسائله. يقال بأنهم تقابلوا ومنذ مدة طويلة مع الجان المظلمون في عدة أماكن وأقاموا صداقات معهم. فأصبح البشر أثناء طفولتهم رفاق وتوابع لهذا الشعب القديم. لأن الهائمون من هذا العرق الجني لم يرشدوهم على الطريق المؤدي إلى ڤالينور. ولم يعرف البشر عن الڤالار أي شيء، ولم يسمعوا عنهم إلا كإشاعة أو اسم بعيد.

في حينها لم يتأخر مورغوث كثيراً بالعودة إلى الأرض الوسطى. ولم تذهب قوته لخارج الأرض الوسطى. علاوة على ذلك فقد دقق بالمجيء المفاجئ لذلك الضوء العظيم. كان هناك خطر طفيف في الأراضي والتلال، وضع مورغوث أشياء جديدة كان قد ابتكرها منذ عصور طويلة، من قبل أن تفكر فيها ياڤانا، وبذرها كبذرة في الظلام. وأخيراً جاءت واعدةً، فأزهرت في الغرب والشمال والجنوب. أي في كل الأماكن التي انتشر وتجول فيها أبناء البشر. كانت بهجة أبناء البشر كبهجة الصباح قبل جفاف الندى عندما تكون كلُّ الأوراق خضراء.

لكن الفجر قصير والنهار غالباً مليء بالوعود الكاذبة. فقد حان وقت الحروب الكبرى من قوى الشمال. عندما ناضل البشر ونولدور وسيندار ضد جماعات مورغوث باوغلير الذي نزل إلى الخراب. إلى هذه النهاية أدت أكاذيب مورغوث المخادعة والتي زرعها منذ القدم ومازال يبذرها بين خصومه. فالفتنة التي جلبت القتل في ألكوالوندي وقَسم فيانور. هما من هذه البذور الشريرة التي مازالت تفعل فعلها. هنا لم يخبرنا إلا عن جزء واحد فقط من أعمال تلك الأيام. لكنه أخبر أكثر عن نولدور والسيلماريلس. وعن البشر الذين تورطوا في مصيرهم مع نولدور. ففي تلك الأيام كان الجان والبشر متماثلون في القوام وقوة الجسم. لكنَّ الجان لديهم حكمة أعظم ومهارة أكثر وجمال أفضل وأحسن. أمّا أولئك الجان الذين سكنوا في ڤالينور تحت مرأى السلطات، فقد تفوقوا كثيراً على الجان المظلمين في هذه الأشياء. والذين هم بدورهم كانوا متفوقين على هذا العرق الفاني. ويستثنى من الجان فقط

مملكة دورياث، والتي كانت ملكتها ميليان فهي من الميّار أقارب الڤالار، لذلك جعلت سيندار يقترب أكثر إلى مجاراة كالاكويندي الساكنين في الأرض المباركة.

كان الجان خالدون. وحكمتهم بازدياد من جيل لآخر. فلا المرض ولا الوباء يجلب لهم الموت. بالحقيقة فإن أجسامهم من مادة الأرض وقد تتحطم. وفي تلك الأيام كانت أجسامهم تشبه كثيراً أجسام البشر. ولم يمضِ وقت طويل حتى سكنت النار روحهم. وهي التي ستستهلكهم من الداخل بمرور الزمن. أمّا البشر فكانوا ضعفاء، ويقتلون بسهولة أكثر، إن كان بالسلاح أو بسوء الحظ، ويحتاجون لوقت اطول للشفاء من الأمراض. فهم معرضون دائماً للأمراض والأوبئة. بالإضافة إلى أنهم يكبرون في السن ويموتون. لم يعرف الجان ماذا يحدث لأرواح البشر بعد الموت. فالبعض يقول بأن أرواح البشر تذهب إلى قاعات ماندوز، لكن مكانهم ومكانتهم من الانتظار هناك ليس هو نفس مكان ولا مكانة الجان. وبموجب تعاليم إلوڤاتار فلا يعلم إلا ماندوز ومانوي إلى أين سيذهبون بعد زمن التذكر في تلك القاعات الصامته بجانب البحر الخارجي. لم يرجع أحدٌ أبداً من قصور الموتى إلا فقط بيرين بن باراهير. وهو الشخص الذي لامست يداه السيلماريلس لكنه لم يتكلم فيما بعد مع البشر الفانيين. ربما لم يكن مصير البشر بعد الموت في أيدي الڤالار ولم يكن في كل نبوءات موسيقى آينور.

في الأيام اللاحقة وبسبب انتصار مورغوث فقد أصبح الجان والبشر متجافيين ومنفصلين كما تمنى كثيرون. فالذين هم من جنس الجان ومازالوا يعيشون في الأرض الوسطى، تضاءلوا وبهتوا. اغتصب البشر أماكن نور الشمس. أمّا كويندي فقد تجولوا في الأماكن المنعزلة للأراضي العظيمة والجزر، وأُخذوا إلى ضوء القمر والنجوم، وإلى الغابات والكهوف. فأصبحوا كظلال الذكريات. إلا أولئك الذين أبحروا أحياناً إلى الغرب واختفوا من الأرض الوسطى. لكن منذ فجر السنوات كان البشر والجان حلفاء واعتبروا أنفسهم أقرباء. وكان هناك من بين البشر من تعلم حكمة إيلدار، فأصبحوا من عظماء وشجعان قادة نولدور. وأصبحوا في مثل مجد وجمال ومصير الجان. وفي أقدارهم نصيبٌ كاملٌ من كلا النسلين الجنّي والفاني، وهم إيارينديل وإيلوينغ وابنهم إيلروند.



# الفصل الثالث عشر

## عودة نولدور

قلنـا بـأن فيـانور وأبنـاءه كـانوا مـن أول المنفيـين الـذين نزلـت أقـدامهم علـى الأرض الوسـطى، عنـدما نزلـوا في أراضـي القفـر في لامـووث، أرض الصـدى العظـيم. علـى الشـواطئ الخارجيـة للسـان البحـري درينغيسـت. ومنـذ أن وضـع نولـدور أقدامـه علـى السـاحل. فقـد وصـل صـدى صـوتهم وصـرخاتهم إلى الـتلال، فمـلأ هـذا الصـخب الهائـل كـل سـواحل الشـمال. حملـت الـريح صـوت ضوضـاء احـتراق السـفن في لوزغـار إلى البحـر كصـوت مـن الاضـطرابٍ والغضـب العظـيم. وكـل مـن سمـع هـذه الأصـوات مـن بعيـد فقـد تعجـب وانـدهش عن ماهية هذا الصوت.

لم تشـاهد ألسـنة لهـب الاحـتراق الهائـل للسـفن فقـط مـن قبـل فينغـولفين، الـذي تركـة فيـانور في أرامـان. فقـد شـاهدها أيضـاً، الأوركـس وحـراس مورغـوث. لم يعلـم أحـد مـاذا كـان يخفـي مورغـوث في قلبـه لخصـمه العنيـد فيـانور، الـذي جلـب معـه حشـوده مـن الغـرب، قـد يكـون خائفـاً مـنهم قلـيلاً، ولكـن لم تكـن لديـة لحـد الآن أيـة أدلـة علـى أسـلحة نولـدور، وحالمـا رأى ذلك فقد صمم على إرجاعهم إلى البحر الذي جاءوا منه.

تحـت النجـوم البـاردة وقبـل شـروق القمـر قطعـت حشـود فيـانور اللسـان البحـري الطويـل درينغيسـت، مخترقـين تـلال الصـدى مـن إيريـد لـومين. وبالتـالي يكونـوا قـد عـبروا مـن الشـواطئ إلى أراضـي هيثلـوم الواسـعة، وصـلوا بعـد مسـير طويـل إلى البحـيرة الطويلـة في ميثـريم. هنـاك نصـبوا معسـكرهم علـى شـاطئها الشـمالي في المنطقـة الـتي حملـت نفـس الاسـم. أمـا حشـود مورغـوث فقـد كانـت مضـطربةً مـن تـأثير لامـووث علـيهم وتـوهج أضـواء احـتراق السـفن في لوزغـار. لـذلك تعقبـوهم ودخلـوا مـن خـلال ممـرات إيريـد ويثـرين، جبـال الظـل، وقـاموا بمهاجمـة فيـانور علـى حـين غـرة، قبـل أن ينتهـي مـن بنـاء معسـكرة، حـتى قبـل أن يضـعه بموضـع الـدفاع. وهنـاك علـى الحقـول الرماديـة لميثـريم وقعـت المعركـة الثانيـة مـن حـروب بيليريانـد، داغـور نـوين

غيليـاث. أي معركـة تحـت النجـوم. هكـذا سميـت فيمـا بعـد. حـدث كـل ذلـك والقمـر لم يكـن قـد أشـرق بعـد. لكـن نولـدور كانـت المنتصـرة وبسـرعة شـديدة رغـم التفـوق العـددي والمباغتـة بـالهجوم مـن قبـل الأوركـس. خُلـدت هـذه المعركـة بـالكثير مـن الأناشـيد. فلحـد الآن لم يخبـو ضـوء أمـان في عيـون نولـدور، لقـد كـانوا أقويـاء وسـريعين. قـاتلوا بغضـب، فكانـت سـيوفهم طويلـة وفظيعـة. لـذلك فـرَّ الأوركـس مـن أمـامهم، ودحـروهم مـن ميثـريم بمذبحـة عظيمـة. استمر النولـدوريون بمطـاردتهم علـى جبـال الظـل إلى السـهل العظـيم أرد غـالين الواقـع شمـالي دورذونيـون. أمّـا جيـوش مورغـوث الـتي كانـت قـد عـبرت باتجـاه الجنـوب عـبر وادي سـيريون وقامـت بمحاصـرة كـيردان في مرافـئ الفـالاس. فقـد هبّـت لنجـدة الأوركـس، لكنهـا وقعـت في الكمـين، لأن كيليغـورم بـن فيـانور، كانـت لديـه معلومـات عـن تحـركهم، فكمـن لهـم بجـزء مـن جماعـة الجـان، وقـاتلهم علـى الـتلال القريبـة مـن إيثيـل سـيريون، ثم طـردهم إلى مسـتنقع سـيريخ. في النهايـة وصـلت الأخبـار السـيئة إلى أنغبانـد فأفزعـت مورغـوث. لأن الحـرب كانـت قـد اسـتمرت لعشـرة أيـام متواصـلة، ولم يعـد مـن كـل حشـود مورغـوث الـتي اسـتعدت لغـزو بيليرياند، إلا مجموعة قليلة كحفنة من الأوراق.

صـنع هـذا النصـر فرحـاً عظيمـاً عنـد فيـانور، مـع أن الفـرح كـان قـد غـادره لفـترة، وفي غضـبة ضـد أعدائـه لم يتوقـف بـل ضـغط علـيهم مطـارداً بقيـة الأوركـس. كـان يفكـر أيضـاً بمهاجمـة مورغـوث نفسـه. وراح يضـحك جهوريـاً ملوحـاً بسـيفه بابتهـاج لأنـه هـو الوحيـد تجـرأ علـى إغضـاب الفـالار وتحمـل شـرور الطريـق وهـا هـو الآن يـرى سـاعة ثـأره قريبـة. مـع أنـه يجهـل كـلَّ شـيء عـن أنغبانـد وقـوة تحصـينها الكبـير. كـذلك فـإن مورغـوث كـان قـد جهـز نفسـه بسـرعة. لكـن حـتى لـو علـم فيـانور بـأن خصـمه مسـتعد مـا كـان ذلـك سـيردعه لأنـه كـان طفوليـاً، فقـد اسـتُهلك بلهـب غضـبه. هكـذا اقـترب فيـانور لمكـانٍ متقـدم مبتعـداً عـن طليعـة الجـيش. فـرأوه خـدم مورغـوث واسـتداروا نحـو الخلـيج وأرسـلوا إلى هنـاك بـالروغز مـن أنغبانـد لمسـاعدتهم. هنـاك علـى حـدود دور دايـديلوث أرض مورغـوث. حيـث لم يكـن فيـانور محاطـاً إلا بعـدد قليـل مـن الأصـدقاء، إلا أنـه واصـل الكفـاح لمـدة طويلـة، غـير هيَّـابٍ ولا وجـل. مـع أنـه كـان قـد لُـف بالنـار وأصـيب بجـروح كثـيرة، وأخـيراً ضُـرب بـالأرض مـن قبـل غوثمـوغ سـيد البـالروغز. وهـو نفـس البـالروغز الـذي ذبحـه إكثيليـون في غونـدولين فيمـا بعـد. هنـاك كـان فيـانور سـيموت لـولا وصـول أبنـاءه في اللحظـة المناسـبة وكانـت لـديهم القـوة اللازمـة لمسـاعدته، وعنـدما رآهـم البالروغز فترك فيانور وغادر إلى أنغباند.

حمله أبناءه متجهين به نحو ميثريم. وبينما كانوا على طريقهم الصاعد لمعابر الجبال مقتربين من إيثيل سيريون، طلب منهم أن يتوقفوا. لأنه عرف بأن ساعته قد حانت بسبب جراحه المميتة. نظر من خلال منحدرات إيريد ويثرين، بنظرة أخيرة للبعيد إلى قمم ثانغورودريم أقوى أبراج الأرض الوسطى. فاستبصر وهو في سكرة الموت بأن لا قوة في نولدور قادرةً على اسقاط أبراج ثانغورودريم. لذلك لعن اسم مورغوث ثلاث مرات. ووضعها في عهدة أبناءه ليضيفوها إلى قسمهم والانتقام لأبيهم، ثم مات، لكنه لم يدفن، ولم يكن لديه قبر، لأن نارية روحه عندما غادرت جسده وحُملت بعيداً كالدخان، لم تبقي منه إلا الرماد المتساقط على الأرض. لم يظهر في كل أردا مثيلٌ لفيانور. ولا لروحه المقيمة في قاعات ماندوز. هكذا كانت نهاية أعتى جبابرة نولدور، فهو الذي أكسب الصيت لهم ولأعمالهم وكان السبب الرئيسي لمحنتهم.

يسكن في ميثريم الجان الرماديون شعب بيليرياند الذين تاهوا على الجبال الشمالية. كان لقاؤهم بنولدور فرحاً، كلقاء أهل ضائعين منذ مدة طويلة. لكن في بداية الأمر لم يكن الكلام سهلاً بينهم. بسبب الإنقطاع الطويل عن لغة كالكويندي المستخدمة في ڤالينور، حيث كانت اللغة المستخدمة في بيليرياند هي موريكويندي، مما جعلهم متباعدين جداً. عَلمت نولدور من جان ميثريم عن قوة ايللو ثينغول ملك دورياث وزنار السحر الذي يسيج مملكته. وصلت بشرى الأعمال العظيمة في الشمال إلى مينيغروث في الجنوب وإلى مرافئ بريثومبار وإيغلاريست. وقد مُليء جان بيليرياند بالدهشة والأمل لمجيء قريبهم الهائل، وبهذا يكون حَضْر الذهاب إلى الغرب قد رُفع عنهم في اللحظة التي كانوا فيها بأمس الحاجة للمساعدة. لأنهم اعتقدوا بأن نولدور جاءتهم كرسل من الڤالار لإنقاذهم.

وفي ساعة موت أبيهم جاءت سفارةٌ من مورغوث لأبناء فيانور. يعترف فيها بالهزيمة، ويعرض شروط الهدنة. وقال أيضاً بأنه سيتنازل لهم عن السيلماريل. قام مايذروس طويل القامة الابن الأكبر لفيانور بإقناع إخوته بالتظاهر برغبة التفاوض مع مورغوث. والعمل على مقابلة مبعوثيه في المكان المحدد. لكن نولدور لم يفكروا كثيراً بعدم الثقة به، ولماذا كان مورغوث في كل مرة يرسل سفارات أكثر قوة وأكبر عدداً مما كان متفق عليه. لكن مورغوث أرسل فيما بعد أكثر من ذلك، فقد بعث لهم بالروغز، كمن لمايذروس وقتل كل المجموعة التي كانت معه. لكنه وطبقاً لأوامر مورغوث، أخذ معه مايذروس حياً إلى أنغباند.

وعندما علم أخوة مايذروس بالذي حصل لأخيهم، تراجعوا وحصنوا معسكرهم في هيثلوم تحصيناً عظيماً. لكن مورغوث أخذ مايذروس كرهينة. وأرسل لهم بأنه لن يطلق سراحة ما لم تترك نولدور الحرب وتعود إلى الغرب، أو أن تغادر بيليريانـد مبتعدةً نحو الجنوب. عرف أبناء فيانور بأن مورغوث سيغدر بهم، ولن يحرر مايذروس مطلقاً مهما فعلوا. أيضاً الشيء الآخر الذي منعهم من ذلك، هو التزامهم بالقسم الذي يقول، بأنهم لن يتركوا محاربة عدوهم لأي سبب من الأسباب. لذلك أخذ مورغوث، مايذروس وعلقه على جهة الهاوية من ثانغورودريم. وربطه من رسغ يده اليمنى إلى صخرة برباط فولاذي.

وصلت أخبارٌ إلى المعسكر في هيثلوم. بأن موكب فينغولفين ومن تبعه قد عبروا مناطق الجليد. وكل العالم كان مندهشاً لمجيء القمر في حينها. لكن أثناء زحفت جماهير فينغولفين إلى ميثريم، أشرقت الشمس ملتهبة من الغرب، فنشر فينغولفين راياته الزرقاء والفضية. ونفخ أبواقه، فأزهرت الأرض تحت أقدام الزحف. وهكذا تكون عصور النجوم قد انتهت بنهوض الأضواء العظيمة، أي الشمس والقمر. هرب خدم مورغوث من الأضواء العظيمة إلى أنغباند. ومر زحف فينغولفين بدون ممانعة من خلال دور دايديلوث النائية. بينما اختفى خصومه تحت الأرض. ثم ضرب الجان على أبواب أنغباند. وهزَّ تحدي أبواقهم أبراج ثانغورودريم. فسمعهم مايذروس وسط عذابه وصرخ بصوت عالي. لكن صوته ضاع في أصداء الحجارة.

كان طبع فينغولفين مغاير لطبع أخيه فيانور فقد كان محترساً من حيل مورغوث، لذلك انسحب من دور دايديلوث ورجع إلى ميثريم، لأنه سمع أخباراً بأنه قد يجد أبناء فيانور هناك. ورغب أيضاً بأن يحمي معسكره بجبال الظل، ريثما يرتاح الشعب وتتجدد قوته. فقد شاهد قوة أنغباند، وأدرك بأنه لا يمكن إسقاطها بقوة صوت الأبواق فقط. لذلك أتى بعد مسير طويل إلى هيثلوم وبنى أول معسكر له واستقر عند الشواطئ الشمالية لبحيرة ميثريم. لم تكن هناك محبة في قلوب أتباع فينغولفين لبيت فيانور. فقد كانت معاناتهم عظيمةً في تحمل عبور الجليد. قبض فينغولفين على الأبناء المتواطئين مع أبيهم، فأوشك النزاع بين جنود كلا الجانبين حد الإنفجار. وعلى الرغم من شدة خسائرهم على الطريق، فمازال شعب فينغولفين وفينرود بن فينارفين أكثر عدداً من أتباع فيانور. لذلك انسحب أتباع فيانور. وأزالوا مساكنهم واستقروا على الشاطئ الجنوبي. أصبحت البحيرة حاجزاً بينهم. وبالحقيقة، فإن غالبية شعب فيانور كانوا نادمين على إحراق السفن في لوزغار،

ومندهشـين مـن شـجاعة وجسـارة أصـدقائهم الـذين تركـوهم علـى جليـد الشـمال، لكـنهم لم يتجاسروا على الترحيب بهم لشعورهم بالخجل.

هكـذا وبسـبب اللعنـة الـتي أنزلـت علـى نولـدور فلـم يسـتطيعوا انجـاز شـيء. بينمـا كـان مورغـوث مـتردداً، لأن الضـوء القـوي قـد أصـاب الأوركـس بـالفزع الشـديد، لكـن فكّـر مورغـوث ارتقـى أكثـر بسـبب الانقسـام بـين خصـومه ممـا أدخـل السـرور إليـه. فقـام بصـنع أدخنـة سـوداء في أقبيـة أنغبانـد وأخرجهـا كـأبخرة مـن قمـم الجبـال الحديديـة، وكانـت تُـرى مـن ميثـريم. خرجـت أبخـرة أنغبانـد كـالريح مـن الشـرق وأخـذت تلـوث نقـاء الصـباح المشـرق. وصـلت إلى هيثلـوم كاسـفةً عـين الشـمس. ودار دخانهـا حـول الحقـول والتجـاويف وسـقطت أبخرتهـا علـى ميـاه ميثريم فأصبحت كئيبةً وسامه.

صـمم فينغـون الشـجاع ابـن فينغـولفين علـى معالجـة العـداوة الـتي فرقـت نولـدور، فعـدوهم يعـد العـدة للحـرب. فقـد كانـت الأرض في الشـمال تهتـز وترتعـد مـن أصـوات ورشـات حـدادة مورغـوث الـتي بناهـا تحـت الأرض. كـان فينغـون مـرتبط بعلاقـة صـداقة قديمـة مـع مايـذروس منـذ زمـن طويـل، مـن أيـام نعمـة ڤـالينور قبـل خـروج ميلكـور مـن السـجن. وفي وقتهـا لم تكـن أكاذيبـه قـد سـارت بعـد فيمـا بيـنهم، ولم يكـن يعـرف بـأن مايـذروس لم ينسـاه أثنـاء حادثـة إحـراق السـفن، فـالتفكير في صـداقتهم القديمـة وخـزت قلبـة، لـذلك تجـرأ علـى فعـل أعمـال النبـل المشـهورة والـتي يفـاخر بهـا أمـراء نولـدور، فحـزم أمـره لوحـده وبـدون استشـارة أحـد، وقـرر أن يبحـث عـن مايـذروس. وبمسـاعدة الظـلام الكثـير الـذي جعلـة مورغـوث، فقـد اسـتطاع التخفـي والوصـول إلى أمـاكن اسـتقرار خصـومه، فتسـلق علـى أكتـاف ثـانغوردريم ونظـر بيـأس إلى خـراب الأرض، فـلا وجـود لمعـبر أو شـق يمكـن أن يوصـله إلى معقـل مورغـوث. ثم وبتحـدٍ للأوركـس الـذين مـازالوا منكمشـين في الأقبيـة المظلمـة تحـت الأرض، أخـذ قيثارتـه وغـنى أغنيـة ڤـالينور الـتي صـنعتها نولـدور منـذ زمـن طويـل قبـل نشـوء النـزاع بـين أبنـاء فينـوي. طـرق صـوته الأقبية الحزينة التي لم تسمع من قبل إلا نداءات الخوف والاستغاثة والحزن.

عنـدها وجـد فينغـون مـا أراد، فقـد سمـع فوقـه فجـأة صـوت خافـت يـردد أغنيتـه. وكـان هـذا الصـوت الـذي أجابـه هـو صـوت مايـذروس الـذي غـنى وسـط عذابـه وألمـه. فتسـلق فينغـون سـفح الهاويـة حيـث تعلـق قريبـه، ولم يسـتطع بعـدها أن يتقـدم أكثـر. وعنـدما رأى أداة مورغـوث القاسـية بكـى كثـيراً، وبكـى مايـذروس لأنـه كـان يظـن بأنـه سـيبقى في الألم بـدون أمـل في النجـاة. لـذلك اسـتجدى فينغـون لكـي يرميـه بضـربة مـن قوسـه. وضـع فينغـون سـهماً

في قوسه وأحناه. لكنه ومع فقدان الأمل بكى مبتهلاً إلى مانوي قائلاً: أيها الملك الذي تبجله كل الطيور اطلب منهم أن يسرعوا إلى هذا العمود المعشق. وتذكر أيها الملك بأن نولدور بحاجة إلى بعض الشفقة.

أجيبت دعوات فينغون بسرعة شديدة، لأن مانوي تبجله كل الطيور وتجلب له أخبار الأرض الوسطى إلى تَني كويتيل. وكانت النسور قد جلبت إلى آذان مانوي أخبار حزنٍ كثيرةٍ كتلك التي حدثت فيما سبق من الأيام. فبعث النسور التي كان قد أمرها بالسكن في صخور الشمال لمراقبة مورغوث. فعلى الرغم من كل شيء، مازالت لدى مانوي بعض الشفقة على الجان المنفيين. والآن، عندما أحنى فينغون قوسه. طار هناك في الأعالي ثورونذور ملك النسور وهوى إليه. وثورونذور هذا هو الأقدر بين كل الطيور، وأجنحته الطويلة عندما ممدودة فإنها تغطي ثلاثين قامة. امتدت يد فينغون إليه وحمله ثورونذور إلى وجه الصخرة التي تعلق عليها مايذروس. لكن فينغون لم يستطع أن يحرر الربطة المشدودة على رسغ مايذروس. ولم يستطع قطعها أو سحبها من الحجارة. لذلك فقد استجداه مايذروس ثانية بأن يقتله ويريحه من عذابه. لكن فينغون قطع يد مايذروس من فوق الرسغ وحملهما ثورونذور وأعادهما إلى ميثريم.

هناك في ميثريم وبمرور الوقت تماثل مايذروس للشفاء. لأن نار الحياة بداخله كانت حارة، وقوته كانت من العالم القديم. مثله مثل الذين تربوا وعاشوا في ڤالينور. فشفي جسمه من عذابه وأصبح بعافية. لكن ظلال الألم بقيت في قلبه. وعاش حياته ليحمل السيف باليد اليسرى، لكنَّ هذه اليد كانت فتاكة أكثر مما كانت عليه يده اليمنى. اكتسب فينغون بهذا العمل صيتاً عظيماً واستحق المدح من كل نولدور. بعدها هدأت الكراهية بين بيت فينغولفين وبيت فيانور. وطلب مايذروس المغفرة والعفو عن هروبهم في أرامان، ثم تنازل عن حقه في الملك على كل نولدور قائلاً لفينغولفين: بما أنه لم تعد بيننا أية مشاكل يا سيدي، فإن الملكية تأتي إليك بشكل صحيح. لأنك أنت الآن الأكبر سناً والأكثر حكمة في بيت فينوي. أمّا أُخوة مايذروس فلم يوافقوه الرأي، لكنهم أبقوا ذلك مستوراً في قلوبهم.

وهكذا تحققت نبوءة ماندوز بأن بيت فيانور سيدعون المحرومين. لأن السيادة مرت منهم وهم البيت الأقدم، إلى بيت فينغولفين في كلا المنطقتين، إيليندي[1] وبيليرياند. وأيضاً

---

[1] إيليندي.Elendë . هي أرض الجان في أمان. بعد أن قاد فيانور الشعب من هناك إلى الأرض الوسطى، وبعد مذبحة الأقارب في مرفأ البجعات فقد استلم أخوه فينارفين السيادة هناك. وهنا في الأرض الوسطى استلم السيادة فينغولفين

بسبب خسارتهم للسيلماريلس. لكن المهم أن نولدور عادت متحدةً من جديد. ووضعوا المراقبة على حدود دور دايدلوث، وحاصروا أنغباند من الغرب والجنوب والشرق. بعثت نولدور الرسل والكشافين ونشرتهم بعيداً لاستكشاف بلدان بيليرياند. وللتعامل مع الشعوب التي كانت تسكن هناك.

لم يرحب الملك ثينغول كثيراً بكامل إرادته بمجيء الأمراء من الغرب، فقد كانوا متلهفين للعوالم الجديدة. ولم يفتح أمامهم مملكته ولم يحرر زنارها من السحر، لأن الوعي في حكمة ميليان هو عدم الثقة بأن ضبط النفس عند مورغوث لن يدوم طويلاً. ومن بين كل أمراء نولدور فقط أولئك الذين كانوا من بيت فينارفين هم مَنْ تحملوا معاناة العبور ضمن حدود دورياث. لأنهم يستطيعون الادعاء بعلاقة قرابة مع الملك ثينغول نفسه. لأن أمهم كانت إياروين بنت أُولُويْ من ألكوالوندي.

أنغرود بن فينارفين كان أول المنفيين الذين وصلوا إلى مينيغروث. فقد جاء كرسول لأخيه فينرود وتكلم لمدة طويلة مع الملك ثينغول، فأخبره عن أعمال نولدور في الشمال. وعن أعدادهم وتنظيم قواهم. عفا ثينغول عن كل المآسي بقلب حكيم ونية صادقة وعقل راجح، ولم يتكلم بأي كلمة تتعلق بمذبحة الأقارب. أو عن أسلوب نفي نولدور ولا عن قَسم فيانور. فقد أصغى الملك ثينغول بشكل كامل إلى كلمات أنغرود وقال له وهو يرحل: هكذا ستتكلم باسمي للذي أرسلك. يسمح لنولدور بالسكن في هيثلوم وفي مرتفعات دورذونيون وفي أراضي البرية الفارغة الواقعة شرق دورياث. لكن في بقية الأماكن الأخرى، فهناك الكثير من شعبي. ولن أقيد حريتهم من أجل أحد، فمازال القليل منهم مبعدين عن منازلهم. وبالتالي، فإني أحذركم بأنكم ستحاكمون كما يحاكم الأمراء في الغرب. فأنا سيد بيليرياند. وكل من سيسكن هنا سيسمع كلمتي، ولا يسمح لأحد بالإقامة في دورياث إلا الذين أستدعيهم كضيوف، أو مَنْ يريدني في حاجة عظيمة.

عقد سادة نولدور مجلساً لهم في ميثريم. وإلى هناك جاء أنغرود قادماً من دورياث يحمل رسالة من الملك ثينغول. بدى ترحيب نولدور بالرسالة بارداً. وكانت كلمات أبناء فيانور غاضبة، لكن مايذروس ضحك قائلاً: الملك هو الذي يسيطر على ملكه وإلا فسيكون لقبه عقيم. يمنحنا ثينغول أرضاً خارج سيطرته. وفي الحقيقة فإن دورياث لوحدها ستكون هي مملكته اعتباراً من اليوم. لأن مجيء نولدور هو الذي تركه يحكم في دورياث. وليكن

مسروراً لأن جيرانه أبناء فَينوي وليسوا الأوركس أتباع مورغوث. ومن جهة ثانية سنذهب إلى أي مكان نجده جيداً بالنسبة لنا.

لم يكن كارانثير يحب أبناء فينارفين كثيراً، وكان هو أقسى أخوته وأسرعهم إلى الغضب، فصرخ عالياً: هذا يكفي! لا تدع أبناء فينارفين يشغلوننا بحكاياتهم مع هؤلاء الجان المظلمون في كهوفهم. مَن سمح لأبناء فينارفين بأن يكونوا ناطقين باسمنا للاتفاق معهم؟ على الرغم من أنهم جاءوا فعلاً إلى بيليرياند، فلاتدعهم ينسوا بسرعة بأن أباهم هو سيد نولدور، وأمهم من الأقارب الآخرين أيضاً.

غضب أنغرود من كلام كارانثير وغادر المجلس. في الحقيقة قام مايذروس بتوبيخ كارانثير، لكن غالبية نولدور ومن أتباع كلا الطرفين انزعجوا عندما سمعوا هذا الكلام. خوفاً من طبع أبناء فيانور والذي سيكون كالانفجار إن كان بالكلام الطائش أو بالعنف. لكن مايذروس منع إخوته من الإتيان بأية حركة وغادروا المجلس أيضاً. ثم بعد ذلك بقليل تركوا ميثريم كلها وذهبوا شرقاً ما بعد آروس، إلى الاراضي العريضة حول تلة هيمرينغ. والتي سميت فيما بعد تخوم مايذروس. وفي شمال هذه الأرض كانت توجد حماية صغيره من التل أو النهر ضد أي هجوم قد يأتي من أنغباند. هناك استمر مايذروس وأخوته بالمراقبة. وجمعوا حولهم كل من كان يريد الالتحاق بهم. ولم تكن لهم تعاملات مع أقاربهم في الغرب إلا في بعض الحاجات، ويقال بأن مايذروس هو الذي ابتكر هذه الخطة للتقليل من احتمالات التواصل التي قد تؤدي إلى النزاع. ولأنه كان على قناعة تامه بأن الخطر الرئيسي للهجوم سوف يقع عليه هو. ومن جهته فقد أبقى على الصداقة مع بيوت فينارفين وفينغولفين. وأحياناً كان يزورهم من أجل المشاركة في بعض المشاورات. رغم أنه مرتبطٌ أيضاً بالقسم الذي هجع قليلاً الآن ولفترة من الوقت.

سكن شعب كارانثير بالشرق الأقصى خلف أعالي مياه جيليون حول بحيرة هيليفورن تحت جبل ريريير باتجاه الجنوب. صعدوا مرتفعات إيريد لوين وكان منظرها مدهشاً، ففي اتساعها وبريتها بدت لهم وكأنها كل أراضي الأرض الوسطى. وبذلك فقد كان شعب كارانثير قريباً من مناطق الأقزام، الذين توقفت تحركاتهم إلى بيليرياند بعد هجوم مورغوث ومجيء نولدور. لكن مع أنّ كلا الشعبين يحبّا المهارة واللهفة للتعلم. فلم تكن هناك محبة كبيرة بينهم، فالأقزام غامضون وكانوا يستاؤون بسرعة. أما كارانثير فكانوا متغطرسين ونادراً ما أخفوا احتقارهم لعدم حُسن وجمال ناوغريم. فتبع كل شعب منهما ساداته. ومن جهة

ثانيـة، فـإن كـلا الشـعبين يكرهـون مورغـوث ويخافونـه، وذلـك مـا سـاعد فيمـا بعـد علـى إقامـة تحـالفٍ بيـنهم، وكـان هـذا التحـالف مكسـباً عظيمـاً لكليهمـا. فقـد تعلـم نـاوغريم في تلـك الأيـام الكثـير مـن أسـرار الحـرف. وأصـبح حـدادو وبنـاؤو نـوغرود وبيليغوسـت الأكثـر شـهرة بـين كـل أقربـائهم. وعنـدما بـدأ الاقـزام رحلـتهم ثانيـةً إلى بيليريانـد، انتقلـت ملكيـة منـاجم الأقـزام بدايةً إلى كارانثير وهذا ما جلب إلى شعب كارانثير الكثير من الثروات العظيمة.

بعـد مـرور عشـرين سـنة شمسـية، صـنع فينغـولفين ملـك نولـدور عيـداً عظيمـاً. وكـان ذلـك في الربيـع قـرب بحـيرات إيڤـرين مـن حيـث ينبـع نهـر نـاروغ السـريع. فـالأرض هنـاك خضـراء جميلـة عنـد سـفوح جبـال الظـل الـتي كانـت سـتراً لهـم مـن الجهـة الشـمالية. عاشـت أفـراح العيـد طـويلاً في ذاكـرة الأيـام اللاحقـة المليئـة بـالحزن. ودعـي هـذا العيـد ميريـث أديرثـاد، عيـد لم الشـمل. وحضـر هـذا العيـد الكثـير مـن الزعمـاء والنـاس مـن شـعوب فينغـولفين وفينـرود وأبنـاء فيـانور مايـذروس ومـاغلور مـع محـاربون مـن التخـوم الشـرقية. وجـاءت أيضـاً أعـداد كبـيرة مـن الجـان الرمـاديين. والتـائهون مـن غابـة بيليريانـد وشـعب المرافـئ مـع سـيدهم كـيردان. وأتـى أيضـاً الجـان الخضـر مـن أوسـيرياند، أرض الأنهـار السـبعة، البعيـدة هنـاك تحـت أسـوار الجبـال الزرقـاء. وأتـى من دورياث رسولين هما مابلونغ ودايرون يحملان تحيات الملك.

في عيـد ميريـث أديرثـاد كـل الآراء والنصـائح كانـت تأخـذ بحسـن النيـة، وأقسـم الجميـع علـى الـولاء للصـداقة والاتحـاد فيمـا بيـنهم. وقيـل بأنـه في العيـد كانـت لغـة الجـان الرمـاديين محكيـة بشـكل جيـد مـن قبـل نولـدور، لأنهـم تعلمـوا بسـرعة لغـة بيليريانـد بينمـا سـيندار كـان بطـيء في إتقـان لغـة ڤـالينور، وقـد كانـت قلـوب نولـدور راقيـة ومليئـة بالأمـل، وبـدا للكثـيرين مـنهم بـأن كلمـات فيـانور كانـت محقـة، فمطلـبهم هـو الحريـة والعدالـة لممالـك الأرض الوسـطى. وبالفعـل فقـد تـلا ذلـك العيـد سـنوات طويلـة مـن السـلام فيمـا بيـنهم. بينمـا حمـت السـيوف بيليريانـد مـن شـرور مورغـوث. وأقفلـت علـى قوتـه خلـف أبوابـه، ففـي تلـك الأيـام كـان الفـرح عـامراً تحـت الشـمس والقمـر الجديـدين، وكـل الأرض كانـت سـعيدة لكـن الظـل مـازال يقبـع في الشمال.

بعـد مـرور ثلاثـين سـنة أخـرى. غـادر تورغـون بـن فينغـولفين نيڤراسـت حيـث كـان يسـكن، وراح يبحـث عـن صـديقه فينـرود علـى جزيـرة تـول سـيريون. فسـافر ومـن معـه جنوبـاً علـى طـول النهـر. وبينمـا هـم مسـافرون في الليـل مـا بعـد بحـيرات الغسـق بجانـب نهـر سـيريون، إذ كـان التعـب قـد نـال مـنهم كثـيراً علـى الجبـال الشـمالية، فغشـاهم النعـاس ونـاموا علـى ضـفاف نهـر

سيريون تحت النجوم الصيفية. خرج أولمو من النهر ووضع عليهم نوماً عميقاً وأحلاماً ثقيلة. بقيت مشكلة الأحلام بعد استيقاظهم، لكنهم لم يخبروا بعضهم بهذه الأحلام لأن ذاكرتهم كانت مشوشة. فكل واحد منهم ظن أن أولمو أرسل له رسالة لوحده، مع ذلك لم يقلقوا، بل ارتابوا مما قد يحدث. ساروا في أغلب الأحيان على أراضٍ غير مداسةٍ من قبل، يفتشون في كل اتجاه عن أماكن القوة الخفية. لأن ذلك كله بدا لهم وكأنه استعداد ليوم الشر. فقرروا الانسحاب، خشية اندفاع مورغوث من أنغباند والقضاء على جيوش الشمال.

وفي هذا الوقت كان فينرود وأُخته غالادريل ضيوفاً في دورياث عند قريبهم ثينغول. وكانت دهشة فينرود عظيمةً من قوة وفخامة مينيغروث، من خزائنه ومستودعات سلاحه وقاعاته المؤسسة على الحجارة. فاستحسن أن يبني لنفسه قاعات واسعة خلف أبوابٍ محروسةٍ دائماً، مع بعض العمق والسرية، ويجب أن تكون تحت التلال، لذلك فتح قلبه إلى ثينغول وأخبره عن أحلامه، فأخبره ثينغول عن وادٍ عميق عند نهر ناروغ وعن الكهوف التي تحت فاروث العاليه في الشاطئ الغربي الحاد، وعندما غادر أعطاه أدلاء ليرشدوه إلى ذلك المكان الذي لا يعرفه إلا القليل من الناس. هكذا كان مجيء فينرود إلى كهوف ناروغ. حيث بدأ بتأسيس القاعات ومستودعات السلاح العميقة هناك بعد ما رأى طراز قصور مينيغروث، وأطلق على ذلك المعقل اسم نارغوثروند. وفي عمله هذا حصل فينرود على مساعدة أقزام الجبال الزرقاء. فكافأه الأقزام بأن صنعوا له ناوغلامير، أي عقد الأقزام، لأن فينرود كان قد أحضر أكثر كنوز تيريون، أكثر من غيره من بقية أمراء نولدور، ويعتبر عقد الأقزام هذا من أكثر أعمال الأقزام شهرةً على مر السنين. فقد كان عبارة عن شبكة مجدولة من الذهب وُضعت فيها مجوهرات كثيرة من ڤالينور. لكنه كان يمتلك قوة بداخله بحيث يكون خفيفاً على من يرتديه لكانه حبلٌ من الكتان المجدول. وأياً كانت تلك الرقبة التي ترتديه فهو يتعلق بها بالشرف والبهاء.

هناك في نارغوثروند صنع فينرود بيته وبيوت الكثيرين من شعبه. سمي ذلك المكان بلغة الأقزام فيلاغوند. ومعناه يقترن بالكهوف. فيما بعد أصبح يحمل ذلك الاسم حتى نهايته. لكن فينرود فيلاغوند لم يكن الأول الذي يسكن في الكهوف بجانب نهر ناروغ.

لم تذهب غالادريل أخت فينرود معه إلى نارغوثروند. فقد سكن في دورياث شخص اسمه كيليبورن، وهو من أقرباء ثينغول. فجمعت بينه وبين غالادريل علاقة حب عظيم، لذلك

بقيت غالادريل في المملكة المخفية تسكن مع ميليان تتعلم من علمها العظيم وحكمتها العالية المتعلقان بالأرض الوسطى.

أمّا تورغون فقد تذكر مدينة تيريون الجميلة في ڤالينور، تلك الواقعة فوق التل ببرجها وأشجارها. لكنه لم يجد ما قصد إليه فعاد إلى نيڤراست وجلس بسلام في ڤينيامار على شواطئ البحر. وفي السنة التالية ظهر له أولمو بنفسه، وطلب منه أن يذهب لوحده إلى وادي سيريون. صعد تورغون، وبتوجيه أولمو استطاع اكتشاف الوادي المخفي توملادين في الجبال المحيطة، وهو الوادي الذي كان في وسطه تلة من الحجارة. عندها عاد مرة أخرى إلى نيڤراست ولم يخبر أحداً عن ذلك الوادي. هناك بدأ باستشاراته السرية لابتكار خطة لبناء مدينة تشبه في طرازها تيريون على تلة تونا، تلك التي حنّ قلبه إليها في هذا المنفى.

اعتقد مورغوث بناءً على تقارير جواسيسه بأن سادات نولدور كانوا يسافرون كثيراً، وقلما يفكرون في الحرب. لذا عمل مقارنة بين قوته وقوة أعدائه. وبإنذار صغير ذات مرةٍ حرك قوته. أحدث فجأةً زلزالٌ في الشمال فخرجت النار من شقوق الأرض. ولفظت الجبال الحديدية لهباً. فظهر الأوركس ونزلوا على سهل أرد غالين، مندفعين من هناك عبر معابر سيريون في الغرب. أمّا من الشرق فقد اندفعوا من خلال أرض ماغلور في الفجوة التي بين تلال مايذروس والحدود الخارجية للجبال الزرقاء. لكن فينغولفين ومايذروس لم يكونا غافلين. فبينما كان الآخرون يبحثون عن عصابات الأوركس المبعثرة في بيليرياند بعد أن عملت شراً عظيماً، وقعوا على الجيش الرئيسي من الجانب الآخر وهم يهاجمون دورذونيون. فهزموا خدم مورغوث، وطاردوهم عبر أرد غالين، وحطموهم تماماً. حتى وصلوا أخيراً على مرمى البصر من أبواب أنغباند. تلك كانت المعركة العظيمة الثالثة من حروب بيليرياند. وسميت داغور أغلاريب، أي المعركة المجيدة.

ذلك كان النصر أمّا الآن فوقت الحذر. انتبه أمراء نولدور لذلك الحذر فتمسكوا أكثر باتحادهم وطلبوا المساعد لتشديد المراقبة من أجل حصار أنغباند الذي دام قرابة أربعمائة سنه من سنين الشمس. لم يتجرأ خدم مورغوث لوقت طويل بعد داغور أغلاريب على الخروج من أبوابهم خوفاً من سادات نولدور. تفاخر فينغولفين بالتخلص من الخيانة فيما بينهم، فهي التي لم تسمح لمورغوث بأن يكون قادراً على تدمير وحدة إيلدار ثانيةً، ولن يباغتتهم أبداً. رغم كل ذلك فلم تستطع جيوش نولدور الاستيلاء على أنغباند. أو استعادة السيلماريلس، لكن الحرب لم تتوقف تماماً، فقد ابتكر مورغوث في وقت الحصار

شـروراً جديـده، وكـان يختـبرهم بهـا مـرة بعـد أخـرى. لأنهـم لم يسـتطيعوا تطويـق معقـل مورغـوث بشـكل كامـل، فـأبراج ثـانغورودريم المندفعـة للأمـام مـن جـانبي أسـوار الجبـال الحديـدة المنحنيـة قـد أمنـت لـه الحمايـة مـن كـلا الجـانبين. ومـن غـير الممكـن علـى نولـدور عبورهـا بسـبب الـثلج والجليـد المتواجـدين هنـاك. وبهـذا تكـون مـؤخرة معقلـه مـن الشـمال غـير مقيـده ولم يكـن عنـد مورغـوث خصـوم في الشـمال، فكـان يُخـرج جواسيسـه مـن ذلـك الطريـق أحيانـاً. واسـتطاع إيصـال خدعـه إلى بيليريانـد، فقـد كـان يرغـب قبـل كـل شـيء بـأن يـزرع الخـوف والشـقاق بـين إيلـدار، لـذلك أمـر الأوركـس بأسـر أي شـخص يجدونـه مـنهم وجلبـه مكـبلاً إلى أنغبانـد. فأرعـب الـبعض بعيونـه ولم يكـن بحاجـة للسلاسـل. فعمـل كثـيرون ممـن أسـرهم وفـق إرادتـه حيثمـا كـانوا يتواجـدون بسـبب خـوفهم منـه. وبـذلك عَلـمَ مورغـوث الكثـير ممـا حـدث منـذ تمـرد فيـانور. وفـرح لأن بـذرة الشـقاق الـتي زرعهـا بـين نولـدور في تلـك الأرض أوجـدت الكثـير مـن الخلافات بين خصومه.

بعـد مـرور حـوالي مئـة سـنة تقريبـاً منـذ معركـة داغـور أغلاريـب، سـعى مورغـوث لأخـذ فينغـولفين علـى غفلـة (لأنـه علـم عـن تـيقظ مايـذروس) فأرسـل قـوةً إلى الشـمال الأبـيض ومـن ثم اسـتدارت غربـاً وعـادت ثانيـة إلى الجنـوب. نزلـت هـذه القـوة علـى سـواحل اللسـان البحـري درينغيسـت، وهـي نفـس طريـق الجليـد المتكسـر الـتي سـلكها فينغـولفين، فـدخلت هـذه القـوة إلى مملكـة هيثلـوم مـن الغـرب لكـنهم كـانوا مـراقبين طـوال الوقـت. عنـدها نـزل علـيهم فينغـون مـن بـين الـتلال عنـد رأس اللسـان البحـري. ودحـر أغلـب الأوركـس إلى البحـر. لم تحسـب هـذه المعركـة مـن المعـارك العظيمـة، لأن الأوركـس كـانوا قلـةً، وقسـم واحـد مـن شـعب هيثلـوم هـو مـن شـارك بهـا. بعـد هـذه المعركـة كـان هنـاك سـلام لعـدة سـنوات ولم يـأتي أي هجـوم مباشـر مـن أنغبانـد، لأن مورغـوث أدرك بـأن الأوركـس لم يكونـوا مـدعومين كفايـة لمنازلـة نولـدور. فـالتمس الرأي بقلبه لابتكار أساليب جديده.

وبعـد مـرور مئـة سـنة أخـرى ظهـر مـن الشـمال النـوع الأول مـن أورولـوكي، أي الـبط النـاري (التنـين)، وكـان اسمـه غلاورونـغ، خـرج مـن خلـف أبـواب أنغبانـد في الليـل، وكـان مـا يـزال يافعـاً ونـادراً ولم يكتمـل نمـوه بعـد، لأن حيـاة التنـانين طويلـة وبطيئـة، فعنـدما رآه الجـان هربـوا مـن أمامـه خـائفين واتجهـوا إلى إيريـد ويثـرين و دورذونيـون. وكـان قـد خـرَّب حقـول أرد غـالين. عنـدها قـام فينغـون أمـير هيثلـوم بمطاردتـه علـى ظهـور الخيـل برفقـة النبـالين، وطوقـوه بحلقـة مـن الخيالـة السـريعين، ولم يسـتطع غلاورونـغ تحمـل سـهام النبـالين لأن درعـه المسـلح لم يكتمـل

تشكله بعد. فهرب متراجعاً إلى أنغباند، وبقي هناك لعدة سنوات لم يخرج منها. بعد هذه المعركة الصغيرة كسب فينغون الثناء العظيم وفرحت كل نولدور لأن بعضهم كان قد تنبأ بمثل هذا التهديد الجديد. لكن مورغوث كان غير ممتن لأنه كان متسرعاً في كشفه عن غلاورونغ. بعد هذه الهزيمة كان هناك سلام طويل غير منجز بشكل كامل لمدة تقارب المائتي سنة. في كل ذلك الوقت كانت المشاجرات على التخوم فقط. فازدهرت كل بيليرياند وازدادت في الغنى، وبفضل حماية وحراسة جيوشها المرابطة في الشمال فقد بنت نولدور المساكن والأبراج، وعملوا الكثير من الأشياء الجميلة في تلك الأيام. فكتبوا القصائد والتواريخ والعلوم. أصبحت نولدور وسيندار متحدتين في أغلب الأراضي وملتحمتين كشعب واحد، وكانتا تتكلمان نفس اللغة، مع ذلك بقي بعض الاختلاف بينهم، لأن نولدور كانت تمتلك القوة الأعظم في العقل والجسم ومحاربوها كانوا الأكثر جبروتاً وحكمةً. فبنوا بيوتهم من الحجارة وأحبوا سفوح الجبال والأراضي المفتوحة. أمّا سيندار فكانت لديها الأصوات الصافية والمهارة العالية في الموسيقى، فقد تفوقوا على الجميع ماعدا ماغلور بن فيانور من نولدور فقط. أحبوا الغابات وضفاف الأنهار، ومازال بعض الجان الرماديين تائهين بدون مسكن ثابت ودائماً ما ينشدون ويغنون أينما ارتحلوا.



# الفصل الرابع عشر

## بيليرياند وممالكها

هـذه هـي أنمـاط الأراضـي الـتي جـاءت إليهـا نولـدور في شمـال المنـاطق الغربيـة لـلأرض الوسـطى في الأيـام القديمـة. ونجـد هنـا أيضـاً أخبـاراً عـن الأسـلوب الـذي ارتـبط فيـه زعمـاء إيلـدار وتوحـدوا ضـد مورغـوث بعـد المعركـة الثالثـة مـن حـروب بيليريانـد والـتي سميـت داغـور أغلاريب.

نصـب ميلكـور في العصـور القديمـة إيريـد أنغـرين، أي الجبـال الحديديـة، في الجـزء الشـمالي مـن العـالم كسـياج لحصـنه أوتومنـو، وكانـت هـذه الجبـال منتصبـةً علـى حـدود منـاطق الـبرودة الأبديـة، وهـي تشـبه قوسـاً كبـيراً يمتـد مـن الشـرق إلى الغـرب. بـنى ميلكـور أيضـاً قلعـةً أخـرى وراء جـدران إيريـد أنغـرين مـن الجهـة الغربيـة، في المنطقـة الـتي تلتـف فيهـا الجبـال نحـو الشـمال، فقـد بناهـا كـدفاع ضـد الهجـوم الـذي قـد يأتيـه مـن ڤـالينور. وعنـدما عـاد إلى الأرض الوسـطى. كمـا قيـل. فقـد اسـتقر سـكنه في جحـيم الحديـد في الأقبيـة العميقـة مـن أنغبانـد. وأثنـاء حـرب سـلطات الڤـالار وبسـبب تسـرعهم لإسـقاطه في معقلـه العظـيم أوتومنـو، فلـم يتمكنـوا مـن تـدمير أنغبانـد كليـاً ولم يسـتطيعوا البحـث عـن كـل أمكنتـه العميقـة، لأنـه كـان قـد صـنع نفـق عظـيم تحـت إيريـد أنغـرين يصـل إلى جنـوب الجبـال. هنـاك بـنى بوابـة هائلـة، وخلـف سـفوح الجبـال فـوق هـذه البوابـة، كـوَم الأبـراج المدويـة ثـانغورودريم الـتي صُـنعت مـن الرمـاد وخبـث الأفـران الموجـودة تحـت الأرض، ومـن بقايـا حفـر الأنفـاق. كانـت أبـراج ثـانغورودريم سـوداء مقفـرة وعاليـة جـداً، ينبعـث مـن قممهـا دخـان مظلـم كريـه يغطـى سمـاء الشـمال. فينشـر مـن أمـام أبـواب أنغبانـد ولعـدة أميـال، كـل أنـواع القـذارة والخـراب علـى طـول السـهل العـريض لأريـد غـالين، لكـن مجـيء الشـمس أغـنى هـذه الأرض بالأعشـاب، وعنـدما كانـت أنغبانـد محاصـرة وأبوابها مغلقـة. فقـد نمـت هنـاك أشـياء خضـراء حـتى بـين الحفـر والصـخور المكسـرة أمـام أبواب الجحيم.

إلى الغـرب مـن ثـانغوروديم يتمـدد هيسـيلومي، أي أرض الضـباب، هكـذا أسمتـه نولـدور بلغتهـا بسـبب الغيـوم الـتي أرسـلها علـيهم مورغـوث في أول أيـام معسـكرهم هنـاك. فيمـا بعـد أصـبح اسمـه هيثلـوم في لغـة سـيندار. الـذين سـكنوا تلـك المنـاطق، كانـت هيثلـوم أرض جميلـة أثنـاء حصـار أنغبانـد، بـالرغم مـن هواءهـا الهـادئ وشـتاءها بـارد. يحـدها مـن الغـرب إيريـد لـومين، جبـال الصـدى المتاخمـة للبحـر، ومـن الشـرق والجنـوب الالتـواء العظـيم إيريـد ويثـرين، الجبال الغامضة، المطلة على أرد غالين ووادي سيريون.

أقـام كـل مـن فينغـولفين وابنـه فينغـون في هيثلـوم أمـا غالبيـة شـعب فينغـولفين فسـكنوا في ميثـريم حـول شـواطئ البحـيرة الكـبرى. كانـت دور لـومين الممتـدة إلى الغـرب مـن ميثـريم، مـن نصـيب فينغـون، وكانـت قلعتـه الرئيسـية إيثيـل سـيريون الواقعـة شـرقي إيريـد ويثـرين. وهـي القلعـة الـتي أبقـت المراقبـة مسـتمرةً علـى أرد غـالين، فكـان فرسـانهم يجوبـون ذلـك السـهل حـتى ظـلال ثـانغوروديم. وبسـبب عشـب سـهل أرد غـالين الأخضـر الغـني فقـد ازدادت أعـداد خيـولهم بشـكل كبـير. كـان منشأ غالبيـة تلـك الخيـول مـن ڤـالينور. وهـي مـن نسـل الخيـول الـتي أعطاهـا مايذروس إلى فينغولفين كتعويضٍ عن خسائره. وكانوا قد حملوها معهم بالسفن إلى لوزغار.

أمـا نيڤراسـت فتقـع غـربي دور لـومين، خلـف جبـال الصـدى الواقعـة جنـوب اللسـان البحـري درينغيسـت المتـاخم للأراضـي الداخليـة. تعـني كلمـة نيڤراسـت في لغـة سـيندارين، الشـاطئ الأقـرب، ذلـك الاسـم كـان قـد أُعطـي مـن قبـل إلى كـل السـاحل الجنـوبي للسـان البحـري. لكـن بعـد ذلـك أصـبح يـدل فقـط علـى الأراضـي الـتي تقـع شـواطئها بـين درينغيسـت وجبـل تـاراس. هنـاك منـذ سـنوات كانـت تقـع مملكـة تورغـون الحكـيم، ابـن فينغـولفين. محاطـة بـالبحر وإيريـد لـومين والـتلال الممتـدة حـتى أسـوار إيريـد ويثـرين مـن الجهـة الغربيـة. ومـن إيڤـرين إلى جبـل تـاراس الواقـف علـى الصـخور الشـاطئية. احتفظـت بعـض أراضـي نيڤراسـت بحقهـا بـأن تكـون تابعـةً إلى بيليريانـد منـه إلى هيثلـوم لأنهـا كانـت أرضـاً أكثـر اعتـدالاً. تُـروى بالريـاح الرطبـة القادمـة مـن البحـر وتُحمـى مـن الريـاح الشـمالية البـاردة الـتي تهـب علـى هيثلـوم. فهـي أرضٌ منخفضـة، محاطـةً بالجبـال والمنحـدرات السـاحلية العظيمـة العاليـة الواقعـة خلفهـا، لا يتـدفق إلى هنـاك أي نهـر، أمّـا في وسـط نيڤراسـت فكانـت توجـد بحـيرة كبـيرة بـدون شـواطئ محـدده، لكنهـا محاطـة بالمسـتنقعات العريضـة، واسـم تلـك البحـيرة لينـايوين بسـبب تعـدد الطيـور الـتي تسـكن هنـاك. مثـل الطيـور الـتي تحـب القصـب الطويـل والطيـور الـتي تحـب الميـاه الضـحلة. وأثنـاء مجـيء نولـدور كـان العديـد مـن الجـان الرمـاديين يعيشـون في نيڤراسـت قـرب السـواحل.

خصوصاً حول جبل تاراس في المنطقة الجنوبية الغربية. لأنه إلى ذلك المكان اعتاد كل من أولمو وأوسي أن يأتيا في الأيام القديمة. اتخذت كل تلك الشعوب تورغون سيداً لهم. وحدث الاختلاط بين نولدور وسيندار عندما كانوا قريبين من بعضهما هناك. سكن تورغون لمدة طويلة في تلك القاعات التي سميت ڤينيامار الواقعة تحت جبل تاراس بجانب البحر.

دورذونيون هي الهضبة العظيمة الواقعة جنوب أرد غالين، وتمتد لستين فرسخاً من الغرب إلى الشرق. تحمل على جوانبها الصنوبر العظيم المثمر، خصوصاً على جوانبها الشمالية والغربية، فالانحدار اللطيف للسهل يبعده عن الأرض الكئيبة والعالية. يوجد هناك الكثير من البحيرات الجبلية عند جذور تلك التلال الجرداء، ذات القمم العالية، فقممها أعلى حتى من قمم إيريد ويثرين. وتطل جنوباً نحو دورياث المنخفضة مباشرة عبر المنحدرات المخيفة. حرس أنغرود وإيغنور أبناء فينارفين من المنحدرات الشمالية لدورذونيون، حقول أرد غالين، وكان معهم في هذه الحراسة أتباع أخيهم فينرود سيد نارغوثروند، فهم شعب قليل العدد لأن أرضهم قاحله. تعتبر هذه المرتفعات العظيمة الموجودة خلفهم، بمثابة الحصن والمانع من عبور مورغوث لتلك الأرض أو الاقتراب منها.

بين دورذونيون والجبال الغامضة كان هناك وادٍ ضيق، جدرانه ملتفة بالصنوبر، واخضرار هذا الوادي كان بسبب تدفق نهر سيريون السريع نحو بيليرياند. حمى فينرود ممرات سيريون وبنى على جزيرة تول سيريون في وسط النهر برج مراقبة هائل اسمه ميناس تيريث، لكن بعد أن بنى نارغوثروند فقد تعهد بإبقاء تلك القلعة بعهدة اخيه أورودريث.

هذه البلاد الجميلة العظيمة والتي اسمها بيليرياند تمتد على جانبي نهر سيريون الهائل المشهور بالأغاني، فهو ينبع من إيثيل سيريون ويسير محاذياً لحافة أرد غالين، ثم يتدفق من خلال المعابر فيصبح أشبه بالسيول الجبلية. من هناك يتابع سيره جنوباً لمئة وثلاثين فرسخاً. حيث تجتمع مياهه مع العديد من روافده. أثناء فيضانه الهائل يتصل سيريون بالعديد من روافده مشكلاً الدلتا الرملية في خليج بالار، يجري سيريون من الشمال إلى الجنوب ويمتد من الجانب الأيمن لغرب بيليرياند إلى غابة بريثيل التي تقع بين سيريون وتيغلين، بعد ذلك تأتي مملكة نارغوثروند بين تيغلين وناروغ. هناك ينشأ نهر ناروغ من شلالات إيڤرين في الوجه الجنوبي لدور لومين ويجري حوالي ثمانين فرسخاً حتى يتصل بسيريون في نان تاثرين أَرض الصفصاف. وإلى الجنوب من نان تاثرين توجد منطقة أشربة العسل المليئة بالكثير من

الأزهـار، حيـث سـكنت فيهـا بضـعة أقـوام. وتمتـد وراءهـا مسـتنقعات جـزر القصـب الواقعـة حول مصبات نهر سيريون ورمال الدلتا الفاقدة لأي شيء حي إلا طيور البحر.




الشكل(٤) مصور بيليرياند الشرقية والغربية وممالكهما

تمتـد مملكـة نارغوثرونـد إلى غـرب نـاروغ حـتى نهـر نينينـغ، الـذي ينتهـي إلى البحـر في إيغلاريسـت. أصبح فينـرود السـيد الأعلـى لكـل جـان بيليريانـد السـكنين بـين سـيريون والبحـر. باسـتثناء منطقـة فـالاس. فقـد سـكن هنـاك سـيندار الـذين مـازالوا يحبـون السـفن، وسـيدهم كـيردان بنـاء السـفن. كـان بـين كـيردان وفينـرود صـداقة وتحـالف، أعـاد كـيردان بنـاء المرافـئ في بريثومبـار وإيغلاريسـت مـن جديـد بمسـاعدة نولـدور. بـنى جـان الفـالاس خلـف أسـوارهم العظيمـة البلـدات والمـوانئ الجميلـة، دعّمـوا أرصـفة المـوانئ بالحجـارة. نصـب فينـرود علـى الـرأس الغـربي مـن إيغلاريسـت برجـاً، اسمـه بـاراد نيمـراس لمراقبـة البحـر الغـربي، وفيمـا بعـد أثبـت بأنـه لم يكـن لـه داعٍ، لأن مورغـوث لـن يكـون سـريعاً في بنـاء السـفن ولـن يشـنَّ حربـاً عـن طريـق البحـر، بالإضـافة إلى أن كـل خـدم مورغـوث يتجنبـون المـاء، ولم تكـن لـديهم الرغبـة في ركـوب البحـر إلا في الحاجـات العظيمـة أو عنـد الخـوف الشـديد. بـنى بعـض شـعب نارغوثرونـد سـفناً

جديدة بمساعدة جان المرافئ. وذهبوا لاكتشاف الجزيرة العظيمة في بالار. عازمين على تهيئة مأوىً أخيراً لهم إذا جاء الشر، لكن القدر لم يجعل من تلك المنطقة سكناً لهم أبداً.

هكذا كانت مملكة فينرود الأعظم إلى حد بعيد مع أنه الأصغر بين السادة العظام من نولدور. فينغولفين، فينغون، مايذروس، وفينرود فيلاغوند. اعتبر فينغولفين كسيد أعلى لكل نولدور. بعده أتى فينغون. مع أن ممالكهم الخاصة كانت في الأرض الشمالية لهيثلوم، فقد كان شعبهم هو الأكثر رعباً وشجاعةً. وعلى الدوام كانوا أكثر اعداء الأوركس رعباً، والأكثر كرهاً عند مورغوث.

على الجهة اليسرى من سيريون تقع بيليرياند الشرقية، وهي أراضٍ شاسعة تبلغ حوالي مئة فرسخ من سيريون غرباً إلى جيليون وحدود أوسيرياند شرقاً. بين سيريون ومينديب توجد بدايةً الأراضي الفارغة ديمبار، تحت قمم كريسايغريم، وكريسايغريم هذه هي مسكن النسور. وبين مينديب والمياه العليا من إيسغالدوين تقع نولاند، وهي من أراضي نان دونغورثيب. تلك المنطقة مخيفةٌ جداً، لأنها مسيجة فقط من جانب الحدود الشمالية لدورياث بقوة ميليان، لكن على الجانب الآخر، توجد المنحدرات الهائلة من إيريد غورغوروث، جبال الرعب. وكما أخبرنا في السابق فقد هبطت أونغوليانت من أعالي دورذونيون هاربةً من سياط بالروغز، وسكنت هناك لفترة من الوقت فملأت الوديان بظلمتها القاتلة، عندما كانت ماتزال هناك، وعندما ماتت فإن نسلها الكريه تربص هناك ونسج شباكه الشريرة، فدنس المياه الرقيقة التي انسكبت من إيريد غورغوروث وأصبحت خطرة على كل من شربها، أو من تذوق هذه المياه كان يمتلئ قلبه بظلال الجنون واليأس، لذلك تتجنبها كل الكائنات الحية في تلك الأرض، لم تعبر نولدور أراضي نان دونغورثيب إلا في وقت الحاجة العظيمة. على الممرات القريبة من حدود دورياث وأبعد من تلال المطاردة، كان هنالك طريق معمول منذ مدة طويلة، من قبل الوقت الذي عاد فيه مورغوث إلى الأرض الوسطى. يوصل السير في هذا الطريق شرقاً إلى إيسغالدوين، ثم إلى الجسر الحجري إيانت تاور الذي مازال يقف هناك منذ أيام الحصار، بعدها يمر عبر دور دينيين، الأرض الصامته ويعبر آروسيّاخ (ومعناه يشير إلى معابر آروس). حتى يصل إلى التخوم الشمالية لبيليرياند، حيث يسكن أبناء فيانور.

إلى الجنوب من دورياث تقع الغابة المحمية مسكن ثينغول الملك الخفي، ضمن مملكته فلا أحد يمر إلا بإرادته، في شمالها، وهو الجزء الأصغر توجد غابة نيلدوريث المحاطة شرقاً وجنوباً

بـــالنهر المعـــتم إيســـغالدوين، الـــذي ينحـــني إلى الغـــرب في وســـط الأرض، وبـــين آروس وإيسـغالدوين، مـن جهـة ضـفته الجنوبيـة تتمـدد أعظـم وأكثـف غابـة في المنطقـة. حيـث يـدور إلى الغـرب نحـو سـيريون، وهنـاك توجـد كهـوف مينيغـروث. كـل دوريـاث تمتـد لشـرق سـيريون مما يـؤمن لهـا الاقـتراب مـن منطقـة الغابـة بـين التقـاء تيغيلـين وسـيريون وبحـيرات الغسـق. أطلـق شـعب دوريـاث علـى هـذه الغابـة اسـم نيڤـريم، أي الحـدود الغربيـة. هنـاك نمـت أشـجار البلـوط العظيمـة المحاطـةُ أيضـاً ضـمن زنـار ميليـان. وذلـك الجـزء مـن سـيريون المحبـوب والمقـدس مـن قبـل أولمو يجب أن يبقى كله تحت سيطرة ثينغول.

في الجنـوب الغـربي لـدورياث حيـث يصـب آروس في سـيريون فيصـنع البحـيرات والمسـتنقعات العظيمـة علـى كِـلا جـانبي النهـر الـذي توقـف جريانـه هنـاك وتاهـت مياهـه في قنـوات كثـيره. وقـد سميـت تلـك المنطقـة آيلـين أويـال، بحـيرات الغسـق، لأنهـا ملفوفـة بالضـباب، يمتـد فوقهـا سـحر دوريـاث. كـل الجـزء الشـمالي لبيليريانـد ينحـدر جنوبـاً إلى هـذه النقطة،بعـد ذلـك ولمسـافة بسـيطة تكـون أرض سـهلية، يسـتمر فيهـا تـدفق سـيريون. لكـن جنـوب آيلـين أويـال تنحـدر الأرض فجـأة بشـكل حـاد. أمّـا كـل الحقـول المنخفضـة الـتي كـان قـد شـكلها سـيريون نتيجـة جرفـه للتربـة مـن السـهول العليـا، فإنهـا تظهـر بنظـرة واحـدة مـن الجنـوب إلى الشـمال كسلسـلة لانهائيـة مـن الـتلال، تسـير مـن إيغلاريسـت خلـف نـاروغ في الغـرب إلى آمـون إيريـب في الشـرق. علـى مرمـى البصـر مـن جيليـون جـاء نهـر نـاروغ مـن خـلال هـذه الـتلال في وادٍ عميـق، وتـدفق علـى المنحـدرات لكنـه لم يصـنع شـلالات. وعنـد ضـفته الغربيـة ترتفـع الأرض إلى الهضـاب العظيمـة المشـجرة مـن تـاورين فـاروث. أمّـا علـى الجانـب الغـربي مـن الـوادي فيتراجـع علـى المـدى القصـير ليهـبط كتيـار مـن فقاعـات الرغـوة المضـطربة إلى نـاروغ مـن أعـالي فـاروث. هنـاك حيـث أسـس فينـرود معقلـه العظـيم نارغوثرونـد. لكـن علـى بعـد حـوالي خمسـة وعشـرين فرسـخاً شـرق وادي نارغوثرونـد، يتـدفق سـيريون مـن الشـمال منحـدراً في سـقوطه الهائـل مـن تحـت البحـيرات، ثم يهـبط فجـأة تحـت الأرض إلى الأنفـاق العظيمـة الـتي حفرهـا تسـاقط مياهـه، ثم يظهـر ثانيـةً بعـد مسـيره لمسـافة ثلاثـة فراسـخ تحـت الأرض باتجـاه الجنـوب، بصـخب عظـيم ودخـان مـن خـلال الأقـواس الصـخرية في أسـفل الـتلال الـتي تـدعى بوابـات سيريون.

هـذا التشـعب الهـابط للنهـر مـن نارغوثرونـد إلى نهايـة الأسـوار في رامـدال شـرقي بيليريانـد، سمـي أنـدرام أي السـور الطويـل، لكـن في الشـرق أصـبح انحرافـه أقـل والسـبب أن وادي جيليـون

ينحـدر بثبـات نحـو الجنـوب. لم يكـن هنـاك في جيليـون لا منحـدرات نهريـة ولا شـلالات في كافـة أنحائـه، لكـن في هـذه النقطـة كـان سـيريون أسـرع ممـا كـان عليـه بـين رامـدال وجيليـون، حيـث لا يوجـد هنـاك سـوى تـل وحيـد بمـدى كبـير وانحـدار قليـل، لكنـه يبـدو أكثـر هـولاً ممـا هـو بالحقيقـة، يسـمى ذلـك التـل آمـون إيريـب، وعلـى آمـون إيريـب مـات دينثـور ملـك نانـدور الـذي سـكن في أوسـيرياند. وهـو الـذي سـار لمسـاعدة ثينغـول ضـد مورغـوث. في تلـك الأيـام عنـدما كـان أول ظهـور للأوركـس بـالقوة وانكسـار سـلام بيليريانـد المضـاءة بـالنجوم. وعلـى ذلـك التـل أيضـاً سـكن مايـذروس بعـد الهزيمـة العظيمـة. لكـن جنـوب أنـدرام بـين سـيريون وجيليـون كانـت أرض بريـة مـن الغابـات المتشـابكة حيـث لم يمشـي هنـاك أي قـوم. إلا بعـض الجوالين من الجان المظلمين، وسميت هذه الغابة تاور إم دويناث، أي غابة بين الأنهار.

يعتـبر جيليـون نهـراً عظيمـاً. فهـو ينبـع مـن مصـدرين، وكـل مصـدر كـان عنـده في بـادئ الأمـر فرعـان. جيليـون الصـغير الـذي أتـى مـن تـل هيمرينـغ. وجيليـون الكبـير الـذي أتـى مـن جبـل ريـرير. بعـد اجتمـاع فرعيـه الكبـير والصـغير، يتـدفق جيليـون إلى الجنـوب لمسـافة أربعـين فرسـخاً قبـل أن يجـد روافـده، وقبـل وصـوله للبحـر يكـون أطـول بمـرتين مـن سـيريون، مـع أنـه أقـل عرضـاً مـن سـيريون وممـتلأً أكثـر بسـبب المطـر الغزيـر المتسـاقط في هيثلـوم ودورذونيـون. مـن حيـث يسـحب سـيريون مياهـه، كـذلك تـدفقت عليـه مـن الشـرق مـن إيريـد لـوين سـتة روافـد لجيليـون. آسـكار (الذي سمـي فيمـا بعـد راثلوريـيـل)، ثـالوس، ليجـولين، بريلثـور، دويلـوين، أدورانـت، كلهـا جـداول سـريعة ومضـطربة وتسـقط بشـكل حـاد مـن الجبـال. وبـين آسـكار في الشـمال وأدورانـت في الجنـوب وبـين جيليـون وإيريـد لـوين تتمـدد أوسـيرياند الـبلاد الخضـراء البعيـدة، أرض الأنهـار السـبعة. وتقريبـاً في النقطـة الـتي في منتصـف طريقـه ينقسـم جـدول أدورانـت ثم يعـود ويجتمـع ثانيـةً. فيشـكل جزيـرة، وتلـك الجزيـرة الـتي طوقتهـا مياهـه تسـمى تـول غـالين، الجزيرة الخضراء التي سكن عليها بيرين ولوثايين بعد عودتهما.

سـكن في أوسـيرياند الجـان الخضـر بحمايـة أنهـارهم، فبعـد سـيريون أحـب أولمـو جيليـون أكثـر مـن كـل ميـاه العـالم الغـربي. حرفـة أهـل أوسـيرياند الأساسـية هـي فـن صـناعة الأخشـاب، وإذا عـبر غريـب أرضـهم مـن أولهـا إلى آخرهـا لم يكـن يـرى أحـداً مـنهم، لأنهـم كـانوا يلتفـون بـرداء أخضـر في الربيـع والصـيف علـى حـدٍ سـواء. وصـوت غنـائهم يمكـن أن يسـمع حـتى عـبر ميـاه جيليـون. لهـذا السـبب فقـد سمـى نولـدور تلـك الـبلاد لينـدون، أي أرض الموسـيقا، وسموا الجبـال التي خلفها إيريد ليندون. لأنهم أول شيء رأوه من أوسيرياند.

شرق دورذونيون كانت حدود بيليرياند مفتوحة للهجوم. فلم يكن يحمي جيليون من الشمال إلا التلال المنخفضة فقط. سكن أبناء فيانور ومعهم شعب كثير في تلك المنطقة، وهي الممتدة من تخوم مايذروس إلى الأراضي التي خلفها. وفي أغلب الأحيان كان خيالتهم وفرسانهم يجوبون السهل الشمالي لوثلان، خشية أن يحاول مورغوث شن غارات على بيليرياند من الشرق. يقع سهل لوثلان شرق أرد غالين وهو سهل شاسع وفارغ. بنى مايذروس حصنه الرئيسي على تل هيمرينغ الدائم البرودة. وكان هذا التل عريض الأكتاف، عاري من الأشجار، قمته مسطحة، وتحيط به بعض التلال الصغيرة. يوجد بين هيمرينغ ودورذونيون ممر يسير بانحدارٍ حاد نحو الغرب، واسم ذلك الممر أغلون. الذي يعتبر الباب إلى دورياث، فمن خلاله تهب دائماً الريح القارسة من الشمال. حصّن كل من كيليغورم وكوروفين ممر أغلون بالقوة العظيمة. أمّا هملاد فهي كل الأراضي الجنوبية الواقعة بين نهر آروس النابع من دورذونيون ورافده كيلون القادم من هيمرينغ.

تقع ردهة ماغلور بين ذراعي جيليون(الكبير والصغير)، وهنا في مكان واحد فقط فقد فشلت حماية كل التلال، بكل ما في الكلمة من معنى. فمن هنا قدم الأوركس إلى شرق بيليرياند قبل المعركة الثالثة، لذلك فقد اعتمدت نولدور على سلاح الفرسان في تلك السهول. حيث قام شعب كارانثير بتحصين الجبال الواقعة شرق فجوة ماغلور. خارج المدى الرئيسي لإيريد ليندون من جهة الغرب يقف جبل ريرير وحوله العديد من المرتفعات قليلة الارتفاع. وفي الزاوية بين ريرير وإيريد ليندون كانت هناك بحيرة مظللةً بالجبال من كل الجوانب إلا من جهة الجنوب، تلك هي بحيرة هيليڤورن، عميقة ومظلمة. سكن بجانبها كارانثير. وكل الأرض العظيمة الواقعة بين جيليون والجبال وبين جبل ريرير ونهر آسكار كانت قد سميت من قبل نولدور ثارجيليون. أي الأرض الواقعة خلف جيليون، أو سموها دور كارانثير أي أرض كارانثير. هناك في تلك الأرض كان اللقاء الأول بين نولدور والأقزام. لكن ثارجيليون كانت فيما سبق تدعى من قبل الجان الرماديين تالاث روونين أي الوادي الشرقي.

هكذا كان أبناء فيانور تحت قيادة مايذروس أسياد بيليرياند الشرقية، لكن أماكن سكن شعبهم في غالب الأحيان كانت في شمال الأرض، ولم يركبوا إلى الجنوب إلا فقط من أجل الصيد في الغابة الخضراء، حيث كانت تلك الأراضي برية لكن جميلة جداً. هناك سكن أمرود وأمراس، ونادراً ما ذهبا إلى الشمال في زمن الحصار. أتى إلى هناك أيضاً سادة

آخرون من الجان، حتى من الأراضي البعيدة، ومنهم فينرود فيلاغوند، فقد جاء في أغلب الأحيان بسبب حبه الكبير للطواف والتشرد، حتى أنه جاء إلى أوسيرياند فاكتسب صداقة الجان الخضر، لكن من نولدور لم يذهب أحد أبداً إلى إيريد ليندون عندما كانت ممالكها قائمة ومستمرة. وفي النهاية فهناك نُدرةٌ في الأخبار الواصلة إلى بيليرياند حول الذين عبروا مناطقها الشرقية.



# الفصل الخامس عشر

## نولدور في بيليرياند

يقال أنه، بتوجيه وإرشاد من أولمو، اكتشف تورغون الذي يسكن في نيڤراست الوادي المخفي الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم توملادين. وهو الوادي الذي يمتد إلى شرق المياه العليا لسيريون ضمن حلقة من الجبال الشاهقة شديدة الانحدار. وإلى هذه المنطقة لم يأتِ أي نوعٍ من الكائنات الحية إلا نسور ثورونـدور، فقد كان هناك طريق عميق تحت الجبل حُفر في ظلام العالم بواسطة المياه التي تدفقت نتيجة اتحاد جداول سيريون. وجد تورغون هذا الطريق وجاء إلى السهل الأخضر وسط الجبال فرأى هناك تل من الحجارة الناعمة الصلبة. وضمن هذا الوادي كانت هناك بحيرة كبيرة قديمة. عرف تورغون بأنه وجد المكان الذي يحلم به، فصمم على بناء مدينة جميلة هناك، تشبه مدينة تيريون على تلة تونا، لكنه عاد إلى نيڤراست وبقي هناك في سلام، مع ذلك فقد تأمل دائماً في فكره كيف يستطيع إنجاز ذلك التصميم.

بعد داغور أغلاريب عاد القلق الذي وضعه أولمو في قلب تورغون، فقام باستدعاء أمهر وأشجع الحرفيين من شعبه، وقادهم سراً إلى الوادي المخفي. هناك بدأوا ببناء المدينة التي صممها تورغون. ووضعوا عليها حراسة، خشية أن يأتيهم أحد وهم يعملون، بالإضافة إلى أن قوة أولمو التي تجري في سيريون هي من حمتهم. بقي تورغون يقيم في نيڤراست حتى أتم بناء المدينة، واستغرقوا في ذلك اثنين وخمسين سنة من العمل السري الشاق لإكمال العمل وتمام البناء. يقال بأن تورغون عين لها اسماً، وهو أونولينـدي ومعناه في لغة جان ڤالينور صخرة موسيقى الماء. وذلك بسبب وجود نافورات على التل، لكن في لغة سينداريـن تغير الاسم وأصبح غونـدولين. أي الصخرة المخفية. بعدها استعد تورغون لمغادرة نيڤراست وترك قاعاته في ڤينيامار بجانب البحر. وهناك جاء إليه أولمو ثانيةً، فتكلم معه قائلاً: ستذهب أخيراً إلى غونـدولين يا تورغون! وسأبقي قوتي في وادي سيريون، وفي كل مياه ذلك المكان،

فلا إشارة تدل على ذهابك، ولن يستطيع أحد إيجاد مدخلك المخفي. وستكون هذه المملكة هي الأطول عمراً بين كل ممالك إيلدالي، وستقف غوندولين ضد ميلكور. لكن المحبة لن تكون على مايرام فهي من عمل يديك ورغبات قلبك. وتذكر بأن الأمل الحقيقي لنولدور مستلقياً في الغرب وسيأتيكم من البحر.

قام أولمو بتحذير تورغون بأنه سيقع تحت قدر ماندوز أيضاً. فهذا القدر لا يستطيع أولمو السيطرة عليه أو حتى إزالة ارادته، وقال له: بأن لعنة نولدور ستصل إليك قبل النهاية، وستصحى الخيانة ضمن جدرانك، وستكونون في خطر النار، وهذا الخطر يقترب بالفعل. سيأتي شخص من نيفراست ليحذرك، ومن هذا الشخص، وبعد الخراب والنار سيولد الأمل لكلٍ من الجان والبشر. لذا اترك في هذا البيت سلاحاً وسيفاً لأنك ستحتاج إليهم في السنوات القادمة. وقد قلت لك هذا لكي لا تكون مخدوعاً. وقد أوضح أولمو لتورغون، عن ماهية نوع وقوام الخوذة والسيف والدرع الذين سيتركهم خلفه.

بعد ذلك رجع أولمو إلى البحر. وقام تورغون بإرسال الأخبار إلى كل شعبة حتى إلى القسم الثالث من نولدور، وهم أتباع فينغولفن. فهم كمجموعة أكبر من سيندار، غادروا إلى هناك جماعةً خلف جماعةٍ، سراً تحت ظلال إيريد ويثرين، حتى وصلوا إلى غوندولين غير مرئيين ولم يعرف أحد إلى أين ذهبوا. وآخر الواصلين إلى هناك كان تورغون، فقد ذهب هو وأهل بيته بصمت من خلال التلال وعبروا الباب الموجود في الجبال وأغلقوه خلفهم.

سنوات كثيرة مرت ولم يعبر أحد إلى داخل غوندولين إلا فقط هورين وأخوه هوور. ولم يخرج جمهور تورغون من هناك ثانيةً إلا في سنة الرثاء بعد أكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة. لكن خلف دائرة الجبال كان النمو والازدهار من نصيب شعب تورغون، فقد وضعوا عليها مهاراتهم بالعمل المتواصل. لذلك أصبحت غوندولين فوق آمون غواريث[1] جميلة جداً، وأصبحت ملائمة للمقارنة مع جان تيريون التي خلف البحر في ڤالينور. فقد كانت جدرانها البيضاء عالية، وأدراجها مصقولة. وبرج الملك طويل وقوي. شُغلت هناك النافورات المشرقة. حيث تقف في قصور تورغون تماثيل الأشجار القديمة، التي عملها تورغون بنفسه بحرفته الجنية. وسمى الشجرة التي صنعها من الذهب غلينغال، وصنع الشجرة المزهرة من الفضة وسماها بيلثيل. لكن الأجمل من كل عجائب غوندولين كانت إيدريل بنت تورغون، وهي التي دعيت كيليبريندال، القدم الفضية. شعرها كذهب لاوريلين قبل

[1] آمون غواريث. Amon Gwareth . هو اسم التل الذي كان متواجداً ضمن وادي توملادين وعليه بنيت مملكة غوندولين.

مجـيء ميلكـور. هكـذا عـاش تورغـون بالنعمـة لمـدة طويلـة، لكـن نيڤراسـت كانـت مقفـرة. ولم يعش فيه أي شعب حتى خراب بيليرياند.

بينمـا كانـت تبـنى مدينـة غونـدولين في السـر، كـان فينـرود فيلاغونـد يعمـل في الأمـاكن العميقـة مـن نارغوثرونـد، أمّـا أختـه غالادريـل فقـد أقامـت في مملكـة ثينغـول في دوريـاث، وأحيانـا كانـت تـتكلم مـع ميليـان عـن ڤالينور وعـن أيـام البركـة القديمـة. لكـن عمّـا حـدث بعـد السـاعة المظلمـة مـن مـوت الأشـجار فلـم تـتكلم غالادريـل عـن ذلـك وبقيـت صـامتةً دائمـاً. قالـت لهـا ميليـان في إحـدى الأوقـات: هنالـك بعـض الأحـزان الـتي وقعـت عليـكِ وعلـى عشـيرتك، يمكنـني أن أرى ذلـك فيـكِ. لكـن كـل ماعـدا ذلـك فهـو مخفـي عـني. فمـن قبـل لم تكـن تمـر رؤيـا أو فكـر أو أي شـيء يمكـن أن يعـبر مـن الغـرب إلا وأراه. لكـن الأكاذيـب ظللـت كـل أراض أمـان، ووصلت من البعيد عبر البحر فلم أعد أبصر الرؤية جيداً. فلماذا لا تخبريني أكثر ؟

قالـت غالادريـل: لقـد مضـى هـذا الحـزن وأود أن أنتهـز مـا يوجـد مـن الفـرح هنـا كـي لا أكـدره بالتذكر. ربما ستأتي أحزان بما فيه الكفاية فيما بعد لكن مع ذلك يبقى الأمل موجوداً.

نظـرت ميليـان في عيـون غالادريـل وقالـت: لا أعتقـد بـأن خـروج نولـدور كـان كرسـل للڤـالار، كمـا قيـل في بـادئ الأمـر، ولم يـأتوا في سـاعة حاجتنـا لهـم. ولم يتكلمـوا أبـداً مـع الڤـالار، ولم يجلـب سـاداتهم العـاليين أيـة رسـالة إلى ثينغـول، سـواء مـن مـانوي أو أولمـو أو حـتى أُولُـويْ أخـو الملـك ثينغـول، أو مـن شـعبه الـذين ذهبـوا عـبر البحـر. فمـا هـو السـبب يـا غالادريـل، لقـد خـرج شـعب نولـدور العـالي مـن أمـان كمنفيـين، فمـاهي الأكاذيـب الشـريرة الملقـاة علـيكم لكـي يكون أبناء فيانور متغطرسين وفيما بعد منكسرين. فهل اقتربت من الحقيقة يا غالادريل؟.

فقالـت لهـا غالادريـل: تقريبـاً ،إلا أننـا لم نطـرد، بـل جئنـا بكامـل إرادتنـا لكنـه ضـد رغبـة الڤـالار. ومـن خـلال الخطـر العظـيم، ورغمـاً عـن الڤـالار، أتينـا مـن أجـل أخـذ الثـأر مـن مورغوث واستعادة ما سرقه منا.

بعـد ذلـك تكلمـت غالادريـل مـع ميليـان عـن السـيلماريلس، وعـن ذبـح الملـك فينـوي في فورمينـوس. لكنهـا لم تقـل ولا كلمـه عـن القسـم أو عـن مذبحـة الأقـارب أو إحـراق السـفن في لوزغـار. لكـن ميليـان قالـت: أخبرتـني أكثـر، والآن فهمـت، مـا سـبب ذلـك الظـلام الملقـى علـى الطريـق الطويـل مـن تيريـون، لكـني أرى شـراً هنـاك، وهـو مـا يجـب أن يَعلمـهُ ثينغـول ليتحاشاه.

فقالت غالادريل: لربما، لكن لن يعلمه مني.

فلـم تـتكلم ميليـان أكثـر مـن ذلـك مـع غالادريـل في هـذه الأمـور. لكنهـا أخـبرت الملـك ثينغـول بكـل مـا سمعـت بـه عـن السـيلماريلس. وقالـت لـه فعـلاً إنهـا مسـألة عظيمـة، وأعظـم مـن أن يفهمهـا نولـدور أنفسـهم، لأن ضـوء أمـان ومصـير أردا، مقفـل عليهمـا الآن في هـذه الأشـياء. فالـذي ذهـب هـو عمـل فيـانور، وأتوقـع بـأنهم لـن يسـتردوهم ولا بـأي قـوة مـن إيلـدار. وهـذه نبـوءتي: سـيتحطم العـالم مـن المعـارك القادمـة قبـل انتـزاع هـذه الأشـياء مـن مورغـوث. انظـر الآن، لقـد ذبـح فيـانور وسـيذبح آخـرين كثـر كمـا أضـن، لكـن في البدايـة، المـوت الـذي جلبـوه عليهم تحقق أولاً بمقتل صديقك فينوي، فقد قتله مورغوث قبل أن يهرب من أمان.

بقـي ثينغـول صـامتاً يمـلأه الحـزن ونـذير الشـؤم، لكنـه بعـد مـدة تكلـم فقـال: الآن فهمـت لمـاذا خرجـت نولـدور مـن الغـرب، فقـد تسـاءلت كثـيراً قبـل ذلـك ولم أحصـل علـى جـواب، فلـم يـأتوا لمسـاعدتنا (إلا بالصـدفة) لأن أولئـك المتبقـون في الأرض الوسـطى سـيتركهم الڤـالار وشـأنهم لحـين الحاجـات القصـوى. إذاً فقـد جـاءت نولـدور مـن أجـل الانتقـام وتعـويض الخسـائر، فـوق كـل ذلـك فهـم متأكـدون ولدرجـة كبـيرة بأننـا سـنكون حلفـاءهم ضـد مورغـوث، بمعاهـدات لم يكونوا قادرين على التوصل إليها فيما سبق.

لكـن ميليـان قالـت: حقـاً لهـذه الأسـباب جـاؤوا؟ لكـن انتبـه فهنالـك أسـباب أخـرى. وعليـك الحـذر مـن أبنـاء فيـانور، فظـلال غضـب الڤـالار ملقـاةً علـيهم. وأرى بـأنهم قـد عملـوا الشـر في أمان وفي عشيرتهم. لكن الفتنةُ نائمةٌ الآن بين أمراء نولدور.

أجابهـا ثينغـول: مـا شـأني بفيـانور. لكـن بالحقيقـة فقـد سمعـت الكـلام الـذي يجعلـه عظيمـاً، أمـا عـن أبنـاءه فمـا سمعـت إلا القليـل ممـا يسـرني، رغـم أنهـم مـن المحتمـل أن يكونـوا الخصـوم الأخطر لنا.

وقـد قلـت يـا ميليـان بـأن سـيوفهم ونصـيحتهم لهـا وجهـان. بعـد ذلـك، لم يـتكلم ثينغـول وميليان أكثر في هذه المسأله.

لم يمضـي وقـت طويـل حـتى بـدأ همـس الحكايـات بـالمرور بـين سـيندار بشـأن أفعـال نولـدور قبـل مجيـئهم إلى بيليريانـد. والحقيقـة المؤكـدة هـي مـن أيـن جـاؤوا. أمّـا الحقيقـة الشـريرة كانـت مُجَمَّلـة ومسـممة بالأكاذيـب. لكـن سـيندار كانـت قليلـة الحيطـة وتثـق بـالكلام. وكمـا كـان يُعتقـد، فقـد اختـارهم مورغـوث للهجـوم الأول لأنهـم لم يعرفـوه بعـد. سمـع كـيردان تلـك الحكايـات المظلمـة فـانزعج. ولأنـه حكـيم أدرك بسـرعة، إن كانـت تلـك الحكايـات حقيقـة أم باطلـه، ومـاذا غـيَّروا فيهـا بسـبب خبـثهم، لأنـه اعتـبر بـأن ذلـك نـابع مـن الحقـد الـذي كـان بـين أمـراء

نولـدور بسـبب الغـيرة والحسـد بـين بيـوتهم، لـذا فقـد أرسـل الرسـل إلى ثينغـول ليخـبروه بكـل مـا سمع.

وقـد صـادف في ذلـك الوقـت بـأن زار أبنـاء فينـارفين ثينغـول كضـيوف، متمنـين رؤيـة أخـتهم غالادريـل. فبـدأ ثينغـول يتحـرك كثـيراً، ثم تكلـم بغضـب موجهـاً كلامـه إلى فينـرود قـائلاً: أعلـم مـاذا سـتعمل لي يـا قـريبي يـا مـن أخفيـت الأمـور العظيمـة عـني، أمـا الآن فقـد علمـت بكـل أعمـال نولـدور الشـريرة. فأجابـه فينـرود: مـا الـذي سـأفعله لـك يـا سـيدي؟ أو مـا هـو الشـر الـذي فعلتـه نولـدور في مملكتـك ليحزنـك، لا ضـد قرابتـك ولا ضـد شـعبك عملـوا شـراً أو حـتى فكرو به.

فقـال لـه ثينغـول: أتعجـب منـك يـا بـن إيـاروين بأنـك تـأتي إلى مجلـس قريبـك هكـذا متلبسـاً بجريمـة ذبـح أمهـات عشـيرتك. وتقـول لحـد الآن في دفاعـك بـأن ذلـك كـان شـيء تافـه حـتى أنك لم تطلب العفو عنه لحد الآن.

انـزعج فينـرود كثـيراً لكنـه بقـي صـامتاً لأنـه لم يسـتطيع الـدفاع عـن نفسـه، إلا بجلـب الـتهم ضـد أمـراء نولـدور الآخـرين، فقـد كـان كـان مرغمـاً علـى عمـل ذلـك أمـام ثينغـول. عنـدها تـدفقت إلى ذاكـرة أنغـرود كلمـات كـارانثير صـاعدةً بـالمرارة، فصـرخ قـائلاً: سـيدي لا أعـرف مـا هـي الأكاذيـب الـتي سمعتهـا أنـت، ولا مـن أيـن أتتـك، لكننـا لم نـأتِ متلبسـون بالجريمـة. فقـد صـعدنا أغـرار عـديمي الخـبرة، ربمـا كانـت حماقتنـا هـي بالإصـغاء إلى كلمـات فيـانور. الـتي جعلتنـا كالسـكارى لفـترة قصـيره. فـنحن لم نعمـل الشـر علـى دروبنـا، لكـن تَحَمَلـتْ أنفسـنا خطـأ عظـيم، وغفرنـا لـه. لـذلك نـدعى حـاملي الحكايـة إليـك والخـائنون لنولـدور. وهـذا كمـا تعلمـون غـير دقيـق، فـنحن قـدمنا ولائنـا لـك صـامتين ومـع ذلـك فقـد كسـبنا غضـبك، والآن بمـا أنـك عرفت الحقيقة فلم نعد نتحمل هذه التهم.

ثم تكلـم أنغـرود بشـكل لاذع ضـد أبنـاء فيـانور. وتحـدث عـن جريـان الـدم في ألكوالونـدي وقـدر المـوت الموكـل بـه مانـدوز، وإحـراق السـفن في لوزغـار فصـرخ قـائلاً: هـل بسـبب ذلـك يجب أن نتحمل مشقة لقب قاتلوا الأقارب والخونة.

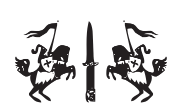
فقالـت لـه ميليـان: رغـم ذلـك فـإن ظـل مانـدوز يسـتلقي عليـك أيضـاً. بقـي ثينغـول صـامتاً لفـترة طويلـة ثم قـال لهـم: اذهبـوا فقلـبي الآن يحـترق، قـد تعـودون لاحقـاً إن أردتم فلـن تكـون أبـوابي مغلقـةً أمـام وجـوهكم للأبـد. يـا أقربـائي ليـتكم لم تسـاعدوا الـذي تـورط في الشـر. وأنـا سـأبقي علـى الصـداقة مـع فينغـولفن وشـعبه أيضـاً، لأنهـم كفّـروا عـن ذنـبهم بأعمـالهم. وفي

كراهيتنا للقوة التي عملت كل هذه المشاكل فإن الأسى سينتهي، لكن استمعوا لكلامي جيداً. لن تسمع أذناي ثانيةً لغة أولئك الذين ذبحوا أقربائي في ألكوالوندي. لا هنا ولا في كل مملكتي يتكلم أحد بتلك اللغة علانيةً. طالما بقيت وبقيت سلطتي، وكل سيندار ستصغي لأوامري فلن يتكلموا بلغة نولدور ولن يردوا بها أو عليها. وكل من سيستخدمها سيتحمل وزر جريمة مقتل الأقرباء وخيانتهم بغير ندم.

غادر أبناء فينارفين مينيغروث بقلوبٍ مثقلةً بالهمّ لإدراكهما صدق نبوءة ماندوز، فلا أحد من نولدور يمكنه أن يتبع فيانور إلا ويكون الظل ملقى على بيته. أطاعت سيندار أومر ثينغول. وفيما بعد مُنعتْ لغة نولدور في كافة أنحاء بيليرياند، وتجنبوا النطق بها علانيةً. وأخذ المنفيون لغة سيندار في كل حاجاتهم اليومية. واللغة العليا للغرب (لغة نولدور) لم يتحدث بها فقط إلا أسياد نولدور فيما بينهم. رغم ذلك فقد عاشت تلك اللغة للأبد كلغة للعلم أينما سكن ذلك الشعب.

عندما تم الانتهاء من بناء نارغوثروند ( في الوقت الذي كان لايزال يسكن فيه تورغون قاعات ڤينيامار). فاجتمع هناك أبناء فينارفين إلى وليمة وجاءت غالادريل من دورياث وأقامت فترةً في نارغوثروند. لم يكن الملك فينرود فيلاغوند متزوجاً بعد. فسألته غالادريل كيف يكون هذا فأنت ملكٌ وليس لك زوجة وأولاد. فتفتحت بصيرة فيلاغوند بالحكمة عندما تكلمت وقال: سأقسم أمامكم الآن ويجب أن أكون حراً لإنجازه أو أذهب إلى الظلام، ولا أحد في مملكتي سيتحمل وزر ذلك القسم، فالابن يجب أن يرث.

لكن يقال بأنه حتى تلك الساعة فمازالت برودة الأفكار تسيطر عليه، لأنه بالحقيقة يحب فتاة من ڤانيار وهي أماري التي بقيت في الغرب ولم تخرج معه إلى المنفى.



# الفصل السادس عشر

## مايغلين

أريـذيل آرفينيـل. سـيدة نولـدور البيضـاء بنـت فينغـولفن الـتي سـكنت مـع أخوهـا تورغـون في نيڤراسـت ثم ذهبـت معـه إلى المملكـة المخفيـة، لكنهـا تعبـت مـن كثـرة الحراسـة في مدينـة غونـدولين. فبعـد مـرور مئـتي سـنه علـى إنشـاء غونـدولين، تكلمـت مـع تورغـون طالبـةً منـه إذنـاً بالمغـادرة، بسـبب رغبتهـا الجامحـة في ركـوب الخيـل ثانيـة في الأراضـي الشاسـعة والمشـي في الغابـات كمـا كانـت عادتهـا في ڤـالينور. كـان تورغـون غـير راغـب في منحهـا هـذا الاذن. وقـد أنكـره لمـدة طويلـة، لكنـه أخـيراً خضـع لرغبتهـا وقـال لهـا اذهـبي، وإن فعلـت فـذلك فسـيكون ضـد حكمـتي، فـإنني أتكهـن بـأن السـوء سـيأتي لكلينـا أنـا وأنـت مـن هـذه الرحلـة، فيجـب أن تـذهبي فقـط إلى أخونـا فينغـون. لـذلك سأرسـل معـكِ هـؤلاء الحـراس، وكلـي أمـلٌ بأن تعودي بسرعةٍ إلى غوندولين مثلهم.

لكـن أريـذيل قالـت لـه أنـا أُختـك ولسـت خادمتـك، وسـأذهب مـا بعـد حـدودك كمـا يحلـو لي فإن كنت تحسدني على مرافق، فسأذهب بمفردي.

أجابهـا تورغـون: أنـا أحسـدك! لا شـيء عنـدي مـن هـذا القبيـل أبـداً، لكـني لا أرغـب بخـروج أحـدٍ مـن الـذين سـكنوا داخـل هـذه لأسـوار، لأنهـم علـى درايـة بـأقرب الطـرق إلى هنـا، وإذا وثقـت بـكِ أنـت لأنـك أختي فهـل أثـق بـالآخرين؟ وإن كانـت لـدي ثقـة بـالآخرين فهـل هنـاك رقيب على ألسنتهم.

عـيَّن لهـا تورغـون ثلاثـةً مـن سـادات عائلتـه لمرافقتهـا وطلـب مـنهم أن يقودوهـا إلى فينغـون في هيثلـوم، إذا اسـتطاعوا إقناعهـا، وليكونـوا حـذرين مـع ذلـك، لأنـه صـحيح أن مورغـوث محاصـرٌ في الشـمال لكـن هنالـك الكثـير مـن الأخطـار في الأرض الوسـطى، والـتي لا تعـرف عنهـا السيدة أي شيء. غادرت أريذيل غوندولين، وكان قلب تورغون ثقيلاً عند ذهابها.

وعنـدما وصـلت إلى معـبر بريثيـاخ علـى نهـر سـيريون قالـت لمرافقيهـا: اسـتديروا نحـو الجنـوب الآن ولـيس إلى الشـمال لأنـني لـن أذهـب إلى هيثلـوم، بـالأحرى فـإن قلـبي راغـب في إيجـاد أبنـاء فيـانور أصـدقائي القـدامى، ولأنهـم لم يسـتطيعوا ثنيهـا عـن قرارهـا، اسـتداروا نحـو الجنـوب كمـا أمـرتهم. أرادت أريـذيل الـدخول إلى دوريـاث لكـن حـرس الحـدود منعـوهم لأن ثينغـول كـان يمنـع أي شـخص مـن نولـدور مـن عبـور الزنـار. ناهيـك عـن أولئـك الـذين كـانوا أصـدقاء أبنـاء فيـانور، إلا أقربائـه مـن بيـت فينـارفين. لـذلك قـال حـراس الحـدود لأريـذيل، لا يمكـنكم علـى الاطـلاق العبـور إلى أرض كيليغـورم الـتي تقصـدها السـيدة عـبر مملكـة ثينغـول، بـل يجـب أن تركبـوا إلى مـا بعـد زنـار ميليـان باتجـاه الجنـوب أو الشـمال. أمّـا أسـرع الطـرق فهـو الـذي يسـير إلى الشـرق مـن بريثيـاخ مـن خـلال ديمبـار وعلـى طـول الحـدود الشـمالية لهـذه المملكـة، حـتى تعـبرون جسـر إيسـغالدوين ومعـابر آروس، عنـدها تصـلوا إلى الأراضـي الـتي تقـع خلـف تـل هيمرينـغ، هنـاك كمـا نعتقـد تقـع مسـاكن كيليغـورم وكـوروفين. ومـن الممكـن أن تجـدوهم هناك، لكن الطريق خطر جداً.

عـادت أريـذيل وسـلكت الطريـق الخطـر بـين إيريـد غورغـوث، الوديـان المسـكونة بالأشـباح، والسـياج الشـمالي لـدورياث. وبـنفس الوقـت كـانوا قـد اقتربـوا مـن المنطقـة الشـريرة مـن نـان دونغورثيـب، فوقـع الخيالـة المرافقـون لهـا في شـباك الظـل، وابتعـدت أريـذيل عـن رفقتهـا وتاهـت. بحثـوا عنهـا مطـولاً لكـن دون جـدوى، انتـابهم الخـوف مـن أن تكـون قـد تورطـت وشـربت مـن الجـداول المسـمومة لتلـك الأرض، لكـن نـزول مخلوقـات أونغوليانـت السـاكنة في الوديـان الـتي كانـت تتبـع آثـارهم. أخـافهم وجعلهـم بالكـاد يهربـون وينجـون بحيـاتهم. فعـادوا إلى تورغـون وأخـبروه بمـا حـدث معهـم. فوقـع حـزنٌ عظـيمٌ في غونـدولين، بعـدها جلـس تورغـون لمـدة طويلـة لوحده في حزنٍ دامي وغضبٍ صامت.

أمّـا بالنسـبة لأريـذيل فبعـد أن بحثـت دون جـدوى عـن رفقتهـا، ركبـت لوحـدها لأنهـا كانـت شـجاعةً وجريئـة القلـب. شـأنها في ذلـك شـأن كـل أبنـاء فينـوي. سـارت علـى الطريـق وعـبرت مـن إيسـغالدوين وآروس إلى أرض هـيملاد الواقعـة بـين آروس وكيلـون حيـث كـان يسـكن كيليغـورم وكـورفين في تلـك الأيـام قبـل كسـر حصـار أنغبانـد. وفي ذلـك الوقـت كـان كيليغـورم وكـوروفين خـارج البيـت، لأنهمـا كانـا قـد ركبـا باتجـاه الشـرق مـع كـارانثير إلى ثـارجيليون، لكـن شـعب كيليغـورم رحبـوا بهـا وعرضـوا عليهـا الإقامـة بيـنهم معـززة مكرمـة حـتى عـودة سـيدهم. بقيـت أريـذيل هنـاك لفـترة وكانـت راضـية ومسـرورة بحريـة التجـول في الغابـات. لكـن طـول فـترة

غيـاب كيليغـورم، فقـد مـرت حـوالي سـنة تقريبـاً ولم يعـد، فانتابهـا القلـق، ومـن جديـد عزمـت علـى الركـوب والخـروج لوحـدها، كـي تلـتمس طرقـاً جديـدةً وفسـحاً غـير مداسـة، وصـادف ذلـك الوقـت في نهايـة السـنة. وصـلت أريـذيل في تجوالهـا إلى جنـوب هـيملاد ومـرت فـوق كيلون، وكان لديها إدراك مسبق عن خطر شباك الظل في نان إيلموث.

ففـي تلـك الغابـات في العصـور القديمـة مشـت ميليـان في غسـق الأرض الوسـطى عنـدما كانـت الأشـجار فتيـة، ومـازال السـحر ملقـىً عليهـا، لكـن الآن أصـبحت الأشـجار في نـان إيلمـوث طويلـة ومعتمـة أكثـر مـن كـل أشـجار بيليريانـد ولم تسـتطع أشـعة الشـمس الـدخول عبرهـا إلى الغابـة. وهنـاك كـان يسـكن إيـول وهـو واحـدٌ مـن الجـان المظلمـون. في الماضـي كـان مـن أقربـاء ثينغـول، لكنـه عنـدما يكـون في دوريـات يصـبح مضـطرباً ومريضـاً. وعنـدما وضـعت ميليـان الزنـار حـول غابـات المنطقـة حيـث كـان يسـكن، هـرب مـن هنـاك إلى نـان إيلمـوث، وعـاش في الظـل العميـق، فهـو يحـب الليـل والغسـق تحـت النجـوم. ابتعـد عـن نولـدور لأنـه حملهـم مسـؤولية عـودة مورغـوث لتعكـير صـفو بيليريانـد، لكنـه منـذ القـدم كـان عنـده ميـلٌ للأقـزام أكثـر مـن كـل شعب الجان، ومنه تعلم معظم الأقزام الذين عبروا أراضي إيلدار.

أمـا حركـة مـرور الأقـزام النـازلين مـن الجبـال الزرقـاء في السـابق فكانـت عـبر طـريقين، الأول يمـر مــن شــرقي بيليريانــد، والثــاني مــن الشــمال ويــذهب نحــو معــابر آروس فيمــر مقتربــاً مــن نــان إيلمـوث. هنـاك قابـل إيـول نـاوغريم وتحـدث معهـم، فنمـت صـداقتهم وكـان أحيانـاً يـذهب كضـيف إلى القصـور العميقـة لنـوغرود أو بيليغوسـت. وفي تلـك الأمـاكن تعلـم إيـول معظـم أعمـال التعـدين، فامتلـك المهـارة العظيمـة، وابتكـر معـدناً صـلباً كفـولاذ الأقـزام لكنـه طيِّـع جـداً بحيـث يمكـن جعلـه رقيقـاً ومرنـاً، ومقاومـاً للنصـال والنبـال. سمـى ذلـك المعـدن غـالڤورن، لأنـه كـان أسـود لمـاع مثـل الكهرمـان الأسـود، وكـان يلـف جسـده فيـه أينمـا ارتحـل. لكنـه ومـن كثـرة اشـتغاله بالحـدادة فقـد انحـنى ظهـره لأنـه لم يكـن قزمـاً، فهـذه الحرفـة تتطلـب قامـات قصـيرة، لكنـه جـان طويـل مـن القرابـة العاليـة لتيلـيري، مـع ذلـك فهـو نبيـلٌ، مـتجهم الوجـه، ويمكـن لعيونـه أن تـرى أعمـاق الظـلال والأمـاكن المظلمـة. حـدث بـأن رأى أريـذيل آرفينيـل وكأنهـا تائهـةٌ بـين الأشـجار الباسـقة قـرب حـدود نـان إيلمـوث، فبـدت إليـه جميلـة جـداً، لكأنهـا الـوميض الأبـيض في الأرض الخافتـة، ورغـب بهـا، فوضـع سـحره حولهـا كـي لا تسـتطيع اكتشـاف طـرق الخـروج. ومـن ثمَّ اسـتدرجها للاقـتراب مـن مسـكنه في أعمـاق الغابـة حيـث كانـت ورشـاته وقاعاتـه المعتمـة، وكـان لديـه أُنـاس كالخـدم، صـامتون وسـريون كسـيدهم. ولأن

أريـذيل المرهقـة مـن تجوالهـا وصـلت أخـيراً إلى أبوابـه، فكشـف نفسـه لهـا مرحبـاً بهـا، وقادهـا إلى بيتـه. هنـاك سـكنت واتخـذها إيـول زوجـة لـه، ومضـت فـترة طويلـة قبـل أن يسـتمع ثانيـةً أحـدٌ إليها من أقربائها أو أفراد عشيرتها.

يقـال بـأن أريـذيل لم تكـن غـير راغبـة بـه بشـكل تـام، ولا إن حياتهـا في نـان إيلمـوث كانـت بغيضـة لعـدة سـنوات، مـع ذلـك فعنـدما كانـت تحـت سـلطة إيـول، كـان يجـب عليهـا أن تتجنـب نـور الشـمس، وكانـت تتجـول مـع إيـول بعيـداً تحـت ضـوء النجـوم أو ضـوء الهـلال، وكانـت تفعـل مـا يحلـو لهـا، إلا مـا منعهـا منـه إيـول، وهـو السـعي إلى أبنـاء فيـانور، أو أي أحـد آخـر مـن نولـدور. حملـت أريـذيل في ظـلام نـان إيلمـوث ابنـاً لإيـول، وأعطتـه في قلبهـا اسمـاً بلغـة نولـدور المحرمـة، وهـو لوميـون، ومعنـاه طفـل الغسـق، لكـن أبـاه لـن يعطيـه أي اسـم حـتى يبلـغ الثانيـة عشـر مـن العمـر ، وعنـدما بلغهـا أطلـق عليـه اسـم مـايغلين، ومعنـاه النظـرة الثاقبـة، لإدراكـه بـأن عيـون ابنـه كانـت حـادةً وثاقبـةً أكثـر مـن عيـون أبيـه. فكـان باسـتطاعته أن يقـرأ بفكره أسرار القلوب خلف ضباب الكلمات.

نشـأ مـايغلين وكـبر علـى القـوام الكامـل فكـان وجهـه يشـبه أقربائـه مـن نولـدور، أمّـا في الطبـاع والتفكـير فقـد كـان ابـن أبيـه، وكـان مُقـلاً في الكـلام فـلا يـتكلم إلا في الأمـور الـتي تمسـه شخصـياً. وكـان لنـبرة صـوته تـأثير علـى مـن يسـمعها والصـمود في وجـه مـن يعاديـه. كـان طـويلاً أبـيض البشـرة، شـعره أسـود وعينـاه داكنـة، لامعـه وحـاده تشـبه عيـون نولـدور. كـان يـذهب في أغلـب الأحيـان مـع إيـول إلى مـدن الأقـزام في الجهـة الشـرقية مـن إيريـد لينـدون، وهنـاك كانـت لديـه لهفـة لـتعلم كـل معـارف وعلـوم الأقـزام، خاصـةً حرفـة التنقيـب عـن خامـات المعادن في الجبال.

يقـال بـأن مـايغلين أحـبَّ أُمـه كثـيراً، فعنـدما كـان يسـافر أبـوه للخـارج، كـان يبقـى جالسـاً مـع امـه لمـدة طويلـة، يسـتمع إليهـا في كـل مـا تخـبره بـه عـن أقـاربهم وأعمـالهم في إيلـدامار، وعـن قـوة وشـجاعة بيـت فينغـولفين. اسـتقرت كـل هـذه الأشـياء في قلبـه، لكـن أكثـر شـيء أثـر فيـه هـو أن تورغـون لم يكـن لديـه وريـث، لأن زوجتـه إيلينـوي ماتـت أثنـاء عبـور هيلكاراكسـي، ولـيس لديه سوى إيدريل كيليبريندال ابنته الوحيده فقط.

وبإخبـاره لتلـك الحكايـات، اسـتيقظت الرغبـة عنـد أريـذيل في رؤيـة أقاربهـا مجـدداً، وتعجبـت كيـف أنهـا عاشـت مرهقـةً مـن أضـواء غونـدولين، والنـافورات في الشـمس والمرجـة الخضـراء في تـوملادين تحـت نسـائم سمـاوات الربيـع، عـلاوة علـى ذلـك فقـد كانـت تبقـى غالبـاً لوحـدها في

الظلال عندما يكون ابنها وزوجها غائبين عن المنزل. نشأت من هذه الحكايات أيضاً الخلافات الأولى بين مايغلين وإيول، لأنه من غير الممكن ولا بأي حال من الأحوال أن تكشف له أمه أين يسكن تورغون، ولا بأي طريقة قد يذهب الشخص إلى هناك. فتحين الوقت المناسب ليجعلها تثق به وتبوح له بسرها أو ربما يستطيع قراءة ذاكرتها غير المحمية. فقد يحقق رغبته برؤية نولدور والتكلم مع أبناء فيانور أقربائه الذين سكنوا بعيداً. لكنه عندما أعلن عن نيته هذه لأبيه، ثار غضب إيول وقال له: أنت من بيت إيول يا مايغلين يا ولدي. وليس من غولوذريم (غولوذريم هو اسم نولدور بلغة سيندار). فكل هذه الأرض أرض تيليري. لا أنا ولا ابني سوف نتعامل مع قتلة أقربائنا، هؤلاء المحتلون المغتصبون لبيوتنا. وفي هذه ستطيعني وإلا قيدتك، فلم يجبه مايغلين لكنه كان بارداً وصامتاً، بعدها لم يخرج كثيراً مع إيول. وأصبح إيول يشك به.

حدث ذلك في منتصف الصيف، فالأقزام كما كانت عادتهم طلبوا من إيول أن يرافقهم في العيد إلى نوغرود، لبى إيول الدعوى وركب مسافراً إلى نوغرود. وبقي مايغلين وأمه متحررين لفترة بأن يذهبا حيثما أرادا. لذلك ركبا مرات كثيرة إلى أطراف الغابة، يلتمسان نور الشمس، فنمت رغبةٌ حارةٌ في قلب مايغلين لترك نان إيلموث إلى الأبد. لذلك قال لأريذيل: سيدتي دعينا نغادر. فمازال لدينا الوقت، فما هو أملنا أنا وأنت هنا في هذه الغابة. هنا نحن محكومان بالعبودية، ولن نجد مكاسب. من أجل ماذا تعلمت كل هذه العلوم من أبي أو ما الذي سيكشفه لي ناوغريم بعد. هل لا يجوز لنا الذهاب إلى غوندولين؟ هيا لنذهب فتكوني دليلي وأكون حارسك.

فرحت أريذيل بهذا الكلام ونظرت إلى ابنها بفخر، ثم أخبرت خدم إيول بأنهما سيقصدان أبناء فيانور. ركبا مسرعين إلى الطرف الشمالي لنان إيلموث، ومن هناك عبرا الجدول الضعيف كيلون إلى أرض هيملاد، ثم إلى معابر آروس، وهكذا سارا على طول الحدود الغربية لدورياث.

عاد إيول من الشرق مبكراً أكثر مما توقع مايغلين، فوجد بأن زوجته وابنه قد ذهبا منذ يومين. غضب غضباً عظيماً، وبالحال ذهب في إثرهم حتى في وضح النهار، كتم غضبه بدخوله إلى هيملاد وراح يمشي بحذر متذكراً الأخطار التي قد تواجهه من كيليغورم وكوروفين، فقد كانا من السادة الجبابرة ولم يحبا إيول مطلقاً. علاوة على ذلك فإن مزاج كوروفين صعبٌ جداً. أرشد كشافون من أغلون كل من مايغلين وأريذيل، إلى معابر

آروس. رأى كوروفين أشياء غريبة قادمةً من الجنوب تجري عبر المعابر واقتربت من المخيم. وقبل أن يركب إيول مبتعداً عبر هيملاد. أوقعه خيالة كوروفين في كمين وجاؤوا به إلى سيدهم.

فقال له كوروفين: ماهي المهمة التي تقصدها في أيها الجن المظلم في أرضي؟ ربما مهمة مستعجلة تلك التي تبقي شخصاً مثلك يسير في ضوء الشمس الخجول بالخارج.

علم إيول بخطورة موقفه فقاوم الكلمات القاسية التي أشرقت في عقله وقال: لقد علمت يا سيدي كوروفين بأن ابني وزوجتي السيدة البيضاء لغوندولين ركبا وجاءا لزيارتك، وبقيت أنا في البيت، فبدا لي بأنه من غير اللائق أن لا ألتحق بهم في هذه الزيارة.

سخر كوروفين من إيول وقال له: ربما كانوا سيجدوا ترحيباً أقل مما يتمنون إن كانوا برفقتك. لكن لا مشكلة، فتلك لم تكن مهمتهم، لقد مرَّا على آروسيّاخ منذ أقل من يومين ومن هناك ركبا بسرعة للغرب، يبدو بأنك تخدعني، ما لم تكن أنت نفسك قد خُدعتْ.

فأجابه إيول: إذا يا سيدي. ربما ستسمح لي بالذهاب لاكتشاف حقيقة هذه المسأله.

فقال له كوروفين: نعم سأسمح لك، لكن ليس مع محبتي، وكلما أسرعت في مغادرة أرضي فتلك أفضل أمنياتي.

ركب إيول حصانه قائلاً: سيدي كوروفين جيدٌ في تلبية حاجات أقربائه بلطف هكذا. وأنا سأتذكره عندما أعود. فنظر إليه كوروفين بعبوس وقال له: لا تتباهى يا إيول بلقب زوجتك أمامي، فأولئك الذين يسرقون بنات نولدور ويتزوجونهم بدون هدية أو إذن، فلا يكسبون القرابة مع أهلها. لقد أذنت لك بالرحيل، فخذ إذنك وارحل. وعلى حسب قوانين إيلدار فإني لن أذبحك في هذا الوقت، وأضيف لك هذه النصيحة، عد إلى مسكنك في ظلام نان إيلموث، فقلبي يحذرني بأنك لو تبعت اللذان لا يحبانك كثيراً فقد لا تعود من هناك.

بعدها ركب إيول مستعجلاً وخرج يملأه الحقد والكراهية على كل نولدور وأدرك بأن مايغلين وأريذيل كانا هاربين إلى غوندولين. قاد حصانه بغضب، وبشعور الذل والعار عبر معابر آروس، فتعقبهما على الطريق الذي سارا عليه من قبل، لكنهما لم يعرفا بأنه كان يتبعهما، لأن جواده كان الأسرع، ولم يشاهداه حتى وصلا إلى بريثياخ، فقد خانهم الحظ بمرض خيولهم، لذلك تركوها خلفهم فأخذت تصهل بصوت عالي، عندها سمعهم جواد

إيـول وأسـرع نحـوهم، ورأى إيـول مـن بعيـد رداء أريـذيل الأبـيض، وعلـم الطريـق الـذي ذهبـت منه، قاصدة الطريق السري في الجبال.

وصـل أريـذيل ومـايغلين إلى البوابـة الخارجيـة، ذلـك الحـارس المظلـم لغونـدولين تحـت الجبـال. وهنـاك استقبلت بـالفرح وعبرت الأبـواب السبعة، جـاءت مـع مـايغلين إلى تورغـون علـى آمـون غواريـث. استمع الملـك مندهشـاً لكـل الأخبـار الـتي جلبتهـا أريـذيل، ونظـر بمـودة إلى مـايغلين ابن أخته فقد رأى فيه واحداً مما يجدر به أن يكون أحد أمراء نولدور أو أن يحسب بينهم.

فقـال تورغـون: أنـا مسـرور فعـلاً بعـودة أرفينيـل إلى غونـدولين، فـالآن سـيعود الجمـال والصـفاء ثانيـة بعـد أن عـادت مـن كنـا نعتبرهـا مفقـودة وضـائعه، وسـتبدو مـديني كمـا كانـت في الأيـام الخوالي. وسيكون مايغلين في مرتبة الشرف العليا في مملكتي.

عنـدها جثـا مـايغلين علـى ركبتـه وأعطـى ولاءه لتورغـون سـيداً وملكـاً، ليفعـل مـا يشـاء، ثم وقـف صـامتاً ينظـر إلى نعمـة وعظمـة غونـدولين، فقـد فاقـا كـل التصـورات الـتي أخـذها مـن حكايـات أمـه. وكـان مندهشـاً بقـوة المدينـة وبالشـعب المقـيم بهـا. نظـر إلى الكثـير مـن الأشـياء الغريبـة والجميلـة، لكـن أكثـر شـيء انسـحبت عيونـه عليـه كانـت إيـدريل بنـت الملـك الجالسـة بجانـب أبيهـا، لأنهـا كانـت ذهبيـة كالڤانيـار أقربـاء أمهـا، وقـد بـدت لـه كالشـمس الـتي أخـذت منها قاعات الملك ضوءها.

تبـع إيـول أثـر أريـذيل إلى أن وجـد النهـر الجـاف والطريـق السـري، فزحـف خلسـة، حـتى انتبـه إليـه الحـراس فـألقوا القـبض عليـه بعـد أن شـكوا بـأمره. لكـن عنـدما سمعـوا ادعائـه بـأن أريـذيل تكون زوجته تعجبوا من ذلك، وأرسلوا على جناح السرعة رسول إلى المدينة.

وصـل الرسـول إلى قاعـات الملـك ونـادى: سـيدي لقـد أسـر الحـرس شخصـاً تسـلل خلسـةً إلى البوابـة المظلمـة، اسمـه إيـول وهـو جـني طويـل مظلـم ومـتجهم مـن عشـائر سـيندار. يـدعي بـأن السـيدة أريـذيل هـي زوجتـه. هـذه هـي مطالبـه الـتي نضـعها أمامـك لكـن غضـبه عظـيم وكـبح جماحه صعب جداً، ولم نذبحه كما يأمر قانونك الخاص.

قالـت أريـذيل: يـا للأسـف لقـد تبعنـا كمـا كنـت متخوفـة، لكـن بخلسـة عظيمـة لأننـا لم نـرى أو نسـمع أي ملاحـق لنـا، كمـا أننـا دخلنـا علـى الطريـق المخفـي، ثم قالـت للرسـول: أنـه يقـول الحقيقـة. فهـو إيـول وأنـا زوجتـه وهـو أبـو ابـني. لا تـذبحوه لكـن قـودوه إلى هنـا لعلـه يقـترب مـن عدالة الملك، طبعاً بعد إذن الملك.

عمل الحارس كما قالت له أريذيل، فجلب إيول إلى قاعة تورغون. وقف إيول أمام مقعد تورغون العالي، فخوراً متجهماً، مع أن دهشته لم تكن بأقل من دهشة ابنه في كل ما رأى. فقد ملأ قلبه بالغضب والحقد أكثر على نولدور. لكن تورغون عامله بشرف، فنهض وأخذ يده وقال: مرحباً بك فأنت قريبنا وضيفنا، وستسكن هنا مسروراً، إلا أنك ستبقى هنا ولن تغادر مملكتي. لأن قانوني يقول لا أحد يجد الطريق المخفي ويغادر بعد ذلك.

سحب إيول يده وقال: لا أعترف بقانونك. ولا يحق لك ولا لأي أحد من أقربائك بإقامة الممالك أو وضع الحدود هنا وهناك، فهذه كلها أرض تيليري. وإنك ستجلب الحرب وكل الساعين لها إلى هنا. تتعاملون مع الناس دائماً بتفاخر وبشكل ظالم. لا أريد شيء من أسرارك ولم آتي لأتجسس عليك، لكنني أتيت لأدعي ما هو لي، زوجتي وابني. رغم ذلك بالنسبة لأريذيل اختك فهي عندك إن أرادت أن تبقى فسأتركها، ترك الطير ليعود إلى القفص. حيث هي قريباً سوف تمرض ثانيةً، كما مرضت من قبل، لكن مايغلين لا لن يبقى، فهو ابني ولن تستطيع أن تحجبه عني. ثم نظر إلى ابنه وقال: مايغلين يا بني تعال إلي أبوك يأمرك. دع البيت لأعدائه ولمن قتلوا أقرباءهم، أو تكون ملعوناً. فلم يجبه مايغلين بأية كلمة.

عندها جلس تورغون في مقعده العالي مستدعياً موظفي الموت لديه. ثم تكلم بصوت عميق وقال: لن أتناقش معك أيها الجان المظلم. بفضل سيوف نولدور فإن غابتك المظلمة بقيت محمية ومصانة، وأنت مدين لأقربائي بحرية تجوالك هنالك في بريتها. منذ مدة طويلة، حينما كنت أنت ماتزال عبداً تعمل في حفر أنغباند، كنت أنا ملك هنا، وسواء فعلت أو لم تفعل فحكم الموت عندي قانون، وأمامك أنت وابنك خيارين إما البقاء هنا أو الموت هنا.

عندها نظر إيول في عيون الملك ولم يرتعب لكنه وقف مطولاً صامتاً بدون حراك. بينما مايزال الصمت مخيماً على القاعة، كانت أريذيل خائفةً، لأنها متيقنةً من وجود الخطر. فجأة وبسرعة كالثعبان، وضع يده على الرمح المخفي تحت عباءته، وسدد طعنة إلى مايغلين صارخاً. هذا هو خياري الثاني، آخذه لي ولابني أيضاً فلن تأخذ ما هو لي. لكن أريذيل قفزت أمام الطعنة فأصابها في كتفها. تراكض الجميع إلى إيول فغلبوه وقيدوه، واقتادوه، بينما استدار الآخرون نحو أريذيل. نظر مايغلين إلى أباه وبقي صامتاً.

تقرر بأن يؤخذ إيول في اليوم التالي إلى حكم الملك. وطلبتا أريذيل وإيدريل له الرحمة من تورغون. مع المساء مرضت أريذيل، فقد بدا بأن الجرح صغير لكنها سقطت في الظلام وماتت في الليل، وذلك لأن رأس الرمح كان مسموماً. ولم يعرف أحد بموتها حتى وقت متأخر جداً.

لذلك عندما أُحضر إيول أمام الملك فلم يجد أي رحمة، بل اقتادوه إلى كاراغدور، وهي صخرة الهاوية السوداء وتقع على الجانب الشمالي لتلة غوندولين، من أجل رميه هناك إلى أسفل الجدران المائلة للمدينة، وكان مايغلين واقفاً بجانبه ولم يقل شيئاً، لكن إيول صرخ أخيراً: هكذا تتخلى عن أباك وأهله، فعلاً إنك ابن حرام، هنا ستفشل كل آمالك. وهنا ستموت ميتتي هذه.

ثم القوا بإيول من فوق كاراغدور وكانت تلك نهايته، وبدا ذلك إلى كل غوندولين بأنه عدالة. لكن إيدريل كانت منزعجة. وأصبحت تشك بقريبها منذ ذلك اليوم. لكن مايغلين كبر وتعاظم بين غوندوليندريم[1]. مدحه الجميع وأثنوا عليه، وتحصل على أعلى دعم ومساندة من تورغون، لأنه كان متلهف للتعلم بسرعه، وكان لديه الكثير ليعلمه للآخرين. فاجتمع لديه كل ذلك، لكن كانت لديه نزعة لحرفة الحدادة والتعدين، لذلك قصد إيخورياث[2] فوجد عروق غنية من خام معدن يشبه اللؤلؤ. واكتشف الكثير من الحديد الصلب في منجم أنغابار إلى الشمال من إيخورياث، ومن هناك حصل على الثروة من صياغة المعدن والفولاذ، وذلك لأن أسلحة غوندوليندريم صنعت أكثر حدةً وقوة، وهي التي وضعتهم في موضع جيد في الأيام القادمة، فقد كان مايغلين حكيم وحذر في آرائه، وشجاع وجريء عند الحاجة. وهذا شوهد بعد أيام، عندما كانت سنة الخوف من نيرنايث أرنوي دياد، فقد افتتح تورغون، عهد اتحاده مع فينغون، وزحف لمساعدته في الشمال. ولم يبقى مايغلين في غوندولين كوصي للملك، بل ذهب إلى الحرب وقاتل إلى جانب تورغون وأثبت جسارةً وشجاعةً في المعركة.

هكذا بدا كل ذلك جيداً بفضل الثروات التي جمعها مايغلين، وهو الذي ارتفع ليكون عظيماً بين أمراء نولدور. بأعظم وأكثر شهرة بين ممالكهم، مع أنه لم يفصح عما في قلبه،

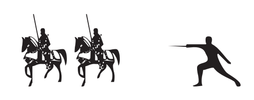
---

[1] غوندوليندريم.Gondolindrim . وهم الشعب الذي ذهب مع تورغون في بدايات العصر الأول إلى غوندولين، وسكنوا هناك، وبقوا مخفيين عن عيون مورغوث حتى سقوط المدينة سنة ٥١٠ من العصر الأول.

[2] إيخورياث.Echoriath . وهي مجموعة ضخمة من الجبال التي تحيط وبشكل دائري مدينة غوندولين، وفيها الكثير من عيون النسور التي كانت تراقب وتحمي غوندولين طيلة العصر الأول.

فلـم تـذهب كـل الأشـياء الـتي يتحملهـا بصـمت هـدراً، فقـد كـان تفكـيره محجـوب عـن الـبعض لكــن كــان يمكــن لــبعض الآخــرين قراءتــه، وإن لم تكــن تلــك الــتي تقــرأ أفكــاره هــي إيــدريل كيليبرينـــدال فمـــن ســـيكون غيرهـــا. فمنـــذ أيامـــه الأولى في غونـــدولين، كـــان يحمـــل الأســـى والحـزن، فكـان يبـدو دائمـاً مسـتاء، وذلـك مـا أخـذ منـه دائمـاً كـل بهجـةٍ. فقـد أحـب جمـال إيـدريل ورغبهـا زوجـةً، لكـن بـدون أمـل، فـالزواج مـن إيلـدار لا يقـاس بـاقتراب المسـافة مـنهم، ولا أبـداً مـن قبـل الـذي لديـه الرغبـة في الاقـتراب أكثـر. علـى أيـة حـال قـد يكـون مـايغلين أحـب إيـدريل لكـن لـيس في كـل شـيء، فهـو يعـرف فكرهـا بأنهـا أحبتـه أقـل مـن ذلـك، لأنـه كـان يبـدو إليهـا كشـيء غريـب، أو فيـه خدعـة مـا. حيـث أن في إيلـدار ومنـذ اعتبـار مذبحـة الأهـل كثمـرة شـريرة، ومـازال ظـل لعنـة مانـدوز يسـقط علـى آخـر آمـال نولـدور. لكـن بمـرور السـنوات بقـي مـايغلين يراقـب إيـدريل وينتظـر. ثم اتجـه حبـه إلى ظـلام قلبـه، فقـد أراد أكثـر أن يتجــه إلى أمــور أخــرى، ولم يكــن ذلــك تهربــاً مــن التعــب والمســؤولية، إذ أنــه يمتلــك القــدرة ويتحلى بالقوة لذلك.

هكـذا كـان هـو في غونـدولين، وسـط كـل نعـم تلـك المملكـة، مـادام مجـدها باقيـاً، فالبـذرة المظلمة للشر كانت قد بُذرتْ.



# الفصل السابع عشر

## مجيء البشر إلى الغرب

بعـد مـرور أكثـر مـن ثلاثمائـة سـنة علـى قـدوم نولـدور إلى بيليريانـد، وفي أيـام السـلام الطويلـة. سـافر فينـرود فيلاغونـد سـيد نارغوثرونـد إلى شـرق سـيريون ذاهبـاً للصـيد. وكـان معـه مـاغلور ومايـذروس أبنـاء فيـانور، لكنـه تعـب مـن الصـيد والمطـاردة فمـرَّ لوحـده نحـو جبـال إيريـد لينـدون الـتي رآهـا تتـألق مـن بعيـد، سـالكاً طريـق الأقـزام عـبر جيليـون في ممـر سـارن أثـراد، ثم اتجه جنوباً عابراً الجداول العليا من آسكار، حتى وصل إلى شمال أوسيرياند.

في وادٍ بـين سـفوح الجبـال تحـت ينـابيع ثـالوس رأى أضـواء في المسـاء، وسمـع مـن بعيـد صـوت أغـاني، وتسـاءل كثـيراً، فالجـان الخضـر في تلـك الأراضـي لم يشـعلوا النـيران مـن قبـل، ولا يغنـون في الليـل. في البدايـة خـاف بـأن يكـون ذلـك هجـوم مـن الأوركـس علـى منـاطق اتحـاد الشـمال، لكنـه عنـدما اقـترب أدرك بـأنهم ليسـوا أوركـس. فقـد اسـتعمل المغنـون لغـة لم يسـمعها مـن قبـل، ولم يكونـوا مـن الأقـزام، ولا مـن الأوركـس. وقـف فيلاغونـد في الظـل الليلـي للأشـجار صـامتاً، ونظر للأسفل إلى المعسكر، هناك شاهد الناس الغرباء.

فهـؤلاء كـانوا جـزء مـن عشـيرة يتبعـون بيـور الكبـير. كمـا علـم فيمـا بعـد، وهـذا بيـور هـو زعـيمٌ بـين البشـر. بعـد الكثـير مـن حيـاة التيـه، قـادهم بيـور مـن الشـرق عـبر الجبـال الزرقـاء إلى بيليريانـد، فهـم أول جـنس مـن البشـر يـدخل بيليريانـد، وقـد غنـوا مسـرورين لاعتقـادهم بـأنهم هربوا من كل الأخطار ووصلوا في نهاية المطاف إلى أرضٍ خاليةٍ من الخوف.

راقـبهم فيلاغونـد لفـترة طويلـة، وحركـت محبـتهم شـيئاً في قلبـه، لكنـه بقـي مختفيـاً بـين الأشـجار حـتى أصـبحوا كلهـم نيـام، ثم دخـل بـين النـاس النـائمين وجلـس بـالقرب مـن نـارهم المحتضـرة حيـث لم يبقـوا أحـداً للحراسـة. أخـذ القيثـارة البسـيطة الـتي كـان بيـور يضـعها بجانبـه، وعـزف موسـيقى لم تسـمع آذان البشـر مثلهـا مـن قبـل، لأنـه ولحـد الآن لم يعلمهـم أحـد في علـوم الفن والموسيقى. إلا أنهم قد سمعوا من قبل فقط الجان المظلمون في أراضي البرية.

استيقظ البشر واستمعوا إلى صوت قيثارة فيلاغوند، وغنوا معه، فكل واحدٍ منهم ظن بأنه كان في شيء من الحلم الجميل، حتى رأى بأن زملاءه مستيقظين بجانبه أيضاً. لكنهم لم يتكلموا أو يتحركوا أثناء عزف فيلاغوند بسبب جمال المعزوفة وبهجة الأغنية. فالحكمة التي كانت في كلمات ملك الجان تلقفتها تلك القلوب عاقلة مصغيةً. ومن الأشياء التي غنى لها. صُنع أردا وبركة أمان الواقعة خلف ظلال البحر. وقد جاءت كرؤيا بين أعينهم، وكلامة باللغة الجنيَّة فُسِّر في كل عقل طبقاً لإدراكه.

هكذا دعا البشر فيلاغوند وهو أول من التقوا به من إيلدار، دعوه نُووُم أي الحكمة في لغة أولئك الناس، وبعده سموا شعبه نوومين، أي الحكماء. حقيقةً كانوا قد اعتقدوا بأن فيلاغوند هو أحد الڤالار الذين سمعوا عنهم بأنهم يسكنون بعيداً في الغرب. وهذا كان بعض الرأي عن سبب هجرتهم. أقام فيلاغوند بينهم وعلمهم معرفةً حقيقيةً وهم أحبوه وأخذوه إلى سيدهم، بعدها أصبحوا موالين لبيت فينارفين.

بما أن إيلدار كانوا من أمهر الناس في اللغات، فلقد اكتشف فيلاغوند أيضاً بأنه يمكنه أن يقرأ في عقول البشر مثل هذه الافكار، أي أنهم تمنوا الكشف في اللغة لكي يستطيعوا ترجمة الكلمات بسهولة، ويقال بأن هؤلاء البشر كان عندهم تعاملات لمدة طويلة مع الجان المظلمون شرق الجبال، ومنهم تعلموا معظم الكلام، بحيث أن كل لغات كوينـدي كانت من أصل واحد. تتشابه لغة بيور وشعبه باللغة الجنية في الكثير من الكلمات والأدوات. لم يتواصل فيلاغوند مع بيور مطولاً في الحديث من قبل، لكن عندما سكن معهم فقد تكلما كثيراً مع بعضهما. لكن عند سؤاله عن ظهور البشر وترحالهم فقد كان بيور يتكلم قليلاً، في الحقيقة لأنه لا يعرف إلا القليل، فآباء شعبه قد أخبروه بضع حكايات عن ماضيهم. ثم وقع صمتٌ على ذاكرتهم، وقال بيور: يكمن الظلام خلفنا، ونحن أدرنا ظهورنا له، ولا رغبة لدينا بالعودة إلى هناك حتى ولو بالفكر، فقد استدارت قلوبنا نحو الغرب، ونعتقد بأننا سنجد الضوء هناك.

لكنه قيل فيما بعد في إيلدار بأنه عندما ظهر البشر في هيلدورين عند الشروق الأول للشمس فإن جواسيس مورغوث كانوا يقظين وجلبوا له الأخبار. وبدا ذلك إليه كمسألة عظيمة عن ذلك السر تحت الظلال، فغادر مورغوث نفسه من أنغباند وصعد إلى الأرض الوسطى، تاركاً ساورون خلفه لقيادة الحرب، لم يتعرف إيلدار في ذلك الوقت أي شيء عن تعامل مورغوث مع البشر. ولم يعلموا بعدها إلا القليل عن ذلك، لأن الظلام قد تمدد

على قلوب البشر (كما تمدد ظل ذبح الأهل وموت ماندوز على نولدور)، وأدركوا وبوضوح تام، حتى بين أولئك الناس الذين كانوا أصدقاء الجان والذين علموا في البداية بأن الرغبة الرئيسية لمورغوث كانت هي الإفساد أو التحطيم المطلق لهذا الظهور الجديد والجميل، وبلا شك كان هذا الهدف هو من أولويات مهماته، بأن يزرع العداوة والخصام بين البشر وإيلدار، وذلك بزرعه للخوف والأكاذيب فيما بينهم. لهذه الغاية استقدم بعض البشر لتربيتهم في الشرق ضد بيليرياند، لكن هذا التصميم كان بطيء النضوج، ولم ينجز بالشكل الكامل (كما قيل). لأن أعداد البشر في بادئ الأمر كانت قليلة، ووبسبب خوف مورغوث من نمو القوة الناتجة عن اتحاد إيلدار، رجع إلى أنغباند، تاركاً خلفه في ذلك الوقت بعضٌ من خدمه، وهم أقلُ قوةً ومكراً من غيرهم.

عَلم فيلاغوند من بيور بأن هناك الكثير من البشر الذين كانت لديهم نفس الرغبة في السفر إلى الغرب. وأن آخرين من خواص أقربائه عبروا الجبال وتجولوا في المناطق القريبة، أما هالادين فهم الشعب الذي انفصلنا نحن ولغتنا منهم. ومازالوا يقيمون في الوديان منتظرين الأخبار على السفوح الشرقية قبل أن يخاطروا أبعد من ذلك. وهناك بشر آخرون لحد الآن لديهم لغة تشبه لغتنا، ولدينا أحياناً بعض التعاملات معهم، فقد كانوا أمامنا على الحدود الغربية، لكننا تجاوزناهم، لأن عددهم كبير وهم يبقون سويةً مجتمعين ويتحركون ببطيء، وجميعهم محكومون من قبل زعيم واحد يدعى ماراخ.

انزعج الجان الخضر في أوسيرياند من مجيء البشر، وعندما سمعوا عبر البحر بأن سيد إيلدار بينهم فقد أرسلوا الرسل إلى فيلاغوند وقالوا له: إذا كان لديك سيطرة على هؤلاء القادمين الجدد اعرض عليهم أن يعودوا من حيث أتوا، أو لا تدعهم يتقدمون أكثر من ذلك، فلا نريد غرباء في هذه الأرض لكي لا يختل السلام الذي نعيش فيه، فهذا شعب يقطع الأشجار ويصطاد البهائم ولن نكون نحن وإياهم أصدقاء، وإذا لم يغادروا فإننا سنستهدفهم في كل الطرق، وأينما رأيناهم.

قام فيلاغوند بنصيحة بيور بأن يجمع كل العوائل التائهة وكل أقربائه، ويدعوهم لمغادرة جيليون، فحصل ذلك وسكنوا في أمرود وأمراس على الضفة الشرقية لكيلون جنوب نان إيلموث بالقرب من حدود دورياث. وأصبح اسم تلك الأرض فيما بعد إيستولاد، أي المخيَّم. لكن بعد مرور سنة رغب فيلاغوند بالعودة إلى بلاده وطلب من بيور أن يذهب معه، بقي بيور في خدمة ملك نارغوثروند طوال حياته. وبهذه الطريقة حصل بيور على

اسمه حيث كان اسمه فيما سبق، بالان ومعنى بيور في لغة شعبه هي التابع. وحكم شعبه من بعده ابنه الأكبر باران. ولم يعد بيور بعدها ثانيةً إلى إيستولاد.

بعد مغادرة فيلاغوند مباشرةً، جاء بقية البشر الآخرين الذين أرسل إليهم بيور ووصلوا إلى بيليرياند. أول الواصلين كان هالادين، لكن لم يقابلهم الجان الخضر بالمودة فاستداروا شمالاً وسكنوا في ثارجيليون في بلاد كارانثير بن فيانور، هنالك ولفترة من الوقت عاشوا بسلام، ولم يهتم بهم شعب كارانثير كثيراً. وفي السنة التالية قاد ماراخ شعبه على الجبال، وكانوا قوم طوال القامة ومحاربين أشداء. تقدم في كتائب منظمة وأخفى جان أوسيرياند أنفسهم ولم يكمنوا لهم. لكن ماراخ سمع بأن شعب بيور كانوا قد سكنوا في أرض خضراء وخصبة. فنزل عبر طريق الأقزام واستقر جنوب البلاد، إلى الشرق من مساكن باران بن بيور، وكانت هناك صداقات عظيمة بين تلك الشعوب.

أما فيلاغوند نفسه فقد عاد لزيارة البشر في أحيان كثيرة، وسافر الكثير من الجان الآخرين من كلاً من نولدور وسيندار إلى إيستولاد، لأنهم كانوا متلهفين لرؤية إيداين الذين تنبؤا بمجيئهم منذ مدة طويلة. والآن أتاني، أي الشخص الثاني، كان ذلك هو الاسم الذي أعطي للبشر من قبل ڤالينور في العلوم التي أخبرت عن مجيئهم. لكن في لغة بيليرياند ذلك الاسم أصبح إيداين وهذا الاسم لم يستخدم إلا للدلالة فقط على ثلاثة عشائر وهم الذين كانوا من أصدقاء الجان.

أرسل فينغولفن وبصفته ملك لكل نولدور رسائل الترحيب بقدوم البشر. بعدها سافر الكثير من الشباب المتلهفون من إيداين متخذين خدماتٍ مع الملوك وسادة إيلدار، من بين هؤلاء كان مالاخ بن ماراخ الذي سكن في هيثلوم لأربعة عشرة سنة، وتعلم لغة الجان وأعطي فيما بعد اسم أرادان.

لم يقتنع إيداين بالسكن لمدة طويلة في إيستولاد، فالكثيرين منهم مازالت لديهم الرغبة في الذهاب إلى الغرب. لكنهم لم يعرفوا الطريق، فأمامهم سياج دوريات ومن الجنوب يمتد سيريون وحوله المستنقعات غير القابلة للعبور، لذلك فالملوك الثلاثة من بيوت نولدور. رأوا بأن أمل القوة يأتي من بني البشر. لذلك أرسلوا خطاباً إلى إيداين متمنين فيه على البشر بأن يأتوا للسكن والإقامة بينهم. وبهذه الطريقة بدأت هجرة إيداين. في بادئ الأمر كانت رويداً رويداً لكن لاحقاً أصبحت الهجرة بالعوائل والعشائر، فخرجوا وتركوا إيستولاد. بعد حوالي خمسين سنة دخلت آلافٌ كثيرة منهم إلى أراضي الملوك، وأغلب هذه الهجرات

أخـذت الطريـق الطويـل الشـمالي حـتى أصبـح أشـهر الطـرق عنـدهم. فـأتى شـعب بيـور إلى دورذونيـون وسـكنوا في أراضـي تخضـع لحكـم بيـت فينـارفين. وشـعب أرادان (الـذي هـو ابـن مـاراخ بقـي في إيسـتولاد حـتى موتـه). والجـزء الأكـبر مـنهم اسـتقروا بـالغرب، وجـاء بعضـهم إلى هيثلـوم لكـن مـاغور بـن أرادان والكثـير مـن النـاس عـبروا نهـر سـيريون إلى بيليريانـد وسـكنوا فـترة في وديان السفوح الجنوبية من إيريد ويثرين.

يقـال بأنـه في كـل هـذه الأمـور لم يتشـاور الملـك ثينغـول مـع أحـد إلا فينـرود فيلاغونـد، ولم يكـن كلاهمـا مسـروراً بسـبب الأحـلام والأخبـار المزعجـة الـتي سمعـت مـن قبـل فيمـا يتعلـق بمجـيء بـني البشـر، لـذا أمـر أولئـك البشـر بـأن لا يأخـذوا أيـة أراضـي للسـكن إلا في الشـمال، وسـتقع المسـؤولية في تنفيـذ هـذه الأوامـر علـى عـاتق أُمـراء البشـر الـذين خـدموا أمـام الملـوك. وقـال أيضـاً: لـن يـأتي إلى دوريـاث أي رجـل مادامـت مملكـتي قائمـة، ولا حـتى أولئـك الـذين هـم مـن بيـت بيـور الـذي يخدم فينـرود المحبـوب، لم تقـل لـه ميليـان شـيء في ذلـك الوقـت لكـن بعـد ذلـك قالـت إلى غالادريـل: الآن يسـير العـالم بسـرعة شـديدة إلى الأخبـار العظيمـة. وواحـد مـن البشـر مـن بيـت بيـور سـيأتي فعـلاً، وزنـار ميليـان لـن يعيقـه، لأن القـدر الـذي هـو أعظـم مـن قـوتي سيرسـله، والأغـاني الـتي سـتنبع مـن ذلـك المجـيء سـتبقى عنـدما تتغـير كـل الأرض الوسطى.

بقـي كثـير مـن البشـر في إيسـتولاد، وعـاش هنـاك خليـط مـن النـاس لمـدة طويلـة فيمـا بعـد، وبقـوا حـتى خـراب بيليريانـد، عنـدما انغمـرت أرضـهم فقسـم مـات وقسـم هربـوا عائـدين إلى الشـرق، لأنهـا كانـت الأرض الأقـرب والـتي اعتـبرت بأيـام تشـردهم القديمـة هنـاك. ليسـوا قلائـل أولئـك الـذين كانـت لـديهم رغبـة بالـذهاب بطـرقهم الخاصـة، وهـم الـذين خـافوا إيلـدار وضـوء عيـونهم، بعـد ذلـك نمـت خلافـات بـين إيـداين، وهـذه الخلافـات تظهـر فيهـا ظـلال مورغـوث، لأنـه كـان متأكداً من قدوم البشر إلى بيليرياند وصداقتهم المتزايدة مع الجان.

كـان زعمـاء السـخط همـا بيريـغ مـن بيـت بيـور وأمـلاخ أحـد أحفـاد مـاراخ. وهـم قالوهـا بشـكل واضـح: لقـد أخـذنا طـرق طويلـة راغبـين بـالهرب مـن الأرض الوسـطى والأشـياء المظلمـة السـاكنة هنـاك، فلقـد سمعنـا أنـه هنـاك في الغـرب ضـوء لكننـا الآن عَلمنـا بـأن الضـوء يقـع خلـف البحـر وإلى هنـاك لا نسـتطيع الوصـول حيـث تسـكن الآلهـة في النعمـة، ولم تبـقِ لنـا هـذه الآلهـة هنـا إلا واحـد فقـط، سـيدٌ ظلامـيٌ يقبـع أمامنـا، فقـد سـقطت حكمـة إيلـدار عنـدما جعلـت الحـرب لانهائيـة مـع مورغـوث الـذي يسـكن في الشـمال، ويقولـون بأنـه هنـاك يتواجـد

الألم والموت الذي منه نحن هربنا، لذلك لن نذهب في ذلك الطريق ولن نسكن في الشمال.

ثم دعيا البشر إلى اجتماعٍ للتشاور، جاءت أعداد عظيمة إلى هناك، ووجه أصدقاء الجان تساؤلات إلى بيريغ قائلين: حقاً إن كل الشرور التي هربنا منها تأتي من السيد المظلم، لكنه يريد سيادة كاملة على كل الأرض الوسطى، وأينما ذهبنا سيلاحقنا ما لم يكن مغلوباً هنا، أو أضعف الإيمان أن نكون متحدين لمواجهته، فلقد قاومته شجاعة إيلدار، وربما كان هدفهم من جلبنا إلى هذه الأرض هو حاجتهم إلى مساعدتنا.

إلى هنا أجاب بيريغ: دع إيلدار يبحثون عنه، فحياتنا قصيرة بما فيه الكفاية. ثم ظهر من بين الجموع شخص بدا للجميع وكأنه أملاخ بن إيملاخ، تكلم ووقعت كلماته عليهم وهزت قلوب كل من سمعها، حيث قال: كل ذلك ما هو إلا علوم جنية وهي عبارة عن حكايات لتسلية القادمين الجدد لكي يبقوا غافلين. ليس للبحر نهاية ولا وجود للضوء هناك في الغرب. لقد اتبعتم نار الجان المخادعة إلى نهاية العالم، فمن منكم رأى من هو أقل من الآلهة ؟ ومن رأى الملك المظلم في الشمال؟ لم يره أحدٌ إلا إيلدار، فهم يريدون سيادة الأرض الوسطى. وبسبب طمعهم للثروة حفروا في الأرض، وللأرض أسرارها فقد أثاروا غضب الأشياء الساكنة في الأسفل. هكذا فعلوا ودائماً سيفعلون. لندع الأوركس بعالمهم الذي لهم. ونحن سيكون لنا عالمنا الخاص بنا. هناك أماكن كثيرة في هذا العالم. فكما وجدت إيلدار نحن سنكون أيضاً.

وقعت الدهشة وظل الخوف على قلوب كل المستمعين لهذا الكلام. وصمموا على المغادرة والابتعاد عن أراضي إيلدار، لكن بعد ذلك عاد أملاخ بينهم نافياً بأنه كان حاضراً في نقاشهم أو أنه تكلم مثل هذه الكلمات التي ذكروها له. فتولد من كلامه شك وحيرة بين البشر، وقال أصدقاء الجان: بالنهاية أنت تعتقد فعلاً بأنه يوجد هناك سيد مظلم ولديه جواسيس ومبعوثين، وهو يخشانا ويخشى قوتنا التي سنساعد بها خصومه.

لكن ماتزال إجابات البعض بأنه يكرهنا أيضاً، بالأحرى سيزداد كرهه لنا كلما طالت مدة سكننا هنا. فالتدخل في خصومات ملوك إيلدار لا تعتبر مكسباً بالنسبة لنا. كان قد بقي كثيرين في إيستولاد وهم جاهزون للمغادرة. قاد بيريغ الآلاف من شعب بيور مبتعداً نحو الجنوب. وقد خرج هؤلاء من أناشيد تلك الأيام، لكن أملاخ أسف قائلاً: سيكون لدي حساب مع سيد هذه الأكاذيب، وهذا الحساب سيدوم حتى نهاية حياتي، بعدها ذهب

إلى الشمال ودخل في خدمة مايذروس. لكن بقية شعبه والذين كانوا في مثل عقلية بيريغ فقد اختاروا زعيماً جديداً. وعادوا إلى جبال إيريادور، وكانوا منسيين.

في أثناء هذا الوقت بقيت هالادين في ثارجيليون وكانوا راضين. لكن مورغوث رأى بأنه بالأكاذيب والخدع فقط لن يستطيع أن يصنع العداء بين الجان والبشر، فامتلأ بالغضب وسعى لإحداث أذى بين البشر، لذلك بعث عليهم غارة من الأوركس. مرت من الشرق لتتحاشى التحالف. فتسلل الأوركس إلى إيريد لينضون عابرين طريق الأقزام، ووقعوا على هالادين في الغابة الجنوبية لأرض كارانثير.

لم يعش هالادين وفق قاعدة حكم الأسياد للتجمعات. بل كان لكل منزل أرض مستقلة يتحكم فيها بشؤونه الخاصة، وكان من الصعب تجمعهم بسرعة. كان بينهم رجل يدعى هالداد، وهو بارع شجاع ومقدام، جمع حوله كل الرجال الشجعان الذي يمكن أن يجدهم. وتراجع إلى زاوية في الأرض بين آسكار وجيليون، وبنى في آخر مداخلها حاجزاً من الماء إلى الماء، وجلب كل النساء والأطفال لخلف هذا الحاجز لكي يؤمن لهم الحماية. لكن هناك تمت محاصرتهم حتى نفذت مؤنهم.

كان لدى هالداد توأم وهما ابنته هاليث وابنه هالدار، كليهما كانا شجاعين. وكانت هاليث امرأه بقلب عظيم القوة، لكن عندما ذبح هالداد في غارة ضد الأورك، أسرع هالدار لسحب جثة أبيه من مجزرتهم، فقتل هالدار هناك بجانب أبيه. عندها جمعت هاليث الناس مع أنهم كانوا من دون أمل. فالبعض منهم راح يرمي نفسه في النهر ليغرق. لكن بعد سبعة أيام على بدء هجوم الأوركس على الحاجز استطاعوا اختراقه. عند هذه اللحظة دوّت فجأة أصوات أبواق كارانثير مع جماعته نازلاً من الشمال فدحر الأوركس نحو الأنهار.

نظر كارانثير بعين العطف إلى البشر وإلى الشرف العظيم الذي عند هاليث فعرض عليها مكافأة وتعويضاً عن أباها وأخاها، وعن البسالة التي أبداها إيداين. ولو أنها جاءت متأخرة، فقال لها إن رضيتم أن تتركوا هذه الأرض وتسكنون في الشمال، فسيكون لديكم هناك أصدقاء من الجان وتضمنون حماية إيلدار، وتملكون أراضٍ مجانية خاصة بكِم.

لكن هاليث كانت متكبرة وغير راغبة في الحكم والإدارة، وأغلب هالادين كانوا في مثل طبعها، لذلك شكرت كارانثير على عرضه. فأجابها: سيدتي إذا أردتم رأيي، فالخير لكم أن تتركوا ظل الجبال وتذهبوا إلى الغرب، إلى تلك الأماكن التي ذهب إليها أقرباؤكم. ثم جمع

مـن هـالادين كـل مَـن وُجـدوه حيـاً، وأولئـك الـذين هربـوا إلى البريـة عـبر الغابـة قبـل مجـيء الأوركـس، فجمعـوا مـا تبقـى مـن سـلع في بيـوتهم المحروقـة. واتخـذوا هاليـث رئيسـةً لهـم، قـادتهم هاليـث إلى إيسـتولاد. سـكنوا في إيسـتولاد لفـترة مـن الوقـت، لكـن بقـي كـل نـاسٍ منقسـمين علـى حـده. وكانـت تلـك صـفة معروفـة دائمـاً لـدى البشـر والجـان، فيقـال في الأمثـال كشـعب هاليـث، أي منقسـمين كـل بيـت علـى حـده. بقيـت هاليـث رئيسـةً مادامـت علـى قيـد الحيـاة، ولم تتـزوج. بعـدها انتقلـت قيـادة القبيلـة إلى هـالادان بـن هالـدار شـقيقها. قـررت هاليـث علـى أيـة حـال التحـرك نحـو الغـرب ثانيـةً، ومـع ذلـك فقـد كانـت غالبيـة شـعبها ضـد هـذا الـرأي. فصـعدت بهـم ثانيـةً، وذهبـوا بـدون مسـاعدة أو إرشـادٍ مـن إيلـدار. مـروا فـوق كيلـون وآروس وسـافروا في الأرض الخطـرة بـين جبـال الرعـب وزنـار ميليـان، رغـم ذلـك فلـم تكـن تلـك الأرض شـريرة بعـد، كمـا أصـبحت عليـه فيمـا بعـد. لكنـه لم تكـن هنـاك طـرق للبشـر الفـانين للسـير بهـا مـن دون مسـاعدة. إلا هاليـث فكانـت هـي الوحيـدة الـتي قـادت شـعبها مـن خـلال تلـك الطـرق بالمشـقة والخطـر، لم يعيـق قـوة رغبتهـا بالتقـدم إلا الخسـائر. وأخـيراً عـبروا بريثيـاخ. نـدم كثـيرون مـنهم بشـكل مريـر بسـبب متاعـب الرحلـة. لكـنهم وصـلوا إلى مرحلـة اللاعـودة، لـذلك عـادوا في الأراضـي الجديـدة إلى حيـاتهم القديمـة كأفضـل مـا يكـون. وسـكنوا في المنـازل المجانيـة في غابـة تـالاث ديـرنين بعـد تيغيلـين وتحـول بعضـهم إلى مملكـة نارغوثرونـد، لكـن كـان هنـاك العديـد ممـن أحبـوا السـيدة هاليـث وتمنـوا الـذهاب أينمـا ذهبـت ورغبـوا بـأن يبقـوا تحـت حكمهـا. فسـارت بهـم إلى غابـة بريثيـل بـين تيغيلـين وسـيريون، وإلى هـذه الغابـة عـاد الشـعب المتفرق في الأيام الشريرة التي تلت تلك الأيام.

ادعـى الملـك ثينغـول بـأن غابـة بريثيـل هـي جـزء مـن مملكتـه مـع أنهـا لم تكـن واقعـةً ضـمن زنـار ميليـان. وقـد أنكرهـا علـى هاليـث، لكـن فيلاغونـد الـذي كـان صـديق ثينغـول، وكـان قـد سمـع كـل الـذي حصـل مـع شـعب هاليـث، فقـد طلـب مـن ثينغـول بـأن يبقـيهم في بريثيـل ليسـكنوا بشـكل حـر علـى شـرط واحـد، وهـو أن يحـرس شـعبها معـابر تيغيلـين ضـد كـل أعـداء إيلـدار، ولا يسـمحوا للأوركـس بالـدخول إلى غـابتهم. إلى هـذا الحـد أجابـت هاليـث: أيـن هالـداد أبي وهالـدار أخـي؟ إذا كـان ملـك دوريـاث يخـاف الصـداقة بـين هاليـث وأولئـك الـذين أفنـوا أقاربهـا، إذاً فـإن أفكـار إيلـدار تعتـبر غريبـة علـى البشـر. سـكنت هاليـث في غابـة بريثيـل حـتى ماتـت، وقـد رفـع شـعبها فـوق قبرهـا تـل أخضـر علـى مرتفعـات الغابـة، ويـدعى تـور هاريثـا، أي رابية السيدة، وفي لغة سيندارين يقال له هاوذ اين إيروِّينْ.

بهذه الطريقة كانت كيفية حدوث سكن إيداين في أراضي إيلدار. فالبعض هنا والبعض هناك والبعض يتجولون والبعض استقروا كقبائل وشعوب صغيرة. وبسبب لهفة الكثيرين لعلوم الجان فقد تعلم جزء كبير منهم لغة الجان الرماديين، إذ كانت تعتبر كلغة مشتركة بينهم. لكن بعد فترة رأى ملوك الجان بأن سكن البشر والجان مع بعضهم والاختلاط بينهم سيؤدي إلى التخبط. لأن البشر بحاجة إلى زعماء من جنسهم، فيجب أن يكون لديهم مجموعة مناطق مستقلة، لكي يتمكن البشر فيها من عيش حياتهم الخاصة. والزعماء الذين يحملون مسؤولية الحكم وحماية أراضيهم بحرية. فقد كانوا حلفاء إيلدار في الحرب لكنهم زحفوا إليها تحت قيادة زعمائهم. رغم كل ذلك فقد كان العديد من إيداين مبتهجين بصحبتهم مع الجان والسكن بينهم لمدة طويلة إذا سمح لهم الجان بذلك. وفي أغلب الأحيان أُخذ الشباب للخدمة في جيوش الملوك لفترة من الوقت.

دخل هادور لورينْدول بن هاثول بن ماغور بن مالاخ أرادان إلى بيت فينغولفن في شبابه. فأحبه الملك فينغولفن وأعطاه سيادة دور لومين. جمع إلى تلك الأرض كلَّ أقربائه وقبيلته وأصبح هو الأقدر بين زعماء إيداين. ولم يتكلم في بيته إلا لغة الجان، مع أنه لم ينسَ لغته الأصلية، وهي تلك اللغة التي جاءت منها اللغة المشتركة لنومينور فيما بعد، أما في دورذونيون فقد أعطيت سيادة شعب بيور وبلاد لادروس[1] إلى بورومير بن بورون حفيد بيور الكبير.

أبناء هادور كانوا، غالدور وغوندور، وأبناء غالدور كانوا هورين وهوور، وابن هورين كان تورين ذابح التنين غلاورونغ، وابن هوور كان توور، والد إيارينديل المبارك. أما ابن بورومير فكان بريغور، وأبناؤه هما بريغولاس وباراهير، وأبناء بريغولاس هما باراغوند وبيليغوند، وبنت باراغوند كانت موروين والدة تورين. وبنت بيليغوند كانت رِيان والدة توور. لكن ابن باراهير كان بيرين ذو اليد الواحدة الذي فاز بحب لوثايين بنت ثينغول، وهو الذي عاد من الموت، ومنهما جاءت إيلوينغ زوجة إيارينديل ومن ثم كل نسل ملوك نومينور فيما بعد.

كل هؤلاء دخلوا ضمن شبكة أقدار نولدور. وقد عملوا الأعمال العظيمة التي مازال يذكرها إيلدار بين تواريخ الملوك القدامى، وفي تلك الأيام أُضيفت قوة البشر إلى قوة نولدور، وكانت آمالهم كبيرة، وأقفل الطوق حول مورغوث. لأن شعب هادور كانوا قساة

---

[1] لادروس.Ladros . وهي المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي من دورذونيون، وقد أعطيت كإقطاعة لفترة وجيزة إلى بيت بيور، لكنهم خسروها أمام مورغوث في معركة داغور براغوللاخ

يتحملون البرد ويتجولون لمدة طويلة، ومن سكرة الخوف أحياناً كانوا يذهبوا إلى الشمال للاستمرار بمراقبة تحركات العدو هناك. تضاعفت وازدهرت أعداد شعب البيوت الثلاثة لكن الأعظم بينهم كان بيت هادور الرأس الذهبية. نظير أسياد الجان. فقد كان شعبه من القوة والقوام العظيم. ذو عقل متيقظ، شجاع وصامد، سريع إلى الغضب، سريع الصلح، وكان هائلاً بين أبناء إلوفاتار في الأيام الأولى للبشرية، فغالبيتهم كان شعرهم أصفر، وعيونهم زرقاء، لكن تورين لم يكن كذلك، فأمه كانت موروين من بيت بيور، وأهل ذلك البيت (بيت بيور) كان شعرهم بني داكن وعيونهم رمادية. وفي كل شيء كان البشر يشبهون نولدور. وأكثر شيء أحبوه هو نولدور. لأنهم كانوا تواقين للعقل بارعين بالحيل وسرعة الفهم وقوة الذاكرة. فانتقلوا حالاً إلى الرحمة بهم بدل السخرية منهم. كما كان منهم من شعب هاليث، شعب الغابة، لكن قوامهم كان أقل، وتلهفهم للعلم أقل، فقد كان حديثهم مقتضباً، ولا يحبون كثيراً اللقاءات مع البشر، فالكثيرين منهم فرحوا بالخلوة، والحرية والتشرد في الغابات الخضراء، بينما كانت أعجوبة أراضي إيلدار جديدة عليهم. لكن أيامهم في ممالك الغرب كانت قصيرة وأيامهم حزينة.

كانت سنوات إيداين طويلة، طبقاً لحسابات البشر بعد مجيئهم إلى بيليرياند. لكن أخيراً عندما مات بيور الكبير، وكان قد عاش ثلاثة وتسعين سنة، عاش منهم أربعة وأربعين سنة في خدمة فيلاغوند. ثم مات بشكل طبيعي بدون جرح أو ألم، بل لنفاذ عمره، ولأول مرة ترى إيلدار التلاشي السريع لحياة البشر، وموت التعب الذي لم يعرفوه هم في أنفسهم. فحزنوا كثيراً لفقد أصدقائهم. وأخيراً تخلى بيور عن حياته بشكل لائق وعبرها بسلام. تساءلت إيلدار كثيراً عن هذا المصير الغريب للبشر، لأنه في كل علومهم لا توجد رواية أو وصف لذلك، ونهايته كانت مخفيةً عنهم.

مع ذلك فإن إيداين القديمة كانت لديها سرعة التعلم من إيلدار، في كل أنواع الفنون والمعرفة التي يتحصلون عليها، وازداد أبناؤهم في الحكمة والمهارة حتى فاقوا كل البشر الآخرين الذين مازالوا يسكنون شرق الجبال، ولم يشاهدوا وجوه إيلدار التي شاهدت ضوء ڤالينور.



# الفصل الثامن عشر

## خراب بيليرياند وسقوط فينغولفن

يرى فينغولفن ملك الشمال والملك الأعلى لنولدور، بأن شعبه أصبح كثير العدد والقوة. وحلفاءه من البشر كانوا على قدر كبير من الشجاعة والعدد، لذلك فكر أكثر من مرة بالهجوم على أنغباند، لأنه يعلم بأن حياتهم مهددةً دوماً ما دامت دائرة الحصار على مورغوث غير مكتملة، ومادام مورغوث يتمتع بحرية العمل في سراديبه وأقبيته العميقة، مبتكراً لشرورٍ لا يمكن التنبؤ بها قبل أن يكشفها. هذا الرأي كان حكيماً طبقاً لإجراءات معرفته هو. ولأن نولدور لم يكونوا على علم لحد الأن باكتمال قوة مورغوث، ولم يفهموا بأن حربهم غير المدعومة عليه كانت بالنهاية من دون أمل. سواء عجلوها أو أخروها، لكن لأن الأرض كانت جميلة وممالكها متسعة. فقد كانت أغلبية شعب نولدور راضية بالأشياء كما هي وواثقة بذلك للنهاية، لذلك كانوا متباطئين في بدء الهجوم. ولأن في الحرب موت للكثيرين منهم، إن كان هناك نصر أو هزيمة، فلم يهتموا كثيراً بالإصغاء إلى آراء فينغولفن. وفي ذلك الوقت فقط أنغرود وإيغنور من أبناء فيانور هما من كانا يوافقان آراء الملك من بين كل زعماء نولدور. لأنهما يسكنان في المناطق القريبة من حصن مورغوث، فمنها يمكن مشاهدة أبراج ثانغورودريم، وتهديد مورغوث كان حاضراً في فكرهم دائماً. لذلك فلم تنجح مقاصد فينغولفن في شنّ الحرب على مورغوث. ولغاية ذلك الوقت بقيت الأرض تنعم بالسلام الهش لفترة.

لكن عند الجيل السادس للبشر بعد بيور وماراخ، وكانوا لم يصلوا بعد إلى حد اكتمال القوة. وافق ذلك في السنة الخامسة والخمسين بعد الأربعمائة لمجيء فينغولفن. فقد وقع شرٌ وكان مرعباً لمدة طويلة، فقد اعتبر رهيباً جداً، بل كان الأكثر مباغتةً من أساليب رعبه المظلمه. لأن مورغوث جهز قوته لمدة طويلة في السر، وكان الحقد في قلبه ينمو ويكبر وكراهيته لنولدور تتزايد، فلم يكن راغباً فقط في إنهاء الخصومة لكنه كان يريد تحطيم

وتشويه الأراضي التي أخذوها وجعلوها جميلة، ويقال بأن حقده تغلب على النصح والمشورة، لذلك فلم يكن ليحتمل الانتظار لفترة طويلة. لأنه وفق خطته فإنه سيقضي على نولدور نهائياً في هذه المعركة. مع أنه قدّر شجاعة الجان لكنه لم يحسب حساباً لشجاعة البشر.

كان ذلك في ليالي الشتاء الحالكة حيث لا وجود لضوء القمر، وكان سهل أرد غالين الفسيح، من تلال نولدور الحصينة إلى أسفل ثانغوروديرم، يمتد باهتاً تحت أضواء النجوم الباردة. كانت نيران الحراسة خافتة، وعدد الحراس قليل، فلم تكن على السهل مستيقظةً إلا بضع خيّالة في معسكرات هيثلوم. فجأةً أرسل مورغوث أنهار لهب عظيمة من ثانغورودريم، نزلت مسرعةً أسرع من بالروغز، وانصبت على كامل السهل، وتجشأت جبال الحديد تزفر النيران السموم في الأجواء، فأنتن الهواء من دخانها وأصبح مميتاً. هكذا مات أرد غالين والتهمت النيران أعشابه، واحترق حتى أصبح كصحراء مقفرة. لقد امتلأ بالغبار الخانق وأصبح قاحلاً بلا حياة، وفيما بعد تغيّر اسمه ودعي إنفاوغليث، أي لهاث الغبار. فقد كان قبر بلا سقف للكثير من العظام المتفحمة، ولقي الكثير من نولدور حتفهم في ذلك الحريق، إذ لحقهم تيار اللهب ولم يستطيعوا الطيران إلى التلال. صدَّت كلٌ من سلسلة جبال إيريد لوين وهضبة دورثونيون السيول النارية، لكن الغابة المطلة على السفوح نحو أنغباند فكانت كلها كالموقد. فارتبك المدافعون وتشوشت رؤيتهم من الدخان. هكذا بدأت رابع المعارك العظيمة، داغور براغوللاخ، معركة اللهب المفاجئ.

في جبهة النار أتى غلاورونغ الذهبي أبو التنانين في تمام قوته، يجر وراءه البالروغز، وخلفهم جيوش الأوركس السوداء. فلم يسبق لنولدور أن رأوها أو تخيلوها. هاجموا قلاع نولدور وكسروا الحلف الذي كان يحاصر أنغباند، فذبحوا نولدور وحلفاءهم من الجان الرماديين والبشر حيثما وجدوهم. قُتل الكثير من الشجعان من خصوم مورغوث في الأيام الأولى لتلك الحرب. فالحيرة والتفرق كانت غير قادرة على حشد قواهم. توقفت الحرب لكن ليس كليةً لأنها عادت وبدأت ثانيةً في بيليرياند، أما نهاية معركة اللهب المفاجئ فكانت عند مجيء الربيع عندما تناقصت شدة هجوم مورغوث.

هكذا انتهى حصار أنغباند، وتبعثر خصوم مورغوث متفرقين عن بعضهم. فأكثر الجان الرماديين هربوا إلى الجنوب وتركوا الحرب الشمالية، والكثير منهم استُقبلوا في دورياث. وفي ذلك الوقت تعاظمت المملكة وازدادت قوة ثينغول. ولن يستطيع الشر الدخول إلى ذلك

العـالم المخفـي لآن قـوة الملكـة ميليـان حيكـت حـول حـدودها. أمّـا الآخـرين فقـد لجـأوا إلى القـلاع بجانـب البحـر وإلى نارغوثرونـد. هـرب الـبعض مـن الأرض وأخفـوا أنفسـهم في أوسـيرياند، أو عـبروا الجبـال وتـاهوا بـلا مـأوى في البريـة. انتشـرت أخبـار الحـرب وكسـر الحصـار إلى كل البشر في شرق الأرض الوسطى.

تحمـل أبنـاء فينـارفين وطـأة العـبء الأكـبر للهجـوم، فقـد قتـل كـل مـن أنغـرود وإيغنـور. وبجانبهمـا سـقط بريغـولاس سـيد بيـت بيـور، وجـزء كبـير مـن محـاربي ذلـك الشـعب. لكـن بـاراهير شـقيق بريغـولاس ابتعـد غربـاً بجانـب معـابر سـيريون. هنـاك كـان الملـك فينـرود فيلاغونـد الـذي جـاء مسـرعاً مـن الجنـوب فانفصـل عـن شـعبه مـع مجموعـة صـغيرة، وحوصـر ضـمن حـوض مسـتنقع سـيريخ وكـان يمكـن أن يُـذبح أو يُؤسـر، لكـن بـاراهير ومجموعـة مـن رجالـه الشـجعان أنقـذوه وجعلـوا حولـه جـداراً مـن الرمـاح. فخرجـوا مـن المعركـة بالخسـارة العظيمـة. هكـذا نجـا فيلاغونـد وعـاد إلى قلعتـه العميقـة نارغوثرونـد. لكنـه أقسـم قسـماً يلتـزم فيـه بصـداقة ومسـاعدة بـاراهير وعشـيرته، وكدلالـة علـى قسـمه فقـد أعطـى خاتمـة إلى بـاراهير الـذي أصـبح الآن بحـق سـيد بيـت بيـور وعـاد إلى دورثونيـون. لكـن أغلـب شـعبه هربـوا مـن بيـوتهم ولجـأوا إلى هيثلوم.

كـان هجـوم مورغـوث مـن الضـخامة بمكـان بحيـث لم يسـتطع فينغـولفين وفَيْنْغـوُنْ أن يأتيـا لمسـاعدة أبنـاء فينـارفين، فعـاد جـيش هيثلـوم بالخسـارة العظيمـة إلى قـلاع إيريـد ويثـرين وبالكـاد اسـتطاعوا الـدفاع عنهـا ضـد هجمـات الأوركـس العنيفـة. فقـد سـقط هـادور الشـعر الـذهبي المـدافع عـن حاميـة جـيش سـيده فينغـولفين أمـام أسـوار إيثيـل سـيريون، وكـان وقتهـا بالسادسـة والسـتين مـن عمـره، سـقط معـه في المعركـة أيضـاً ابنـه الأصـغر غوونـدور الـذي اخترقـت جسـمه سـهام كثـيرة. فنـدبهم الجـان وحزنـوا علـيهم كثـيراً. بعـد ذلـك أخـذ غالـدور الطويـل الزعامـة عـن أبيـه. وبسـبب القـوة وارتفـاع الجبـال الغامضـة، الـتي قاومـت سـيول النـار وبفضـل شـجاعة الجـان ورجـال الشـمال فلـم يسـتطع لا الأوركـس ولا البـالروغز مـن التغلـب علـيهم. فبقيـت هيثلـوم صـامدةً لم تقهـر بـل علـى العكـس كانـت تهـدد جنـاح هجـوم مورغـوث. أمـا فينغـولفين فقـد انفصل عن عشيرته وأقربائه ببحر من الأعداء.

اتجهـت الحـرب مـؤخراً ضـد أبنـاء فيـانور، وبـاقتراب الهجـوم مـن غالبيـة الحـدود الشـرقية فقـد بـدا ذلـك جيـداً بـأن ممـر أغلـون أصـبح كممـر إجبـاري، وكانـت كلفتـه باهظـة علـى أصـحاب الأرض مـن قبـل مورغـوث. فهُـزم كيليغـورم وكـوروفين وهربـا مـن حـدود دوريـاث الجنوبيـة والغربيـة

حتى وصلا أخيراً إلى نارغوثروند، قاصدين مأوى عند فينرود فيلاغوند، وبدخولهما إلى هناك فقد زاد شعبهم من قوة نارغوثروند. لكنه كان يمكن أن يكون أفضل، كما لوحظ فيما بعد، فقد كانت لديهم بقية من شعبهم في الشرق تقاتل مع أخوهم مايذروس الذي أبدى شجاعة خارقة. واستطاع هزيمة الأوركس. فبعد عذاباته على جدران ثانغورودريم أصبحت روحه المشتعلة بداخله مثل النار البيضاء. فكان أشبه بشخص عاد من الموت. لذا كانت قلعته العظيمة على تل هيمرينغ عصيّةً على الأعداء، واجتمع لديه الكثير من الشجعان من شعب دورثونيون ومن التخوم الشرقية، لذلك قام مايذروس بحشد جيشه هناك وأغلق معبر أغلون لفترة من الوقت لكي لا يتمكن الأوركس من الدخول إلى بيليرياند عن ذلك الطريق. لكن خيّالة شعب فيانور سحقوا هناك على لوثلان، لأن غلاورونغ أتى إلى هناك ومرَّ من خلال فجوة ماغلور محطماً كل الأرض بين أذرع جيليون. فاستولى الأوركس بذلك على القلعة الغربية الواقعة على سفوح جبل ريرير. ودمروا ثارجيليون، أرض كارانثير ودنسوا بحيرة هيليفورن. ومن هناك مروا فوق جيليون بالنار والرعب حتى وصلوا إلى شرق بيليرياند. انضم ماغلور إلى مايذروس على تلة هيمرينغ، لكن كارانثير هرب وانضم إلى بقية شعبه الصيادين المتفرقين في الغابات. أما أمرود وأمراس فقد تراجعا وعبرا رامدال في الجنوب، وأبقوا على بعض المراقبة وقوة الحرب على آمون إيريب. فقد أعانهم على ذلك الجان الخضر. وبالتالي فلم يتمكن الأوركس من الوصول إلى أوسيرياند ولا إلى تاور إم دويناث وبراري الجنوب.

وصلت أخباراً إلى هيثلوم تُفيد بأن دورثونيون سقطت وضاعت وأن أبناء فينارفين سقطوا، وأُخرج أبناء فيانور من أراضيهم. عندها نظر فينغولفين (كما بدا له) الخراب المطلق لنولدور. فالهزيمة غير قابلة للتعويض لكل بيوتهم. فامتلأ بالغضب واليأس، لذلك ركب لوحده على حصانه العظيم روخالور ولم يستطع أحداً إيقافه أو منعه، سار ماراً فوق دور نو فاوغليث مثل ريحٍ وسط الغبار. وكل من رأى طلعته هرب مندهشاً. لاعتقادهم بأنه أورومي نفسه، فقد أشرقت عيونه مثل عيون الفالار من شدة الغضب التي كانت باديةً عليه. حتى وصل لوحده إلى بوابة أنغباند فأطلق صوت بوقه، وضرب مرة أخرى على الأبواب النحاسية متحدياً مورغوث بأن يبرز إليه بمعركة فردية. وجاءه مورغوث.

تلك كانت آخر مرة يعبر فيها مورغوث أبواب معقله ويخرج أثناء أو بعد الحروب، ويقال بأنه لم يأخذ هذا التحدي عن رغبة. على الرغم من أن قوته كانت أعظم قوة في هذا

العـالم، وهـو الوحيـد مـن بـين الڤـالار الـذي عـرف الخـوف، لكنـه لا يسـتطيع أن ينكـر التحـدي الـذي وجـه إليـه فينغـولفين أمـام قادتـه. فقـد رنـت الصـخور مـن شـدة صـوت بـوق فينغـولفين، وجـاء صـوته واضـحاً ومتحمسـاً إلى أعمـاق أنغبانـد، وقـد نعـت فينغـولفين مورغـوث بالجبـان، وسـيد العبيـد، لـذلك جـاء مورغـوث. يرتفـع بـبطء مـن عرشـة تحـت الأرض وضـجيج أقدامـه كصـوت الرعـد تحـت الأرض. خـرج ملتفـاً بدرعـه الأسـود، ووقـف أمـام الملـك كـبرج متـوج بالحديـد بدرعـه الواسـعة المزركشـة القاتمـة الـتي ألقـت فوقـه ظـلالاً كـالغيوم الملبـدة. لكـن فينغـولفين لمـع مـن تحتـه كـنجم يرسـل بريقـاً مغلفـاً بالفضـة، لأن درعـه الأزرق كـان مرصـعاً بالبلورات. فسحب سيفه رينجيل[1] المتألق كالثلج وكان جاهزاً للنزال.

لـوّح مورغـوث بمطرقتـه غرونـد (مطرقـة العـالم السـفلي). وأنزلهـا بقـوة كالصـاعقة علـى خصـمه، لكـن فينغـولفين تحاشـى الضـربة وقفـز جانبـاً، فصـنعت غرونـد حفـرة كبـيرة في الأرض، وانـدفع مـن هـذه الحفـرة دخـان ونـار. حـاول مورغـوث ضـربه أكثـر مـن مـرة، وفي كـل مـرة كـان فينغـولفين يتحاشـى الضـربة بـالقفز بعيـداً. وبضـربات خاطفـة كـالبرق مـن تحـت الغيمـة المظلمـة أصـاب فينغـولفين مورغـوث بسـبعة جـروح، وفي المـرات السـبعة كـان مورغـوث يصـرخ مـن الألم. بحيـث أن جمـاهير أنغبانـد سـقطوا علـى وجـوههم مـن الفـزع، وتـردد صـدى الصـراخ في كـل الأرض الشمالية.

لكـن أخـيراً تعـب الملـك. وثقـب لـه مورغـوث درعـه بعـد أن أصـابه بمطرقتـه ثـلاث مـرات، فأصـبحت درع فينغـولفين محطمـةً إلى مسـتوي الركبـة. لكـن فينغـولفين كـان يـنهض في المـرات الـثلاث حـاملاً درعـه المكسـور وخوذتـه المهشـمة، ولأن الأرض كانـت مشـققه ومحفّـره تعثـرت قـدم فينغـولفين ووقـع أمـام أقـدام مورغـوث. فوضـع مورغـوث قدمـه اليسـرى علـى رقبتـه، وكانـت ثقيلـة كتـلٍ سـاقط، رغـم ذلـك ضـرب فينغـولفين الضـربة الأخـيرة المسـتميتة بسـيفه رينجيـل فقطـع قـدم مورغـوث، وتصـاعد مـن الجـرح دم أسـود، فمـلأ الـدخان الحفـر الـتي حفرتهـا المطرقـة غروند.

هكـذا كانـت نهايـة فينغـولفين الملـك الأعلـى لنولـدور، أكثـر ملـوك الجـان القـدامى فخـراً وشـجاعةً. ولم يتفـاخر الأوركـس بتلـك المبـارزة أمـام البـاب. ولم يمجـدها الجـان بالأغـاني والأناشـيد، لأن حـزنهم كـان عميقـاً، رغـم ذلـك فمـازال الجـان يتـذكر تلـك الحكايـة. جلـب

[1] رينجيل.Ringil . قيل أنه سمي هكذا لأنه كان يومض بلون الجليد الأزرق عندما جرح مورغوث، ويشير إلى السيف المتجمد والنصل البارد. أيضاً رينجيـل هـو اسم مصباح الڤالار' إللوين 'الذي كان منصوباً على عمود جليدي في الشمال، وقد يكون فينغولفين أعطاه هذا الاسم لتذكر اسقاط مصابيح الڤالار.

ثورونـدور ملـك النسـور الأخبـار إلى غونـدولين وإلى هيثلـوم مـن بعيـد. وكـان مورغـوث يريـد أخـذ جثـة ملـك الجـان وتحطيمهـا وإطعامهـا لذئابـه. لكـن ثورونـدور جـاءه مسـرعاً مـن وكـره مـن علـى قمـم كريسـايغريم وهجـم علـى مورغـوث بمخالبـة وأفسـد لـه وجهـه، فقـد كانـت سـرعة أجنحـة ثورونـدور مثـل ضوضـاء ريـاح مـانوي. ثم أخـذ جثـة فينغـولفين بمخالبـة الهائلـة، وارتفـع بهـا بسـرعة فـوق نـبلات الأوركـس، فحمـل جسـد الملـك بعيـداً ووضـعه علـى قمـة الجبـل المطـل علـى الـوادي المخفـي لغونـدولين. بعـد ذلـك جـاء تورغـون وبـنى صـرحاً عاليـاً مـن الحجـارة فـوق جسـد أبيـه، وبعـدها لم يتجاسـر الأوركـس أبـداً علـى المـرور مـن فـوق جبـل فينغـولفين، ولا حـتى الاقـتراب مـن قـبره، إلى أن جـاءت نهايـة غونـدولين وولـدت الخيانـة بـين أقربائـه. أمـا مورغـوث فقـد ذهـب يعـرج بقـدم واحـده، بعـد ذلـك اليـوم، وألم جراحـه لـن يشـفى للأبـد، وبوجهـه كانـت آثار الندوب التي حفرتها مخالب ثورندور.

حلّ هنـاك حـزنٌ عظـيم في هيثلـوم بعـد سمـاعهم نبـأ مـوت الملـك فينغـولفين. واسـتلم فينغـون مـن بعـده سـيادة بيـت فينغـولفين ومملكـة نولـدور بحـزن. لكـن ابنـه الشـاب إيرينيـون بـن فينغـون (الذي سمي فيما بعد غيل غالاد) فقد أُرسل إلى المرافئ.

تغلبـت قـوة مورغـوث علـى كـل الأرض الشـمالية إلا دورذونيـون الـتي كـان فيهـا بـاراهير الـذي لم يهـرب وبقـي يتنـافس مـع أعدائـه علـى الأرض قـدم بقـدم. فطـارده مورغـوث هـو وشـعبه إلى المـوت حـتى لم يبقـى مـنهم إلا قلـة. وأُخـذت كـل غابـات السـفوح الشـمالية مـن تلـك الأرض رويـداً رويـداً إلى منطقـة تشـبه السـحر المخيـف المظلـم، حـتى أن الأوركـس لم يـدخلوها إلا مكـرهين وبـداعي الحاجـات الملحّـة فقـط. دعيـت تلـك الغابـات ديلـدواث، و تـاور نـو فـوين أي الغابـة الواقعـة تحـت حجـاب الليـل. فالأشـجار الـتي نمـت هنـاك بعـد الحريـق كانـت سـوداء ومتجهمـة، وجـذورها كانـت متشـابكة تخـرمش في الليـل مثـل المخالـب. وأصـبح كـل مـن يتيـه داخـل هـذه الغابـات مفقـود أو أعمـى. فقـد وجـدوا هنـاك أنـاس مشـنوقين أو مَـن مَسّـهُمْ الجنـون مـن التخـيلات المرعبـة. أخـيراً أصـبحت حالـة بـاراهير يائسـة. أمّـا زوجتـه إيميلـدير الملقبـة، قلـب الرجـل (والـتي يقـول المنطـق بـأن قتالهـا إلى جانـب ابنهـا وزوجهـا كـان أولى بهـا مـن الهـرب)، كانـت قـد جمعـت إليهـا كـل النسـاء والأطفـال الـذين تُركـوا وحَمَلَـتهم أسـلحة، وقـادتهم إلى الجبـال الواقعـة خلفهـم عـبر طُـرقٍ محفوفـة بالمخـاطر، حـتى وصـلوا أخـيراً وبعـد بـؤس وخسـائر كثـيرة إلى بريثيـل. فاسـتُقبل بعضـهم هنـاك بـين هـالادين، ونُقـل آخـرون إلىْ الجبـال إلى دور لـومين، وكـان معهـم شـعب غالـدور بـن هـادور وبـين أولئـك كانـت رِيـان بنـت بيليغونـد

ومـوروين بنـت باراغونـد، والـتي سميـت إيلـذوين، أي وميـض الجـان. لكـن لم يـرَ أحـد فيمـا بعـد أي مـن الرجـال الـذين غـادروا. لأنهـم ذُبحـوا كلهـم، الواحـد تلـو الآخـر. حـتى لم يبقـى أخـيراً مـن قـوم بـاراهير إلا اثنـا عشـر رجـلاً، وهـم ابنـه بـيرين وباراغونـد وبيليغونـد أبنـاء أخيـه بريغـولاس، وتسـعة مـن الخـدم المطيعـين لبيتـه. والـتي بقيـت أسمـاؤهم مـذكورةً في أغـاني نولـدور لمـدة طويلـة. وهـؤلاء التسـعة هـم: راذرويـن ودايـروين. وكـان كـل مـن داغنـير وراغنـور وغيلـدور وغـورليم يلقبـون بالتعسـاء. أمـا أرثـاد وأورثيـل وهاثالـدير فيلقبـون بالشـباب. وقـد أصـبحوا كلهـم عبـارة عـن عصـابة مـن الخـارجين عـن القـانون بـدون أمـل، وفرقـة مسـتميتة لا تسـتطيع الهـرب أو العمـل والانتـاج. لأن مسـاكنهم دُمـرت، وزوجـاتهم وأولادهـم ربمـا أسـروا أو ذبحـوا أو هربـوا، فلـم تـأتي مـن هيثلـوم لا أخبـار ولا مسـاعدات، فأصـبح بـاراهير ورجالـه مطـاردين مثـل وحـوش البريـة. لـذلك تراجعـوا إلى المرتفـع القاحـل فـوق الغابـة، وتجولـوا بـين البحـيرات الجبليـة والأراضـي البـور الصـخرية مـن تلـك المنطقـة. مبتعـدين عـن جواسـيس وتعاويـذ مورغـوث، مفترشـين الأرض القاسية وملتحفين السماء القاتمة.

بعـد مـرور سـنتين تقريبـاً علـى داغـور براغـوللاخ. ومازالـت نولـدور تقـاوم في المعـابر الغربيـة حـول منـابع سـيريون، لأن قـوة أولمـو كانـت في ذلـك المـاء، صـمدت مينـاس تيريـث بوجـه الأوركـس. لكـن مـا حـدث بالتفصـيل هـو أنـه بعـد سـقوط فينغـولفين، أتـى سـاورون، وهـو مـن أعظـم خـدم مورغـوث فظاعـة. وهـو الـذي يقـال لـه بلغـة سـيندارين غورثـور، أتـى ليقاتـل أورودريـث قائـد بـرج المراقبـة علـى تـول سـيريون. فبعـد أن أصـبح سـاورون سـاحراً بقـوة مخيفـه، فهـو الآن سـيد الظـلال والأشـباح. وبحكمتـه الفاسـدة وقوتـه القاسـية كـان يفسـد كـل مـا يلمسـه، فهـو الحـاكم الملتـوي وسـيد المسـتذئبين، فلـم تكـن زعامتـه إلا عـذاباً. أخـذ مينـاس تيريـث بالقتـال. لأن غيمـة مظلمـة مـن الخـوف سـقطت علـى المـدافعين عنهـا. هُـزم أورودريـث في بـرج المراقبـة علـى تـول سـيريون، وهـرب إلى نارغوثرونـد. فيمـا بعـد جعـل سـاورون الـبرج، كـبرج مراقبـة لمورغـوث. فأصـبح معقـل الشـر والخطـر. وأصـبحت الجزيـرة الجميلـة تـول سـيريون ملعونـة. وسميـت فيمـا بعـد (تـول إن غـاورهوث) أي جزيـرة المسـتذئبين، فـلا يمكـن لأي مخلـوق حـي أن يعـبر ذلـك الـوادي الـذي يراقبـه سـاورون مـن الـبرج حيـث يقـيم. تمسـك مورغـوث بـالمر الغـربي. ومـلأ إرهابـه حقـول وغابـات بيليريانـد. فقـد لاحـق خصـومه باسـتمرار إلى مـا وراء هيثلـوم، باحثـاً عـن مخـابئهم، آخـذاً معـاقلهم الواحـد تلـو الآخـر، وأصـبح الأوركـس يتجولـون بكـل وقاحـة بـالطول وبـالعرض. فنزلـوا إلى سـيريون في الغـرب وكولـون في الشـرق، فأحـاطوا بكـل دوريـات.

واستباحوا كل الأراضي، لذلك هرب الطير والوحش من أمامهم، وانتشر الصمت والخراب في كل الشمال. أُسر كثيرون من نولدور وسيندار واقتيدوا عبيداً إلى أنغباند. فأجبروهم على استخدام مهاراتهم ومعارفهم لخدمة مورغوث. بعث مورغوث بجواسيسه متخفين بالهيئات الزائفة والكلام المخادع، ليصنعوا الأكاذيب والوعود الزائفة، فقاموا بإثارة الخوف والشك بين الناس بالكلام المخادع. واتهموا الملوك والزعماء بالطمع والخيانة من واحد إلى آخر. وبسبب لعنة ذبح الأقارب في ألكوالوندي. فقد تم تصديق أغلب تلك الأكاذيب. بالفعل فقد كان مقياس الحقيقة في ذلك الزمان يوافق قتامة تلك الأيام. وقد أصبحت قلوب وعقول جان بيليرياند مغلفةً باليأس والخوف. لكن أكثر ما أخاف نولدور هو خيانة أقاربهم، الذين كانوا عبيداً عند مورغوث فقد استعمل بعضهم لأغراضه الشريرة، بادعائه بأنه أعطاهم حريتهم وأرسلهم خارج أنغباند. لكنه قيّد إراداتهم. فلا يستطيعون إلا أن يعودوا إليه ثانيةً، لذلك فكل من هرب من أسر مورغوث حقيقةً، كان يلقى القليل من الترحاب بين أهله. لذلك خرجوا كجوالين متوحدين تائهين مجرمين.

اختلق مورغوث رحمة ليست فيه، وبعث برسائل إلى البشر لعل أحد يسمعها، حيث قال بأن مشاكل البشر جاءت من عبوديتهم لثوار نولدور. لكن على يدي السيد الشرعي للأرض الوسطى. فإنهم سيحصلون على الشرف والمكافآت المجزية على شجاعتهم إذا تركوا التمرد. أصغت إليه بضعة من بيوت البشر الثلاثة لإيدايين فقط، ولم يستطع أخذ البقية إلى عذاب أنغباند، لذلك فقد طاردهم بكراهية، مرسلاً رُسلهُ على الجبال.

قيل أنه في ذلك الوقت جاء إلى بيليرياند أوئل البشر السُمر. وبعضهم كان تحت قيادة مورغوث بالسر. وقد أتوا إلى بيليرياند بناء على طلبه، لتكريس الإشاعات في أراضيها ومائها، في حروبها وثرواتها، وقد مشوا بها طولاً وعرضاً. حتى وصلت أقدام البشر المتجولين في تلك الأيام إلى الغرب. وكان هؤلاء البشر قصار القامة عريضوا الأكتاف. وكانت أذرعهم طويلة وقوية، وجلودهم شاحبه، وشعرهم قاتماً وكذلك عيونهم. وكانت بيوتهم كثيرة. والبعض منهم كانوا أقرب الشبه إلى أقزام الجبال منه إلى الجان. لكن مايذروس الذي كان يعرف بضعف نولدور وإيداين. بينما كانت أقبية أنغباند تبدو وكأنها مخزنٌ دائمٌ متجددٌ لا ينضب. لذلك عقد حلفاً مع هؤلاء القادمين الجدد من البشر. ومنح صداقته لأعظم زعماء قبائلهم وهم بور وأولفانغ. وكان مورغوث راضٍ تماماً عن ذلك لأن الأمور سارت كما صمم لها. وكان أبناء بور هم بورلاد، بورلاخ، بورثاند. وهم من تبعوا مايذروس

ومـاغلور وحيبـوا أمـل مورغـوث لأنهـم كـانوا مخلصـين، وأبنـاء أولفـانغ الأسـود كـانوا ثلاثـة وهـم أولفاســت، أولــوارث، وأولــدور الملعــون، الــذين تبعــوا كــارانثير وأقســموا الــولاء لــه وأثبتــوا خيانتهم.

لم تكـن هنـاك مـودة بـين إيـداين وإيسـتيرلينغز. ونـادراً مـا اجتمعـوا، لأن القـادمين الجـدد سـكنوا لمـدة طويلـة في بيليريانـد الشـرقية. وشـعب هـادور مغلـق عليـه في هيثلـوم. وبيـت بيـور اقـترب منـه الخـراب والتـدمير كثـيراً. كـان شـعب هاليـث في البدايـة بمنـأى عـن حـرب الشـمال، لأنهـم سـكنوا جنـوب غابـة بريثيـل. لكـن حـدثت هنـاك معركـة بيـنهم وبـين الأوركـس الغـزاة، فقـد كـانوا رجـالاً أشـداء ولـن يتركـوا الغابـة الـتي أحبوهـا، وفي وسـط أخبـار هـزائم ذلـك الوقـت فـإن أعمـال هـالادين كانـت مـذكورة بالشـرف. فبعـد أن أخـذ الأوركـس ميناـس تيريـث عـبروا مـن الممـرات الغربيـة، إذ ربمـا كـان التـدمير سـيطال كـل شـيء وصـولاً إلى مصـبات نهـر سـيريون، لكـن هـالمير سـيد هـالادين أرسـل خطابـاً سـريعا إلى ثينغـول، لأنـه كـان يمتلـك صـداقة مـع الجـان الـذين يحرسـون حـدود دوريـاث. فأرسـل لـه ثينغـول بيليـغ الملقـب بـالقوس القـوي، رئـيس حـرس موكـب ثينغـول. علـى رأس قـوة كبـيرة مـن سـيندار مسـلحة بـالفؤوس إلى بريثيـل. انتشـرت هـذه القـوة مـن أعمـاق الغابـة، وقـام هـالمير وبيليـغ بمباغتـة قلـب جـيش الأوركـس فحطمـوه، واستأصـلوا المـد الأسـود الآتي مـن الشـمال إلى كـل تلـك المنطقـة، بعـدها لم يجـرؤ الأوركـس علـى عبـور تيغيلـين لعـدة سـنوات. سـكن شـعب هاليـث متيقظـين ينعمـون بالسـلام في غالبـة بريثيـل، ومـن وراء حراستهم استراحت مملكة نارغوثروند لفترة، فأخذت تعد العدة وتحشد قواها.

في هـذا الوقـت كـان هـورين وهـوور أبنـاء غالـدور مـن دور لـومين يسـكنان مـع هـالادين لأنهـم أقربـاء. وفي الفـترة الـتي سـبقت داغـور براغـوللاخ، فـإن هـذين البيتـين مـن إيـداين كانـت قـد جمعتهمـا حفلـة عـرس كبـيرة، عنـدما تـزوج غالـدور وغلوريـذيل بنـات هـادور الـرأس الذهبيـة، مـن هاريـث وهالـدير أبنـاء هـالمير سـيد هـالادين. وهكـذا فقـد تـربى أبنـاء غالـدور في بريثيـل عنـد عمهمـا هالـدير. وبحسـب أعـراف البشـر في ذلـك الوقـت، فقـد ذهبـا كليهمـا إلى تلـك المعركـة مـع الأوركـس حـتى هـوور لأنهـم لم يسـتطيعوا منعـه، مـع أنـه كـان بعمـر ثلاثـة عشـر سـنة. لكنـه أبى إلا أن يكـون مـن بـين الصـحبة الـذين قطعـوا العهـد علـى ملاحقـة الأوركـس حـتى معـابر بريثيـاخ. هنـاك كـان يمكـن أن يقتلـوا جميعهـم لـولا قـوة أولمـو الـتي كانـت مـا تـزال مسـيطرة في ميـاه سـيريون. فظهـر ضـبابٌ مـن النهـر أخفـاهم عـن أعـين أعـدائهم. وبـذلك اسـتطاعوا الهـرب إلى بريثيـاخ مـن خـلال ديمبـار، سـاروا بـين الـتلال والأسـوار المائلـة مـن كريسـايغريم، فتـاهوا مـن

خـداع تلـك الأرض، ولم يتمكنـوا مـن معرفـة طريـق العـودة، هنـاك في الأعـالي كـان ثورونـدور يـراقبهم، فأرسـل اثنـين مـن نسـوره لمسـاعدتهم، فحملـتهم النسـور إلى غونـدولين المدينـة المخفيـة التي لم يكن قد رآها بشري بعد لحد الآن.

هنـاك في غونـدولين اسـتقبلهم الملـك تورغـون بشـكل لائـق عنـدما علـم لمـن ينتسـبون، فقـد جاءتـه رسـائل أولمـو سـيد الميـاه عـبر الأحـلام مـن فـوق ميـاه سـيريون ومـن البحـر، تحـذره مـن المشـاكل القادمـة وتنصـحه بالتعامـل بلطـف مـع أبنـاء بيـت هـادور، ومـن أيـن عليـه أن يطلـب المسـاعدة في وقـت الحاجـة. سـكن هـورين وهـوور كضـيوف في بيـت الملـك مكـرمين حـوالي سـنة. ويقـال بـأن هـورين تعلـم الكثـير مـن علـوم الجـان. وفهـم بعـض استشـارات الملـك وأهدافـه، ولأن تورغـون أحـب أبنـاء غالـدور حبـاً عظيمـاً فكـان يـتكلم معهمـا كثـيراً، ومـن خـالص محبتـه لهمـا، فقـد تمـنى عليهمـا حقيقـةً البقـاء في غونـدولين، ولـيس فقـط مـن أجـل قانونـه الـذي يحـرم علـى أي غريـب وجـد الطريـق إلى المملكـة السـرية ونظـر إلى المدينـة أكـان ذلـك إنـس أم جـان فيجـب أن لا يغادرهـا ثانيـةً، حـتى يفتـتح الملـك الطـوق، وعنـدها فقـط يجـب على الناس المخفيين أن يخرجوا.

لكـن هـورين وهـوور رغبـا بـالعودة إلى وديـارهم ليشـاركا أهلهـم بـالحرب والهمـوم الـتي تعصـف بهـم. فقـال هـورين للملـك تورغـون: يـا سـيد، نحـن بشـرٌ هـالكون علـى خـلاف إيلـدار الخالـدون الـذين يعيشـون لسـنوات طويلـة، فبإمكـانهم انتظـار معركـة مـع أعـدائهم وفرصـتهم للانتقـام طويلـة وبعيـدة. لكـن نحـن عمرنـا قصـير وأمـل قوتنـا يـذبل بسـرعة، عـلاوة علـى ذلـك فلـم نكـن نحـن مـن وجـد الطريـق إلى غونـدولين. وبالحقيقـة لا نعـرف أيـن تقـع هـذه المدينـة، فقـد جـاء بنـا الخـوف إلى هنـا ومـن دهشـة عيوننـا بطـرق السـماء العاليـة، حُجبـت عيوننـا بالرحمـة فلـم نـرَ شـيئاً. عنـد ذلـك مـنحهم تورغـون بركتـه وقـال: بالمناسبة بما أن ثورونـدور قـد أتـى بكمـا إلى هنـا فسـيكون لـديكما إذن بالمغـادرة إذا رغـب ثورونـدور بـذلك. مـع أني حـزين لفراقكمـا رغـم قصر الفترة التي جمعتنا سويةً (بالنسبة لحسابات إيلدار) فقد نلتقي ثانيةً.

لكـن مـايغلين ابـن أخـت الملـك. وكـان عظيمـاً في غونـدولين، لم يحـزن علـى الإطـلاق لـذهابهما، مـع ذلـك فقـد حسـدهما علـى إحسـان الملـك لهمـا، لأنـه بالأسـاس لم يكـن عنـده أي محبـة لجـنس البشـر. وقـال مخاطبـاً هـورين: تعـرف بـأن نعمـة الملـك أعظـم منـك، والقـانون يصـبح أقـل شـدةً بمـرور الوقـت. وإلا فلـم يكـن أمامـك مـن خيـارٍ إلا البقـاء هنـا حـتى نهايـة حياتك.

فأجابه هورين: في الحقيقة نعمة الملك عظيمة، ويعجز الكلام عن شكره لكننا سنؤدي اليمين لك أيضاً، وأقسم الأخوة بأنهم لن يكشفوا مجلس تورغون وسر عيشهم وكل ما رأوه في مملكتهم. ثم أخذا الإذن بالرحيل وأتت النسور لتحملهم. أخذتهما النسور بعيداً في الليل ووضعتهما قبل الفجر عند دور لومين. ابتهج أهلهما لرؤيتهما ثانيةً، فقد أتت رسالة من بريثيل وأخبرت بأنهما فقدا. لكنهما لم يُعلما حتى أبيهما أين كانا، فقد قالوا بأنهما أُنقذا من البرية بواسطة النسور التي جلبتهم إلى منزلٍ في البرية. لكن غالدور قال: هل سكنتما سنة في البرية ؟ أو أسكنتكما النسور في أوكارها. لكنكما وجدتما نعمة وطعام وثياب جميلة وعدتم كالأمراء الشباب. وليس كمتشردين في الغابات، فأجابه هورين: كن مطمئناً لعودتنا فلقد أقسمنا على الصمت وهذا هو المسموح به تحت هذا القسم. بعدها لم يستجوبهما غالدور ثانيةً، لكن العديد من الآخرين خمنوا بالحقيقة، وبمرور الوقت والثروة الغريبة التي ظهرت على هورين وهوور، وصل خبرها إلى آذان خدم مورغوث.

علم تورغون بأن الحصار المضروب حول أنغباند من قبل الاتحاد كان قد كسر. وبأنه لن يعاني هو وشعبه من آثار الحرب لاعتباره بأن غوندولين كانت قوية. والوقت لم ينضج بعد لكشفها. لكنه اعتقد أيضاً بأن إنهاء الحصار كان بدايةً لسقوط نولدور. ما لم تأتهم مساعدة، لذلك أرسل بالسر جماعات من غوندوليندريم إلى مصبات نهر سيريون وإلى جزيرة بالار. فبنوا هناك السفن وأبحروا إلى الغرب بأقصى سرعة لإيصال رسالة تورغون إلى ڤالينور، وفيها يطلب العفو والمساعدة من الڤالار. ولأجل تلك الغاية فقد توسلوا طيور البحر لتدلهم على الطريق. لكن البحار كانت موحشة وواسعة. وأُلقي عليهم السحر والظل، فاختفت ڤالينور عنهم، لذلك لم يصل رسل تورغون إلى الغرب، وضاع كثيرون وعاد البعض، لكن نهاية غوندولين اقتربت أكثر فأكثر.

وصلت إشاعات هذه الأخبار إلى مورغوث، فقد كان قلقاً وسط انتصاراته، ورغب كثيراً بمعرفة أخبار فيلاغوند وتورغون ، لأنهما اختفيا خارج حدود معرفته ولم يموتا، لذلك خاف مما قد ينجزاه ضده. وبالحقيقة فقد سمع عن نارغوثروند بالاسم فقط، لكنه لم يعرف لا مكانه ولا شيء عن قوته، أما عن غوندولين فلم يعرف شيئاً. ثم فكر بتورغون وانزعج أكثر. ولهذه الغاية كان يبعث الجواسيس باستمرار إلى بيليرياند، لكنه تذكر بأن جيش أنغباند الرئيسي هو من الأوركس. فأدرك بأنه لن يكون انتصاره كاسحاً ونهائياً ما لم يجمع قوةً جديدة. وأنه أيضا لم يحسب بشكل صحيح شجاعة نولدور ولا قوة وأسلحة البشر

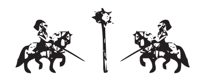
الـذين قـاتلوا إلى جـانبهم، مـع ذلـك فقـد كـان نصـره كبـيراً في براغـوللاخ والسـنوات الـتي تلتهـا، وقـد تسـبب بضـرر كبـير لأعدائـه. لكـن خسـائره لم تكـن بأقـل مـن خسـائر أعـداءه مـع أنـه كـان قـد ضـمن دورثونيـون وممـرات سـيريون. بـدأت إيلـدار بالتعـافي مـن آلامهـا فأعـدوا العـدة لاستعادة مـا خسـروه. وهكـذا عـاد السـلام مجـدداً إلى بيليريانـد في الجنـوب، لكـن لعـدة سـنوات فقط، لكنه وفي أثناء ذلك فإن كيران الحدادة في أنغباند كانت تعمل بكامل طاقتها.

بعـد انقضـاء سـبع سـنوات علـى المعركـة الرابعـة عـاود مورغـوث هجومـه مـن جديـد وأرسـل قـوة عظيمـة إلى هيثلـوم، حيـث كـان هجومـه علـى ممـرات الجبـال الغامضـة قاسـياً جـداً، وقُتـل سـيد دور لـومين غالـدور الطويـل بسـهمٍ أثنـاء حصـار إيثيـل سـيريون. فقـد كـان غالـدور حاكمـاً علـى هـذه القلعـة نيابـة عـن فينغـون الملـك الأعلـى للجـان. وفي نفـس مكـان مقتـل أبيـه قُتـل هـادور لورينـدول لكـن قبلـه بوقـت قصـير. ثم جـاء ابنـه هـورين وكـان حـديث الرجولـة بعـد وفـتى صـغير لكنـه كـان قـوي البنيـة سـليم العقـل والفكـر. فقـاد شـعبه ضـد الأوركـس وذبحهـم ذبحـة عظيمـة ودحرهم عن إيريد ويثرين ثم طاردهم بعيداً عبر رمال إنفاوغليث.

لكـن الملـك فينغـون كـان قـد طلـب منـه وبشـدة بـأن يسـير إليـه ليمنـع جـيش أنغبانـد الـذي نـزل مـن الشـمال وانضـم إلى المعركـة الـدائرة علـى سـهول هيثلـوم. هنـاك تفـوق الأعـداء بعـددهم علـى فينغـون وجيشـه. لكـن سـفن كـيردان أبحـرت بقـوة فـوق اللسـان البحـري درينغيسـت. وفي وقـت الحاجـة وقـع جـان الفـالاس علـى جـيش مورغـوث مـن الغـرب، فانكسـر الأوركـس وهربـوا. وكـان النصـر وقتهـا حليـف إيلـدار، وبقـي النبـالون يطـاردونهم علـى الخيـول حـتى الجبـال الحديدية.

فيمـا بعـد حكـم هـورين بـن غالـدور بيـت هـادور في دور لـومين، وكـان ولاءه لفينغـون، لكـن كانـت منزلـة هـورين أقـل مـن منزلـة آبائـه أو حـتى ابنـه بعـده، لكنـه كـان لا يتعـب وجسـمه كثـير التحمـل، لـين وسـريع كأقربـاء أمـه هاريـث مـن هـالادين، وكانـت وزوجتـه مـوروين إيلـذوين بنـت باراغونـد. مـن بيـت بيـور، وهـي الـتي هربـت مـن دورثونيـون مـع رِيـان بنـت بيليغونـد وإيميلـدير أم بيرين.

وفي تلـك الأيـام أيضـاً كسـرت شـوكة الخـارجين عـن القـانون في دورثونيـون كمـا قيـل فيمـا بعـد. وبالكاد استطاع بيرين بن باراهير النجاة والهرب وحيداً إلى دورياث.



# الفصل التاسع عشر



## بيرين ولوثايين

من بين حكايات الحزن والدمار التي وصلتنا من ظلام تلك الأيام، والتي مازال البعض لحد الآن يبكي فيها الفرح الذي أنار ذلك الصمود تحت ظل الموت. حكاية بيرين ولوثايين الراسخةِ في آذان الجان، فقد صيغت قصة حياتهما في (لاي أوف ليثيان)[١] ومعناه التحرر من العبودية، وهو الأطول من بين محفوظات أشعار العالم القديم، لكننا هنا نخبرها بالقليل من الكلمات وبدون قصائد وأشعار.

يقال بأن مورغوث طارد باراهير من أجل سيطرته على دورذونيون، حتى لم يبق له سوى اثنا عشر رفيقاً. ترتفع غابة دورثونيون جنوباً عبر الأراضي البور الوعرة، وفي شرق تلك المرتفعات تقع بحيرة تارن إيلوين المحاطة بالمروج البرية، وكانت كل تلك الأراضي برية وبدون معابر، حتى أنه في أيام السلم الطويل لم يسكنها أحد. لكن مياه بحيرة تارن إيلوين المقدسة كانت زرقاء صافية في النهار ومرآة للنجوم في الليل. وقيل بأن ميليان نفسها هي من حفر تلك البحيرة في الأيام القديمة. هرب باراهير وجماعته إلى دورذونيون فكانت عرينهم. ولم يستطيع مورغوث اكتشافهم، لكن إشاعات أعمال باراهير ورفاقه انتشرت للقاصي والداني. فأصدر مورغوث أمراً إلى ساورون لكي يجدهم ويسحقهم.

كان من بين رفاق باراهير شخص يدعى غورليم بن أنغريم، وزوجته تدعى إيلينيل، كان حبهما عظيماً قبل وقوع الشر. لكن عندما عاد غورليم من الحرب وجد بيته مهجوراً ومسلوباً، ولم يجد زوجته، فلم يعرف هل كانت مقتولةً أم أسيرةً، بعد ذلك التحق بصحبة باراهير، وكان الأكثر تهوراً وشراسة من بين كل الصحبة، لكن كان الشك يأكل قلبه لأنه

[١] (لاي أوف ليثيان).Lay of Leithian . وتعني اعتاق من العبودية، وهي مجموعة من القصائد التي كتبها تولكين

يعتقد بأن إيلينيل لم تمت، فكان يذهب أحياناً بالسر لوحده لكي يزور بيته الواقف وسط الحقول والغابات. فضبط مرةً هناك وأصبح معروفاً بالنسبة لخدم مورغوث.
وفي أحد أيام الخريف جاء غورليم عند الغسق إلى بيته، وبينما هو يقترب وإذا به يرى ضوءاً ينبعث من النافذة، تقدم بحذر ونظر من النافذة فرأى زوجته إيلينيل وكان وجهها مرهقاً من الجوع والحزن، وبدا له وكأنها تندب مصيبتها بتركه لها. لكنه عندما صرخ بصوت عالي هبت ريحٌ أطفأت الضوء بالداخل، وعوت الذئاب بالخارج وشعر فجأةً بالأيدي الثقيلة لصيادي ساورون على كتفيه. ووقع غورليم في ورطه. أخذوه إلى معسكرهم وعذبوه، لكي يعرفوا منه مخبأ باراهير والطرق المؤدية إليه، لكن غورليم لم يخبرهم بشيء. فوعدوه بأنهم سيطلقون سراحه ليعود إلى إيلينيل إذا خضع لإرادتهم واستسلم، أخيراً بدأ يشعر بالألم، ويتوق إلى زوجته. وعندما ضعفت إرادته أخذوه مباشرةً إلى حضور ساورون المخيف. فقال له ساورون: اسمع، الآن ستعقد مقايضة معي، فما هي طلباتك.
أجابه غورليم: يجب أن تجد لي إيلينيل وأكون أنا وهي أحراراً معاً، لأنه كان يعتقد بأن إيلينيل أسيرة.
ابتسم ساورون وقال له: أنه سعر بخسٌ لخيانة عظمى. وبالتأكيد سيكون لك ما أردت.
أراد غورليم التراجع لكن الرهبة في عيون ساورون أخبرته بأنهم عرفوا كل شيء. ضحك ساورون ساخراً من غورليم وكشف له بأن ما رآه لم يكن إلا وهم عُمل بخدعة السحر للإيقاع به، لأن إيلينيل كانت ميته. ومع هذا سأحقق لك أمنيتك لكي تلتحق بإيلينيل وتكونان متحررين من خدمتي. ثم قتله بقسوة.
بهذه الطريقة تم اكتشاف مخبأ باراهير. ورمى مورغوث شباكه حوله وجاءه الأوركس، وقبل ساعات الفجر باغتوا رجال دورثونيون وذبحوهم كلهم، نجى منهم فقط واحد وهو بيرين بن باراهير لأن أبوه كان قد أرسله في مهمة خطرة للتجسس على طرق العدو، وكان بعيداً عندما احتلوا العرين. لكنه حلم عندما كان نائماً في الغابة بطيور الموت تجلس بثقلٍ كأوراقٍ على الأشجار العارية بجانب البحيرة والدم يتقاطر من مناقيرها.
أدرك بيرين بأن الشكل الذي جاء إليه عبر الماء لم يكن إلا شبح غورليم، ليتكلم معه وليلعن خيانته وموته. وطلب منه الإسراع بالعودة إلى أبيه لتحذيره. صحا بيرين من حلمه وأسرع خلال الليل عائداً إلى العرين، وفي الصباح الثاني عندما اقترب من العرين فَرّت طيور

المـوت مـن الأرض وجلسـت علـى الأشـجار بجانـب بحـيرة تـارن إيلـوين. وراحـت تنعـق بسخرية.

دفـن بـيرين عظـام أبيـه هنـاك ورفـع نصبـاً مـن الصـخور فوقهـا وأقسـم فـوق القـبر قسـم الثـأر. فتبـع أولاً الأوركـس الـذين ذبحـوا أبـاه وأقربـاءه، حـتى وجـد معسـكرهم لـيلاً في ريفيلـز ويـل فـوق مسـتنقع سـيريخ. وبسـبب براعتـه في التخفـي في الغابـات فقـد اقـترب مـن نـارهم ولم يـروه. وكـان زعـيمهم يتفـاخر بأعمالـه. وكيـف رفـع يـد بـاراهير وقطعهـا كعلامـة لسـاورون بـأن المهمـة أنجـزت. وكـان خـاتم فيلاغونـد في تلـك اليـد، فوثـب بـيرين مـن خلـف الصـخرة وقتـل قائـد الأوركـس. وأخـذ اليـد والخـاتم وهـرب، راح الأوركـس يـدافعون عـن مصـيرهم ويرمـون عليـه سهامهم الوحشية.

فيمـا بعـد ولأكثـر مـن أربـع سـنوات بقـي بـيرين يتجـول منفـرداً في دورثونيـون كفـردٍ خـارجٍ عـن القـانون، لكنـه أصـبح صـديق الطيـور والوحـوش، وهـم سـاعدوه ولم يخونـوه. بعـد ذلـك لم يأكـل أي لحـم ولم يـذبح أي شـيء حـي إلّا مـن كـان في خدمـة مورغـوث، ولم يخـف مـن المـوت، بـل مـن الأسـر، وأصـبح أكثـر شـجاعة وشراسـةً. هـذه الجـرأة وهـذا البـأس همـا مـن أنقـذاه مـن المـوت والأسـر معـاً، وتجاسـر في وحدتـه علـى أعمـالٍ أُشـيعت في كافـة أنحـاء بيليريانـد. ووصـل متعقبـوه حـتى إلى دوريـاث. فقـد وضـع مورغـوث مكافـأةً كـثمن لرأسـه لـن تقـل عـن ثمـن رأس فينغـون الملـك الأعلـى لنولـدور، لكـن الأوركـس فـرّوا منـه بـدلاً مـن أن يسـعوا إليـه. لـذلك أرسـل مورغـوث إليـه جيشـاً تحـت قيـادة سـاورون، الـذي جلـب معـه المسـتذئبين. ونزلـت الوحـوش بتلك الأجساد المسكونة بالأرواح المخيفة.

وامـتلأت كـل تلـك الأرض بالشـر وغادرتهـا كـل الأشـياء الطـاهرة، وضُـغطَ علـى بـيرين بشـدة حـتى هـرب أخـيراً مـن دورثونيـون. فقـد تـرك تلـك الأرض وقـبر أبيـه في وقـت الشـتاء والثلـوج. وتسـلق إلى الأراضـي العاليـة لـدورياث، هنـاك تمـنى لـو كـان باسـتطاعته النـزول إلى المملكـة المخفيـة. حيـث لا قـدم إنسـان هالـك داسـت عليهـا. كانـت رحلتـه باتجـاه الجنـوب فظيعـة. فقـد كانـت سـفوح إيريـد غورغـوث مائلـة، وقبـل طلـوع القمـر كانـت الظـلال تحتهـا تمتـد إلى مـا بعـد بريـة دونغورثيـب، (*حيـث حوصـر بـيرين هنـاك بـين سـحر سـاورون وقـوة ميليـان، فمشـى بـين الرعـب والجنـون*). وإلى ذلـك المكـان نزلـت في الماضـي عناكـب مـن جـنس أونغوليانـت، ناسـجةً شـبكاتها غـير المرئيـة لاصـطياد كـل شـيء حـي. وتجولـت الوحـوش المولـودة في الظـلام الطويـل (مـن قبـل خلـق الشـمس). تطـارد بصـمت وبعيـونٍ كثـيرةٍ. ولم يوجـد في تلـك الأرض

المسكونة بالأشباح أي طعامٍ للجان أو البشر، ولم يكن سوى الموت. مع كل هذا فلم تحسب تلك الرحلة من بين الأعمال العظيمة لبيرين، ولم يتكلم عنها لأحد خشية أن يعود الرعب إلى ذهنه، ولا يعلم أحد كيف وجد الطريق، أو كيف اهتدى إلى ذلك الطريق الذي لم يتجاسر أحداً قبله إن كان من الإنس أو الجان على عبوره إلى حدود دورياث، فقد مرّ من خلال المتاهات التي نسجتها ميليان حول مملكة ثينغول، كما قالت في نبوءتها، لذلك أُلقي عليه قدرٌ عظيم.

وقيل في (لاي أوف ليثيان) بأن بيرين جاء صدفةً إلى دورياث، وكان على هيئة كبار السن محني الضهر، أشيب الشعر، كمن مرت عليه سنين من الهم والحزن، فقد كان عذاب طريقه عظيم جداً. لكن خلال تجوله في الصيف في غابة نيلدوريث وقعت عيناه على لوثايين بنت ثينغول وميليان في وقت المساء تحت إشراقة ضوء القمر. حيث كانت ترقص على العشب المتبقي في الفسحة بجانب إيسغالدوين. فذهبت عنه كل آلامه، ووقع في سحر لوثايين. لأنها كانت أجمل أبناء إلوڤاتار. كان رداءها أزرقُ كالسماء الصافية، وعيونها رمادية كالسماء المضاءة بالنجوم، وعباءتها محاكة بالزهور الذهبية، لكن شعرها كان قاتماً كظلال الغسق. كضوءٍ على أوراق الأشجار، كصوتِ المياه الصافية، كنجومٍ فوق عتمة العالم، مثل مجدها كان سحرها، والضوء يشرق من وجهها.

اختفت تلك الفتاة من أمام ناظريه فأصابه الخرس، كمن أصابته نوبة وتاه بالغابة لفترة طويلة، وراح يبحث عنها بريٌّ متيقظ كالوحش. وسماها في قلبه تينوڤيل، أي العندليب، أو ابنة الغسق في لغة الجان الرماديين لأنه لم يعرف اسمها الحقيقي، ولأنه كان قد رآها من بعيد كأوراق الخريف وسط الريح، وفي الشتاء كالنجم على التل. لكنها كانت كالقيد على يديه.

عند الفجر عشية الربيع رقصت لوثايين على التل الأخضر وراحت تغني. كان غناؤها قوياً، يدخل القلب كأغنية القبرة التي تعلو أبواب الليل، ساكبةً صوتها بين النجوم الخافتة، والشمس البادية خلف جدران العالم. فأطلقت أغنية لوثايين من خلف جدران العالم وحررت روابط الشتاء، وتكلمت المياه المتجمدة فأنبتت زهور الأرض الباردة من حيث داست أقدامها.

ذهبت نوبة الصمت التي أصابت بيرين فصرخ بصوت عالٍ تينوڤيل، ورددت الغابة الاسم فتوقفت من الدهشة ولم تهرب، فأتى إليها بيرين. وعندما نظرت إليه سقط عليها القدر

وأحبته، لكنها انزلقت من بين ذراعيه واختفت من أمام بصره، فتبددت فرحة ذلك اليوم. ووقع بيرين على الأرض مغشياً عليه، كشخص قتل للتو من النعمة والحزن، سقط بنومه إذا جاز التعبير إلى هاوية الظل. ثم استيقظ بارداً كالحجارة بقلبٍ قاحلٍ مهجور، وعقلٍ تائهٍ يتلمس طريقهُ كمن أصابه العمى المفاجئ وراح يجاهد بيديه لإدراك الضوء المختفي. هكذا بدأ مصيره المؤلم الذي ألقي عليه، وارتبطت معه لوثايين بهذا المصير. فقد كانت خالدةً واشتركت معه في الفناء، وكانت حرّةً فاستلمت منه القيود. وكان ألمها أعظم من أي ألم عُرف في إيلدار.

وبعد أن غادره الأمل عادت إليه حيث كان يجلس في الظلام، ووضعت يدها في يده، وفيما بعد كانت تأتي إليه، ويدخلا سراً في أغلب الأحيان إلى الغابة من الربيع إلى الصيف. ولم يكن أحد آخر من أبناء إلوفاتار عنده بهجة عظيمة مثلهما، مع ذلك فقد كان وقتهما قصير.

لكن المنشد دايرون كان يحب لوثايين أيضاً وكان يراقب لقاءاتها مع بيرين، فوشى بها عند ثينغول. غضب الملك لأنه كان يحب لوثايين أكثر من أي شيء آخر. فمكانها بين أمراء الجان وليس بين البشر الفانيين، لأنهم لا يصلحوا حتى لخدمتها. لذلك تكلم بالحزن والدهشة مع لوثايين لكنها لم تكشف له شيء. مع أنه أقسم لها بأنه لن يذبح بيرين ولن يدخله السجن، لكنه أرسل خدمه ليحضروه إلى مينيغروث كمجرم. لكن لوثايين أحبطت محاولاتهم وجعلتهم يقتادوه إلى عرش ثينغول كضيف مبجل بالاحترام.

نظر ثينغول إلى بيرين باحتقار وغضب وبقيت ميليان صامته، فقال له الملك: لقد أتيت إلى هنا كلص. من غير أن يطلب منك أحد ذلك وتتجرأ أيضاً على الاقتراب من عرشي؟

لكن بيرين المملوء بالفزع من فخامة مينيغروث وهيبة ثينغول العظيمة، لم يجب. لذلك تكلمت لوثايين قائلةً. أنه بيرين بن باراهير سيد البشر والخصم الهائل لمورغوث. والتي أصبحت حكايات أعماله أغنية حتى بين الجان.

فقال لها ثينغول: دعي بيرين يتكلم عن سبب وجوده هنا، هذا الهالك التعس، وما الذي دعاه لترك أرض آباءه وأجداده والدخول إلى هذه الأراضي المحرمة على أمثاله. لعلنا نجد سبباً يمنعنا من معاقبة وقاحته وحمقه !

لكن عندما نظر بيرين للأعلى رأى عيون لوثايين ووجه ميليان، فبدا وكأن الكلام قد وضع على فمه وغادرهُ الخوف، فعاد إليه فخر البيت الأكبر للبشر، وقال: قدري أيها الملك، هو

من قادني إلى هنا، من خلال أخطارٍ قلما يتجاسر بعض الجان على عبورها، وبالحقيقة لم أجد ما أبحث عنه، لكن وجدت ما أحتفظ به للأبد، فهو فوق كل الذهب والفضة والجواهر، فلا الصخور ولا الفولاذ ولا نيران مورغوث ولا كل قوى ممالك الجان. ستبعدني عن كنزي الذي وجدته، وهذا الكنز هو ابنتك لوثايين أجمل أبناء العالم.

بعد ذلك وقع صمتٌ على القاعة، فقد كانت لوثايين مذهولةً وخائفة، لظنها بأن بيرين سيقتل، لكن ثينغول تكلم بهدوء قائلاً: لقد حكمت على نفسك بالموت بهذه الكلمات. ويجب أن تموت حالاً. لكنني لن أكون متسرعاً بالحكم كي لا أندم على قتلك أيها الولد البشري الخسيس، الذي تعلم الزحف في مملكة مورغوث والسير كجواسيسه وعبيده.

فأجابه بيرين: أقبل أنك تستطيع أن تهبني الموت أو لا، ولكن ما لا أقبله منك هو أنني ولد بشري خسيس، فلستُ جاسوساً ولا عبداً. وهذا خاتم فيلاغوند الذي أعطاه إلى أبي باراهير في ساحة معركة الشمال، وأهلي لم يكسبوا مثل هذا الصيت من أي جني، سواءً كان ملكاً أم لا.

كانت كلمات بيرين فخورة جداً فنظرت كل العيون إلى الخاتم لأنه رفعه عالياً. ولمعت جواهره الخضراء التي أبدعها نولدور في ڤالينور. فقد كان هذا الخاتم مرصعٌ بتوأمٍ من الثعابين، عيونها من الزمرد، ويجتمع رأسيهما تحت تاج من الزهور الذهبية، واحد يدعم التاج والآخر يلتهم. وتلك كانت شارة فينارفين وبيته. عندها انحنت ميليان إلى جانب ثينغول، وهمست له بنصيحة بسيطة قائلةً: خفف من غضبك فلن يكون مقتل بيرين بواسطتك. بل بعيداً وحراً سيُقادُ إلى مصيرِهِ في النهاية، على الرغم من أنك جرحت مشاعره. فاحترز.

لكن ثينغول كان ينظر بصمتٍ إلى لوثايين ويقول في نفسه. بشر تُعساء، أبناءُ أسيادٍ صغار، ومُلكٌ مختصر، هل مثل هذه الأيدي امتدت عليكِ وتبقى على قيد الحياة للآن. ثم كسر حاجز الصمت وقال: أرى الخاتم، يا بن باراهير، وأدرك بأنك فخور، وتعتبر نفسك من الأقوياء. لكن أفعال أبيك وإن كانت بتقديمِ خدماتٍ جليلةٍ لنا، فلن تشفع لك للفوز بابنة ثينغول وميليان. انظر الآن، أنا أيضاً أرغب بكنزٍ مخفي. لأن الصخر والفولاذ ونيران مورغوث تحفظ تلك الجوهرة، وأريد امتلاكها مقابل كل قوى ممالك الجان. وبعد أن سمعتك تقول بأن هذه القيود لا ترعبك. لذلك اذهب في طريقك واجلب لي بيدك السيلماريل من

تـاج مورغـوث. وإن فعلتهـا فسـتكون يـد لوثـايين بيـدك، وسـتكون جـوهرتي عنـدك. وبمـا أن مصير أردا يقع ضمن السيلماريلس، فسوف تكون مكرّماً عندي.

هكـذا هـو القـدر المعمـول لـدورياث كـان مشـمولاً بلعنـةِ مانـدوز، أمـا أولئـك الـذين سمعـوا هـذا الكـلام أدركـوا بـأن ثينغـول سـينفذ قَسَـمهُ. فقـد أرسـل بـيرين إلى حتفـه. لأنهـم يعرفـون بـأن كـل قـوة نولـدور، قبـل كسـر الحصـار، لم تُفـد فيـانور حـتى برؤيـة إشـراق ضـوء السـيلماريلس مـن بعيـد. وهـم الآن في التـاج مورغـوث الحديـدي، وتعتـبر كثـروة عزيـزة ومقدمـة علـى كـل شـيء في أنغبانـد. محميـة مـن البـالروغز، وسـيوف كثـيرةٌ لا حصـر لهـا. ورمـاحٌ قويـةٌ، وجـدرانٌ منيعـةٌ، وعظمة ظلمة مورغوث.

ضـحك بـيرين مـن هـذا السـعر الـبخس وقـال: هكـذا يفعـل ملـوك الجـان، يبيعـون بنـاتهن بـالمجوهرات وبأشـياء مصـاغة. لكـن إنْ كانـت تلـك هـي رغبتـك يـا ثينغـول فأنـا سـأؤديها لـك. وعنـدما نلتقـي ثانيـة ستكون يـدي حاملـة السـيلماريل مـن التـاج الحديـدي، فلـن تحتـاج للبحـث في النهايـة علـى مَـنْ هـو بـيرين بـن بـاراهير. لكنـه نظـر إلى عيـون ميليـان الـتي لم تـتكلم. ثم ودع لوثـايين تينوڤيـل وانحـنى أمـام ثينغـول وميليـان، فتفـرق الحـراس مـن حولـه وغـادر مينيغـروث لوحده.

أخـيراً تكلمـت ميليـان قائلـةً: سـيدي الملـك ثينغـول لقـد خـدعت بالنصـيحة، لكـن إذا لم تفقـد عيـوني رؤيتهـا، فسـيكون وبـالاً عليـك، سـواء نجـح بـيرين في مهمتـه أم فشـل. فالقـدر سـيلاحقك أنـت أو ابنتـك. وسينسـحب مصـير دوريـاث إلى عـالم أكثـر جبروتـاً، لكـن ثينغـول أجـاب: لـن أبيـع للجـان أو البشـر. مـن أحـب وأُعـز فهـم فـوق كـل الكنـوز. وإذا كـان هنـاك أمـلٌ أو خـوف مـن عـودة بـيرين علـى قيـد الحيـاة إلى مينغـروث، فلـن يـرى ضـوء السـماء ثانيـة، على الرغم من أنني حلفت له.

بقيـت لوثـايين صـامته ومـن تلـك السـاعة لم تعـد للغنـاء ثانيـةً في دوريـاث. فخـيّم الصـمت الكئيب على الغابة، واستطالت الظلال في مملكة ثينغول.

قيـل في (لاي أوف ليثيـان) بـأن مـرور بـيرين عـبر دوريـاث كـان بـدون عوائـق، وقـد جـاء بالتفصـيل إلى بحـيرات الغسـق ومسـتنقعات سـيريون تاركـاً أرض ثينغـول متسـلقاً الـتلال الـتي فـوق شـلالات سـيريون حيـث يغـور النهـر تحـت الأرض بضـجةٍ عظيمـة. ومـن هنـاك نظـر غربـاً، فـرأى مـن خـلال الضـباب والأمطـار الملقـى علـى تلـك الـتلال، تـالاث ديـرنين، السـهل المراقـب،

الممتد بين سيريون وناروغ، ولمح من بعيد مرتفعات تاور إن فاروث، المرتفعةِ فوق نارغوثروند، وبدا فقيراً بدون أملٍ أو نصيحة، فأدار قدمية إلى هناك.

أبقى جان نارغوثروند مراقبة مستمرة على طول ذلك السهل، وكل تل على الحدود توجوه بأبراج المراقبة المخفية، كان مجال النبالون فيه يغطي كامل الحقل والغابة، بحرفيةٍ وسرّيّةٍ نادرة. فقد كانت سهامهم مميتة ولم يستطع أحد من التسلل إلى هناك من دون علمهم. وقبل أن يسير بيرين على طريقه كانوا على علمٍ به، وكان موته قريباً، لكن لأنه كان يعرف مدى الخطر هناك فقد أبقى على خاتم فيلاغوند مرفوعاً في يده. على الرغم من عدم وجود أي شيء حي هناك بسبب تسلل الصيادين. فكان عندما يشعر بأنه مراقب، كان يصرخ وفي أغلب الأحيان يصرخ بصوت عالي، أنا بيرين بن باراهير صديق فيلاغوند. خذوني إلى الملك. لذلك لم يذبحه الصيادون، لكنهم تجمعوا وكمنوا له، وأمروه بالتوقف. وعندما رأوا الخاتم انحنوا أمامه، مع أنه كان في محنته الشريرة ودربه المهلكة، فاقتادوه شمالاً وغرباً وكان يمر ليلاً خشية انكشاف طرقهم، وفي ذلك الوقت لم يكن هناك أي معبر أو جسر على سيل ناروغ قبل بوابة نارغوثروند، لكن إلى الشمال حيث ينضم غينغليث إلى ناروغ. فالفيضان كان أقل، عبروا من هناك وانعطفوا ثانية نحو الجنوب. قاد الجان بيرين تحت ضوء القمر إلى البوابة المظلمة من قاعاتهم المخفية.

هكذا جاء بيرين إلى أمام الملك فينرود فيلاغوند، فعرفة فيلاغوند ولم يكن بحاجة للخاتم لكي يتعرف على أقرباء بيور وباراهير. ثم جلسوا خلف الأبواب المغلقة، وأخبره بيرين عن موت باراهير، وكل ما حدث له في دورياث. لكنه بكى عندما تذكر بهجته مع لوثايين. أمّا فيلاغوند فقد سمع الحكاية بدهشةٍ وقلق. لأنه علم بأن الشخص الذي سيقع عليه القَسَمْ المقدر بالموت هو بيرين، كما تنبأت بذلك غالادريل قبل مدة طويلة، ثم تكلم مع بيرين بقلب حزين وقال: من السهولة أن يرغب ثينغول بموتك، لكن يبدو أن هذا الموت يتجاوز هدفه. وهذا هو قسم فيانور يعود ثانيةً، لأن السيلماريلس ملعونٌ بقسم الكراهية، حتى إن اسمهم يحرك رغبة عظيمة بالكسل. وأبناء فيانور على استعدادٍ لتدمير كل ممالك الجان مقابل امتلاك السيلماريل، لأن القسم يقودهم. وفوق ذلك كله فإن كيليغورم وكوروفين يسكنان هنا في قاعاتي، مع أنني أنا الملك ابن فينارفين. فقد كسبا هنا قوة كبيرة في المملكة، ويسيطرون على الكثير من شعبهم، ولا يظهران لي المودة إلا عندما يحتاجونني،

وكـل مـا أخشـاه بـأنهم لـن يظهـروا لـك أي محبـة أو رحمـة، إذا علمـوا بمسـعاك. حـتى أنـا لا زلـت أحفظ قسمي معهم وبهذا الشكل فكلانا أنا وأنت متورطان.

بعـد ذلـك تكلـم الملـك فيلاغونـد أمـام الشـعب مـذكّراً بأعمـال بـاراهير والنـذر الـذي وضـعه علـى نفسـه بـأن يسـاعد بـاراهير أو أي شـخص مـن بيتـه عنـد الحاجـة، وهـذا هـو الآن ابـن بـاراهير يلـتمس المسـاعدة، فظهـر كيليغـورم مـن بـين الجمـاهير سـاحباً سيفه وهـو يصـرخ. سـواءٌ أكـان صـديقاً أو عـدوا، مـن شـياطين مورغـوث أو مـن الجـان أو أبنـاء البشـر، أو أي شـيءٍ حـيٍ في أردا. فـلا قـانون ولا محبـة ولا أحـلاف الجحـيم أو جـبروت الڤـالار، ولا أي قـوة سـحرية في العـالم. سـتدافع عنـه ضـد ملاحقـة عـداوة أبنـاء فيـانور لـه. إن أخـذ أو وجـد السـيلماريل واحـتفظ بـه، فمـن حقنـا وحـدَنا نحـن أبنـاء فيـانور المطالبـة بالسـيلماريلس حـتى نهاية العالم.

كانـت كلمـات كيليغـورم فعّالـة جـداً، كمـا كانـت مـن قبـل كلمـات أبيـه في تيريـون والـتي ألهبـت التمـرد الأول في نولـدور. بعـد كيليغـورم تكلـم كـوروفين لكـن بهـدوءٍ أكثـر وبقـوةٍ أقـل، مناشـداً عقـول الجـان لاستحضـار منـاظر الحـرب وخـراب نارغوثرونـد. وبكلامـه هـذا فقـد وضـع علـى قلـوبهم خوفـاً عظـيم. بعـد ذلـك لم يـدخل الجـان في معركـة مفتوحـة حـتى زمـن تـورين. لكـنهم طـاردوا الغربـاء عـن طريـق الكمـائن والتـنقلات السـرية بالسـحر والنبـال المسـمومة، ونسـوا أواصـر القربى. وهكذا سقطت بسالة وحرية الجان القديمة وأظلمت أراضيهم.

سـارت الإشـاعة بـين الشـعب بـأن ابـن فينـارفين لـيس ڤـالا حـتى يأمرنـا. فـأداروا وجـوههم عنـه. لكـن لعنـة مانـدوز وقعـت علـى الأخـوة فـأظهرت في قلـوبهم أفكـاراً مظلمـة. وأخـذوا يفكـرون بإرسـال فيلاغونـد لوحـده إلى المـوت، مـن أجـل اغتصـاب عـرش نارغوثرونـد، فهمـا مـن أقـدم سلالات أمراء نولدور.

أدرك فيلاغونـد بأنـه أصـبح منبـوذاً، فنـزع تـاج نارغوثرونـد الفضـي عـن رأسـه ووضـعه بـين قدميـه قـائلاً: ربمـا انكسـر قسـمكم الـذي كنـت أؤمـن بـه. لكـني يجـب أن أبـرَّ بقسـمي الخـاص. وإذا بقـي أحـد لم يسـقط بعـد تحـت ظـل اللعنـة، فعلـيَّ إيجـاد بضـعةٍ علـى الأقـل لتتبعـني، ويجـب أن لا نـذهب إلى هنالـك كمتسـولين نطـرد مـن الأبـواب، فوقـف بجانبـه عشـرة، ومـن بيـنهم كـان شـخص يـدعى إيـدراهيل وهـو القائـد بيـنهم. انحـنى إيـدراهيل أمـام الملـك ورفـع التـاج وطلـب بـأن يسـلم لشـخص كوكيـل علـى العـرش حـتى عـودة فيلاغونـد. وقـال موجهـاً كلامـه للملـك: أنت تبقى مليكي. ثم توجه إلى الآخرين بالكلام وقال: مهما حدث.

قــام فيلاغونــد بإعطــاء تــاج نارغوثرونــد إلى أخيــه أورودريــث لكــي يحكــم مكانــه، ولم يقــل كيليغورم وكوروفين أي شيء، لكنهما ابتسما وخرجا من القاعات.

في مســاءٍ خريفــي، غــادر فيلاغونـد وبـيرين مـع أصـحابهم العشـرة. وبـدأت رحلـتهم مـن جانـب نهـر نـاروغ إلى منابعـه عنـد شـلالات إيڤـرين، وأثنـاء مـرورهم لـيلاً تحـت الجبـال الغامضـة وقعـوا علـى معسـكرٍ للأوركـس فـذبحوهم كلهـم، وغنمـوا أسـلحتهم وعتـادهم. فبفضـل فنـون فيلاغونـد اسـتطاعوا تغيـير وجـوههم فأصـبحت تشـبه وجـوه الأوركـس. سـاروا علـى طـريقهم الشـمالي هكـذا متنكـرين. مغـامرين بالسـير غربـاً بـين إيريـد ويثـرين وهضـبة تـاور نـو فـوين، لكـن سـاورون رآهـم مـن برجـه، وشـكَّ بـأمرهم لأنهـم كـانوا يسـرعون في سـيرهم. فلـم ينتظـر ليبلغـوه عـنهم، لكنـه أصـدر الأوامـر إلى كـل خـدم مورغـوث بالتوجـه إلى ذلـك المكـان، لقطـع الطريـق علـيهم واقتيادهم إليه.

هكـذا وقـع الصـراع المشـهور بـين فيلاغونـد وسـاورون. فقـد كـافح فيلاغونـد مـع سـاورون بأغـاني القــوة معلنــاً أن القــوة الــتي عنــد الملــك عظيمــة جــداً، لكــن ســاورون كانــت لديــه الإجــادة والسيطرة، كما أُخبرنا في (لاي أوف ليثيان).

رتَّل أغنية سحرية

بصوت مدوي، كان افتتاح ، الخيانة

لكشف وتعرّية الغدر.

تمايل فيلاغوند مباشرةً

وغنى أغنية الصمود

ضد الهيمنة، وإفشاء السر

صلباً كالبرج ،بثقةٍ مطلقةٍ بالحرية والخلاص.

فقد كان تغيير وتحويل الشكل

هو المخلص لهم من الكمائن، وكسر الشراك.

فُتح باب السجن، كَبلت الأغلال أيديهم

وأصبحت أغنيتهم حائرة، وخارت قواهم.

تضخم الهتاف. قاتل فيلاغوند

لكأنه استحضر كل السحر الجني لكلماته.

فأنصتوا بسكينة الحزن لأصوات الطيور

تغني بعيداً في نارغوثروند
وشاهدوا خلف البحر، رمالاً في الغرب
أراضي الجان رمالٌ من اللؤلؤ
جمعتهم الكآبة، وازدياد العتمة
في ڤالينور بجانب البحر
تدفق الدم الأحمر
لقد ذُبح كثيرون على أيدي نولدور
أخذوا أسلابهم وركبوا زبد الموج
بسفنٍ بيضاء ذوات أشرعةٍ بيض
ناحت الريح في مرافئ لامبلايت
عوت الذئاب وهربت الغربان
دمدم الثلج في فم البحر
والأسرى حزانا يندبون في أنغباند
قرقع الرعد، واشتعلت النيران
وسقط فينرود أمام العرش.

جردهم ساورون من تنكرهم فوقفوا أمامه عراة خائفين. وعلى الرغم من أنه استطاع اكتشاف أنواعهم. لكنه لم يستطع معرفة أسمائهم وأهدافهم، لذلك كان يرميهم في حفرةٍ عميقةٍ مظلمةٍ وصامته، مهدداً إياهم بميتةٍ قاسية إذا لم يخبروه من هم. وكانوا يلمحوا في تلك الحفرة من حينٍ لآخر أعيناً تلمع في الظلام. ثم بعد حين يلتهم الذئب أحد الرفاق، بقوا على هذا الحال حتى جاء الدور على الجميع، ومع ذلك لم يخن أحدٌ منهم سيده.

وفي الوقت الذي جاء فيه دور بيرين لكي يلقى في الحفرة. وقع رعبٌ ثقيل على قلب لوثايين، وذهبت إلى ميليان تطلب النصيحة، فأخبرتها بأن بيرين أسيراً في زنزانات تول ان غاورهوث، ولا أمل لديه بالنجاة. لكن لوثايين أدركت بأن لا أحد في الأرض يستطيع مساعدته. لذلك صممت على السفر بسرعة من دورياث والذهاب إليه بنفسها. لكنها طلبت المعونة من دايرون. لكنه غدر بها، فقد كان يريد حرمان لوثايين من ضوء السماء لخشيته عليها من الفشل والتلاشي. لذلك راح يعيقها وكان هو السبب في البيت الذي سيبنى لها كي لا تهرب. في مكانٍ ليس بعيد عن بوابة مينيغروث تنتصب الشجرة الأعظم

في غابـة نيلـدوريث. كانـت تقـع تلـك الغابـة مـن أشـجار الـزان في النصـف الشـمالي للملكـة، وكـان هـذا الـزان الهائـل يـدعى هيريلـورن وكانـت لديـة ثلاثـة جـذوع متسـاوية في الاسـتدارة، وذو قشـرة طويلـة مصـقولة ومتلاصـقة. لم تنمـو مـن هـذه الجـذوع فـروع لمسـتوى عـالي فـوق الأرض، وبمكـانٍ مرتفـع جـداً بـين أغصـان هيريلـورن بُـني هنـاك بيـتٌ خشـبي، وأسـكنوا لوثـايين فيـه، ووضعوا لها الحراسة على السلالم من خدم ثينغول، وأمنوا لها كل ما تحتاج إليه.

وقيـل في (لاي أوف ليثيـان) كيـف تمكنـت لوثـايين مـن الهـرب مـن البيـت في هيريلـورن لأنها تعلمـت فنـون السـحر، بسـبب زيـادة طـول شـعرها بشـكل كبـير، قامـت بنسـج عبـاءةٍ قاتمـةٍ مـن شـعرها ولفّـت بهـا جمالهـا وأخفتـه، وكـان شـعرها محمّـلٌ بتعويـذةٍ مـن النعـاس. ثم قامـت بصـنع حبـلٍ مـن جـدائلها. وأنزلتـه مـن النافـذة، وعنـدما تـدلى مـن فـوق الحـراس، أصـابهم بالنعـاس وغطـوا في نـومٍ عميـق، عنـدها خرجـت لوثـايين مـن سـجنها مغطـاةً بعباءتهـا الغامضـة وهربـت. مختفيةً خارج دورياث.

تصـادف خـروج كيليغـورم وكـوروفين للصـيد علـى السـهل المحمـي. وسـبب ذلـك هـو أن سـاورون شـك بـأمر الجـان فأرسـل إلى أراضـيهم الكثـير مـن الـذئاب. لـذلك أخـذوا معهـم كـلاب صـيدهم وركبـوا لطـرد الـذئاب. معتقـدين أنـه قبـل عـودتهم سيسـمعون أخبـاراً تتعلـق بالملـك فيلاغونـد. وكـان كلـب الصـيد الـذي يتبـع كيليغـورم، اسمـه هـوان وهـو سـيد كـلاب الصـيد، لم يولـد هـذا الكلـب في الأرض الوسـطى، لكنـه أتـى مـع كيليغـورم مـن الأرض المباركـة، فقـد أعطـاه إيـاه أورومـي في ڤـالينور منـذ زمـنٍ بعيـد. كـان هـوان يتبـع بـوق سـيده هنـاك في ڤـالينور قبـل مجـيء الشـر. وبعـد النفـي بقـي يتبـع كيليغـورم في المنفـى وكـان مخلصـاً لـه. هكـذا وقـع عليـه قـدر المـوت المحـتم علـى نولـدور، وحتمـاً سـيلاقي حتفـه لكـن لـيس قبـل أن يلتقـي ويتقاتـل مـع أقدر ذئب يمشي في هذا العالم.

وجـد هـوان لوثـايين تطـير مثـل ظـلال النهـار تحـت الأشـجار بينمـا كـان كيليغـورم وكـوروفين يسـتلقيان للاسـتراحة عنـد الطـرف الغـربي لـدورياث. فـلا شـيء يمكـن أن يهـرب مـن أمـام بصـر أو حاسـة شـم هـوان، فهـو لا يقـع تحـت السـحر. ولا ينـام لا بالليـل ولا بالنهـار. وعنـدما وجـدها جلبهـا إلى كيليغـورم. عرفتـه لوثـايين بأنـه أمـير نولـدور، وخصـمٌ لمورغـوث. فكـان مسـروراً بهـا. أعلنـت لوثـايين عـن نفسـها، بإلقائهـا للعبـاءة جانبـاً، مظهـرةً جمالهـا المـذهل تحـت الشـمس، فأُعجـب بهـا كيليغـورم، ووعـدها بأنـه سـوف يسـاعدها إذا عـادت معـه الآن إلى

نارغوثروند. لكنها لم تكشف له أي إشارة عن بيرين أو مسعاه أو أي شيء تعرفه عنه، ولا بأنها هي المشكلة الأساسية التي تمس بيرين.

هكذا قطعوا الصيد وعادوا إلى نارغوثروند، وخانوا لوثايين لأنهم أبطأوا من سرعتها وأخذوا عباءتها. ولم يسمحوا لها بعبور البوابة ولا بالكلام مع أحد إلا مع الأخوين كيليغورم وكورفين. لأنهم اعتقدوا بأن بيرين وفيلاغوند محتجزان ولم يعد هناك أمل في المساعدة. لذلك صمما على ترك الملك يموت. والاحتفاظ بلوثايين ثم إجبار ثينغول على إعطاءها للأمراء الأقدر في نولدور. فهما لم يعقدا العزم للحصول على السيلماريلس بالحيلة أو بالحرب. ولم يعاني الناس بسببهم، حتى أصبحت كل قوة ممالك الجان تحت أيديهم. ولم يكن أورودريث يمتلك القدرة على مقاومتهم، فقد أمالوا قلوب ناس نارغوثروند. وأرسل كيليغورم الرسل إلى ثينغول يحثون حميته.

لكن كلب الصيد هوان كان صادق القلب، أحب لوثايين منذ أن التقى بها لأول مرة وحزن لأسرها. لذا كان يأتي في أغلب الأوقات إلى غرفتها، ويتمدد أمام بابها بالليل، لشعوره بأن الشر قد أتى إلى نارغوثروند. وغالباً ما كانت لوثايين تتكلم مع هوان في وحدتها. وتخبره عن بيرين الذي كان صديقاً لكل الوحوش والطيور التي لا تخدم مورغوث. أعلن هوان لها بأنه يفهم كل الأصوات والكلام الذي قالته له لوثايين لكن غير مسموح له بالكلام سوى ثلاث مرات قبل أن يموت.

لذلك ابتكر خطة لمساعدة لوثايين، وفي الليل جلب لها العباءة، وتكلم للمرة الأولى معها مقدماً لها النصيحة، ثم قادها من المخارج السرية لنارغوثروند وهربا سويةً باتجاه الشمال، أحنى ظهره وتحمل ركوبها على ظهره كجواد. كما يركب الأوركس أحياناً على الذئاب العظيمة. وبهذا فقد كانت سرعتهم كبيرة، لأن هوان سريعاً جداً ولا يعاني أبداً من التعب.

ألقى ساورون بكل من فيلاغوند وبيرين في الحفرة. فقد مات كل رفاقهم لحد الآن، لكن ساورون كان مصمماً على إبقاء فيلاغوند على قيد الحياة لإدراكه بأنه حكيم ومن عظماء نولدور، واعتبر بأن سر المهمة معه. لكن عندما جاء الذئب ليأكل بيرين، فما كان من فيلاغوند إلا أن وثب عليه وبكل قوته، قاطعاً قيوده، فتصارع مع الذئب وقتله بيديه وأسنانه. لكنه بالمقابل تعرض لجراحٍ مميته، مما دعاه ليتكلم مع بيرين قائلاً: الآن سأذهب إلى راحتي الأبدية الطويلة في القاعات الخالدة وراء البحار وجبال أمان. وستمر مدة طويلة قبل أن أشاهد ثانيةً بين نولدور. وقد لا نجتمع ثانية لا في أوقات الموت ولا الحياة وسيكون

مصير أقربائنا كل على حده، الوداع! أخيراً مات فيلاغوند في الظلام في تول ان غاورهوث. والذي هو نفسه من بنى برجها العظيم. وهكذا فقد برَّ الملك فينرود فيلاغوند بقسمه، وكان الأجمل والأحب من بين كل أفراد بيت فينوي. لكن بيرين جلس بجانبه يندبه بيأس.

في تلك الساعة وصلت لوثايين، ووقفت على الجسر المؤدي إلى جزيرة ساورون وغنت أغنيةً لا يمكن لأي جدران أن تمنع عبور صوتها. سمعها بيرين واعتقد أنه يحلم، فأشرقت النجوم فوقه وراحت عنادل الأشجار تغني. فجاوبها بأغنية التحدي تلك التي تمتدح النجوم السبعة، منجل الڤالار الذي علقته ڤاردا فوق الشمال كعلامةٍ تشير إلى سقوط مورغوث وانكساره. ثم خارت قواه وسقط في الظلمة.

سمعت لوثايين جوابه فغنّتْ أغنية بقوة أكبر، جعلت الذئاب تعوي، والجزيرة تهتز. وقف ساورون في البرج العالي تلفه أفكاره السوداء. لكنه ابتسم عند سماع صوتها، لأنه عرف بأنها لوثايين بنت ميليان، المشهورة بجمالها وغنائها منذ مدة طويلة في دورياث. واعتقد أن باستطاعته أسرها وتقديمها كهدية لسلطة مورغوث، وعندها ستكون جائزته عظيمة. لذلك أرسل أحد الذئاب إلى الجسر. فقتله هوان بصمت. ومازال ساورون يرسل ذئابه الواحد تلو الآخر، وكان هوان يمسكهم من العنق ويقتلهم. حتى أرسل أخيراً دراوغلوين[١] وحش مخيف. قديم في الشر، سيد وزعيم ذئاب أنغباند الضارية. كانت قوته عظيمة. دارت معركة شرسة بين هوان ودراوغلوين، رغم ذلك وبعد مدة طويلة هرب دراوغلوين عائداً إلى البرج وسقط قتيلاً أمام أقدام ساورون. لكنه قبل أن يموت أخبر سيده بأن هوان هناك. يعرف ساورون جيداً كما يعلم كل من في تلك الأرض. المصير المقدر لكلب ڤالينور، وخطر في باله لما لا أكون أنا قاتله، لأجل ذلك تنكر ساورون بشكل ذئب وجعل نفسه أقدر ذئبٍ مشى على الأرض لحد الآن. وصعد إلى الجسر ليربح.

عظيم جداً كان منظره عند هجومه على هوان الذي تحاشاه وتنحى جانباً، فقفز ساورون على لوثايين. التي تلاشت تدريجياً أمام عنف تهديد الروح التي في عينيه، ومن البخار الكريه الخارج من أنفاسه، لكنها التفت بعباءتها قبل أن يقع عليها فاختفت من أمام عينيه. فتعثر وسقط، وبسقوطه أمام عباءتها أصابه النعاس. عندها قفز عليه هوان ودارت

---

[١] دراوغلوين.Draugluin . كبير ذئاب ساورون الضارية وقد قتله هوان كلب صيد ڤالينور. وهو نفس شكل الذئب الذي أخذ بيرين جلده وتخفى به عندما دخل على مورغوث ليأخذ السيلماريل،

معركـةٌ بـين هـوان وذئـب سـاورون. كـان العـواء والنبـاح يـتردد صـداه عـبر الـتلال. فسـمع الحـراس على أسوار إيريد ويثرين عبر الوادي الصوت من بعيد جداً، وأصابهم الفزع.

لكـن بمـا أنـه، لا سـحر ولا تعويـذة. ولا سُـم ولا نـاب، ولا فنـون الشـيطان ولا قـوة الوحـوش قـادرة علـى هزيمـة هـوان دون نبـذ جسـده تماماً. فقـد سـقط ذئـب سـاورون بأنيـاب هـوان، وقبـل أن تغـادر روح سـاورون الكريهـة بيتهـا المظلـم. جاءتـه لوثـايين وقالـت: سـأرجعك إلى مورغـوث شـبحاً يرتجـف، لتبقـى هنـاك روحـاً عاريـة تتحمـل عـذاب احتقـاره ونظـرات عيونـه إلى الأبـد، مـا لم تمكنني من السيطرة على برجك.

خضـع سـاورون لإرادتهـا. واسـتلمت لوثـايين السـيطرة علـى الجزيـرة وكـل مـا فيهـا، وبعـد ذلـك قـام هـوان بـإطلاق سـراحه. فاتخـذ فـوراً شـكل مصـاص دمـاء، وعـبر أمـام ضـوء القمـر كغيمـة مظلمـة كبـيرة. هاربـاً تقطـر دمـاء حنجرتـه علـى الأشـجار. حـتى وصـل إلى تـار نـو فـوين، وسكن مرعوباً هناك.

وقفـت لوثـايين علـى الجسـر معلنـةً سـلطتها. وفككـت بالتعويـذة روابـط الحجـارة مـن الحجـارة فأُنزلـت الأبـواب، وانفتحـت الأسـوار فتكشّـفت الأقبيـة وخـرج الكثـير مـن الأسـرى والعبيـد، متعجبـين خـائفين. يغطـون أعيـنهم مـن شـحوب ضـوء القمـر، بسـبب إقـامتهم الطويلـة في ظلمـات سـاورون. لكـن بـيرين لم يـأتِ، لـذلك ذهـب هـوان ولوثـايين للبحـث عنـه في الجزيـرة. أخـيراً وجدتـه لوثـايين مسـتلقياً بحزنـه العميـق ينـدب فيلاغونـد. لكنـه لم يسـمع وقـع أقـدامها. فظنتـه ميتـاً، لـذلك وضـعت ذراعيهـا عليـه وسـقطت إلى ظـلام النسـيان، لكـن بـيرين عـاد إلى الضـوء، بعـد أن انقشـع اليـأس. ونظـرا ثانيـةً إلى بعضـهما أحـدهما إلى الآخـر عنـدما كـان النهـار يشرق عليهما بنورة من خلف التلال المظلمة.

دفـن جثمـان فيلاغونـد علـى قمـة تـل في جزيرتـه، بعـد أن عـادت الجزيـرة نظيفـةً ثانيـةً. وبقـي قـبره الأخضـر منيعـاً حـتى تغـيرت الأرض وتكسّـرت منهـارةً تحـت حطـام البحـار. لكـن فينـرود ابن فينارفين أنقى وأجمل أمراء الجان، مشى مع فينارفين أباه تحت الأشجار في إيلدامار.

أصـبح بـيرين ولوثـايين تينوڤيـل أحـرار ثانيـةً وتمشـيا سـويةً في الغابـة وجـددا لفـترة مـن الوقـت بهجتهمـا، مـع أن الشـتاء أتـى علـيهم ولم يـؤذيهم، حيـث الزهـور كانـت توجـد حيثمـا ذهبـت لوثـايين. وغنـت الطيـور علـى الـتلال المغطـاة بـالثلوج. لكـن هـوان المخلـص عـاد إلى سـيده كيليغورم. وما كان حبهما بأقل من قبل.

وقعت اضطرابات في نارغوثروند، بسبب عودة الكثير من الجان الذين كانوا سجناء في جزيرة ساورون، ونهض الصخب بين الناس لأنهم لم يسمعوا أية كلمة من كيليغورم، تندب موت فيلاغوند ملكهم. وقالوا بأن العذراء تجاسرت على فعل ما لم يتجاسر على فعله أبناء فيانور. فأدرك الكثيرون بأن الخيانة كانت وراء مواقف كيليغورم وكورفين وليس الخوف. تلك كانت بداية ابتعاد الناس عن قبول سيادتهم على نارغوثروند، ويجب أن تعود السيادة ثانيةً إلى بيت فينارفين. أطاع الشعب أورودريث لكنهم لن يتحملوا ذنب مذبحة الأقارب معهم، كما رغب البعض، لأن إراقة دم القريب لقريبه سوف تعيد لعنة ماندوز عليهم كلهم، رغم ذلك فلا يمنح كيليغورم وكوروفين لا الخبز ولا الإستراحة ضمن مملكتهم وأقسموا على أنه يجب أن يكون هناك القليل من الود بين نارغوثروند وأبناء فيانور فيما بعد.

قال كيليغورم: فليكن! ولمع الضوء الأخضر في عينيه لكن أخيه كوروفين كان يبتسم. أخذوا معهم عشرة من خيولهم وغادروا غاضبين كعاصفة النار، باحثين عن أقرباء لهم في الشرق. لم يذهب معهم أحد، حتى من الناس الذين كانوا من شعبهم، فقد أدرك الكل بأن اللعنة أثقل ما تكون على الأخوة. تبعهم فقط شر تلك اللعنة. وفي ذلك الوقت كيليبريمبور بن كوروفين أنكر أفعال أبيه وبقي في نارغوثروند. ثم تبعهما هوان فمازال يعتبر كحصان لسيده كيليغورم.

ركبوا شمالاً لنيتهم الإسراع في عبور ديمبار على طول الحدود الشمالية لدورياث، قاصدين بذلك الطريق السريع إلى هيمرينغ، حيث يسكن أخوهما مايذروس متمنين الوصول بسرعة. لكونه على مقربة من حدود دورياث، وقد تجاوزوا نان دونغورثيب والتهديد البعيد لجبال الإرهاب.

يحكى بأن بيرين ولوثايين وصلا بتجوالهما إلى غابات بريثيل واقتربا بنهاية المطاف من حدود دورياث. فأخذ بيرين يفكر بيمينه الذي أقسمه لثينغول، وصمم على تنفيذه ولوكان ضد رغبات قلبه، فأخبر لوثايين قائلاً لها بأنه سيعيدها ثانية بالسلامة إلى أرضها أمّا هو فسيعود لتحقيق قسمه. لكنها لم تكن راغبة بالانفصال عنه مرةً أخرى، فقالت له: عليك أن تختار بين أمرين إما أن تتخلى عن قسمك ويمينك وتعيش في الأرض متشرداً. أو أن تتمسك بكلمتك وتتحدى قوى الظلام على عرشها. وفي كلا الطريقين ستجدني معك وموتنا سيكون معاً.

وبينما هما في الغابة يمشيان ويتكلمان مع بعضهما بهذه الأشياء بدون انتباه. وإذا بكيليغورم وكورفين يمرّا مستعجلين عبر الغابة. لمحهما الأخوين من بعيد وعرفاهما. فأدار كيليغورم لجام حصانه وأوقفه على قائمته الخلفيتين قاصداً دفع بيرين بقائمتي الحصان الأماميتان لإلقائه على الأرض. ثم مال كوروفين وانحنى عن حصانه وأمسك بلوثايين، ووضعها على حصانه. فقد كان خيالاً بارعاً وقوياً. نهض بيرين عن الأرض من أمام كيليغورم وانطلق بكامل سرعته باتجاه حصان كوروفين المسرع الذي تجاوزه، وقفز بيرين قفزته التي اشتهر بها بين الإنس والجان. فأمسك بكورفين من الخلف بحنجرته وقذفه خلفه، وسقطا سويةً على الأرض، فارتفع الحصان وسقط على الأرض، رامياً لوثايين عن ظهرة فوقعت ممددةً على العشب.

ضغط بيرين بقسوة على عنق كوروفين يريد خنقه، وكان الموت قريباً منه لولا أن كيليغورم أبعده عنه بالرمح. وفي تلك اللحظة ترك هوان الخدمة وكيليغورم معاً. ووثب على كيليغورم لكي لا يقترب من بيرين، وبسبب الرهبة العظيمة لكلب الصيد، قفز الحصان ورمى كيليغورم عن ظهره. فلعن كيليغورم كلاً من كلب الصيد والحصان، لكن هوان لم يتأثر. ثم نهضت لوثايين ونهت بيرين عن قتل كوروفين. لكن بيرين سلبه ترسه وأسلحته وعندما أخذ منه سكينه بقي الغمد على جانب كوروفين. وانشطر إلى نصفين كما لو كان من الخشب الأخضر. ثم قام بيرين برفع كوروفين ودفعه عنه، وطلب منه العودة إلى أهله النبلاء فوراً. كي يعلموه الاستخدام الأجدر للشجاعة، ثم قال له: حصانك أبقيه لخدمة لوثايين. وهو قد يكون سعيداً لأنه تحرر من سيد مثلك.

قام كوروفين بلعن بيرين تحت الغيم والسماء. وقال له: ارحل من هنا إلى الموت السريع المر، ثم حمله كيليغورم بجانبه على الحصان، وتأهب الأخوين للمسير بعيداً. استدار بيرين من دون أن يحسب حساباً لكلامهم. لكن كوروفين المملوء بالخزي والحقد أخذ قوس كيليغورم وأطلق سهماً، كان السهم مصوبٌ نحو لوثايين. فقفز هوان والتقط السهم بفمه، لكن كوروفين أطلق سهماً ثانياً فقفز بيرين إلى إمام لوثايين ليحميها فأصابه السهم بصدره.

قيل بأن هوان طارد أبناء فيانور، فهربا مسرعين من الخوف. وعاد من الغابة إلى لوثايين ومعه عشبة لتوقف نزف جرح بيرين. وبفضل فنونها ومحبتها له فقد شفي جرحه. هكذا عادوا أخيراً إلى دورياث، وهناك كان بيرين يتمزق بين قسمه وحبه. ولأنه يعلم بأن لوثايين

أصبحت بأمان الآن، بكر قبل إشراقة شمس أول صباح وتعهدها بحماية هوان، وغادر لمعاناته الكبيرة بينما ماتزال هي نائمةٌ على العشب.

سار شمالاً بأقصى سرعة إلى معبر سيريون بمحاذاة تاور نو فوين ونظر عبر صحاري إنفاوغليث فرأى من بعيد قمم ثانغورودريم. وبذلك المكان أطلق حصان كوروفين وطلب منه المغادرة ليعيش حراً ويترك حياة الفزع والعبودية على المروج الخضراء لأراضي سيريون، وبقي على عتبة الخطر النهائي لوحده، فغنى أغنية الفراق، وفيها مديح للوثايين وأضواء السماء لأنه اعتقد بأن عليه الآن أن يقول وداعاً للحب والضوء. وهذا جزء من كلمات تلك الأغنية:

الوداع أيتها الأرض الحلوة والسماء الشمالية

زرقاء إلى الآبد لأنها مستلقيةٌ هنا.

فهنا ركضت بأقدامها الطرية

تحت القمر، تحت الشمس

لوثايين تينوڤيل

فهي أجمل ما يمكن أن تصفه لغة البشر

فلو أن الدمار نزل على العالم

وأذابه ورماه بعيداً

ودمره بالهاوية

مع ذلك فقد أحسن صنع

الغسق، الفجر، الأرض، البحر،

ولوثايين تلك التي يجب أن تبقى.

كان يغني بصوت عالٍ، فلم يكن مهتماً للآذن التي ستسمعه لأنه كان يائساً، ولم يبحث عن مهرب.

لكن لوثايين سمعت أغنيته وأجابته بأغنية. كما أن مجيئها عبر الغابة كان غير متوقع. لأن هوان رضي أن يكون جوادها مرة أخرى. وقد حملها بسرعة شديده بإثر بيرين، ولمدة طويلة كان يفكر في نفسه، عن ماهية الرأي الذي يمكن تدبيره لشخصين واقعين في الحب، لكي ينجوا من الخطر. لذلك سار بجانب جزيرة ساورون، وها هما يتجهان للشمال ثانيةً. هناك

التقـى الـذئب الفظيـع دراوغلـوين، والخفـاش مصـاص الـدماء ثورينغويثيـل[1]، رسـول سـاورون الـذي كـان يطـير إلى أنغبانـد عـادةً علـى شـكل مصـاص دمـاء. يرتـدي ملابـس مخيفـة ذات مخالـب وأجنحـة كبـيرة مـزودةٍ بأشـواك، وكـان يوجـد في نهايـة كـل مفصـل مخلـب حديـدي. أمـا هوان ولوثايين فقد مرا عبر تاور اون فوين وهربت كل الأشياء من أمامهما.

رأى بـيرين اقـترابهم فأصـابه الفـزع وتسـاءل عنـد سماعـه لصـوت تينوڤيـل. لاعتقـاده بـأن مـا يـراه مـا هـو إلا شـبح ليوقعـه بـالفخ. لكنهمـا عنـدما وقفـا وخلعـا تنكرهمـا، ركضـت لوثـايين نحـوه، هكـذا اجتمـع بـيرين ولوثـايين ثانيـةً بـين الصـحراء والغابـة، وبقـي صـامتاً لفـترة وكـان مسـروراً، لكنه بعد فترة ناضل كثيراً لكي يثني لوثايين عن مرافقته في الرحلة.

وقـال: للمـرة الثالثـة ألعـن قسـمي لثينغـول فيـا ليتـه ذبحـني في مينيغـروث بـدلاً مـن أن أجلبـك إلى هنا، إلى تحت ظل مورغوث.

وللمـرة الثانيـة تكلـم هـوان ونصـح بـيرين قـائلاً: لم يعـد بإمكانـك حمايـة لوثـايين مـن ظـل المـوت، فبفضـل حبهـا أصـبحت معرضّـةً لـه. يمكنـك أن تـتملص مـن مصـيرك وتتوجـه بهـا إلى المنفـى. تلـتمس السـلام دون جـدوى بينمـا حياتـك بأواخرهـا. لكنـك إذا واجهـت موتـك. فسـتكون لوثـايين مهجـورة وبالتأكيـد سـتموت وحيـدة. أو أنها سـتتحدى معـك مصـيراً ميؤوسـاً منـه. مـع ذلـك فهـو غـير مؤكـد. ولا يمكنـني أن أنصـحك أكثـر مـن ذلـك، ولا أود أن تـذهب أبعـد مـن ذلـك في طريقـك. لكـن قلـبي ينـذرني مـا الـذي سـتجده عنـد البوابـة، أمـا خلفهـا فعيـوني لا تسـتطيع الرؤيـة، فـلا أرى إلا الظـلام. مـع ذلـك لـدينا ثلاثـة طـرق تـؤدي إلى دوريـاث. وقـد نلتقي قبل النهاية.

أدرك بـيرين بـأن لوثـايين لا يمكنهـا أن تنفصـل عـن القـدر الملقـى عليهمـا معـاً. ولم يعـد هنـاك مـن مسـعى لثنيهـا عـن عزمهـا. فالنصـيحة مـن هـوان والسـحر مـن لوثـايين. لـذلك ألبسـته جلـد الـذئب دراوغلـوين، ولبسـت هـي أجنحـة وأصـبحت تشـبه ثورينغويثيـل. أصـبح بـيرين يشـبه الـذئب في كـل شـيء إلا في عيونـه، فقـد أشـرقت منهمـا روح متجهمـة لكنهـا نظيفـة. وارتعـب عنـدما رأى بجانبـه مخلـوق يشـبه خفـاش متعلـق بأجنحتـه المجعـدة. ثم دوى عـواء تحـت ضـوء القمر وقفز إلى أسفل التل. وتحرك الخفاش مصفقاً بجناحيه فوقه.

[1] ثورينغويثيل.Thuringwethil . هي امرأة من أسرار الظل. ويعتقد أنها مايا لكن بدرجة أقل، تأخذ شكل مصاص دماء، وتعتبر من أوائل الرسل الذين استخدمهم ميلكور، وقد اتخذت لوثايين شكلاً يشبهها عندما دخلت مع بيرين إلى مورغوث لأخذ السيلماريل .

عبروا المخاطر حتى وصلوا يعلوهم الإرهاق وغبار الطريق الطويل إلى الوادي الكئيب الممتد أمام بوابة أنغباند. وفجواتٍ سوداء مفتوحةً بجانب الطريق، فيها تتصارع أشكالٌ شيطانية. ومن الجهة الثانية تقف السفوح كالجدران المحصنة. وتجلس فوقهم طيور الجيفة تصرخ بصوت خفيف. وأمامهم كانت البوابة الحصينة. كقوسٍ عريضٍ وكبيرٍ سوداء قاتمة تقبع أسفل الجبل، ورُفع فوقها ألف قدمٍ من الجروف والمنحدرات.

دخل الاستياء إليهم. لأن حارس البوابة كان الذئب كارخاروث. فمنذ أن سُمع في أسفل ممرات الغابة. نباح هوان، كلب الحرب العظيم. وهو الكلب الذي أطلقه الفالار منذ عهد بعيد. وتذكر مورغوث قدر هوان وكيف سيواجهه، لذلك قام مورغوث باختيار جرو صغير من جنس دراوغلوين. وأطعمه بيديه ورباه على اللحم الحي ووضع قوته عليه. كبر هذا الجرو سريعاً كذئب، وتضخم حتى أصبح غير قادر على الاختباء في الوكر، بل كان يتمدد جائعاً أمام أقدام مورغوث. هناك دخل إليه ألم الجحيم والنار. فأصبح روحاً مفترسةً قويةً، فظيعة ومعذبة. وأسماه كارخاروث، أي الحوصلة الحمراء. وفي حكايات تلك الأيام، كان يسمى أنفاوغلير، الفكوك العطشة. وضع مورغوث هذا الذئب أمام أبوب أنغباند بهيئة نائم خشية قدوم هوان.

لمحهم كارخاروث من بعيد، وشكّ بهم لأن أخباراً وصلت لأنغباند منذ فترة طويلة تخبر بموت دراوغلوين. لذلك عندما اقتربوا من البوابة منعهم من الدخول، واعترض طريقهم واقفاً ومهدداً. وشمَّ رائحةً غريبةً في الهواء حولهم. لكن فجأة نزل شيء من القوة المقدسة وتملكت لوثايين. فقامت بنزع رداء التنكر. ووقفت صغيرة أمام جبروت كارخاروث لكنها كانت متألقةً وفظيعة، فرفعت يدها وأمرته بالنوم قائلةً: أيتها الروح المولودة بالكآبة اسقطي الآن إلى غياهب النسيان المظلم. وانسي لبعض الوقت عذاب الحياة الرهيب. فسقط كارخاروث. كما لو أن صاعقة ضربته.

مرَّ بيرين ولوثايين عبر البوابة ونزلا درجات المتاهة. جنباً إلى جنب مع بعضهما قاما بعملٍ عظيم، وهو العمل الذي لم يتجرأ على القيام به من قبل أي من الإنس والجان على حد سواء. نزلا إلى مجلس مورغوث في أخفض قاعاته المؤيدة بالرعب، والمضاءة بالنار والمملوءة بأسلحة الموت والعذاب، إلى هناك تحت عرشه، انسل بيرين على هيئة الذئب. لكن لوثايين كانت متجردةً من تنكرها، لإلهاء مورغوث. فأمال بصره نحوها، ولم ترعبها عيونه. وعرّفت عن نفسها باسمها الحقيقي عارضةً خدمتها بأن تغني أمامه على طريقة المغنين. نظر

مورغـوث إلى جمالها، وحملتـه أفكـاره إلى رغبـة شـريرة بتصـميم بـأكثر تصـاميم قلبـه الظلاميـة منـذ خروجـه مـن ڤـالينور. وهكـذا تم خـدع مورغـوث بحقـده. لأنـه راح يراقبهـا، وتركهـا حـرةً للحظـة. فـدخل علـى فكـره بهجـة سـرية. وفجـأة تملصـت مـن بصـره، وخرجـت مـن الظـلال وبـدأت بأغنيـةٍ فائقـةِ الحسـنْ، فيهـا قـوة تعمـي الأبصار.وأصـبح يسـتمع إليهـا مرغمـاً، فوقـع العمى على عيونه، وراحت عيناه تدور يميناً ويساراً تريد رؤيتها.

أصـبح كـل قصـره يغـط بـالنوم، وبهتـت كـل النـيران وانطفـأت. فتوهجـت جـواهر السـيلماريلس في تـاج مورغـوث تتـألق بالإشـعاع الأبـيض. وهـذا الحمـل الثقيـل للتـاج وجـواهره أحنـت رأس مورغـوث، كمـا لـو أن أثقـال العـالم محمولـةً بـالحرص والخـوف والرغبـة وُضِعَت فوقـه. لم تسـتطع إرادة مورغـوث دعمـه كـي لا ينحـني. عنـدها التقطـت لوثـايين عباءتهـا الـتي كانـت علـى الأرض ورفعتهـا في الهـواء، وجـاء صـوتها متهـدجاً ينـزل كـالمطر المتـساقط علـى وجـه البحـيرات. وألقـت بعباءتهـا عميقـةً ومظلمـة أمـام عيـني مورغـوث، فسـقط في حلـمٍ معـتم كظـلام الفـراغ عنـدما كـان يمشي هناك لوحده.

فجـأة سـقط مورغـوث كانهيـار تـلٍ جليـدي، ووقـع عـن عرشـه متمـدداً علـى أرض الجحـيم فتدحرج التاج عن رأسه. وبقيت كل الأشياء كما هي.

أمـا بـيرين الـذي كـان مسـتلقياً علـى الأرض كـوحشٍ ميـت. فأمسـكته لوثـايين مـن يـده، وهزّتهـا لتوقظـه. نهـض ورمـى بـرداء الـذئب جانبـاً. وسـحب السـكين أنغريسـت[1] وفصـل السـيلماريل عن المخالب الحديدية.

أمســك الســيلماريلس بيــده. فتــدفق الشــعاع في اللحــم الحــي، وأصــبحت يــده كالمصــباح المشـرق. ولم تؤذيـه الجـوهرة عنـدما لمسـها. جـاء إلى فكـره بـأن قسـمه سـيتحقق، ولم يبقـى عليـه إلا اخـراج مجـوهرات فيـانور الثلاثـة مـن أنغبانـد. لكـن قـدر السـيلماريلس لم يكـن كـذلك. فقـد انكسـرت السـكين أنغريسـت، وتطـايرت قطعـة مـن نصـلها وأصـابت خـد مورغـوث، فتـأوه واضطرب واستيقظ كل سكان أنغباند ونهضوا من نومهم وغفلتهم.

وقـع الرعـب علـى بـيرين ولوثـايين وهربـا طائشـين بـدون تنكـر، راغبـين برؤيـة الضـوء مـرة أخـرى، ولم يطـاردهم ولم يقـاومهم أحـد، لكـنهم منعـوا مـن الخـروج مـن البوابـة لأن كارخـاروث اسـتفاق

[1] أنغريست.Angrist . هي سكينة غير عادية تقطع الحديد. وقد صنعها تيليخار أمهر صانعي نوغرود، فقد كانت قادرة على قطع الحديد بسهولة قطع الخشب. حملها كوروفين بين فيانور، وقد أخذها منه بيرين.

من النوم ووقف على عتبة بوابة أنغباند غاضباً. فمن قبل أن يدركا وجوده كان قد رآهما وقفز عليهما وهما يركضان.

لكن لوثايين كانت مرهقةً ومتعبة فليس لديها قدرة على مقاومة الذئب. أما بيرين كان يمشي أمامها وبيده اليمنى كان يحمل السيلماريل، توقف كارخاروث وخاف للحظةٍ. فصرخ عليه بيرين تراجع واهرب لأنه مشتعل وسيبددك أنت وكل الأشياء الشريرة، ودفع بالسيلماريل أمام عيون الذئب.

لكن كارخاروث نظر إلى تلك الجوهرة المقدسة ولم يخف. وفجأة استيقظت روحه المفترسة كالنار وفغر فاه وأخذ بفكيه اليد والجوهرة وقطعها من الرسغ. فامتلأ جوفه بسرعة باللهب والألم، وحرق السيلماريل لحمه الملعون. فانسحب من أمامهم يعوي، رددت جدران الوادي خلف الباب أصداء صوت عذابه. فقد أصبح فظيعاً جداً بجنونه، حتى أن جميع مخلوقات مورغوث المقيمة في الوادي، أو التي كانت متواجدة على الطرق المؤدية إلى هناك، هربت منه إلى الشمال لأنه كان يقتل كل الكائنات الحية التي تقف في طريقه. وانفجرت من الشمال بالخراب على كل العالم. وكانت تلك أكبر من كل الرعب الذي اجتاح بيليرياند قبل سقوط أنغباند، بسبب جنون كارخاروث المخيف جداً التي سببته له قوة السيلماريل المخفية في جوفه.

أما بيرين فقد سقط مغمياً عليه داخل الأبواب الخطرة وكان الموت قريباً منه بسبب أنياب الذئب المسمومة. قامت لوثايين بسحب السم بشفتيها، ووضعت كل قوتها لسد الجرح القبيح. لكن خلفها في أعماق أنغباند مشت الأخبار عن إثارة الغضب العظيم واستيقظت جماعات مورغوث.

هكذا كان السعي وراء السيلماريل قد أدى في النهاية إلى الخراب واليأس. لكن في تلك اللحظات ظهرت ثلاثة طيور هائلة فوق جدران الوادي، ترفرف بأجنحتها شمالاً أسرع من الريح. فقد انتشرت الأخبار بين الطيور والوحوش. حول مسعى وحاجة بيرين. وهوان نفسه هو من طلب مراقبة كل شيء، لأنهم قد يطلبونهم للمساعدة. ارتفع ثورون دور وأتباعه فوق مملكة مورغوث. وكانوا يشاهدون جنون الذئب وسقوط بيرين. فنزلوا بسرعة للأسفل. قبل أن تستيقظ قوى أنغباند وتنهض من النوم السحري.

قام ثورون دور ورفاقه برفع بيرين ولوثايين عن الأرض وحملوهما عالياً إلى الغيوم. وتحتهم فجأة هدر الرعد وتصاعد البرق واهتزت الجبال وانطلق الدخان متصاعداً من ثانغورودريم.

انطلقت سهام مشتعلة قذفت بعيداً وسقطت تدمر الأرض تحتها، فارتعد شعب نولدور المقيم في هيثلوم. لكن دروب ثورونـدور كانت بعيدة فوق الأرض، قاصداً الطرق العالية في السماء، حيث الشمس تلمع طوال النهار والقمر يمشي وسط النجوم الصافية. هكذا عبروا بسرعة من فوق دور نو فاوغليث وفوق تاور نو فوين ، ووصلوا فوق الوادي المخفي توملادين. حيث لا غيمة ولا عتمة تمتد هناك. نظرت لوثايين فرأت من بعيد بداية ضوء أبيض من جوهرة خضراء. أنه بريق غوندولين الجميلة حيث يسكن تورغون. لكنها بكت لأنها اعتقدت بأن بيرين سيموت بالتأكيد. فهو لم يتكلم ولم يفتح عيونه، ولم تعرف شيئاً عن طيرانه، أخيراً أنزلتهم النسور عند حدود دورياث، في نفس المكان من الوادي الذي انسل منه بيرين بيأسه تاركاً لوثايين نائمة.

هناك وضعتهما وعادت إلى أوكارها في قمم كريسايغريم العالية، وصل هوان إليها وأصبحا يعتنيان سويةً ببيرين، كما صنعا عندما شفت جرحه الذي سببه له كوروفين، لكن هذا الجرح سام ومميت. نام بيرين لفترة طويلة، وتجولت روحه على حدود الموت المظلمة، مع العلم بأن كل الآلام كانت تطارده من حلم إلى حلم. ثم فجأة وبعد أن غادرها الأمل تقريباً استيقظ بيرين ثانيةً ونظر للأعلى وشاهد الأوراق مقابل السماء. وسمع من تحت الأوراق لوثايين تينوڤيل تغني بنعومة ورقّه. وكان ذلك في وقت الربيع ثانيةً.

فيما بعد دُعي بيرين باسم إيرخاميون ومعناه صاحب اليد الواحدة، وحفرت المعاناة في وجهه. لكنه أخيراً انسحب إلى الحياة بحب لوثايين وظهرا سوية يمشيا في الغابة مرة أخرى فلم يستعجلا الخروج من ذلك المكان لأنه كان يبدو جميلاً إليهما، وبالحقيقة فإن لوثايين كانت راغبة بالتشرد في البرية دون عودة، فهي تريد نسيان البيت والناس ومجد ممالك الجان. بقي بيرين راضياً لفترة من الوقت، لكنه لا يستطيع أن ينسى قسمة لمدة طويلة لكي يتمكن من العودة إلى مينيغروث، وهل سيحجب لوثايين عن أبيها ثينغول للأبد. لأنه عقد عليها وفقاً لقانون البشر، وهو ما يعتبر خطيراً بالنسبة لهما لأنه احتقار لإرادة الأب. وبدا إليه أنه من غير المستحسن أن تكون واحدة مثل لوثايين وهي فرد من عائلة مالكة، تعيش دائماً حياة التشرد في الغابة، كالمطرودين الوقحين بين أبناء البشر. بدون بيت أو شرف أو الأشياء الجميلة التي تتمتع بها ملكات إيلدالي. لذلك فقد أقنعها بعد فترة بأن تترك تشردها في الأرض بدون بيت، وعبر إلى دورياث. متوجهاً إلى بيت لوثايين، حيث شاء قدرهما.

وقعت أيام شريرة على دورياث. عم الصمت والحزن على كل الناس عندما ضاعت لوثايين، وبحثوا عنها لمدة طويلة لكن دون جدوى، ويقال أنه في ذلك الوقت دايرون منشد ثينغول ابتعد عن الأرض، ولم يره أحد بعد ذلك. كان قد عمل موسيقى لترقص عليها لوثايين قبل مجيء بيرين إلى دورياث، فقد أحب لوثايين ووضع كل أفكارها في موسيقاه، وأصبح هو المنشد الأعظم للجان في شرق البحر، حتى أنه قُدم على ماغلور بن فيانور، لكن حبه للوثايين جعله يائساً متشرداً على أرصفة الشواطيء الغربية. فعبر من فوق الجبال وأتى إلى الأرض الوسطى. مرت عصورٌ كثيرة ومازال بجانب المياه المظلمة يندب لوثايين، أجمل كائنٍ حيٍ على الإطلاق.

في ذلك الوقت اتجه ثينغول إلى ميليان التي حجبت نصيحتها عنه. وقالت: ذلك القدر الذي دبرته يجب أن يمشي إلى نهايته المحددة، والآن يجب انتظار مرور الوقت. لكن علم ثينغول بأن لوثايين سافرت بعيداً عن دورياث، وقد جاءته الرسائل من كيليغورم. يقول فيها، بأن فيلاغوند قد مات، وبيرين مات أيضاً، لكن لوثايين في نارغوثروند ويريد كيليغورم الزواج منها. غضب ثينغول وبعث الجواسيس مفكراً بشن الحرب على نارغوثروند، لكنه علم بأن لوثايين هربت ثانيةً. وطُرد كيليغورم وكوروفين من نارغوثروند. وتحيّر رأيه، لأنه لم تكن لديه القوة الكافية لمهاجمة أبناء فيانور السبعة. لذلك أرسل الرسل إلى هيمرينغ يطلب مساعدتهم في البحث عن لوثايين. لكون كيليغورم لم يرسلها إلى بيت أبيها، ولم يستطع الحفاظ عليها بأمان.

أمّا في الشمال من مملكته فقد اجتمع رسله على خطرٍ مفاجئ لم يكن بالحسبان. عبر هجوم مباغت من كارخاروث ذئب أنغباند. ففي جنونه بدأ بالدمار من الشمال، ومر على طول تاور نو فوين ونزل على الجانب الشرقي من منابع إيسغالدوين مثل النار المدمرة. ولم يستطع أي شيء منعه فلم يكن جبروت ميليان قادراً على إبقاءه خارج حدود الأرض. فقد قاده مصيره وحملته قوة السيلماريل إلى عذابه هذا. هكذا اقتحم غابة دورياث المحرمة، وهرب الجميع من الخوف مبتعدين. نجا من بين الرسل فقط مابلونغ قائد الحرس الملكي. فقد هرب وأتى إلى ثينغول جالباً له الأخبار المرعبة.

عاد من الغرب في تلك الساعة المظلمة بيرين ولوثايين مستعجلين، وخبر قدومهم سار أمامهما مثل صوت الموسيقى المحمول بالريح إلى البيوت المظلمة حيث يجلس البشر حزانى. ثم وصلوا أخيراً إلى بوابة مينيغروث، وتبعهم خلق كثير، أخذ بيرين لوثايين إلى أمام عرش

أبيها ثينغول، نظر الملك بتعجب إلى بيرين، فقد كان يعتقد أنه ميت، لكنه لم يحبه، بسبب المشاكل التي جلبها على دورياث، لكن بيرين انحنى أمامه وقال: أعود طبقاً لكلمتي، وآتي مطالباً بمكسبي.

فأجابه ثينغول ما هو مسعاك وما هو قسمك؟

أجابه بيرين: لقد أنجزته وحتى الآن السيلماريل في يدي.

عندها قال ثينغول: أرني إياه !

فرفع بيرين يده اليسرى وفتح أصابعه ببطء، لكنها كانت فارغة. ثم رفع ذراعه الأيمن، ومنذ تلك الساعة سمي كاملوست أي فارغ اليدين.

راق مزاج ثينغول ولان فأجلس بيرين عن يساره على العرش ولوثايين عن يمينه، وأخبراه بكل القصة في مسعاهما، بينما كان كل المستمعين مذهولين، فقد بدا بيرين إلى ثينغول بأنه يختلف عن كل البشر الفانيين، وكل عظماء أردا. ومحبته للوثايين غريبة وجديده. فهي القدر الذي لا يمكن لأي قوة في العالم أن تقاومه. لذلك استسلم أخيراً لإرادتيهما. واستلم بيرين يد لوثايين من أمام عرش أبيها.

وقع الظل على بهجة دورياث بعودة لوثايين الجميلة، لعلمهم بقصة جنون كارخاروث فقد ازداد خوف الناس، لإدراكهم بأن قوته كانت مشحونةً بقوة مخيفة بسبب الجوهرة المقدسة، ومن الصعب القضاء عليه. سمع بيرين عن هجوم الذئب، وفهم بأن مسعاه لم ينجز بعد.

ومنذ اليوم الذي اقترب فيه كارخاروث أكثر من مينيغروث، وهم مستعدون لصيد الذئب. من بين كل مخاطر صيد الوحوش كان هو الأكثر والأشد خطورةً. وإلى ذلك الصيد ذهب كلٌ من هوان كلب صيد ڤالينور. ومابلونغ اليد الثقيلة. وبيليغ القوس القوية. وبيرين إيرخاميون. وثينغول ملك دورياث. فلقد ركبوا في الصباح الباكر وعبروا من فوق نهر إيسغالدوين. لكن لوثايين بقيت خلف أبواب مينيغروث. ونزل عليها ظلٌ أسود فبدا إليها لكأنما الشمس مرضت واسودت.

استدار الصيادون شرقاً وشمالاً وبعد عبورهم مجرى النهر وصلوا أخيراً إلى الذئب كارخاروث، حيث كان في الوادي المظلم. أسفل الجانب الشمالي في المكان الذي يسقط فيه إيسغالدوين إلى سيل ينتهي بالانهيارات الحادة، وفي أسفل الانهيارات كان كارخاروث يشرب ليخفف من العطش الذي أنهكه، وراح يعوي. كانوا مدركين له أمّا هو فكان يراقب نظراتهم ولم يندفع لمهاجمتهم بسرعة. قد يكون ذلك من حيّل شيطان قلبه الذي

صحا. أو من حلاوة مياه إيسغالدوين التي خففت ألمه، لكن عندما هاجموه تنحى جانباً إلى أجمةٍ عميقةٍ واختفى فيها. أخذوا حذرهم من ذلك المكان وانتظروه طويلاً، فلم يخرج وطالت الظلال في الغابة.

وقف بيرين بجانب ثينغول، وأدركوا فجأة بأن هوان لم يكن بجانبهم. فجأةً علا نباحٌ عظيمْ ارتفع من الأجمة، فقد نفذ صبر هوان في انتظار الذئب، لذلك دخل لوحده لإخراجه من هناك. لكن كارخاروث تحاشاه، وقفز على ثينغول بسرعة ككتلة من الأشواك، وبسرعة شديدة قفز بيرين من أمامه وأبعده عن ثينغول برمحٍ كان في يده، لكن كارخاروث دفعه وأوقعه أرضاً وعضه بصدره. عندها قفز هوان من الأجمة على الذئب من الخلف وسقطا سوية يتقاتلا بشكل عنيف. بمعركة لا تشبهها أي معركة أخرى بين ذئب وكلب صيد. فقد سُمع في نباح هوان صوت أبواق أورومي وغضب الڤالار، وفي عواء كارخاروث كان حقد مورغوث أقسى من الأسنان الفولاذية. فتمزقت الصخور من الصخب وسقطت مختنقةً في إيسغالدوين. هناك تقاتلا حتى الموت، لكن ثينغول لم يعط لذلك أي انتباه لأنه كان راكعاً أمام بيرين. الذي تأذى كثيراً من عضّة الذئب.

قضى هوان على كارخاروث في تلك الساعة. وهناك في نسيج غابة دورياث كانت قصة موته الطويل المعروفة قد أُنجزت فقد أصيب بجروحٍ قاتلة ودخل إليه سم مورغوث، عندها سقط بجانب بيرين ونطق للمرة الثالثة بالكلام. مودعاً بيرين قبل أن يموت، وبيرين لم يتكلم، لكنه وضع يده على رأس كلب الصيد حتى افترقا.

أسرع مابلونغ وبيليغ لمساعدة الملك لكن عندما رأوا ما حدث وضعوا رماحهم جانباً وبكوا. ثم أخذ مابلونغ السكين ومزق بطن الذئب. وضمن بطنه كان كل شيء كمن أكلته النار، إلا يد بيرين التي حملت الجوهرة فقد بقيت على حالها. لكن عندما أراد مابلونغ لمسها فقد كانت يد لا أكثر، والسيلماريل ملقاةً هناك مكشوفة والضوء المنبعث منها ملأ ظلال الغابة من حولهم، أخذها مابلونغ بسرعة وبخوف ووضعها في يد بيرين الحيه، تحرك بيرين عندما لمس السيلماريل. ورفعه عالياً، وعرضه على ثينغول ليسلمه إياه وقال له: الآن أنجزت مسعاي تماماً، وموتي المقدر حصل ولم يتكلم بعدها.

حملوا بيرين كاملوست بن باراهير على نعشٍ من فروع الأشجار، وجثة هوان كلب الصيد بجانبه. حلّ الليل قبل أن يصلوا إلى مينيغروث، قابلتهم لوثايين يسيرون ببطء وبعض الضوء بجانب التابوت عند هيريلورن الزان العظيم. هناك وضعت ذراعيها حول بيرين وقبلته

وطلبت منه أن ينتظرها وراء البحر الغربي. فنظر في عينيها قبل أن تغادره الروح، وخفت ضوء النجوم وسقطت العتمة على لوثايين تينوڤيل، وهكذا انتهى السعي إلى السيلماريل. لكن (لاي أوف ليثيان) التحرر من العبودية لم ينتهي بعد.

لأن روح بيرين غير راغبة بترك هذا العالم فقد تأخرت في العرض أمام قاعات ماندوز حتى جاءت إليها لوثايين لتقول لها في وداعها الأخير، على الشواطئ القاتمة للبحر المحيط. من حيث أن البشر كلهم يموتون بغير رجعة. حتى هربت روح لوثايين وفي النهاية نزلت إلى الظلام، أما جسدها فقد تمدد مثل الزهرة التي قُطفت للتو وأُلقيت لفترة على العشب غير ذابله.

أتى شتاء العمر على ثينغول كما يأتي الشيب على البشر الفانيين، لكن لوثايين جاءت إلى قاعات ماندوز إلى الأماكن المخصصة لإيلدالي، على حدود العالم خلف قصور الغرب. هنالك يجلس المنتظرون في ظلال فكرهم، وهناك كان جمالها أكثر من جمالهم وحزنها أعمق من حزنهم. فانسحبت وسجدت أمام ماندوز وغنت له.

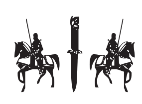
كانت الأغنية التي غنتها لوثايين أمام ماندوز، هي الأغنية الأجمل على الاطلاق من بين كل الأغاني المنسوجة بالكلمات، والأكثر حزناً، والتي لن يسمع العالم مثلها من قبل، وبقيت خالدةً، بدون تغيير، ومازالت تغنى خلف أسماع العالم في ڤالينور. سمعها الڤالار فحزنوا، لأن لوثايين نسجت كلماتها من موضوعين معاً. حزن إيلدار وحزن البشر. من فترة قربهم من إلوڤاتار إلى فترة سكنهم في أردا. مملكة الأرض وسط النجوم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى. وبسجودها أمام ماندوز فقد سقطت دموعها على أقدامه كما تسقط الأمطار على الحجارة فتحركت شفقته، والتي لم يعرفها من قبل منذ أن وجد.

لذلك استدعى بيرين، وكما تكلمت معه لوثايين في ساعة موته فقد اجتمعوا ثانيةً وراء البحر الغربي، لكن ماندوز لم تكن لديه قوة حجب أرواح البشر الذين ماتوا ضمن حدود العالم، بعد أن يأتي وقتهم. ولا يمكنه أن يغير مصير أبناء إلوڤاتار، لذلك ذهب إلى مانوي سيد الڤالار الذي يحكم العالم تحت يد إلوڤاتار وأراد استشارة فكره العميق. في كشف إرادة إلوڤاتار في هذه المسألة.

وضع ماندوز أمام لوثايين خيارين بسبب عملها وحزنها، الأول: إما أن تخرج من عند ماندوز وتذهب إلى ڤاليمار، لتسكن هناك بين الڤالار حتى نهاية العالم. حتى تنسى كل حزن كانت قد عرفته في حياتها. وإلى هناك لا يمكن لبيرين أن يأتي، فلم يكن مسموحاً

للڤالار بأن يمنعوا الموت عنه. فالموت هدية إلوڤاتار إلى البشر. أمّا الخيار الثاني فهو بأنها قد تعود إلى الأرض الوسطى وتأخذ معها بيرين لتسكن هناك ثانيةً، لكن بدون يقين الحياة وبهجتها، وبالتالي تصبح هي هالكة أيضاً. وتعود إلى الأرض خاضعةً للموت الثاني، مثله هو، قبل أن تغادر العالم إلى الأبد، ويصبح جمالها مجرد ذكرى في أغنية.

اختارت لوثايين التخلي عن العالم المبارك، وأن تضع جانباً كل ادعاءات القرابة مع أولئك الذين يسكنون هناك. مهما كان الحزن الذي سيلقى عليها. وهكذا ارتبط مصيرها بمصير بيرين. ليسيرا سوية خلف حدود العالم. فهي الوحيدة من إيلدالي التي ماتت بالفعل، وتركت العالم منذ عهد بعيد، لكن باختيارها، وبهذا العمل فقد ضمت قبيلتين إلى بعضهما. فهي متقدمة بالمنزلة على كثيرين من إيلدالي من الذين مازالوا يُرَون لحد الآن. وقد تغير كل فكر العالم تَشبُهاً بلوثايين المحبوبة التي فقدوها.



## الفصل العشرين

# المعركة الخامسة: نيرنايث أرنويدياد

يقال بأن بيرين ولوثايين عادا إلى السكن في الأراضي الشمالية من الأرض الوسطى، وعاشا معاً حياةً بشرية كرجل وامرأة، فاتخذا ثانيةً الأشكال التي كانا عليها في دورياث. تلك الأشكال التي رأوا فيها الحزن والفرح والخوف معاً. ذهبت لوثايين إلى مينيغروث وبلمسة من يدها أزاحت الهم والهرم عن قلب أبيها ثينغول. لكن ميليان نظرت في عيونها وقرأت الموت المكتوب هناك، لكنها استدارت عنها لعلمها بأن الفراق سيحل بينهما للأبد حتى بعد نهاية العالم. لم يكن أي حزن أثقل من حزن المايا ميليان. بعدها خرج بيرين ولوثايين لوحدهما لا يخشيا جوعاً أو عطش وعبرا إلى ما وراء نهر جيليون، إلى أوسيرياند وسكنا في تول غالين، الجزيرة الخضراء، وسط أدورانت. حتى انقطعت كل أخبارهما، وفيما بعد سمى إيلدار تلك البلاد دور فيرن آي غوينار، أرض الموتى الذين عاشوا. وهناك وُلِدَ لهما ديور أرانيل الجميل والذي عرف فيما بعد باسم ديور إيللوخيل. والذي هو ولي عهد ثينغول. لم يتكلم أي بشر هالك مع بيرين ثانيةً ولم يره أحد لا هو ولا لوثايين يتركا العالم، ولا توجد أية إشارة عن مكان دفن أجسادهما.

في تلك الأيام نزع مايذروس بن فيانور الرهبة من قلبه لإدراكه بأن مورغوث لم يكن منيعاً ومحصناً. بسبب أفعال بيرين ولوثايين التي جسدها الناس بالكثير من الأغنيات في كافة أنحاء بيليرياند. على الرغم من أن مورغوث سوف يحطمهم كلهم واحداً تلو الآخر إذا لم يتحدوا ثانيةً، ويكون لهم حلفاً جديداً ومجلساً مشتركاً. فبدأ مشاوراته لرفع حظوظ إيلدار. ودعي ذلك الحلف، اتحاد مايذروس.

لكن بسبب قَسم فيانور والأعمال الشريرة التي نتجت عنه، فلم يحصل مايذروس بالنهاية على المساعدة التي كان يرجوها، مما أدى إلى إحباط جزء من مخططاته. فلقد امتنع أورودريث من الزحف لمساعدة أي شخص من أبناء فيانور بسبب الأفعال الشنيعة لكلٍ

مـن كيليغـورم وكـوروفين. ومـازال جـان نارغوثرونـد واثقـين بـأنهم محميـين في معقلهـم المخفـي. ولم يـأتِ مـن نارغوثرونـد إلا كتيبـة صـغيرة، وهـم أتبـاع غوينـدور بـن غـويلين، فلقـد كـان غوينـدور أمـيراً شـجاعاً جـداً، خـالف إرادة أورودريـث وذهـب مـع جماعتـه إلى حـرب الشـمال، لأنـه حـزن علـى فقـد أخيـه غيلمـير الـذي قتـل في داغـور براغـوللاخ. سـاروا إلى الحـرب تحـت رايات فينغون حاملين شارات بيت فينغولفين، ولم يرجع منهم إلا واحداً.

أمّـا مـن دوريـاث فقـد جـاءت مسـاعدة صـغيرة. لأن مايـذروس وأخوتـه المقيـدين بقَسـمهم، أرسـلوا إلى ثينغـول وذكـروه بكلمـات متغطرسـة بـأن يعيـد لهـم السـيلماريل الـتي هـي مـن حقهـم، أو تكـون العـداوة بينـهم وبـين ثينغـول. نصـحته ميليـان بـأن يسـلمهم إياهـا. لكـن كلمـات أبنـاء فيـانور الفخـورة والمهـددة. أغضـبت ثينغـول، وتفكـيره بمعانـاة لوثـايين ودمـاء بـيرين الـذين كانـا الـثمن لاكتسـاب هـذه الجـوهرة، بصـرف النظـر عـن خبـث كيليغـورم وكـوروفين. وكـان ثينغـول وفي كـل يـوم ينظـر فيـه إلى السـيلماريلس، كانـت تـزداد رغبتـه في الاحتفـاظ بـه للأبـد، ومـن هنـا كانــت قوتــه. لــذلك رفــض مطلــب مايــذروس وأعــاد إليــه الرســل بــالكلام المحتقــر. لم يجــب مايـذروس علـى ذلـك، لأنـه كـان قـد بـدأ بتصـميم إنشـاء تحـالف واتحـاد الجـان، لكـن كيليغـورم وكــوروفين أقســما وعلــى المــلأ بــأن يــذبحا ثينغــول ويســحقا شــعبه، إذا عــادوا منتصــرين مــن الحـرب، ولم يكـن ثينغـول قـد أعـاد الجـوهرة مـن تلقـاء نفسـه. قـام ثينغـول بتحصـين تخـوم مملكتـه ولم يـذهب إلى الحـرب، ولم يخـرج أحـد مـن دوريـاث، إلا مـابلونغ وبيليـغ الـذين لم يكونـا راغبـين في التخلـي عـن حصـة مـن هـذه الأعمـال العظيمـة. فأعطاهمـا ثينغـول إذنـاً بالـذهاب، بشـرط أن لا يخدموا أبناء فيانور. لذلك انضم مابلونغ وبيليغ في المعركة تحت راية فينغون.

لكــن مايــذروس كانــت لديــه المســاعدة مــن نــاوغريم بالســلاح وبالمقــاتلين، فكانــت ورشــات الحـدادة في نـوغرود وبيليغوسـت تعمـل بشـكل مسـتمر في تلـك الأيـام. فقـد اسـتطاع ثانيـةً مـن جمـع كـل أخوتـه والشـعوب الـتي تتـبعهم. أيضـاً جاءتـه مسـاعدة البشـر مـن بـور وأولفـانغ، المنظمـين والمـدربين علـى الحـرب، واسـتدعوا أيضـاً الكثـير مـن أقـاربهم مـن الشـرق. عـلاوة علـى ذلـك فقـد جـاء فينغـون مـن الغـرب، وهـو صـديق مايـذروس الـدائم. وعقـد مجلسـاً في هيمرينـغ. أمّـا في هيثلـوم فكـان نولـدور والبشـر مـن بيـت هـادور مسـتعدين للحـرب. وفي غابـة بريثيـل جمـع هـالمير سـيد شـعب هاليـث رجالـه وبـدأوا بشـحذ فؤوسـهم، لكـن هـالمير مـات قبـل أن تبـدأ الحـرب فاسـتلم ابنـه هالـدير الحكـم مـن بعـده. أيضـاً وصـلت الأخبـار إلى تورغـون في غونـدولين المملكة المخفية.

لكـن مايـذروس عمـل اختبـاراً لقوتـه في المنـاطق القريبـة منـه، قبـل إتمـام خططـه بشـكل كامـل. حيـث قـام بطُـرد الأوركـس مـن منـاطق بيليريانـد الشـمالية، وحـرر دورثونيـون لفـترة مـن الوقـت. لـذلك أخـذ مورغـوث حـذره مـن انتفاضـة إيلـدار وأصـدقاء الجـان، واتخـذ خطـةً لمـواجهتهم، فقـد بعـث بيـنهم بـالكثير مـن الجواسيس والخونـة، وهـذا أكثـر شـيء كـان قـادراً علـى فعلـه الآن، لأن الخونة من البشر والموالين سراً لمورغوث، كانوا متغلغلين في معسكرات أبناء فيانور.
وبالتفصـيل، بعـد أن جمـع مايـذروس كـل القـوة الـتي يمكـن أن يجمعهـا مـن الجـان والبشـر والأقـزام. عـزم علـى مهاجمـة أنغبانـد مـن الشـرق والغـرب، وتعمـدوا الزحـف بالرايـات المنشـورة وبـالقوة المفتوحـة علـى سـهل إنفاوغليـث. لكـن عنـدما كـانوا صـاعدين، كمـا كـان مرجـواً. كانـت جيـوش مورغـوث بالمرصـاد، عنـدها يجـب علـى فينغـون أن يهـاجم عـبر ممـرات هيثلـوم. هكـذا كـان الاتفـاق مـن أجـل أخـذ قـوة مورغـوث بـين فكـي كماشـة أو بـين مطرقـة وسـندان وتفتيتها. والإشارة بينهما على ذلك كانت اشتعال منارة دورثونيون العظيمة.
في صـباح اليـوم المحـدد في منتصـف الصـيف، حيّـت أبـواق إيلـدار شـروق الشـمس. وفي الشـرق رُفعـت رايـة أبنـاء فيـانور، وفي الغـرب رايـة فينغـون الملـك الأعلـى لنولـدور. نظـر فينغـون خـارج جـدران إيثيـل سـيريون، وجيشـهُ مصـطفٌ في الوديـان والغابـات علـى الجانـب الشـرقي مـن إيريـد ويثـرين. وقـد تخفّـوا جيـداً عـن أعـين العـدو، لكنـه عـرف بأنـه كـان عظيمـاً جـداً. فقـد اجتمـع هنـاك نولـدور مـن هيثلـوم، جنبـاً إلى جنـب مـع جـان الفـالاس وجماعـات غوينـدور مـن نارغوثرونـد. وكانـت لديـه قـوة كبـيرة مـن الرجـال. وعلـى ميمنـة الجيش كانـت كـل الشـجاعة مـن هـورين وأخـوه هـور مـن دور لـومين، وانضـم إلـيهم هالـدير مـن بريثيـل ومعـه الكثـير مـن رجـال الغابة.

ثم نظـر فينغـون باتجـاه ثـانغورودريم فـرأى حولهـا غيمـة سـوداء، ثم بعـد ذلـك بـدأ الـدخان الأسـود بالتصـاعد منهـا، فعـرف بـأنهم قـد أثـاروا غضـب مورغـوث. وبأنـه قبـل التحـدي. وقـع ظـلُ الشـك عـل قلـب فينغـون، ونظـر شـرقاً لعلـه يـرى بنظـره الجـني غبـار إنفاوغليـث يتصـاعد تحـت أقـدام جـيش مايـذروس. فهـو لم يعلـم بـأن خطـة مايـذروس قـد عرقلـت، بإحاطتـه بخديعـةٍ مـن شعب أولدور الملعونين. الذين خدعوه بتحذيرات كاذبة عن هجومٍ من أنغباند.
تعالـت صـيحاتٌ حملتهـا ريـحٌ جنوبيـة مـن وادٍ إلى وادي. ورفـع الإنـس والجـان صـوتهم بالبهجـة والأعجوبـة، لأن تورغـون غـير المسـتدعى فـتح معسـكراته مـن غونـدولين، وأتـى بجـيش مـن عشـرة آلاف مقاتـل بالـدروع اللامعـة والسـيوف الطويلـة ورمـاح كأنهـا غابـة لكثرتهـا، وعنـدما

سمع فينغون من بعيد صوت البوق العظيم لأخيه تورغون، ارتفع الظل عن قلبه وصاح بصوتٍ عالي. *أوتوليين آووري ! أيـاا إلـدالي آر أتاناتـاري ، أوتوليين آووري !* أي، لقد حان الوقت ! انظر شعب إيلدالي وآباء البشر، لقد حان الوقت ! وكل مَن سمع صدى صوته العظيم يتردد في التلال أجابوه بالصراخ *آوتا آي لومي* ! أي ذهب الليل.

والآن مورغوث الذي كان يعلم معظم خطط أعداءه، فقد اختار ساعته، وهو يثق بأعوانه الغادرين لمنع مايذروس وصد اتحاد خصومه، لذلك بعث بقوة تبدو كبيرة ،(ولكن لم يظهر منها إلا جزء بسيط على أهبة الاستعداد لحد الآن) نحو هيثلوم. وكانوا ملتفين بأردية قاتمة، لم تظهر أجسامهم الصلبة. وبالتالي أصبحت بعيدةً بالفعل على رمال إنفاوغليث قبل أن تُظهر أسلوبها.

ازدادت حرارة قلوب نولدور. وتمنى القادة منهم بدء الهجوم على خصمهم في السهل، لكن كان رأي هورين مخالفاً لأنه كان يعتقد أن بالأمر مكر وخدعة من مورغوث. لأن قوته بالحقيقة أقوى مما تبدو عليه. وهدفه الحقيقي غير الذي يكشفه لنا. ومع أن الإشارة لم تأتِ بعد من مايذروس. فازداد نفاذ صبر الجيش. لذلك نبههم هورين إلى التحلي بالصبر وانتظار الإشارة. وليتركوا الأوركس يكسرون أنفسهم بالهجوم على التلال.

لكن قائد جند مورغوث في الغرب كان قد أمر بإخراج فينغون بسرعة من تلاله مهما كان الثمن. ولهذه الغاية سار حتى أصبحت مقدمة موقعه مرتفعة أمام مجرى سيريون، من أسوار قلعة إيثيل سيريون إلى تدفق ريفيل في مستنقع سيريخ. وكان باستطاعة المواقع الأمامية لفينغون رؤية عيون أعدائهم، لكن لم يستجب أحد إلى هذا التحدي، وتلعثمت سخرية الأوركس عندما نظروا على الجدران الصامتة والتهديد الخفي من التلال. ثم أرسل قائد جند مورغوث بخيالة يحملون شارات التفاوض، فركبوا إلى ما قبل متاريس باراد إيثيل، وأحضروا معهم غيلمير بن غويلين، ذلك السيد من نارغوثروند الذي أسروه في براغوللاخ. وكانوا قد فقأوا عينيه، ثم قام رسل أنغباند برفعه للأعلى وصرخوا قائلين: لدينا الكثير مثل هذا في البيت، لكنكم يجب أن تسرعوا إذا كنتم تريدون إيجادهم. لأننا سنتعامل معهم هكذا عند عودتنا، ثم قطعوا أقدام وأيدي غيلمير وأخيراً قطعوا رأسه على مرأى من الجان، وتركوا جثته ملقاةً على الأرض ورحلوا.

وللصدفة التعيسة. كان غويندور أخو غيلمير يقف في ذلك المكان خلف المتاريس من نارغوثروند، فجنَّ جنونه من الغضب، وقفز على ظهر جواده ورافقه عدد من الفرسان.

حتى لحقوا بالرسل وقضوا عليهم. ثم تابع هجومه إلى عمق الجيش الرئيسي. وشاهد ذلك كل جيش نولدور فاشتعلوا من الغضب. ثم وضع فينغون على رأسه خوذته البيضاء ورنت أصوات أبواقه، وقفز كل جند هيثلوم خارجين من التلال بانقضاضٍ مفاجئ، كان الضوء المرسوم من بريق سيوف نولدور يلمع مثل النار في حقل القصب. هكذا كانت سريعة وفظيعة بدايتهم التي أضاعت غالبية مخططات مورغوث. وقبل أن يعزز الجيش الذي أُرسله إلى الغرب كانوا قد اكتسحوه أيضاً، مرت رايات فينغون فوق إنفاوغليث ورُفعت أمام أسوار أنغباند. وكان غويندور وجان نارغوثروند في طليعة المقاتلين دائماً. فلم يستطع أحدٌ من إيقافهم حتى الآن. فما كان منهم إلا الإندفاع من خلال الأبواب وقضوا تماماً على كلّ الحراس المتواجدين على أدراج أنغباند. ارتعد مورغوث على عرشه العميق عندما سمع صوت ضرباتهم على أبوابه. لكنهم حوصروا هناك وذُبحوا جميعاً إلا غويندور فقد أخذوه حياً. لم يكن باستطاعة فينغون مساعدتهم. لأن مورغوث شنّ هجوماً معاكساً بواسطة جيشه الرئيسي الذي أبقاه منتظراً وعلى أهبة الاستعداد عبر أبواب ثانغورودريم السرية الكثيرة، فضربوا جيش فينغون من الخلف، وكانت خسائر فينغون التي تلقاها من الهجوم المعاكس الذي أتاه عبر الأسوار كبيرةٌ جداً.

وفي اليوم الرابع للحرب، وعلى سهل إنفاوغليث بدأت نيرنايث أرنوي دياد، الدموع غير المحصية، فلا أغنية ولا قصة يمكنها احتواء كل ذلك الحزن. تراجع جيش فينغون عن الرمال، وذُبح هالدير سيد هالادين الذي كان في حامية الجيش في المؤخرة وسقط معه غالبية رجال بريثيل، ولم يرجع بهم إلى الغابة أبداً. أما في اليوم الخامس ومع حلول الليل لكنهم لا يزالوا بعيدين عن إيريد ويثرين. هناك أحاطت جموع الأوركس بجند هيثلوم واستمر القتال طوال الليل، ضغط عليهم الأوركس كثيراً حتى جاء الصباح بالأمل، عندما سمعت أصوات أبواق تورغون تهدر وقد زحف بجيش غوندولين الرئيسي الذي كان متمركزاً لحراسة معابر سيريون، منع تورغون غالبية الجيش من التهور والطيش في الهجوم، وأسرع لنجدة أخيه، فقد كان غوندوليندريم أقوياء تغطيهم الدروع اللامعة، ومسير صفوفهم تحت أشعة الشمس كان يلمع كنهرٍ من الفولاذ.

اخترقت كتيبة الحرس الملكي صفوف الأوركس، وقطع تورغون طريقة إلى جانب أخيه. وقيل بأنه هناك التقى تورغون مع هورين الذي وقف بجانب فينغون، فحدث السرور وسط المعركة وتجدد الأمل في قلوب الجان وفي ذلك الوقت بالتحديد، في الساعة الثالثة من

الصباح دوَّت أبواق مايذروس أخيراً صاعدةً من الشرق، وهاجمت ألوية أبناء فيانور مؤخرة العدو. قال البعض بأن الغلبة كانت لإلدار في ذلك اليوم. لأن كل الجنود أثبتوا عن إخلاصهم في المعركة، ولأن الأوركس كانوا مترنحين مع أن الهجوم كان قد هدأ، وبعضهم كان يتجه إلى الهرب. لكن عندما وقعت طليعة جيش مايذروس على الأوركس، أطلق مورغوث قوته الأخيرة، وقد أفرغ أنغباند نهائياً، فقد بعث الذئاب وراكبي الذئاب، وجاء معهم إلى هناك بالروغز وغلاورونغ أبو التنانين. وفي الحقيقة كانت قوة ورعب الدودة العظيمة كبيرٌ جداً. ذبلت قوة الإنس والجان أمام هذه القوى العاتية، وفصلوا بين جيشي مايذروس وفَيْنْغوُنْ واكتسحوا كل جيشٍ على انفراد.

رغم كل ذلك لا بالذئاب ولا من بالروغ ولا بالتنين، أنجز مورغوث انتصاره، إنما بسبب خيانات بعض البشر، فقد انكشفت في تلك الساعة خدعة أولفانغ وتحول الكثيرين من إيستيرلينغز وهروبهم من المعركة. فقلوبهم مملوءة بالخوف والأكاذيب. لكن أبناء أولفانغ ذهبوا مباشرةً إلى مورغوث وضربوا مؤخرة جيش أبناء فيانور، وضمن هذا الارتباك الحاصل فقد اقتربوا من راية مايذروس. ولم يحصلوا على المكافأة التي وعدهم بها مورغوث، لأن ماغلور ذبح أولدور اللعين زعيم الخونة. وذَبح أبناء بور قبل أن يقتلا كل من أولفاست وأولوارث. جاءت الآن قوةٌ من البشر الأشرار التي كان قد استدعاها أولدور، وأبقاها مخبأةً في التلال الشرقية. هوجم جيش مايذروس من ثلاثة اتجاهات، فانكسر وتبعثر، وبهذه الطريقة تلاشى واندحر. رغم ذلك فقد حمى القدر أبناء فيانور، فلم يجرح أو يقتل أحدٌ منهم، لأنهم انسحبوا معاً بعد أن جمعوا البقية من نولدور وناوغريم حولهم، وخرجوا من المعركة، هاربين بعيداً نحو جبل دولميد في الشرق.

القوة الأخيرة التي بقيت صامدة في الشرق كانت أقزام بيليغوست، وبهذا كسبوا الصيت والشرف، لأن ناوغريم قاوم النار بجرأة أكثر من الإنس والجان. وكان من عاداتهم، أن يلبسوا في المعارك أقنعةً كبيرة وقبيحة المنظر، وهذا ما جعلهم يصمدون أمام التنانين، وحولهم ذبل غلاورونغ وذريته الذين كانوا قد تركوا نولدور. قام ناوغريم بصنع دائرة من مقاتليهم عندما هاجمهم غلاورونغ، فلم تحميه درعه كثيراً من ضربات فؤوسهم العظيمة، وفي حمي غضبه استدار غلاورونغ وقتل أزاغال سيد بيليغوست. وأراد أن يدب عليه، لكن بضربته الأخيرة قبل أن يموت قطع أزاغال بسيفه جلد التنين ودخل النصل إلى بطنه وجرحه عميقاً، فرّ غلاورونغ من الميدان، وتبعته وحوش أنغباند من الفزع. بعدها رفع الأقزام جسد

أزاغال وحملوه بعيداً وساروا خلف جثمانه بخطواتٍ بطيئة مرددين لحنا جنائزياً بالأصوات العميقة. وصنعوا له حفلاً تأبينياً مهيباً في بلادهم، ولم يعطوا أي اهتمام لخصومهم، ولم يتجاسر أحداً عليهم.

لكن في المعركة الغربية فقد هوجم فينغون وتورغون بموجة من الأعداء أكبر بثلاثة أضعاف من القوة المتبقية معهم. فقد أتى غوثموغ، سيد البالروغز، القائد الأعلى في أنغباند، واقتحم الصفوف بين جيوش الجان المحيطة بالملك فينغون، ودحر تورغون وهورين نحو مستنقع سيريخ، ثم استدار نحو فينغون وهاجمه وكان لقاءاً شرساً، أخيراً وقف فينغون وحارسة الذي مات وهو يدافع عنه، وقاتل مع غوثموغ حتى أتى بالروغ آخر ولفه بسياط النار، عندها قطعه غوثموغ بفأسه السوداء، فانطلق لهب أبيض من خوذة فينغون عندما انشقت، وسقط الملك الأعلى لنولدور. لقد هزموه والغبار يعلو صولجانه وداسوا رايته الزرقاء المرصعة بالفضة، وتركوه بمستنقعٍ من الطين المجبول بدمائه.

فُقد الميدان ومازال هورين وهور والمتبقين من بيت هادور ثابتين مع تورغون من غوندولين. ولحد الآن لم يستطع جيش مورغوث السيطرة على معابر سيريون، عندها تكلم هورين مع تورغون قائلاً: اذهب الآن ياسيدي، فما زال لدينا بعض الوقت، لأنه ببقائك حيّاً يعيش آخر أملٍ لإيلدار، وببقاء غوندولين واقفةً، يبقى الخوف باقٍ في قلب مورغوث. فأجابه تورغون: لا يمكن لغوندولين أن تبقى مخفيةً لوقت طويل، وعندما تنكشف سوف تسقط.

فقال له هور: إذا وقفت لفترة قصيرة، فإنه خارج بيتك سيعود الأمل للإنس والجان. أقول لك كلامي هذا يا سيدي ونحن في عيون الموت، مع أننا سنفترق للأبد، ولن يكون باستطاعتي النظر إلى أسوارك البيضاء مجدداً، وسيشرق منك ومني نجم جديد. الوداع.

كان يقف إلى جانب تورغون في تلك اللحظة، مايغلين ابن اخته الذي سمع كل الكلام ولم ينساه لكنه لم يقل شيئاً.

أخذ تورغون بنصيحة هورين وهور واستدعى المتبقين من جند غوندولين وبقية شعب فينغون بقدر ما استطاع أن يجمع وانسحب متراجعا نحو معبر سيريون. وقام قادته ايكثيليون وغلورفينديل بحراسة جناحي الميمنة والميسرة لكي لا يخترقهما العدو. وقام رجال دور لومين بحماية المؤخرة كما تمنى هورين وهور، فلم تكن قلوبهم راغبة بمغادرة الأراضي الشمالية، وإذا لم يستطيعا العودة إلى الوطن فهناك سيصمدان حتى النهاية. هكذا تكون

قد عُوضتْ خيانة أولدور، بكل أعمال الحرب التي قام به أبناء البشر لمصلحة إيلدار. وقد كانت هذه الوقفة الأخيرة لرجال دور لومين مشهورة جداً.

هكذا شقَّ تورغون طريقة جنوباً حتى تراجع تماماً، وتحت حماية هورين وهور عبر سيريون ونجا. ثم اختفى في الجبال المخبأة عن أعين مورغوث. لكن الأخوة سحبوا بقية رجال بيت هادور حولهم حتى وصلوا إلى ما وراء مستنقع سيريخ، وكان جدول ريفيل أمامهم، هناك وقفوا ولم يفسحوا المجال لأحد.

احتشد كل جنود أنغباند ضدهم، وقتلوا منهم خلق كثير حتى امتلأ مجرى النهر من جثث الأوركس فكانت هذه الجثث هي الجسر الذي عبروا عليه، وطوقوا بقية هيثلوم من كل الجهات، كما يطوق الموج الصخرة. هناك عند غروب شمس اليوم السادس، عندما أظلمت ظلال إيريد ويثرين، سقط هور بسهم مسموم أصابه في عينه، وقتل جميع الرجال الشجعان من بيت هادور حوله، فقطع الأوركس الرؤوس وكوموها، وكانت كومة رؤوسهم كتلٍ من ذهب في غروب الشمس.

لم يبقى في ساحة المعركة أخيراً إلا هورين واقفاً لوحده. قام بنزع درعه وأمسك بفأسٍ ذي رأسين وراح يغني، أنه الفأس الذي جعل الدم الأسود للغول حارس غوثموغ يتصاعد كالدخان حتى أفناه. وكلما قتل واحداً منهم كان هورين يصرخ ويقول، *آووري إينتولوفا*، أي سيأتي النهار ثانيةً. سبعين مرة لفظ تلك الصرخة، ولكنهم أخيراً أخذوه حياً طبقاً لأوامر مورغوث. لأن الأوركس اشتبكوا معه بالأيدي وأمسكوه على الرغم من أنه مازال يقطع فيهم بفأسه، لكنهم تكاثروا عليه حتى سقط تحتهم، ثم قيَّده غوثموغ وجرّوه صاغراً إلى أنغباند.

هكذا كانت نهاية نيرنايث أرنوي دياد. مع هبوط الشمس خلف البحر. وسقوط الليل على هيثلوم، وقدوم عاصفة عظيمة من الريح الغربية إلى هناك.

كان نصراً عظيماً لمورغوث وقد حقق مبتغاه في التنفيذ كما في التخطيط. لأن البشر قتلوا بعضهم، وخانوا إيلدار، ونشأ الخوف والكراهية بين أولئك الذين يجب أن يتحدوا ضده، ومنذ ذلك اليوم فقد جافت قلوب الجان كل البشر. باستثناء فقط البيوت الثلاثة من إيداين.

لم تعد مملكة فينغون موجودة. وأبناء فيانور تفرقوا مثل أوراق الشجر التي تبعثرها الريح. تبعثرت أسلحتهم وقوتهم وانكسرت أحلافهم، وأُخذوا إلى حياة الغابة والبرية في سفوح

إيريد لينـدون. مختلطـين مـع الجـان الخضـر في أوسـيرياند، محـرومين مـن قـوتهم ومجـدهم القـديم. وفي بريثيـل سـكن بضـعة مـن هـالادين ولحـد الآن مـا زالـوا يعيشـون بحمايـة الغابـة. وكـان سيدهم هانـدير بـن هالـدير. وإلى هيثلـوم لم يرجـع أحـدٌ أبـداً مـن جنـد فينغـون، ولا أي أحـد من البشر من بيت هادور، ولم تعرف أخبارهم في المعركة ولا مصير ساداتهم.

أرسـل مورغـوث شـعب إيسـتيرلينغز الـذين خـدموه إلى هيثلـوم. ليحـرمهم مـن أراضـي بيليريانـد الغنيـة الـتي طلبوهـا. فحاصـرهم في هيثلـوم مانعـاً عبـورهم منهـا، فهـذه الجـائزة كانـت هـي أكـبر مكافـأة لهـم علـى خيـانتهم لمايـذروس. وقـد أرسـلهم مـن أجـل السـلب وإزعـاج الشـيوخ والنسـاء والأطفـال مـن شـعب هـادور. أمـا البقيـة الباقيـة مـن إيلـدار الـذين كـانوا يسـكنون في هيثلـوم فقـد أُخـذوا إلى منـاجم الشـمال، وعملـوا هنـاك كعبيـد. إلا مَـنْ اسـتطاع مـنهم المراوغـة والهـرب إلى البراري والجبال.

أصـبح الأوركـس والـذئاب يتحركـون بحريـة تامـة في كـل الشـمال، حـتى وصـلوا إلى الجنـوب، وإلى بيليريانــد، ونــان تــاثرين أرض الصفصــاف، وحــدود أوســيرياند، ولم يعــد في الــبراري والحقـول أي مكـان آمـن. فلـم يبـق فعـلاً إلّا دوريـات، أمـا قاعـات نارغوثرونـد فقـد كانـت مخفيـة. لكـن مورغـوث لم يعـرهم الكثـير مـن الاهتمـام، إمـا لأنـه لا يعـرف الكثـير عـنهم. أو أن سـاعتهم لم تحـن بعـد في أعمـاق حقـده. كثـيرون هربـوا إلى المرافـئ واتخـذوا لهـم مـأوىً خلـف أسـوار كـيردان. أمـا الملاحـون فقـد نزلـوا إلى الشـواطئ، حيـث كـانوا يناوشـون العـدو بغـزوات سـريعة ومفاجئـة. لكـن قبـل مجـيء الشـتاء في السـنة التاليـة، أرسـل مورغـوث قـوة عظيمـة إلى هيثلـوم ونيفراسـت، وصـلت هـذه القـوة ونزلـت إلى أنهـار بريثـون ونينينـغ، فـدمرها جـان الفـالاس كلهـا. وحاصـروا أسـوار بريثومبـار وإيغلاريسـت، وجلبـوا معهـم الحـدادين وعمـال المنـاجم وصـناع النـار. وبـدأوا بصـناعة المحركـات العظيمـة. وقـاوموا بكـل شـجاعة لكـن في النهايـة انهـارت أسـوارهم وخـرب كـل شـيء إلا المرافـئ. دمـر بـرج بـاراد نيمـراس. وأكثـر أقسـام شـعب كـيردان كـان مقتـولاً أو مسـتعبداً. لكـن الـبعض هـرب وسـافر خارجـاً بالسـفن عـبر البحـر، وكـان بيـنهم إيرينيـون غيـل غـالاد بـن فينغـون الـذي أرسـله أبـوه إلى المرافـئ بعـد داغـور براغـوللاخ. أمّـا البقيـة فقـد أبحـرت جنوبـاً مـع كـيردان إلى جزيـرة بـالار وجعلوهـا مـأوىً لكـل مـن يـأتي إلى هنـاك، لأنهـم أبقـوا لهـم مـوطئ قـدم في مصـبات سـيريون. فهنـاك يمكـن للكثـير مـن السـفن السـريعة المضـاءة الاختبـاء في الروافـد والميـاه حيـث كانـت حقـول القصـب كثيفـة كالغابة.

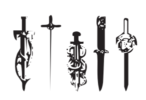
وعندما سمع تورغون عن هذا، أرسل رُسله إلى منابع سيريون. وطلب مساعدة كيردان في بناء السفن. بنى كيردان لتورغون سبع سفن سريعة. أبحرت هذه السفن باتجاه الغرب لكن لم تعد أخبار منهم إلى بالار أبداً. نجت سفينة واحدة بعد أن دخلت العاصفة وكابد ملاحوها الكثير من المشقات والتعب طويلاً لكن أخيراً أخفقوا بيأس في العاصفة على مرمى البصر من الأرض الوسطى. وكان أولمو قد أنقذ أحد ملاحيها من غضب أوسي، إذ حمله بالموج ورماه على اليابسة في نيڤراست وكان اسمه ڤورونوي. وهو أحد الرسل الذين بعثهم تورغون من غوندولين.

أصبح كلُّ تفكير مورغوث منصبّاً الآن على تورغون، لأن تورغون هو الوحيد الذي نجا منه ومن شروره، فهو خصم مزعج لأنه كان من أوائل الراغبين في تحطيم مورغوث. وهذا التفكير أقلقه وأفسد عليه فرحة النصر. فتورغون هو ابن البيت الهائل، بيت فينغولفين الذي كان بحق ملك كل نولدور، وكان مورغوث يخاف ويكره بيت فينغولفين لأنهم أصدقاء أولمو خصمه اللدود، وأيضاً بسبب الجروح التي أحدثها فيه سيف فينغولفين. والأهم من كل ذلك هو أن جمهور مورغوث وأعوانه، كانوا يخشون تورغون. لأنه منذ القدم في ڤالينور قد أضاءت عين تورغون على مورغوث، وكلما كان يقترب تورغون منه كان يسقط الظل على روح مورغوث. وهذا نذير شؤم لمورغوث بأنه في الفترة التي لا تزال فيها مملكة تورغون مخفية، فإن الخراب سيأتي لعالم مورغوث.

لذلك فقد أُحضر هورين ووُضع أمام مورغوث. لأن مورغوث علم برابطة المودة والصداقة بينه وبين تورغون ملك غوندولين، لكن هورين سخر من مورغوث وتحداه. لذلك قام مورغوث بلعن هورين وزوجته موروين وكل ذريتهم، وقرر لهم عذاباً من الظلام والحزن. فأخذ هورين من السجن ووضعه على كرسي من الحجارة في أعلى مكانٍ في ثانغورودريم. هنالك رُبط بقوة مورغوث. وقف مورغوث بجانبه ولعنه مرةً ثانية. وقال له: اجلس هناك وراقب الأراضي ولاحظ الشر واليأس اللذان سيقعان على من أحببت. لأنك تجرأت على السخريةَ مني، وشككت بقدرات ميلكور سيد أقدار أردا. لذلك فسوف ترى بعينيّ وتسمع بأُذنيّ. ولن تتحرك خطوة من هذا المكان حتى يتم كل شيء إلى نهاياته المريرة.

رغم ذلك يقال بأن هورين لم يطلب من مورغوث الرحمة أو الموت لا لنفسه ولا لأي شخصٍ من أقاربه.

وطبقاً لأوامر مورغوث قام الأوركس بتجميع كل أجساد الذين سقطوا في المعركة العظيمة هم وأسلحتهم وعتادهم الحربي. وكوموهم في كومة عظيمة وسط سهل إنفاوغليث. وكانت تبدو من بعيد وكأنها تل، وسموه هاوذ آين ندينغين. أي تل القتلى. لكن الجان سموه، هاوذ آين نيرنايث. أي تل الدموع. كان هذا التل هو المنطقة الوحيده في كل صحراء مورغوث الذي نمت عليه الأعشاب الخضراء الطويلة. ولم يتجرأ فيما بعد أحد مخلوقات مورغوث من أن يدوس على تلك الأرض المدفون تحتها بقايا صدأ سيوف إيلدار وإيداين.



# الفصل الحادي والعشرين

## تورين تورامبار

رِيان بنت بيليغوند كانت زوجة هور بن غالدور، وكانت قد تزوجت منه قبل شهر من ذهابه مع أخيه هورين إلى نيرنايث أرنوي دياد. وعندما لم تأتها أخبارٌ عن سيدها هربت إلى البرية، فساعدها هناك الجان الرماديون من ميثريم، ولما ولدت ابنها تور فقد رباه الجان الرماديون، ثم غادرت رِيان هيثلوم إلى تلة هاوذ آين ندينغين وألقت نفسها عن التل وماتت.

موروين بنت باراغوند. كانت زوجة هورين سيد دور لومين، وكان ابنهم تورين قد ولد في تلك السنة نفسها التي التقى فيها بيرين إيرخاميون مع لوثايين في غابة نيلدوريث. وكانت لديهم بنت تدعى لالايث، أي الضاحكة، كانت محبوبة من قبل أخوها تورين. لكنها ماتت عندما كان عمرها ثلاث سنوات من الوباء الذي أتى على هيثلوم على إثر الريح التي خرجت من أنغباند.

بقيت موروين بعد نيرنايث أرنوي دياد في دور لومين، وكان تورين بعمر حوالي ثماني سنوات، وفي بداية السنة رزقت مورين ثانيةً بطفلة، وأطلقت عليها اسم نيانور، أي الحزينة. بنت هورين. وكانت تلك أيامٌ شريرة، فقد جاء شعب إيستيرلينغز إلى هيثلوم وأذلوا من بقي فيها من شعب هادور وقاموا باضطهادهم، وسلبوهم أراضيهم وأمتعتهم واستعبدوا أبناءهم. لكنهم لم يتجرؤوا على سيدة دور لومين الجميلة، أو على أحدٍ من أفراد عائلتها. بسبب الإشاعة المنتشرة عن موروين، بأنها خطرة وماهرة في السحر ومتحالفةً مع الجان. على الرغم من أنها أصبحت فقيرة وجائعة ولم يساعدها أحد. إلا تلك المساعدات التي كانت تقدمها لها قريبة تورين والتي تدعى آيرين زوجة برودا وهو من شعب إيستيرلينغ. وقد اتخذ آيرين زوجة له بالقوة رغماً عنها. أما موروين فقد خافت كثيراً على ابنها تورين بأن يأخذوه ويستعبدوه لذا أرسلته سراً إلى الملك ثينغول لكي يأويه، لأن بيرين بن باراهير كان

مـن أقربـاء أبيهـا. وأيضـاً لأن ثينغـول كـان صـديق هـورين قبـل وقـوع الشـر. لـذا ففـي خريـف عـام الرثـاء أرسـلت ابنهـا تـورين عـبر الجبـال مـع اثنـين مـن خـدمهم القـدامى. لعلهـم يجـدون مـدخلاً إلى مملكـة دوريـاث، هكـذا نُسـج مصـير تـورين. وقصـته الكاملـة مـذكورة في كتـاب يـدعى 'نـارن إيـي هيـين هـورين' ، أي حكايـة أبنـاء هـورين، وهـي النشـيد الأطـول الـذي يتحـدث عـن تلـك الأيـام. وهنـا نخبرهـا بإيجـاز. لارتباطهـا بمصـير السـيلماريلس وبالجـان. وتدعى قصة الحزن، لأنها مؤلمة وفيها انكشفت أكثر أعمال مورغوث باوغلير الشريرة.

عـبر تـورين ورفاقـه أخطـاراً كثـيرةً حـتى وصـلوا أخـيراً إلى حـدود دوريـاث، وأول مـن وجـدهم هنـاك كـان بيليـغ القـوس القويـة، رئـيس الحـرس الملكـي للملـك ثينغـول والـذي قـادهم إلى مينيغـروث. اسـتلمهم ثينغـول وأخـذ تـورين لكـي يرعـاه في بيتـه تكريمـاً لهـورين الصـامد. لأن مـزاج ثينغـول تبـدل نحـو بيـوت أصـدقاء الجـان. ثم ذهـب الرسـل إلى هيثلـوم في الشـمال لكـي يعرضـوا علـى مـوروين الخـروج مـن دور لـومين والعـودة معهـم إلى دوريـاث. لكنهـا قالـت بأنها لا تريـد مغـادرة المنـزل الـذي سـكنت فيـه مـع هـورين. وعنـدما غادرهـا رُسـل الملـك أرسـلت معهـم خوذة التنين من دور لومين وهي أعظم إرث بيت هادور.

كـبر تـورين في دوريـاث وكـان جمـيلاً قويـاً لكنـه كـان موسـوماً بـالحزن، عـاش في قاعـات ثينغـول لمـدة تسـع سـنوات، ولم يكـن حزنـه يقـل فقـط إلّا عنـدما يـذهب الرسـل إلى هيثلـوم، ويعـودوا بأخبار جيدة عن مورين ونيانور.

بعـد فـترة لم يعـد يرسـل الملـك ثينغـول الرسـل إلى الشـمال، لأن رسـله قتلـوا ذات مـرةٍ بالشـمال، فـازداد خـوف تـورين علـى أمـه وأختـه، وفي كآبتـه وحزنـه ذهـب إلى الملـك وطلـب منـه الـدرع والسـيف. وضـع علـى رأسـه خـوذة التنـين وخـرج للقتـال في معركـة علـى تخـوم دوريـاث. وأصـبح رفيق سلاح مع بيليغ كوثاليون.

بعـد مـرور ثـلاث سـنوات عـاد تـورين ثانيـة إلى مينيغـروث، لكنـه جـاء مـن البريـة، وكـان أشـعث الشـعر، وملابسـه ودرعـه بـالبين. وكـان هنـاك شـخص مـن شـعب نانـدور يسـكن في دوريـاث، ويعمـل بمنصـب كـبير مستشـاري الملـك واسمـه سـايروس. كـان سـايروس هـذا يحسـد تـورين منـذ مـدة طويلـة بسـبب الشـرف الـذي منحـه إيـاه الملـك ورعايتـه لـه. وكـان يجلـس قبالتـه في المجلـس عندما وبخه قائلاً:

إذا كـان رجـال هيثلـوم متوحشـين بهـذا الشـكل وسـقطوا أمـام مورغـوث، فمـا هـو نـوع نسـاء تلـك الأرض، هـل يركضـون في البريـة مثـل الأيائـل عـراة يكسـوهم الشـعر فقـط. فقـام تـورين ومن شدة غضبه برفع كأس الشراب وضرب به سايروس، فجرحه بشكل كبير.

في اليـوم التـالي كمـن سـايروس لتـورين منتظـراً خروجـه مـن مينيغـروث للعـودة إلى المعسـكرات، لكـن تـورين تغلـب عليـه. وجعلـه يـركض أعـزلاً وطـارده كمـا تُطـارد الوحـوش في الـبراري، وأثنـاء هروبـه خائفـاً مـن تـورين سـقط سـايروس في هـوة جـدول وتَكسَّـر جسـمه علـى صـخرة كبـيرة في المـاء. رأى الآخـرون مـاذا حصـل بـين الـرجلين ومـن بيـنهم كـان مـابلونغ. فطلـب مـن تـورين العـودة معـه إلى مينيغـروث والالتـزام بقـرار الملـك. وطلـب العفـو، لكـن تـورين اعتـبر نفسـه مجرمـاً وخـاف مـن أن يسـجنوه، فـرفض عـرض مـابلونغ، وهـرب مبتعـداً بسـرعة شـديدة. عَبَـرَ زنـار ميليـان حـتى وصـل إلى الغابـة الموجـودة غـرب سـيريون. هنـاك انضـم إلى عصـابة مـن الرجـال المشـردين واليائسـين مثلـه. وكمـا يمكـن أن يحـدث في تلـك الأيـام الشـريرة في الغابـة فقـد تحولـت أيديهم على كل من جاء في طريقهم من الإنس والجان والأوركس.

لكـن عنـدما علـم الملـك ثينغـول بكـل الـذي حصـل. عفـا عـن تـورين واعتـبره مظلومـاً، وفي ذلـك الوقـت عـاد بيليـغ القـوس القويـة مـن المعسـكرات الشـمالية إلى مينيغـروث يريـد رؤيـة الملـك. فقـال لـه ثينغـول، أنـا حـزين يـا كوثـاليون، لأنـني أعتـبر ابـن هـورين مثـل ابـني، وسـيبقى كـذلك مـا لم يعـود هـورين مـن الظـل لطلـب ملكـه. ولم يكـن لـدي أي مسـؤولية تجـاه خـروج تـورين إلى البرية وهو مظلوم، وأنا أرحب بعودته لأنني أحب له الخير.

فأجابه بيليغ سأبحث عن تورين حتى أجده، وسأعيده إلى مينيغروث لأنني أنا أحبه أيضاً.

بعـدها غـادر بيليـغ مينيغـروث وعـبر بعيـداً في بيليريانـد، لكنـه عبثـاً سـعى مكابـداً الكثـير مـن الأخطار لكي يخبر تورين بأنه بريء ومظلوم.

اسـتقر تـورين لمـدة طويلـة مـع المجـرمين وأصـبح قائـدهم وسمـى نفسـه نَيثـان، أي المظلـوم. وبحـذر شـديد سـكنوا في الأراضـي المشـجرة جنـوب تيغيلـين. لكـن بعـد بمـرور سـنة علـى هـرب تـورين مـن دوريـاث، عثـر بيليـغ علـى مخبـأهم لـيلاً، وتصـادف ذلـك مـع ذهـاب تـورين لخـارج المخـيم، فـألقوا القـبض علـى بيليـغ وربطـوه وعـاملوه بقسـوة، لأنهـم ظنـوه جاسـوس ملـك دوريـاث. لكـن عنـدما عـاد تـورين ورأى مـا فعلـوه بـه، نـدم علـى الأعمـال الشـريرة والفوضـوية، وحـرر بيليـغ، وجـدد صـداقته معـه، فيمـا بعـد تخلـى تـورين عـن الحـرب والنهـب ضـد الجميـع باسـتثناء خـدم أنغباند.

أخبر بيليغ، تورين بعفو الملك عنه وأراد إقناعه بالعودة إلى دوريات لأنهم بحاجة إلى قوته وبسالته في حماية المعسكرات الشمالية للمملكة. وقال له: لقد وجد الأوركس أخيراً الطريق للخروج من تاور نو فوين. ولقد عملوا طريقاً يمر من أناخ.

فقال له تورين : أنا لا أتذكره.

قال له بيليغ: فعلاً نحن لم نذهب أبداً خارج الحدود، لكنك رأيت قمم كريسايغريم من بعيد. وإلى الشرق منها تقع الأسوار المظلمة لغورغورث، وعبر أناخ يقع بينهما، فوق ينابيع مينديب العاليه، وهو طريق صعب وخطر إلا أن كثيرين يعبرونه الآن. وديمبار الذي اعتاد أن يكون آمناً، سقط الآن تحت اليد السوداء. ورجال بريثيل قلقون، فهم بحاجتنا هناك.

لكن بكبريائه رفض تورين عفو الملك ولم تنفع كلمات بيليغ في تغيير مزاجه، ومن جهته حث بيليغ على البقاء معهم في غرب سيريون، لكن بيليغ قال له بأنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، وقال له كم أنت قاسي وعنيد يا تورين. والآن جاء دوري فإذا تمنيت أن تكون بجانبك قوسٌ قوية فابحث عني في ديمبار، لأنني عائدٌ إلى هناك.

في اليوم التالي خرج بيليغ وذهب معه تورين على بعد رمية قوس من المخيم لكنه لم يقل شيئاً. إذاً هذا وداعٌ يا ابن هورين ؟ قالها بيليغ. عندها نظر تورين إلى الغرب ورأى في البعيد وعلى ارتفاع كبير، آمون روذ، وغير مكترثٍ لما يراه أمامهُ أجاب: لقد قلت لي ابحث عني في ديمبار لكنني أقول لك: ابحث عني على آمون روذ أيضاً. وهذا وداعنا الأخير، ثم افترقا كصديقين حزينين.

عاد بيليغ إلى الكهوف الألف، ووقف أمام ثينغول وميليان وأخبرهما بكل ما حدث معه، إلا المعاملة الشريرة التي لقيها من أصحاب تورين. تنهد ثينغول قائلاً: ماذا يريد مني تورين أن أفعل أكثر من ذلك؟

فقال له بيليغ: دعني أغادر يا سيدي وأنا سأحرسه وأرشده مثلما أرشد نفسي. عندها لا نريد أن يقول أي إنسان، بأن كلام الجان وعهودهم لا قيمة لها. ولا أتمنى رؤية الأشياء العظيمة الرائعة تسير إلى الفناء في البرية.

أذن له ثينغول بالذهاب كما أراد وقال له: يا بيليغ كوثاليون لقد اكتسبت شكري وامتناني لك في الكثير من الأعمال، ولن يكون آخرها إيجاد الابن الذي ربيته، وفي هذا الافتراق اسألني أي مكافئة تريد ولن أنكر عليك شيء.

فقال بيليغ أريد سيفاً قيماً لأنني قد أواجه الأوركس وسيكون قريبين جداً مني، ومثل هذا النصل الذي في يدي غير قادر على اختراق دروعهم السميكة.

فقال له ثينغول: اختر ما شئت إلا أرانروث[1]، فهو لي.

عندها اختار بيليغ سيف اسمه أنغلاخيل[2]، وكان سيف عظيم القيمة، وجاء اسمة من الحديد الذي سقط من السماء كنجم مشتعل، فهو يستطيع شق وقطع كل الحديد المستخرج من الأرض. هناك سيف آخر في الأرض الوسطى يعادل هذا السيف وهو من صنع نفس الحداد ونفس الخامة مع أن ذلك السيف لا يدخل في قصتنا هذه. وذلك الحداد يكون إيول الجنيّ المظلم المقيم في نان إيلموث، زوج أريذيل أخت الملك تورغون. وقد دفع هذا السيف أنغلاخيل للملك ثينغول كرسم لإقامته في نان إيلموث. لكنه احتفظ عنده بنظير هذا السيف وهو أنغويريل. حتى سرقه منه ابنه مايغلين.

لكن عندما أدار ثينغول مقبض أنغلاخيل نحو بيليغ، نظرت ميليان إلى النصل وقالت: هناك حقد في هذا السيف. فمازال القلب الأسود للحداد الذي صنعه يسكن فيه، وهو لن يحب اليد التي تمسكه. لكنه سيبقى معك لمدة طويلة.

فقال بيليغ: مع هذا فأنا سأستخدمه ببراعة إذا صار لي.

قالت له ميليان: الهدية الأخرى ستكون مني لك يا كوثاليون، وتلك ستكون مَعينٌ لك في البرية، لتساعدك وتساعد من تختار معك. فأعطته مخزن من ليمباس وهو خبز الطريق لدى الجان، ملفوفة بأرواق فضية، والخيوط التي ربطتها بها ختمت بعقد خاتم الملكة. وهو عبارة عن رقائق من الشمع الأبيض يشبه شكل زهرة تيلبيريون طبقاً لعادات إيلدالي، فإعطاء الليمباس أو منعه مرتبط فقط بالملكة وحدها. فلم تعمل ميليان بأي عمل ظاهري يؤيد تورين، أعظم من هذه الهدية، ولم يسمح إيلدار لأي إنسان أن يستخدم الليمباس، خبز الطريق، ومن النادر أن يعملها ثانيةً.

---

[1] أرانروث.Aranrúth . هو اسم سيف الملك ثينغول ومعناه غضب الملك. أنقذ من عمليات السلب التي حصلت أثناء انهيار دوريث وأخذته إيلوينغ، وبدورها أعطته لابنها إيلروس، وأصبح فيما بعد هو سيف ملوك نومينور، ويقال أن آر فارازون أخذه معه عندما ذهب إلى أمان، وما يزال هناك في الأقبية المنسية.

[2] أنغلاخيل.Anglachel . هو السيف المصنوع من حديد النيزك الذي سقط من السماء وقد صاغه إيول الجان المظلم، وهو نفس السيف الذي أخذه تورين فيما بعد وأصبح اسمه غورثانغ .Gurthang . النصل الأسود. ويقال بأن إيول كان قد قدمه كرسم للملك ثينغول من أجل إقامته في غابات نان إيلموث عندما أحاطت ميليان دورياث بزنار الحماية. وقد صاغ إيول سيفاً آخر من نفس المعدن وهو سيف أنغويريل.Anguirel .

غادر بيليغ بهذه الهدايا من مينيغروث عائداً إلى المعسكرات الشمالية حيث كان مسكنه هو وأصدقاءه هناك. ثم طردوا الأوركس عن ديمبار، وأنغلاخيل في غمده. لكن عندما أتى الشتاء وهدأت الحرب فجأة تغيب الرفاق عن بيليغ، ولم يعد إليهم بعد ذلك.

بعد أن افترق بيليغ عن تورين والمجرمين الذين معه وعاد إلى دورياث. قاد تورين مجموعته وخرجوا من غرب وادي سيريون، لأنهم تعبوا من حياة الترقب والمطاردة، وأرادوا البحث عن ملجأ أكثر أماناً. وتصادف في ذلك الوقت من المساء أن وقعوا على ثلاثة أقزام. هرب الأقزام من أمامهم وتخلف واحد منهم، فقبضوا عليه وأسروه، وأخذ أحد أعضاء الصحبة سهماً ووضعه في قوسه ورمى نحو القزمين الذين فرا، لكنهما اختفيا في الغسق. كان اسم القزم الذي أسروه ميم، تذرع هذا القزم لتورين بأن يبقيه حيّاً. وعرض عليهم كفدية لحياته، بأن يقودهم إلى قاعاته المخفية. والتي لن يتمكن أحد من إيجادها بدون مساعدته هو. فأشفق عليه تورين وأنقذه وقال له أين بيتك؟

عندها أجاب ميم: أنه في الأعلى فوق التل، يتمدد بيت ميم على التل الكبير المسمى آمون روذ، فقد دعوه بهذا الاسم منذ أن غير الجان كل الأسماء.

صمت تورين ونظر مطولاً إلى القزم وقال له أخيراً: أنت الذي ستأخذنا إلى ذلك المكان.

ذهبوا في اليوم التالي إلى تل آمون روذ يتبعون ميم. يقف ذلك التل على حافة الأراضي البرية، المرتفعة بين وديان سيريون وناروغ. كمرجة خضراء مرفوعة كالتاج على أعلى القمم الحجرية. لكن رأس التل كان رمادياً وعراً، وعارياً من كل شيء إلا من السيريغون[1] الأحمر الذي كان يغطي الحجارة. وعندما صعد رجال تورين واقتربوا أكثر، كانت أشعة الشمس الغاربة تكسر الغيوم وتسقط على التاج. وفي وقتها كان كل السيريغون مُزهراً فقال أحد الصحبة هناك دماءٌ على قمة التل.

قادهم ميم من طرقٍ سريةٍ، فوق سفوح آمون روذ الحاده. وعند مدخل كهفه انحنى القزم لتورين قائلاً: ادخل بار آين دانويذ، بيت الفدية، ينبغي أن يصبح اسمه هكذا لأنني افتديت به نفسي.

دخل عليهم قزمٌ آخر يحمل ضوء بيده، رحب بهم وتحدثوا معه ثم قام مسرعاً ونزل إلى ظلمة الكهف. فتبعه تورين، وبعد مسافة طويلة وصل إلى غرفة مضاءة بالمصابيح الخافتة المعلقة بالسلاسل، هناك وجدوا ميم راكعاً أمام سرير حجري بجانب الجدار. يمزق لحيته

[1] السيريغون. نبات معروف ينبت بين الصخور وتكون أزهاره بلون الدم الأحمر.

وينـوح صـارخاً، مـردداً اسمـاً واحـداً. وعلـى الأريكـة كـان يسـتلقي قـزمٌ ثالـث، فـدخل تـورين ووقـف بجانـب ميـيم وعـرض عليـه المسـاعدة، نظـر ميـيم إليـه وقـال: لـن تسـتطيع مسـاعدتي، لأن هـذا هـو ابـني خيـيم، لقـد مـات بسـهم أطلـق عليـه عنـد غـروب الشـمس. وابـني إيبـون هـو من أخبرني بذلك.

عنـدها دخلـت الشـفقة إلى قلـب تـورين وقـال لمييم: يـا للأسـف. لـيس بإمكاننـا اسـترداد ذلـك السـهم. وحقيقـة فهـذا البيـت هـو بـار آيـن دانويـذ. فلـم آتي مـن أجـل الثـروة، وسـأدفع لـك فدية ابنك ذهباً، كرمزٍ عن الحزن، على الرغم من أن قلبك لن يفرح بذلك كثيراً.

وقـف ميـيم ونظـر مطـولاً إلى تـورين وقـال: سمعتـك. فأنـت تـتكلم مثـل سـادة الأقـزام القـدماء. وأنـا متعجـب مـن هـذا، الآن بـرد قلـبي مـع أنـه غـير مسـرور، وفي هـذا البيـت ستسـكن، إذا أردت، لأنني أنا سأدفع فديتي.

هكـذا بـدأت إقامـة تـورين في بيـت ميـيم المخفـي علـى آمـون روذ. وراح يمشـي علـى العشـب أمـام مـدخل الكهـف، وينظـر شـرقاً وغربـاً وشمـالاً، وبينمـا كـان ينظـر شمـالاً لمـح غابـة بريثيـل الخضـراء تتسـلق حـول آمـون أوبيـل القـابع في وسـطها، فانسـحبت عيونـه إلى ذلـك المكـان ولم يعـرف لمـاذا، لأن قلبـه موجـود بـالأحرى في المنطقـة الشـمالية الغربيـة، حيـث علـى بعـد فراسـخ فـوق فراسـخ بعيـداً علـى مشـارف السـماء يمكنـه أن يلمـح جبـال الظـل، جـدران بيتـه. وفي المسـاء نظـر تـورين إلى الغـرب عنـد هبـوط الشـمس. وكـان طريـق الشـمس الأحمـر النـازل إلى الأسفل يعتم فوق السواحل البعيدة حيث هناك يقع وادي ناروغ عميقاً بين الظلال.

في ذلـك الوقـت تحـدث تـورين مـع ميـيم كثـيراً، وكـان يجلـس معـه لوحـده ويسـتمع إلى علمـه وقصـة حياتـه. لأن ميـيم أتـى مـع الأقـزام في الأيـام الغـابرة مـن مـدن الأقـزام العظيمـة في الشـرق، قبـل عـودة مورغـوث بـزمن طويـل تجولـوا إلى الغـرب مـن بيليريانـد. لكـن بسـبب تنـاقص قيمـة حرفـة الحـدادة، فقـد أخـذ الأقـزام إلى الحيـاة السـرية، والمشـي بأكتـاف محنيـة وخطـوات خفيفـة ومـاكره. وقبـل أن يـأتي أقـزام نـوغرود وبيليغوسـت إلى الغـرب عـبر الجبـال فلـم يكـن يعـرف الجـان مـن هـم هـؤلاء الآخـرون. لـذلك تعقبـوهم وقتلـوهم لكـن بعـد ذلـك تركـوهم وشـأنهم، وأولئـك دُعـوا نويغيـث نيبـين، أي الأقـزام التـافهين. بلغـة سـينداارين. فهـم لم يحبـوا إلا أنفسـهم. وكـانوا يخـافون الأوركـس ويكرهـونهم كثـيراً، ولم يقّـل كـرههم لإيلـدار عـن ذلـك، ومـن إيلـدار كرهـوا أكثـر مـن الجميـع المنفيـون لأنهـم قـالوا بـأن نولـدور قـد سـرق أرضـهم وبيـوتهم، فمنـذ مـدة طويلـة اكتشـف الأقـزام كهـوف نارغوثرونـد قبـل أن يـأتي إليهـا الملـك فينـرود فيلاغونـد مـن البحـر ويبـدأ

الحفـر بواسـطتهم. وتحـت تـاج آمـون روذ، التـل الأقـرع، فقـد ضـجرت الأيـدي البطيئـة للأقـزام التـافهين، وعمقـت الكهـوف الـتي يسـكنوها هنـاك خـلال السـنوات الطويلـة. غـير متـأثرين بالجـان الرمـاديين الـذين يسـكنون الغابـة، لكـن الآن تضـاءلوا كثـيراً، وانـدثروا مـن الأرض الوسـطى. ولم يبقـى مـنهم إلا ميـيم وولديـه. كـان ميـيم كبـيراً بالسـن حـتى في حسـابات الأقـزام. قـديم ومنسـي، حـتى في قاعاتـه فـإن ورشـة الحـدادة كانـت معطلـة، والفـؤوس صـدأه. ولم يـذكر اسمهم إلا في الحكايات القديمة لدورياث ونارغوثروند.

في منتصـف الشـتاء حيـث نـزل الـثلج الثقيـل مـن الشـمال وكـان أكثـر ممـا تعـودت عليـه الوديـان النهريـة وغطّـت الثلـوج آمـون روذ. قيـل بـأن قسـوة شـتاء بيليريانـد كانـت بسـبب ازداد قـوة أنغبانـد، فلـم يتجـرأ علـى الحركـة في الخـارج إلا القليـل مـن المتجاسـرين، وسـقط الـبعض مرضـى والجميـع قرصـهم الجـوع. لكـن في أحـد أيـام ذلـك الشـتاء وفي الغسـق الخافـت ظهـر فجـأة بيـنهم رجـل، ضـخم الجثـة والـبطن، يرتـدي عبـاءةً طويلـةً ذات غطـاء للـرأس وكانـت مغطـاة بـالثلوج. مشـى إلى النـار دون أن ينطـق بحـرف، وعنـدما نهـض الرجـال واقفـين مـن الخـوف، ضـحك وازاح قلنسـوته عـن رأسـه وتحـت عباءتـه العريضـة كـان يحمـل علبـة كبـيرة، وعلـى ضـوء النار نظر إليه تورين ثانيةً فعرفه وإذا هو بيليغ كوثاليون.

هكـذا عـاد بيليـغ مـرة أخـرى إلى تـورين وكـان لقـاءً سـعيداً. وكـان قـد جلـب معـه مـن ديمبـار خـوذة التنـين مـن دور لـومين. فقـد كـان يعتقـد أن باسـتطاعته جعـل تـورين يتخلـى عـن عيشـة التشـرد في البريـة كـزعيم لجماعـة تافهـة، لكنـه اصـطدم بعنـاد تـورين الـذي لم يكـن راغبـاً بـالعودة إلى دوريـاث مجـدداً. فاستسـلم بيليـغ إلى عاطفتـه المحبـة لتـورين، ولـو كـان ذلـك ضـد قناعاتـه وقـرر عـدم المغـادرة والبقـاء إلى جانـب تـورين. وفي ذلـك الوقـت عمـل أشـياء كثـيرة في مصـلحة رفقـة تـورين، فقـد كـان بيـنهم المـريض والمجـروح فأعطـاهم الليمبـاس الـذي منحتـه إيـاه ميليـان فسـاعدهم ذلـك علـى الشـفاء بسـرعة. مـع أن الجـان الرمـاديين كـانوا أقـل معرفـة ومهـارة مـن المنفيـين مـن ڤـالينور، لكـنهم وفي دروب الأرض الوسـطى كـانوا يمتلكـون الحكمـة الـتي كانـت خـارج متنـاول البشـر، ولأن بيليـغ كـان قويـاً وجلـوداً، بعيـد البصـر والبصـيرة، فقـد جـاء لكـي يحمـل الشـرف بـين مجـرمين، لكـن كراهيـة ميـيم للجـني الـذي دخـل إلى بـار آيـن دانويـد ازدادت وتعاظمـت. فجلـس مـع ابنـه ايبـون في الظـل الأعمـق مـن بيتـه، ولم يتكلمـا بشـيء، ولم يهـتم تـورين كثـيراً لأمـر القـزم. لكـن عنـدما انقضـى الشـتاء وجـاء الربيـع كـان لـديهم الكثـير مـن الأعمال الصعبة ليفعلوها.

مـن يعـرف الآن مـاهي آراء مورغـوث؟ ومـن يسـتطيع أن يعلـم إلى أيـن يصـل الفكـر الـذي يمتلكه ميلكـور، فقـد كـان جبـاراً بـين آينـور أثنـاء الأغنيـة العظيمـة. وهـا هـو الآن يجلس كسـيدٍ للظـلام علـى عـرش الظـلام في الشـمال، يـوازن بـين خبثـه والأخبـار الـتي تأتيـه، فيـدرك المقاصـد والأعمـال، حـتى أحكـم الحكمـاء بيـنهم يخـافون منـه، باسـتثناء الملكـة ميليـان؟ وإليهـا في أغلـب الأحيان اتجه تفكير مورغوث وامتد نحوها لكنه دائماً كان يعود محبطاً.

تحركـت قـوة أنغبانـد ثانيـةً، وكأصـابع اليـد الطويلـة الـتي تـتلمس، كـذلك كانـت مقدمـة جيوشـة تتقصـى الطريـق إلى بيليريانـد، جـاؤوا مـن خـلال أنـاخ. وأخـذوا ديمبـار وكـل المعسـكرات الشـمالية لـدورياث. ونزلـوا مـن الطريـق القـديم الـذي يـؤدي إلى الممـر الضـيِّق لسـيريون. حيـث الجزيـرة الـتي بـنى عليهـا في الماضـي فينـرود بـرج المراقبـة ميـناس تيريـث، وهكـذا مـن خـلال الأرض الـتي بـين مالـدوين وسـيريون، ومـن خـلال أطـراف غابـة بريثيـل حـتى معـابر تيغيلـين، ومـن هنـاك يسـتمر الطريـق إلى السـهل المحـروس. لكـن الأوركـس لم يـذهبوا بعيـداً فوقـه، لأنـه يسـكن الآن في البريـة إرهـاب خفـي، وعلـى التـل الأحمـر كانـت عيـون يقظـة، والـتي لم تُحَـذِّرْ، لأن تـورين وضـع خـوذة هـادور، وسـار الهمـس في بيليريانـد بـالطول والعـرض، تحـت الغابـات وعلـى الجـداول ومـن خـلال معـابر الـتلال، يقـول بـأن الخـوذة والقـوس الـذين سـقطا في ديمبـار ظهـرا ثانيـةً وراء الأمـل. عنـدها ذهـب كثـيرون بـدون قيـادة، محـرومين لكـن شـجعان، أخـذتهم العاطفـة ثانيـةً وجـاءوا قاصـدين قائـدين اثنـين. دور كوارثـول. أرض القـوس والخـوذة، هكـذا كـان اسـم تلـك المنطقـة الواقعـة بـين تيغيلـين والمعسـكرات الغربيـة لـدورياث. وسمـى تـورين نفسـه غورثـول، الخـوذة المرعبـة. وعـاد قلبـهُ قويـاً كمـا كـان في السـابق. سُمـع عـن الأعمـال المشـهورة للقائـدين في مينيغـروث وفي القاعـات العميقـة لنارغوثرونـد وحـتى في المملكـة المخفيـة لغونـدولين. وفي أنغبانـد أيضـاً سمعـوا عـنهم، ضـحك مورغـوث لأنـه الآن وبواسـطة خـوذة التنـين فقـد انكشـف ابـن هـورين لـه ثانيـةً. وقبـل ذلـك بمـدة طويلـة كـان آمـون روذ، مطـوَّقٌ بالجواسيس.

خـرج ميـيم وابنـه إيبـون مـن بـار آيـن دانويـذ في أواخـر السـنة لجمـع الجـذور مـن البريـة لتخزينهـا للشـتاء، فوقعـوا أسـرى بيـد الأوركـس. عنـدها وللمـرة الثانيـة وعـدهم ميـيم بـأن يـدلهم علـى الطـرق السـرية لبيتـه علـى آمـون روذ. لكنـه رغـم ذلـك حـاول أن يـؤخرهم وطلـب مـنهم عـدم قتل غورثول. عندها ضحك قائد الأوركس وقال لمييم: بالتأكيد لن نذبح تورين بن هورين.

هكذا كانت خيانة بار آين دانويذ، لأن الأوركس وقعوا عليه في وقت غير متوقع من الليل، بإرشاد ميم، وذبحوا كثيرين من جماعة تورين وهم نيام، والبعض هرب من الأدراج الداخلية إلى قمة التل وهناك قاتلوا حتى قتلوا جميعهم، فتدفق دمهم على سيريغون الذي يغطي الحجارة. لكن أُلقيت شبكة على تورين وهو يقاتل، مما جعلته يشتبك بها فتغلبوا عليه وقهروه، واقتادوه معهم.

بعد أن حلَ الصمت ثانيةً بالمكان، زحف ميم خارج عتمة منزله وكانت الشمس ما تزال تطل من بين السحب فوق سيريون. ووقف بجانب القتلى على قمة التل، وهو يدرك بأن ليس كل الملقون على الأرض هنا أموات. ألقى نظرة واحدةً ثم عاد ونظر في عيون الجني بيليغ، فاستيقظت الكراهية القديمة في قلبه. وقف ميم فوق بيليغ وسحب السيف أنغلاخيل الذي كان ملقى تحت جسد شخص مقتولٍ بجانبه وضرب به بيليغ، لكن بيليغ تحاشى الضربة وأمسك بالسيف وطعن به القزم. هرب ميم خائفاً مرتعداً من قمة التل، فصرخ عليه بيليغ قائلاً، إن ثأر بيت هادور سيجدك رغم كل شيء.

كانت جراح بيليغ كبيرةً ومؤذيةً، لكنه كان جباراً بين جان الأرض الوسطى وعلاوة على ذلك، كان بارعاً في المداواة. لذلك لم يمت، وعادت إليه قوته ببطء، وأخذ يبحث عن تورين بين القتلى لكي يدفنه، لكنه لم يجده. فعلم أن ابن هورين مازال حياً وقد يكون أسيراً وأخذوه معهم إلى أنغباند.

غادر بيليغ آمون روذ بالقليل من الأمل، ذهب شمالاً نحو معابر تيغيلين يقتفي أثر الأوركس، عَبَرَ بريثياخ وسار من خلال ديمبار نحو معبر أناخ. ولم يكن بعيداً عنهم، لأنه كان يسير طوال الليل بدون نوم، بينما هم تلكأوا على طريقهم، حيث كانوا يصطادون في الأراضي فلا خوف من أن يطاردهم أحد، واتجهوا نحو الشمال. حتى دخلوا الغابة المرعبة تور نو فوين. عندها انحرف بيليغ قليلاً عن اثرهم، لأن مهارة بيليغ لا يضاهيها أحدٌ في الأرض الوسطى. وعندما عبر تلك الأرض الشريرة ليلاً، أتى على شخص كان نائماً تحت جذع شجرة ميته. وقف بيليغ بجانب النائم فرأى بأنه جني. تكلم معه وأعطاه ليمباس وسأله ما الذي قاده إلى هذا المصير الفظيع، فقال له بأن اسمه غويندور بن غويلين.

نظر بيليغ إليه بحزن لأن غويندور لم يكن سوى ظلٌ مقوس الظهر لما عاناه من الخوف ونوبات الغضب. فأثناء نيرنايث أرنوي دياد كان قد ركب مع سيد نارغوثروند بالشجاعة المتسرعة إلى أبواب أنغباند وهناك تم أُسره. قتل مورغوث بعض الذين أمسك بهم من

نولـدور، وبعـث بالبقيـة للعمـل في المنـاجم بسـبب مهـارتهم في التعـدين وصـناعة المجـوهرات. وكـان غوينـدور مـن بـين الـذين أخـذوهم للعمـل في منـاجم الشـمال. كـان بعـض جـان التعـدين هـؤلاء يهربـون مـن الطـرق السـرية الـتي لا يعرفهـا غـيرهم. وهـذا مـا حـدث مـع هـذا الشـخص الذي وجده بيليغ. وكان مستهلكاً ومحتاراً في متاهات تور نو فوين.

أخـبره غوينـدور أنـه رأى وهـو متخفـي بـين الأشـجار، مجموعـة كبـيرة مـن الأوركـس يتجهـون إلى الشـمال، ومعهـم الـذئاب وكـان بيـنهم رجـل يـداه مقيـدتان. كـانوا يقتـادوه بالسـياط، وكـان طويـل جـداً بطـول رجـال تـلال هيثلـوم الضـبابية. ثم أخـبره بيليـغ بمهمتـه الخاصـة في تـور نـو فـوين، أراد غوينـدور ثنيـه عـن مسـعاه قـائلاً: لأنـك سـتنظم إليـه في المعانـاة والألم الـذي ينتظـره. لكـن بيليـغ لـن يتخلـى عـن تـورين، حـتى أنـه أثـار قلـب غوينـدور اليـائس، فتعقبـا الأوركـس معـاً حـتى خرجـوا مـن الغابـة إلى السـفوح العاليـة النازلـة إلى كثبـان إنفاوغليـث القاحلـة. هنالـك وعلـى مرمـى البصـر مـن قمـم ثـانغورودريم، نصـب الأوركـس معسـكرهم في وادٍ صـغيرٍ مكشـوف، حيـث ضـوء النهـار كـان خافتـاً. ووضـعوا تـورين في حفـرة محروسـة مـن الـذئاب وهـم جلسـوا ليشـربوا. آنـذاك هبـت عاصـفة عاتيـة مـن الغـرب، ولمـع الـبرق بعيـداً علـى الجبـال الغامضة. عندها تسلل بيليغ وغويندور إلى هذا الوادي الصغير.

وعنـدما نـام كـل مـن في المعسـكر، أخـذ بيليـغ قوسـه وراح يرمـي في الظـلام علـى الحـراس، الواحـد تلـو الآخـر وبشـكل صـامت. ثم خـاطرا كثـيراً ودخـلا إلى المعسـكر فوجـدا تـورين مقيـد اليـدين والقـدمين وقـد ربطـوه إلى شـجرة يابسـة. وعلـى كافـة أنحـاء جسـمه آثـار خـدوش السـكاكين الـتي كـانوا يرمونـه بهـا. كـان فاقـداً للـوعي، ونائمـاً مـن شـدة الإرهـاق. لكـن بيليـغ وغوينـدور قطعـوا القيـود الـتي ربطتـه. فأخرجـاه مـن الـوادي، وحمـلاه إلى الطريـق الـذي يمـر مـن فـوق أجمـةٍ صـغيرةٍ مـن أشـجار الزعـرور. أصـبحت العاصـفة قريبـةً جـداً الآن، فسـحب بيليـغ سـيفه أنغلاخيـل وقطـع بـه قيـود تـورين. لكـن القـدر كـان معانـداً في ذلـك اليـوم، لأن نصـل السـيف انزلـق أثنـاء قطـع الأغـلال وجـرح قـدم تـورين. فـنهض تـورين مـن نومـه غاضـباً وقـد أثـاره الجـرح. وبخوفـه وغضـبه تـراءى لـه بـأن شخصـاً قـد انحـنى فوقـه بنصـلٍ مجـردٍ، فقفـز مـن مكانـه وهـو يصـرخ. معتقـداً بـأن الأوركـس بـدأوا بتعذيبـه ثانيـة، فأخـذ يتصـارع مـع هـذا الشـخص في الظلام، ثم استولى على أنغلاخيل، وطعن به بيليغ كوثاليون فقتله وهو يضنه عدواً.

لكنـه عنـدما وقـف ووجـد نفسـه حـراً، وكـان مسـتعداً لـدفع حياتـه ثمنـاً باهضـاً لمقاتلـة الأعـداء الـذين تخـيلهم. عنـدها ومضـت برقـةٌ عظيمـة فـوقهم وفي ضـوئها نظـر إلى وجـه بيليـغ، فوقـف

مثل الحجر الصامت يحدق في الموت المخيف، وعرف ما الذي فعله، فقد كان وجهه فظيعاً جداً. أضاء البرق كل المكان حوله هناك فرأى غويندور ينكمش على الأرض ولم يرفع عينيه.

اضطرب كل معسكر الأوركس في الوادي لأنهم كانوا خائفين من الرعد القادم من الغرب، لاعتقادهم بأنه أرسل إليهم من أعدائهم العظماء خلف البحر، ثم عصفت الريح وتساقط مطر غزير محدثاً سيولاً تكنس كل ما في طريقها من سفوح تاور نو فوين. مع ذلك فقد نادى غويندور إلى تورين يحذره من خطرهم لكن تورين لم يجب، بل جلس في العاصفة بجانب جثة بيليغ كوثاليون بلا حراك ولا بكاء.

في الصباح مرت العاصفة عن الوادي باتجاه الشرق عبر لوثلان. وأشرقت شمس الخريف لامعة ودافئة. اعتقد الأوركس بأن تورين قد هرب بعيداً عن ذلك المكان حتى أن أثار هروبه أزالتها العاصفة. لذلك رجعوا مستعجلين إلى مورغوث، فارغي اليدين تاركين ابن هورين خلفهم، شاهدهم غويندور من بعيد يمشون على رمال إنفاوغليث الحارقة، أما تورين فقد جلس مخبولاً غير مدركٍ لما فعل على سفوح تاور نو فوين. ويحمل عبئاً أثقل من أغلال الأوركس.

حَثَّ غويندور تورين على مساعدته في دفن بيليغ، فنهض وكأنه يمشي بنومه، وضعا بيليغ في القبر الضحل سويةً، ووضعا بجانبه قوسه العظيم بيلثرونding. التي صُنعت من خشب السرو الأسود، لكن السيف المخيف أنغلاخيل فقد أخذه غويندور، قائلاً من الأفضل أن ننتقم به من خدم مورغوث من أن نبقيه ملقى على الأرض، وأخذ ليمباس ميليان لتقويهم في البرية.

هكذا كانت نهاية بيليغ القوس القوية، أوفى الأصدقاء، مهارته عظيمة أكثر من كل الذين آوتهم غابات بيليرياند منذ القدم. وكانت نهايته على يد من أحبَّ، وذلك الحزن محفور في وجه تورين ولن يمحى أبداً. لكن القوة والشجاعة تجددتا في غويندور جني نارغوثروند. فقاد تورين مبتعدين عن تاور نو فوين، ولا مرة أثناء تجوالهم سوية على الطرق الطويلة الصعبة سَمِع تورين يتكلم، فقد مشى كانسان بدون هدف أو أمنية، وبينما اقتربت نهاية السنة واقترب الشتاء على الأراضي الشمالية، لكن غويندور كان دائماً إلى جانبه يحرسه ويوجهه، هكذا عبرا غرباً فوق سيريون، وجاءا بعد طول مسير إلى إيثيل إيفرين، حيث منابع نهر ناروغ تحت جبال الظل. هناك تكلم غويندور مع تورين قائلاً: استيقظ يا تورين بن هورين

ثـاليون، علـى بحـيرة إيڤـرين ضـحك لا نهـائي، إنهـا تتغـذى مـن اليـنـابيع البلوريـة الـتي لا تنضـب، ويحرسـها مـن الـدنس، أولمو سـيد الميـاه، الـذي صـنع جمالها في الأيـام الغـابرة. ركـع تـورين وشـرب من ذلك الماء. ثم رمى نفسه على الأرض، وأخيراً انهمرت دموعه، وكان شفاؤه من جنونه.

وهنـاك عمـل أغنيـة لبيليـغ. سماهـا لايـر كـو بيليـغ، أغنيـة القـوس العظـيم، وغناهـا جهوريـاً غـير مهـتم للخطـر. ووضـع لـه غوينـدور السـيف أنغلاخيـل في يـده، عـرف تـورين بأنـه سـيف قـوي وثقيـل ويمتلـك قـوة عظمـى. لكـن نصـله كـان أسـود وبليـد، وحوافـه مثلمـه، ثم قـال لـه غوينـدور: هـذا نصـل غريـب ومختلـف عـن كـل مـا رأيـت في الأرض الوسـطى. أنـه حـزين علـى بيليـغ مثلـك، لكـن كُـنْ مرتاحـاً ،لأنـني سـأعود إلى نارغوثرونـد إلي بيـت فينـارفين ويجـب أن تـأتي معي. وأن تتعافى من جديد.

فقال له تورين: من أنت؟

فأجابـه غوينـدور: جـنٌ متشـرِدْ، عبـدٌ هـاربْ، أنـا الـذي وجـده بيليـغ وأعانـه. فقـد كنـت غوينـدور بـن غـويلين سـيداً مـن نارغوثرونـد، حـتى ذهبـت إلى نيرنايـث أرنـوي ديـاد، وهنـاك وقعتُ في الأسر واستُعبدتْ في أنغباند.

فقال تورين: إذا هل رأيت هورين بن غالدور، محاربٌ من دور لومين؟

فقـال لـه غوينـدور: لا لم أراه، لكـن يشـاع في أنغبانـد بأنـه مـازال يتحـدى مورغـوث. وقـد وضع مورغوث حوله لعنة تلفه هو وكل أقربائه.

فقال تورين: اعتقدت ذلك.

بعـدها غـادرا إيثيـل إيڤـرين مسـافرين جنوبـاً على طـول ضـفاف نـاروغ. فعثـر عليهمـا كشّـافةٌ مـن الجان وأخذوهما أسيرين إلى المعقل المخفي، وهكذا كان وصول تورين إلى نارغوثروند.

في بـادئ الأمـر لم يتعـرف النـاس علـى غوينـدور الـذي خـرج صـغيراً وقويـاً وعـاد كواحـدٍ مـن البشـر المسـنين، بسـبب عذابـه والأعمـال الـتي كـان يقـوم بهـا، لكـن فينـدويلاس بنـت الملـك أورودريـث عرفتـه ورحبـت بـه، لأنهـا كانـت تحبـه قبـل نيرنايـث، وكـذلك هـو أحـبَّ جمالها وسماهـا فـايليڤرين، ومعنـاه وميـض الشـمس علـى بحـيرة إيڤـرين. ومـن أجـل خـاطر غوينـدور فقـد أبقـوا علـى تـورين في نارغوثرونـد، وسـكن معـه معـززاً مكرمـاً، لكـن عنـدما أراد غوينـدور أن يلفـظ اسمـه، كـان تـورين يقاطعـه ويقـول: أنـا آغـاروايـن مـن أبنـاء أومـارث (أي هـو الملطـخ بالـدماء، ابن المصير السيء) صياد في الغابات، بعدها لم يستجوبه جان نارغوثروند أكثر من ذلك.

وفي الأوقات اللاحقة ارتفعت قيمة تورين عند الملك أورودريث. وأصبح مقرباً من قلوب الجميع في نارغوثروند، لأنه كان شاباً، وقد وصل الآن إلى اكتمال رجولته، لكن بالحقيقة فإن من ينظر إليه يعرف أنه ابن موروين إيلذوين. بشعرة الأسود وبشرته الشاحبة وعيونه الرمادية، ووجهه الأجمل بين كل البشر. وكلامه ومعاناته في الأيام السابقة تلك التي كانت في مملكة دورياث، حتى بين الجان فإنه قد يظن بأنه أحد أبناء البيوت العظيمة لنولدور، لذلك فقد دعاه كثيرون أدانيذيل الرجل الجان. أُعيد دق السيف أنغلاخيل ببراعة على أيدي حرفيين ماهرين من نارغوثروند، مع أنه بقي أسود إلا أن حافتاه قد لمعتا كالنور الخافت، وسماه غورثانغ، حديد الموت. فقد كانت بطولته ومهارته عظيمةً في القتال على حدود السهل المحمي وأصبح معروفاً للجميع باسم مورميغيل، السيف الأسود. وقال الجان: بأن مورميغيل لا يمكن أن يُقتَل إلا بسوء الحظ أو بسهم شرير غادر من بعيد. لذا فقد أعطوه درع قزم لحمايته، ووجدوا له في مستودعات السلاح قناع قزم بهيئةٍ متجهمة ومذهَّبْ بالكامل، وكان يضعه قبل كل معركة، فكان الأعداء يهربون من أمامه.

تحول قلب فيندويلاس عن غويندور فأحبت تورين رغماً عنها، لكن تورين لم يكن يعلم بذلك، وبدأ قلب فيندويلاس يتمزق من الحزن، وأصبحت شاحبة وصامته، لكن غويندور جلس بالفكر المظلم، وفي الوقت المناسب تكلم مع فيندويلاس قائلاً: يا بنت بيت فينارفين، لا تدعي الحزن يقع بيننا، على الرغم من أن مورغوث قد وضع حياتي في الخراب فمازلت أحبك. اذهبي إلى حيث يقودك قلبك لكن رغم ذلك أحذركِ، فلا يلائم أبناء إلوفاتار الأقدم أن يتزوجوا من الأصغر، فهذه ليست من الحكمة لأنهم مختزلون وعمرهم قصير ومرورهم في الحياة سريع، فهم يغادروننا بسرعة، يتركوننا للترمل بينما ما تزال نهايات العالم بعيدة، أو أنه سيعاني من مصيره مرة أو مرتين فقط. ونحن لا ندرك ماهية الغاية العليا للقدر. لكن أليس هذا الرجل هو بيرين، فالقدر بانتظاره، وأستطيع قراءة قدره بعيوني، لكن القدر الأسود لن يدخل إليه. وإن فعلتِ فإن حبك سيقودك إلى المرارة والموت. لذلك يجب أن تصغي إليَّ، في الحقيقة هو ليس آغارواين بن أومارث، فاسمه الحقيقي تورين بن هورين. الذي حمله مورغوث إلى أنغباند، وكل عائلته ملعونين، ولا أَشكُ في قوة مورغوث باوغلير. وهذا القدر لم أكتبه أنا.

جلست فيندويلاس طويلاً تفكر، وفي الآخر قالت: لكن تورين بن هورين لم يحبني ولن يفعل.

وعندما علم تورين بالذي حدث بين غويندور وفيندويلاس، غضب وقال لغويندور: في الحب كنت سأحمل لك الخلاص وأبقيه بأمان. لكنك الآن قد آذيتني يا صديقي. فقد غدرتَ بي بذكرك لاسمي الحقيقي. واستدعاؤك لقدري الذي هربت منه.

لكن غويندور أجابه: قدرك يكمن في نفسك وليس في اسمك.

عندما أصبح معروفاً لدى أورودريث بأن مورميغيل هو بالحقيقة ابن هورين ثاليون. منحه شرفٌ عظيمْ. وأصبح تورين هائلاً بين شعب نارغوثروند، لكنه لم يكن ميالاً لأسلوبهم في الحرب. في الكمين والتسلل وإطلاق السهام بالخفاء. فهو يتوق إلى الشجاعة والمعارك المفتوحة في العراء، لاقت نصائحه مع الوقت آذاناً صاغية عند الملك. وفي تلك الأيام فإن جان نارغوثروند تركوا سريتهم وذهبوا إلى المعارك المفتوحة، وعملوا مخزن عظيم للأسلحة. وطبقاً لنصائح تورين، فقد بنى نولدور جسراً هائلاً على ناروغ، من أبواب فيلاغوند لكي يصلوا بسرعة إلى أسلحتهم، ثم طَردوا خدم أنغباند من كل الأرض بين ناروغ وسيريون شرقاً، ومن نينينغ إلى خرائب فالاس غرباً، على الرغم من كل ذلك كان غويندور يتكلم دائماً ضد تورين في مجلس الملك، بأن كل أعمال تورين ما هي إلا سياسة سيئة، لذلك سقط غويندور إلى العار ولم يلقَ آذاناً صاغية، فقد ضعفت قوته ولم يعد يحمل السلاح لمدة طويلة. وهكذا قام بكشف نارغوثروند إلى كراهية وغضب مورغوث. لكن لم يزل تورين في صلاته لم يذكر اسمه الحقيقي، مع ذلك فقد ذاع صيته حتى وصل إلى دورياث وإلى آذان ثينغول، وسرت الإشاعات فقط حول السيف الأسود لنارغوثروند.

بسبب أعمال مورميغيل فقد استأصلت قوة مورغوث من غرب سيريون، وفي ذلك الوقت من الرجاء والأمل، هربت موروين أخيراً من دور لومين ومعها ابنتها نيانور. وغامرت برحلة طويلة حتى وصلت إلى قاعات الملك ثينغول، لكن حزناً جديداً كان بانتظارها لأنها لم تجد ابنها تورين هناك. لأنه كان قد غادر، ولم تأتي أخبار إلى دورياث منذ أن اختفت خوذة التنين من أراضي غرب سيريون، لكن موروين بقيت في دورياث مع نيانور كضيوف ثينغول وميليان، تعاملان بالكثير من التشريف.

بعد مرور أربعمائة وخمسة وتسعون سنة على ظهور القمر وفي ربيع تلك السنة، حدث أن أتى إلى نارغوثروند اثنان من الجان يدعيا غيلمير وأرميناس، كانا من شعب أنغرود. لكنهما ومنذ داغور براغوللاخ سكنا في الجنوب مع كيردان صُناع السفن. ومن رحلتهم البعيدة فقد جلبوا معهم أخباراً عن تجمعٍ عظيمٍ للأوركس والمخلوقات الشريرة تحت أطراف إيريد

ويثـرين وفي معـابر سـيريون، وقـالوا أيضـاً بـأن أولمـو جـاء إلى كـيردان، وحـذره مـن اقـتراب الخطـر العظيم نحو نارغوثروند.

وقـالا للملـك: اسـتمع لكـلام سـيد الميـاه مـع كـيردان صُـنَّاع السـفن حيـث قـال: لقـد دنـس الشـر القـادم مـن الشـمال ينـابيع سـيريون، وبـدأت قـوتي تنسـحب مـن الميـاه المتدفقـة، لكـن الشـيء الأسـوأ لم يـأتِ بعـد. ونصـيحتي لسـيد نارغوثرونـد، عليـه أن يغلـق أبـواب القلعـة ولا يـذهبوا خـارج أسـوارها. وليحطمـوا الجسـر الـذي بنـوه وليلقـوا بالحجـارة العظيمـة في صـخب النهر. فلربما يتيه الشر الزاحف ولا يجد الباب.

انـزعج أورودريـث مـن الكلمـات المظلمـة للرسـل، لكـن تـورين لم يصـغ علـى الإطـلاق لهـذه النصـائح. علـى الأقـل سيعاني الجميـع مـن تـدمير الجسـر فقـد كـان قويـاً وصـلباً، وسـيأمر الجميـع كما يتمنى.

سـرعان مـا اغتيـل هانـدير، سـيد بريثيـل، لأن الأوركـس غـزو أرضـه وخسـر هانـدير المعركـة، لكـن شـعب بريثيـل كـانوا مترابطـين وتراجعـوا نحـو غابـاتهم. وفي خريـف تلـك السـنة عنـدما حانـت سـاعتهم أطلـق مورغـوث علـى شـعب نـاروغ. مضـيفه العظـيم الـذي قضـى مـدة طويلـة في إعــداده، مــرَّ الأورولــوكي غلاورونــغ فــوق إنفاوغليــث ووصــل أخــيراً إلى الشــمال مــن وادي سـيريون، فعـل هنـاك شـروراً عظيمـة. وتحـت ظـلال إيريـد ويثـرين كـان قـد نجّـس إيثيـل إيڤـرين، ومـن هنـاك عـبر إلى مملكـة نارغوثرونـد، فـأحرق تـالاث ديـرنين، وهـو السـهل المحمـي بـين نـاروغ وتيغيلين.

خـرج محـاربو نارغوثرونـد للحـرب، وبـدا تـورين في ذلـك اليـوم طويـلٌ وفظيـع. وتعلقـت قلـوب الجـيش بـه وقـد ركـب عـن ميمنـة الملـك. لكـن جيـوش مورغـوث كانـت تبـدو عـن بعـد أعظـم بكثـير ممـا أخـبر عنـه الكشـافون. لكـن لم يصـمد إلا تـورين أمـام اقـتراب غلاورونـغ بقناعـه قنـاع القــزم. تراجــع الجــان أمــام ضــغط الأوركــس علــى ســهل تومهــالاد بــين غينغليــث ونــاروغ. وحوصــروا هنــاك، وفي ذلــك اليــوم ذهــب كــل كبريــاء وفخــر شــعب نارغوثرونــد. فقــد قُتــل أورودريــث منــذ بدايــة المعركــة. وأُصــيب غوينــدور بــن غــويلين إصــابات قاتلــه، فهــب تــورين لمسـاعدته بينمـا تفـرق الجميـع مـن حولـه. حمـل غوينـدور وخـرج بـه عـن الطريـق وأوصـله إلى الغابة ومدده على العشب.

قـال غوينـدور لتـورين: دع نتيجـة أعمـالي تـدفع ثمـن معانـاتي، فسـوء الحـظ لي والمجـد لـك، لأن جســمي سيفســد بعــد الشــفاء، ويجــب أن أتــرك الأرض الوســطى، مــع ذلــك فــإنني أحبــك يــا

ابن هورين. رغم ذلك فإني نادم على اليوم الذي أنقذتك فيه من الأوركس. لكن لمهارتك العالية وكبريائك فمازال أمامك الحب والحياة. وسيصمد نارغوثروند لفترة، والآن إذا كنت تحبني، اتركني وأسرع إلى نارغوثروند وأنقذ فيندويلاس وهذا آخر شيء أقوله لك. فهي الوحيدة التي تقف بينك وبين قدرك. وإذا فشلت في إيجادها فلن تفشل هي في إيجادك، الوداع.!

رجع تورين مسرعاً إلى نارغوثروند. فلم يجتمع مثل هذا الحشد المهزوم كالذي التقاه هناك على الطريق، فقد ذهبوا مثلما تذهب أوراق الأشجار المتساقطة في ريح عاتية، وعبروا من الخريف إلى الشتاء المريع. لكن حشود الأوركس والتنين غلاورونغ كانوا أمامه وقد وصلوا فجأةً. قبل أن يعلم أولئك الذين تركوا للحراسة ماذا حصل على حقل تومهالاد. وفي ذلك اليوم تبين أن الجسر على ناروغ كان مجلبةً للشر، لأنه كان كبير وصنع بقوة فلم يتمكنوا من تحطيمه بسرعة، ومنه عبر العدو بسهولة فوق النهر العميق. وجاء غلاورونغ بناره العظيمة إلى أمام بوابة فيلاغوند ودمرها وعبر منها إلى الداخل.

وعندما صعد تورين كان النهب المريع لنارغوثروند قد بلغ حدّهُ. حيث قام الأوركس بذبح وطرد من تبقى بأسلحتهم، ونهبوا وحطموا كل القاعات والغرف الكبيرة. أما النساء والعذارى اللواتي لم يحرقن أو يقتلن فقد جمعوهن على الأرصفة أمام الأبواب، ليأخذوهن إلى مورغوث كعبيد. أتى تورين فوق كل هذا الخراب والألم فلا يمكن لشيء أن يوقفه أو يمنعه، وضرب كل من صادفه أمامه ومر فوق الجسر حتى قطع الطريق نحو الأسرى.

وقف وحيداً لأن القلة التي تبعوه كانوا قد هربوا. وفي تلك اللحظة ظهر من الأبواب المفتوحة غلاورونغ وتمدد وراءها بين تورين والجسر، وتكلم فجأة بالروح الشريرة التي كانت فيه قائلاً: أهلاً بك يا ابن هورين، هذا لقاء جيد.

قفز تورين حوله ومشى نحوه وأشرقت حواف غورثانغ مثل اللهب، لم يطلق عليه غلاورونغ نفخته الحارقة، لكنه فتح عيونه الشيطانية وحدق في تورين، نظر تورين إليه بدون خوف رافعاً سيفه، ومباشرةً سقط تحت التعويذة الملزمة لعيون التنين، فتوقفت حركته، ووقف ثابتاً كأنه تمثال من الحجارة، كانا لوحدهما صامتين أمام بوابة نارغوثروند، لكن غلاورونغ تكلم ثانيةً يعنف تورين ويقول له: كل طرقك كانت شريرة يا ابن هورين. طفل مدلل ناكر للجميل، خارج مجرم، قاتل الصديق، لص الحب، مغتصب نارغوثروند، قائد متهور، تارك أهلك وعشيرتك، أمك وأختك تعيشان كعبيد في دور لومين في البؤس والحاجة، وأنت

مصنف هنا كأمير، وهما هناك تسيران في الخرق البالية، تتوقان لرؤيتك، ولكنك لم تحملهم إليك. ربما سيكون أباك سعيداً لمعرفة ولد مثلك عمل كما علمه أبوه. وأثناء ذلك كله ومايزال تورين تحت تأثير تعويذة عيون غلاورونغ مصغياً لكلماته، رأى نفسه كمن ينظر إلى نفسه في مرآة، ممسوخ بالحقد فاحتقر الشخص الذي كان يراه.

وبينما كان تورين محتجز بتعويذة عيون التنين في عذاب العقل ولا يقوى على التحرك، أبعد الأوركس الأسرى، ومروا مقتربين من تورين. عبروا الجسر وكانت فينادويلاس بينهم، صرخت لتورين عندما ذهبت، لكن لا صوتها ولا نوح الأسرى الذي فقد على الطريق الشمالي كان قادراً على تخليص تورين، ولم تتوقف أذناه عن سماع ذلك الصوت الذي طارده فيما بعد.

فجأة سحب غلاورونغ نظرته وانتظر فتحرك تورين ببطء كمن يستيقظ من حلمٍ قبيح. عاد إلى نفسه وقفز على التنين وهو يصرخ، لكن غلاورونغ ضحك قائلاً: إذا ضعفت ستموت، وأنا سأذبحك بكل سرو، لكن مساعدة صغيرة تلك التي طلبتها موروين ونيانور، ولم تلتفت إليها ولا لنداءات امرأة جنية. حتى أنك تتنكر لرابطة دمك.

لكن تورين سحب سيفه وطعن التنين في عيونه. فتحاشى غلاورونغ الضربة بسرعة وارتفع للأعلى وقال: كلا على الأقل أنت شجاع، فكل الذين التقيت بهم كانوا يكذبون ويقولون إننا لانكرم شجاعة أعداءنا، انظر فها أنا الآن أمنحك الحرية، اذهب إلى أقاربك، إذا كنت تستطيع، هيا اذهب، وإذا تركت خلفك إنس أو جان فسيعمل حكاية عن هذه الأيام. ومن المؤكد أن اسمك سيكون محتقراً، إذا لم تحفزه هذه الهدية.

بدا تورين مرتبك بعيون التنين. كما لو كانت تلك معالجة من العدو الذي يعرف الشفقة، صدّق كلمات غلاورونغ فاستشاط غضباً وأسرع مبتعداً عن الجسر، لكن عندما ذهب تحدث غلاورونغ خلفه بصوت عنيف، عجّل الآن يا ابن هورين إلى دور لومين، أو ربما ستجد الأوركس أمامك مرة أخرى. وإذا تلكأت عن فينادويلاس. فإنك لن ترى موروين ثانيةً وأيضاً لن ترى نيانور أختك، التي ستلعنك.

لكن تورين أخذ طريقه إلى الشمال مبتعداً. ضحك غلاورونغ كثيراً لأنه أنجز مهمة سيده، ثم التفت إلى سعادته الخاصة، وأرسل نفخةً أحرق بها كل شيء حوله، لكن الأوركس الذين كانوا منشغلين بالنهب، فقد دفعتهم موجة النار ورمتهم بعيداً، وحرمتهم من نهبهم فلم يبقي معهم أي شيء له قيمة. انهار الجسر وسقطت حجارته وما عليها في زبد ناروغ،

واستقرت في قاع ناروغ ثروات فيلاغوند مكدّسةً، ومغلق عليها في قاعات عميقة، لترتاح لبعض الوقت.

استعجل تورين على طول الطريق عبر الشمال خلال الأراضي المهجورة الآن، بين ناروغ وتيغيلين. جاء الشتاء مبكراً في تلك السنة، فقد نزل الثلج قبل أن يمر الخريف. وتأخر قدوم الربيع وكان بارداً، بدا إليه كأنما يسمع نداءات فيندويلاس، تناديه باسمه عبر الغابات والتلال، فكانت معاناته كبيرة، أما قلبه فكان حاراً من أكاذيب غلاورونغ، وأصبح يتخيل الأوركس يحرقون بيت هورين، أو يعذبون موروين ونيانور، فحمل على طريقة ولم يلتفت إلى أي جانب.

أخيراً بَليتْ ملابسهُ وهيئتهِ من سرعته وطول طريقه ( فقد ارتحل لمسافة أربعين فرسخاً أو أكثر بدون استراحة) ثم وصل مع بدايات ثلج الشتاء إلى بحيرات إيڤرين، التي كانت قد شفته بالماضي من الجنون. أما الآن فقد كانت طين متجمد، ولا يمكنه إلا أن يشرب لا أكثر.

مر بصعوبة من خلال معابر دور لومين بسبب قساوة الثلوج القادمة من الشمال، ووجد ثانيةً أرض طفولته. التي أصبحت كئيبةً وعاريه. كانت موروين قد غادرت. وأصبح بيتها فارغاً محطماً وبارداً، فلا شيء حي يسكن بالقرب منه، لذا غادره تورين. وجاء إلى بيت برودا الإيستيرلينغ الذي زوجته هي آيرين قريبة هورين، هناك علموا من خادمة قديمة بأن موروين قد فرّت منذ مدة طويلة. ذهبت مع نيانور لخارج دور لومين. ولم يعرف أحد إلى أين ذهبت إلا آيرين.

خطا تورين نحو طاولة برودا وأمسك به ساحباً سيفة، وطلب منه بأن يخبره أين ذهبت موروين، عندها صرّحت له آيرين بأنها ذهبت إلى دوريات لتبحث عن ابنها، وقالت: لأن تلك الأراضي حُررت من الشر بالسيف الأسود من الجنوب. وهي نفس الأراضي التي سقطت الآن كما يقولون. عندها تفتحت عيون تورين لكأنما ذهبت الغشاوة عنهما وانتهت الخيوط الأخيرة من تعويذة غلاورونغ. وبسبب معاناته والغضب من الأكاذيب التي ضللته. والكراهية من ظلم موروين، فقد استولى عليه غضب أسود، وذبح برودا في قاعته وهرب إلى الشتاء، رجل مطارد من إيستيرلينغز النزلاء عند برودا. لكن البقية الباقية من شعب هادور ساعدوه وأرشدوه إلى طريق البرية. هرب مع تساقط الثلوج وجاء إلى مأوى مجرمين في الجبال الجنوبية لدور لومين، ومن هناك عبر تورين مرة ثانية من أرض طفولته

وعـاد إلى وادي سـيريون، فقـد شـعر بـالمرارة في قلبـه لأنـه جلـب مشـكلة أكـبر إلى بقيـة شـعبة في دور لـومين. والـذين كـانوا مسـرورين بهروبـه، وهـذه هـي الراحـة الوحيـدة الـتي أحـس بهـا. وبسـبب براعتـه بالسـيف الأسـود فقـد كانـت الطـرق إلى دوريـاث مفتوحـةً أمـام مـوروين. وقـال في فكـره: تلـك الأفعـال ليسـت شـريرة علـى الكـل، مـن جهـة ثانيـة ربمـا أمـنح الأفضـل لأهلـي، حـتى ولـو أتيـت متـاخراً. فـإذا كـان زنـار ميليـان محطمـاً عنـدها يكـون الأمـل الأخـير قـد ضـاع، كـلا هـو أفضـل بالحقيقـة مـن أشـياء أخـرى قـد تكـون وقعـت، لأني أينمـا حللـت يحـلُّ الظـل، سأدع ميليان تبقيهم. وسأتركهم بسلام غير مظللين لفترة من الوقت.

نـزل تـورين مـن إيريـد ويثـرين ليبحـث عـن فينـدويلاس لكـن دون جـدوى. يجـوب الغابـات الـتي بجانـب الجبـال فقـد كـان بريّـاً ومتيقظـاً كـوحش، راقـب كـل الطـرق الـتي تمـر نحـو الشـمال إلى معـابر سـيريون، لكنـه كـان متـأخراً جـداً، وفَقـدَ آثـارهم القديمـة، أو أن سـيول الشـتاء طمسـتها، رغـم ذلـك عـبر إلى الجنـوب ونـزل إلى تيغيلـين، فوجـد بعـض البشـر مـن بريثيـل محاصـرين تحـيط بهـم جماعـة مـن الأوركـس. فأنقـذهم مـن الأوركـس الـذين هربـوا مـن سـيفه غورثـانغ، وأدعـى بـان اسمـه وايلـدمان، رجـل البريـة، مـن الغابـات، فتوسـلوا إليـه للبقـاء والسـكن معهـم، لكنـه قـال بأنـه لا يسـتطيع، لأن عنـده مهمـةٍ غـير منجـزة بعـد، وهـي البحـث عـن فينـدويلاس بنـت أورودريـث مـن نارغوثرونـد. عنـدها أخـبره دورلاس زعـيم أولئـك الحطـابين عـن قصـة موتهـا البشـعة. فلقـد كمـن رجـال بريثيـل للأوركـس في معـابر تيغيلـين، ورأوا حشـود الأوركـس قـادمين يقـودون أمـامهم أسـرى نارغوثرونـد، وعنـدما حـاولوا إنقـاذ الأسـرى، قـام الأوركـس بـذبح كـل الأسـرى وبقسـوة، أمـا فينـدويلاس فسـمروها علـى الشـجرة بـرمح، وبقيـت هكـذا حـتى ماتـت وآخـر مـا نطقتـه: أخـبروا مورميغيـل بـأن فينـدويلاس هنـا. لـذا قـام الرجـال بوضـع جثتهـا في تـلٍ بـالقرب من هذا المكان وسموا ذلك التل، هاوذ آين ايللث، تل فتاة الجان.

طلـب مـنهم تـورين أن يقـودوه إلى ذلـك المكـان، ومـن حزنـه سـقط في الظـلام فاقـداً للـوعي وكـان قريبـاً مـن المـوت. وقـد عرفـة دورلاس مـن سـيفه الأسـود الـتي وصـلت شـهرته إلى أعمـاق بريثيـل، ولبحثـه عـن بنـت الملـك، فعَلِمَـوا بـأن وايلـدمان مـا هـو إلا مورميغيـل مـن نارغوثرونـد، والمشـهور بالإشـاعة بـابن هـورين مـن دور لـومين. لـذلك وضـعه الحطـابون علـى نعـشٍ وحملـوه إلى بيـوتهم. فقـد كـانوا متحصـنين في غابـة إيفيـل برانـدير الواقعـة علـى السـفوح العاليـة لتلـة آمـون أوبيـل. ولأن شـعب هاليـث كانـت قـد تناقصـت أعـدادهم بسـبب الحـرب، وزعـيمهم الآن برانـدير بـن هانـدير، رجـلٌ لطيـف لكنـه كـان أعرجـاً منـذ طفولتـه، وكـان يعتمـد علـى

السرية أكثر من الأعمال الحربية لتفادي قوة الشمال. لذا فقد خاف من الأخبار التي وصلت إليه عن الشخص الذي جلبه معه دورلاس، وعندما نظر إلى وجه تورين الممدد على النعش، امتدت إلى قلبه غيمة تنذر بالشؤم وتحريك المشاكل، مع ذلك فقد أخذ الرجل إلى بيته وقام برعايته. كان براندير يمتلك قدرة على العلاج، ومع بداية الربيع قام بنزع الظلمة عن تورين، فاستيقظ من غيبوبته وعادت إليه عافيته من جديد. فكَّر تورين بأن يبقى مختفياً في بريثيل، وبأن يضع ظله القديم خلفه ويترك الماضي، لذلك اتخذ اسماً جديداً هو تورامبار ومعناه في لغة الجان العاليين، سيد الموت. والتمس من الحطابين أن ينسوا بأنه كان غريباً بينهم أو أنه كان يحمل اسماً آخر. مع ذلك فهو لا يستطيع أن يترك الأعمال الحربية نهائياً، فلا يستطيع تَحمُّلَ رؤية الأوركس وهم يأتون إلى معابر تيغيلين أو يقتربوا من هاوذ آين ايللث، فقد جعل ذلك المكان مخيفاً لهم ولذلك فقد تجنبوه. وأيضاً ترك سيفه الأسود، واستخدم عوضاً عنه القوس والرمح.

وصلت أخبار نارغوثروند وما حلَّ بها إلى دوريات مع بعض الناجين من هناك الذين استطاعوا الهرب من الموت والدمار والأسر. فبعد أن تحملوا قساوة الشتاء في البرية، تمكنوا من الوصول في نهاية المطاف إلى ثينغول يطلبون اللجوء عنده، حيث جلبهم حراس الحدود إلى الملك. وقال بعضهم بأن العدو انسحب إلى الشمال وقال آخرون بأن غلاورونغ مازال يقيم في قصور فيلاغوند. والبعض قالوا بأن مورميغيل قد ذُبح. أو وقع تحت تعويذة التنين ومازال هناك كتمثالٍ من الحجر. وصرحوا بأنه كان معروفاً لدى الجميع في نارغوثروند قبل النهاية، بأن مورميغيل هو نفسه تورين بن هورين من دور لومين.

ذُهلت موروين لسماع هذه الأخبار وأرادت الذهاب للبحث عن ابنها، رافضةً نصيحة ميليان وراحت إلى البرية تفتش عن ولدها أو أية أخبار حقيقية عنه. لذلك فقد أرسل ثينغول خلفها مابلونغ مع العديد من الحراس الأشداء لإيجادها وحراستها أو ربما نقل الأخبار، ولم ينتبهوا إلى أن نيانور كانت خلفهم، فقد قادها الخوف على أهل بيتها من ساعة الشر. وعلى أمل أن تعود موروين إذا رأت ابنتها تذهب معها إلى الخطر، لذلك تنكرت نيانور كأحد أفراد شعب ثينغول، وذهبت بذلك الركب المشؤوم .

وجدوا موروين على ضفاف سيريون وقد توسل إليها مابلونغ بأن تعود معه إلى مينيغروث، لكنها كانت طفولية ولم تقتنع، ثم انكشف مجيء نيانور معهم، وعلى الرغم من أوامر موروين لها إلا أنها رفضت العودة، فاضطر مابلونغ لأخذهم إلى الممرات المخفية في بحيرات

الغسق، عبروا نهر سيريون، وبعد سفر لمدة ثلاثة أيام وصلوا إلى آمون إيثير، تل الاستطلاع، الذي رفعه فيلاغوند منذ زمنٍ بعيد بعملٍ عظيم، كمعسكر أمام أبواب نارغوثروند. وهناك وضع مابلونغ لها ولابنتها، حرس من الخيّالة ومنعهم من الذهاب بعيداً. ثم نظر من التل فلم يرَ أية اشارة لوجود الأعداء فهبط مع كشافوه خلسة إلى ناروغ.

لكن غلاورونغ كان مدركاً لهم، فنفخ من حرارة غضبه في ماء النهر فتصاعد من النهر دخان كثيف وكريه، وعندما مرّ هذا البخار على مابلونغ ومجموعته أعمى عيونهم وضاعوا. بعدها عبر غلاورونغ نهر ناروغ إلى الشرق.

شاهد الحراس على آمون إيثير بداية هجوم التنين فأرادوا إبعاد موروين ونيانور. وأسرعوا للعودة إلى الشرق. حملت الريح سحباً بيضاء من فوقهم فتأثرت الخيول وكأنها جنّتْ من رائحة التنين الكريهة فأصبحت صعبة الانقياد، وأخذت تركض في كل الاتجاهات، فبعض الخيول اصطدمت بالأشجار وماتت، وبعضها الآخر هرب بعيداً. هكذا أضاعوا السيدات، وفي الحقيقة لم يأتي فيما بعد أي خبر مؤكد إلى دوريات فيما يخص موروين، لكن نيانور كانت قد سقطت عن ظهر جوادها ولم تتأذى، فأخذت طريقها عائدةً إلى آمون إيثير، لتنتظر مابلونغ هناك، كان الدخان يغطي التل ويحجب نور الشمس، وعندما نظرت إلى جهة الغرب وجدت عيون غلاورونغ الذي وضع رأسه على قمة التل تحدق بها مباشرةً.

حاولت جاهدة مقاومته لفترة لكنه رفع من قوته، وبعد أن علم من هي أجبرها على التحديق في عينيه، واضعاً عليها تعويذةً من الظلام والنسيان المطلق، لكي لا تستطيع أن تتذكر أيَّ شيء حدث لها لا اسمها ولا اسم أيَّ شيء آخر، بقيت لعدة أيام لا تسمع ولا ترى ولم تتحرك بإرادتها، بعدها تركها غلاورونغ واقفةً لوحدها على آمون إيثير، وعاد إلى نارغوثروند.

قام مابلونغ والذي هو شجاعٌ فعلاً، باستكشاف قاعات فيلاغوند عندما كان غلاورونغ غائباً عنها، ثم هرب من القاعات في غفلة عين التنين وعاد إلى آمون إيثير، غابت الشمس وحل الليل بينما هو يتسلق صاعداً إلى التل، فلم يجد هناك إلا نيانور التي كانت واقفة تحت النجوم كصورة منقوشة على حجر، ولم تتكلم بأية كلمة ولم تسمع كلامه، لكنها تبعته عندما أمسك يدها واقتادها بعيداً، كان حزنه عليها عظيماً جداً، مع ذلك فقد بدا إليه بأن مسعاه عقيم، لأن كلاهما مشرفٌ على الهلاك بدون معين لهم في البرية.

وجـدهما في البريـة ثلاثـة مـن أصـحاب مـابلونغ، فسـافروا بـبطء شـديد نحـو الشـمال ثم إلى الشـرق نحـو أسـيجة أرض دوريـاث خلـف سـيريون. والجسـر المحـروس يقـترب مـن تـدفق إيسـغالدوين، وببطء عـادت قـوة نيـانور كلمـا اقتربـوا مـن دوريـاث، لكنهـا مازالـت لا تسـتطيع الكـلام أو السـمع، فمشـت كأنهـا عميـاء تسـير حيثمـا اقتيـدت، لكـن عنـدما اقتربـوا مـن الأسـيجة غالبهـا النعـاس وأرادت النـوم، فوضـعوها علـى الأرض وجلسـوا ليرتـاحوا هـم أيضـاً، لكـنهم لم يكونـوا حـذرين بالشـكل الكامـل لأنهـم مـرهقين تمامـاً، فهـاجمتهم هنـاك فرقـة مـن الأوركـس. علـى غـير العـادة، فقـد أصـبح الأوركـس يتجـرؤون علـى التجـول بـالقرب مـن أسـيجة دوريـاث. تعافـت نيـانور في تلـك السـاعة وعـاد إليهـا السـمع والبصـر واسـتيقظت مـن صـيحات الأوركس، فنهضت مرعوبة وهربت قبل أن يأتي أحدٌ إليها.

ثم تعقبهـا الأوركـس وكـان الجـان خلفهـم، فتجـاوزوهم وقتلـوهم قبـل أن يؤذوهـا، لكـن نيـانور هربـت. لقـد فـرت كـالمجنون الخـائف وكانـت أسـرع مـن الغـزلان، فتمـزق كـل لباسـها عنهـا وهـي تـركض حـتى أصـبحت عاريـة، واتجهـت نحـو الشـمال. بحثـوا عنهـا لمـدة طويلـة فلـم يجـدو لهـا أيَّ أثـر، وأخـيراً عـاد مـابلونغ بيـأس إلى مينيغـروث وأخـبر الحكايـة. حـزن ثينغـول ومِيليـان كثـيراً، لكـن مـابلونغ عـاد مـرةً أخـرى ليفـتش عنهـا لفـترة طويلـة لكـن دون جـدوى فـلا أخبـار مـن مورِوين ونيانور.

ركضـت نيـانور داخـل الغابـة حـتى اسـتهلكت وسـقطت مـن التعـب فنامـت، واسـتيقظت في صباحٍ مشـمسٍ، مبتهجـةً بالضـوء وبـدا مـن حولهـا كـل شـيء جديـد، فكـل مـا رأتـه عيناهـا كـان جديـدٌ وغريـب، فلـم تكـن تعـرف مـاهي أسمـاء هـذه الأشـياء، لأنهـا لا تتـذكر إلا الظـلام الـذي كـان يلقـي خلفهـا ظـلال الخـوف. لـذا مشـت في الغابـة بحـذر كمـن يتعقـب وحشـاً، وكانـت جائعـة، لأنهـا لم تأكـل ولا تعـرف كيـف ستحصـل علـى الطعـام. أخـيراً قادتهـا خطواتهـا إلى معـابر تيغيلـين، فعبرتهـا قاصـدةً مـلاذ أشـجار بريثيـل العظيمـة، لأنهـا كانـت خائفـة، حيـث بـدا لها بأن ظلالاً من أولئك الذين هربت منهم قد تجاوزتها ثانيةً.

ثم هبـت عاصـفة رعديـة كبـيرة مـن الجنـوب، ومـن الخـوف والرهبـة خبـأت نيـانور نفسـها أسـفل تـل هـاوذ آيـن ايللـث، وسـدت أذنيهـا مـن صـوت الرعـد لكـن المطـر هطـل عليهـا وبللهـا وهـي مسـتلقية مثـل وحـشٍ بـري يعـاني سـكرات المـوت. هنـاك وجـدها تورامبـار، حيـث كـان قـد ذهـب إلى معـابر تيغيلـين بعـد أن سمـع بـأن فرقـة متجولـة مـن الأوركـس كانـت هنـاك. ورأى في شـعلة ضـوء الـبرق جسـماً ممـدداً وكأنهـا عـذراء مقتولـة علـى تـل فينـدويلاس. فتـألم مـن قلبـه،

لكـن الحطـابين رفعوهـا، ووضـع عليهـا تورامبـار عباءتـه. حملوهـا إلى كـوخٍ قريـبٍ مـن المكـان، ودفأوهـا وأعطوهـا طعامـاً، وبمجـرد أن نظـرت إلى تورامبـار شـعرت بالارتيـاح، لأنـه بـدا إليهـا وكأنها أخـيراً وجـدت الشـيء الـذي كانـت تسـعى إليـه في ظلمتهـا. ولا تريـد الانفصـال عنـه. لكـن عنـدما سـألها عـن اسمهـا وأقاربها وتعاسـتها. اضـطربت مثـل الطفـل الـذي طلـب منـه شـيء ولا يسـتطيع أن يفهـم مـا هـو هـذا الشـيء، فبكـت. قـال لهـا تورامبـار: لا تقلقـي سـننتظر الحكايـة، لكـن سـأعطيكِ اسمـاً، وأنـا سـأدعوك نينيـال، العـذراء الدامعـة. فهـزت رأسـها دلالـة علـى الموافقـة. ثم قالـت: نينيـال، كانـت هـذه أول كلمـة تقولهـا بعـد ظلمتهـا، وأصـبح هـذا هـو اسمها فيما بعد بين الحطابين.

حملوهـا في اليـوم التـالي نحـو إيفيـل برانـدير، لكـن عنـدما وصـلوا إلى دايمروسـت، درج الأمطـار، حيـث يهـبط جـدول كيليـبروس مقترباً مـن تيغيلـين. أصـابتها رجفـة كبـيرة، ولهـذا السـبب دعـي ذلـك المكـان فيمـا بعـد نـين غيريـث، مـاء الرجفـة، وقبـل أن تصـل إلى بيـت الحطـابين علـى آمـون أوبيـل كانـت قـد مرضـت بـالحمى، وبقيـت هكـذا ممـددةً لمـدة طويلـة ونسـاء بريثيـل يعتنـين بهـا، فعلموهـا لغـتهم كمـا يعلمـوا الأطفـال الرُّضّـعْ، وقبـل أن يـأتي الخريـف وبفضـل مهـارة برانـدير شـفيت مـن مرضـها وأصـبحت قـادرة علـى الكـلام، لكنهـا لم تتـذكر شـيئاً قبـل أن يجدها تورامبار على تلة هاوذ آين ايللث. أحبها براندير كثيراً، لكن قلبها كان مع تورامبار.

في ذلـك الوقـت لم يعـد يعـاني الحطـابون مـن هجمـات الأوركـس ولم يعـد تورامبـار يـذهب إلى الحـرب، وحـلَّ السـلام في بريثيـل، تعلـق قلـب تورامبـار بحـب نينيـال وطلـب منهـا الـزواج، لكنهـا في ذلـك الوقـت تـأخرت في الـرد علـى الـرغم مـن حبهـا لـه، لأن برانـدير تنبـأ بوقـوع الشـر ولم يعلـم لمـاذا، فـأراد منعهـا، لـيس مـن أجلهـا ولكـن مـن أجـل تنافسـه مـع تورامبـار عليهـا. فقـد كشـف لهـا بـأن تورامبـار، هـو تـورين بـن هـورين، فلـم يعـني لهـا ذلـك الاسـم شـيئاً. لأن الظـل كان ساقطاً على عقلها.

بعـد مـرور ثـلاث سـنوات علـى نهـب نارغوثرونـد، سـألها تورامبـار ثانيـةً وأقسـم إن قبلـت الـزواج بـه الآن فلـن يعـود إلى الحـرب في البريـة. فأخذتـه نينيـال إلى الفـرح وتزوجـا في منتصـف الصـيف. أقـام لهمـا حطـابوا بريثيـل عرسـاً عظيمـاً. لكـن قبـل نهايـة العـام، أرسـل غلاورونـغ الأوركـس الـواقعين تحـت سـيطرته إلى بريثيـل ثانيـةً، وكانـت تورامبـار جـالس في البيـت لا يعمـل شـيء، لأنـه وعـد نينيـال بـأن لا يـذهب إلى المعركـة إلا إذا هوجمـت بيـوتهم، لكـن مجتمـع الحطـابين كـان متماسـكاً كقطعـة واحـدة مترابطـة، لـذا فقـد وبخـه دورلاس لأنـه لم يسـاعد النـاس

الـذين اعتـبروه واحـداً مـنهم، فقـام تورامبـار وأشـهر سـيفة الأسـود ثانيـةً، وجمـع كتيبـة كبـيرة مـن رجـال بريثيـل وهزمـوا الأوركـس تمامـاً. لكـن أخبـار سـيف بريثيـل الأسـود وصـلت إلى غلاورونـغ فتأمل ملياً فيما سمع، وابتكر لهم شراً جديداً.

وفي ربيـع السـنة التاليـة حملـت نينيـال، فأصـبحت شـاحبةً وحزينـة ، وبـنفس الوقـت جـاءت الأخبـار الأولى إلى إيفيـل برانـدير، والـتي تقـول بـأن غلاورونـغ قـد خـرج مـن نارغوثرونـد. عنـدها بعـث تورامبـار الكشـافون بعيـداً للاسـتطلاع، ففـي الوقـت الـراهن كـان يـأمر كمـا يشـاء وقلمـا التفتـت إلى برانـدير. ومـع اقـتراب الصـيف، اقـترب غلاورونـغ مـن حـدود بريثيـل، وتمـدد بـالقرب مـن شـواطئ تيغيلـين الغربيـة. فوقـع الخـوف الكبـير بـين شـعب الغابـة، لأنـه مـن السـهل الآن علـى الـدودة العظيمـة أن تهـاجمهم وتـدمر أرضـهم. لا أن يمـر فيهـا فقـط في طريـق عودتـه إلى أنغبانـد كمـا كـانوا يتمنـون. لـذلك طلبـوا نصـيحة تورامبـار، فقـال لهـم: أنـه لمـن العبـث مواجهـة غلاورونـغ ولـو بكـل قـوتكم، فقـط بالخـداع والحـظ السـعيد يمكـن أن تهزمـوه، لـذلك سـأقدم لكـم عرضـاً وهـو بـأن أذهـب إلى التنـين علـى حـدود الأرض، وتبقـى بقيـة النـاس في إيفيـل برانـدير، علـى ان يكونـوا مسـتعدين للمغـادرة بسـرعة. فـإذا كـان النصـر حليـف غلاورونـغ، فإنـه سـيأتي أولاً إلى بيـوت الحطـابين ليحطمهـا، ولا أمـل لكـم بالصـمود، فـإذا كنـتم مبعثـرين ومشتتين فلن يبقى غلاورونغ مقيماً في بريثيل، بل سيعود إلى نارغوثروند.

ثم سـأل تورامبـار صـحبته، عَمّـنْ يريـد مرافقتـه إلى هـذا الخطـر العظـيم، فوقـف دورلاس ولم يقـف غـيره. لـذلك وبخهـم دورلاس وتكلـم بـازدراء عـن برانـدير، الـذي لا يسـتطيع أن يقـوم بـدوره كوريـثٍ لبيـت هاليـث، وفضـح برانـدير أمـام الشـعب. ومـن وقتهـا حقـد برانـدير علـى دورلاس، لكـن هونثـور قريـب برانـدير، طلـب الإذن بـأن يـذهب بـدلاً عنـه. قـال تورامبـار لنينيـال الـوداع! لكنهـا كانـت خائفـةً جـداً ومتشـائمة، وكـان فراقهمـا حـزين. خـرج تورامبـار مـع رفيقيه وتوجهوا إلى نين غيريث.

لم تكـن نينيـال قـادرة علـى تحمـل الخـوف، وغـير راغبـة بـأن تبقـى منتظـرةً في إيفيـل لسـماع أخبـار مصـير تورامبـار، لـذلك خرجـت وراءه، وذهبـت معهـا مجموعـة كبـيرة، وفي هـذا كـان فـزع برانـدير عظيمـاً، وأراد نصـحهم وثنـيهم عـن هـذا التهـور، لكـنهم لم يحترمـوا نصـيحته. لـذلك تنـازل عـن السـلطة، لأن كـل الشـعب احتقـره. لكنـه فكّـر بأنـه لـن يـترك خلفـه شـيء ذا قيمـة إلا حبـه لنينيـال. لـذلك توشـح سـيفه وسـار في إثرهـا، لكـن ولأنـه كـان أعرجـاً فقـد كـان يتعثـر في مشيته ويسقط لذلك بقي خلفهم وبعيداً عنهم.

وصل تورامبار إلى نين غيريث عند المغيب، وعلم بأن غلاورونغ متواجدٌ على الشواطئ العالية لتيغلين. لذلك رغب بالتحرك عند حلول الليل. ثم أتته أخبارٌ جيده لأن التنين مستلقي الآن على كابيد آين أراس، حيث مجرى النهر هناك عميق وضيق، فهناك الغزلان المطاردة قد تستطيع القفز والهرب، واعتقد تورامبار بأنه يستطيع الذهاب إلى أبعد من ذلك، بأن يحاول المرور فوق الممر الضيّق، لذلك قرر أن يزحف إلى الأسفل عند الغسق، وينزل إلى عمق الوادي في الليل، فيعبر المياه البريه، علاوة على ذلك، فسوف يتسلق الجرف الصخري، وهكذا حتى يأتي إلى التنين في محرسه.

هذه كانت خطته، لكن قلب دورلاس سقط في الخوف عندما وصلوا إلى تدفق تيغلين الهادر في العتمة فلم يجرؤ على محاولة عبور الخطر بل انسحب متخفياً إلى الغابة، مثقلاً بالعار. أما تورامبار وهونثور فقد عبرا بأمان. وبسبب هدير المياه الصاخبة فقد غرقت كل الأصوات الأخرى ولم يشعر غلاورونغ بهم بل بقي نائماً. وقبل منتصف الليل استيقظ التنين، لكن عندما تقدم للأمام أحدث ضجة عظيمة من تساقط الصخور والركام لأنه ألقى بالجزء الأمامي من جسده عبر الهوة، ثم بدأ يسحب باقي جسده فيما بعد. كان تورامبار وهونثور قريبين جداً من الهزيمة. لذلك بحثا بسرعةٍ عن وسيلة أخرى للوصول إلى غلاورونغ. فقُتل هونثور من جرّاء تساقط الحجارة الكبيرة من الأعالي عندما كان يمر عليها التنين، فأصابته واحدة في رأسه وألقت به في النهر ومات. مثبتاً بأن بيت هاليث لا تنقصهم الشجاعة.

استجمع تورامبار كل شجاعته وتسلق المنحدر لوحده حتى وصل إلى تحت التنين، ثم سحب غورثانغ وبكل جبروت ذراعة وحقده وكراهيته، طعن بطن الدودة الناعم فانغرس السيف فيه حتى وصل إلى المقبض. وعندما أحس غلاورونغ بآلام موته، صرخ ومن سكرات الموت المريعة رفع جسده للأعلى وألقى بنفسه عبر الهوة، وسقط ممدداً يلف ذيله من نزاع الموت. وجلس ينفخ النار من فمه فأحرق كل ما حوله، فضرب كل شيء بالخراب، حتى انطفأت ناره أخيراً ولا يزال مستلقياً.

كان غورثانغ قد انتزع من يد تورامبار، بسبب شدة ألم غلاورونغ وبقي مغروساً في بطن التنين. عبر تورامبار الماء مرة أخرى راغباً في استعادة السيف وللنظر إلى خصمه فوجده ممداً على طوله على جانب واحد. كانت مقابض غورثانغ لا تزال مستقرةً في بطنه. أمسك تورامبار مقابض السيف، ووضع قدمه على بطن التنين، وصرخ مستهزأ بالتنين وبكلماته في

نارغوثروند. رائع يا دودة مورغوث نلتقي ثانيةً، مُتْ الآن، وليأخذك الظلام. هكذا انتقم تورين بن هورين.

سحب تورين السيف فتدفق الدم الأسود بغزارة وسقط على يده، فاحرقها السم الموجود في دمه، عند ذلك فتح غلاورونغ عينيه ونظر إلى تورامبار، وبنفس الحقد الذي ضربه به تورامبار، سدد إليه غلاورونغ ضربةً أوقعته أرضاً، ومن ألم السم وشدة الضربة، سقط تورين فوراً مغشياً عليه، تمدد على الأرض كشخصٍ ميت وسيفه تحته.

سُمع صوت عويل غلاورونغ عبر الغابة، ووصل إلى الناس المنتظرين في نين غيريث. نظروا باتجاه الصوت فرأوا احتراق الخراب الذي عمله التنين من بعيد، فظنوا بأنه انتصر، وحطم مَنْ هاجموه. جلست نينيال ترتجف بجانب المياه المتساقطة، فزحف عليها الظلام ثانيةً من تأثير صوت غلاورونغ. لذلك لم تكن قادرةً على التحرك من مكانها بإرادتها.

أخيراً وجدها برانديير بعد أن وصل إلى نين غيريث يعرج وكان متعباً جداً، لكن عندما سمع بأن التنين قد تغلب على خصومه وأوقعهم في النهر، أشفق على نينيال وحنَّ قلبه عليها، لأنه ظنَّ بأن تورامبار قد مات، فقال في نفسه: لكن نينيال ماتزال حيةً وقد تأتي معي، سأقتادها ونهرب من التنين معاً. بعد فترة اقترب ووقف بجانب نينيال وقال: تعالي لقد حان الوقت للذهاب. إن أردت فأنا سأقودك، أمسك يدها فنهضت صامتةً وتبعته، لم يشاهدهما أحد وهما ذاهبان بسبب العتمة.

عندما هبطا طريق المعابر كان القمر يشرق ويلقي ضوءاً رمادياً على الأرض فقالت نينيال: هل هذا هو الطريق. فأجابها برانديير لا أعرف الطريق، إلا أنني أردت الهروب من غلاورونغ إلى البرية. فقالت له نينيال: لقد كان صاحب السيف الأسود حبيبي وزوجي وأنا أبحث عنه، فماذا كنت تعتقد ؟ وهربت مسرعةً من أمامه حتى وصلت إلى معابر تيغيلين، نظرت إلى هاوذ آين ايللث في ضوء القمر الأبيض، وانتابها شعورٌ بالفزع، فاستدارت وهي تبكي نازعةً عنها عباءتها، ثم هربت نحو الجنوب على طول النهر.

رآها برانديير تركض عن جانب التل، وكان رداءها الأبيض يشرق في ضوء القمر. فتحول جانباً لكي يقطع عليها طريقها، لكنها كانت أسرع منه وكان خلفها عندما وصلت إلى خراب غلاورونغ مقتربةً من حافة كابيد آين أراس. هناك رأت التنين ملقىً لكنها لم تنتبه له، لأنه كان هناك رجل ملقى بجانبه، ركضت ونادت له تورامبار، لكن دون جدوى، ثم انتبهت إلى يده المحترقة فغسلتها بالدموع، ولفتها بقطعة قماشٍ من رداءها، وقبلته وصرخت

عليه لكي يصحو، تحرك غلاورونغ من هذه الصرخة وكانت حركته الأخيرة قبل أن يموت. وتكلم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة قائلاً: رائع يا نيانور بنت هورين. نلتقي هنا ثانيةً قبل النهاية. أهنئك لقد وجدت أخيراً أخاك المفقود، والآن تعرفي على الذي يطعن بالظلام، الغادر بخصومه، الخائن للأصدقاء، جالبُ اللعنةِ على أهله، تورين بن هورين، لكن أسوأ أفعاله على الإطلاق ستشعرين فيها بنفسك.

بعد ذلك مات غلاورونغ آخذاً معه تعويذة الحقد الملقاة عليها، فتذكرت كل أيام حياتها ثم نظرت إلى تورين وصرخت. الوداع يا حبي مرتين، *تورين تورامبار تورون أمبارتانين* . سيد الموت بالموت يُقهر. لتكن سعيداً بموتك. سمع براندير كل الكلام حيث كان يقف مصاباً على حافة الخراب، فأسرع نحوها لكنها ركضت منه مذهولة من الرعب والألم والحسرة، حتى وصلت إلى حافة كابيد آين أراس، وألقت نفسها في المياه الوحشية وفُقدت هناك.

جاء براندير إلى الحافة ونظر للأسفل فاستدار مرعوباً، على الرغم من أنه لم يعد راغباً بالحياة أكثر من ذلك فلا يستطيع أن يطلب الموت في ذلك الماء الهادر. فيما بعد لم ينظر أيَّ رجلٍ ثانيةً على حافة كابيد آين أراس، ولم يأت وحش أو طير إلى هناك ولم تنمو أية شجرة وسمي فيما بعد كابيد نايرامارث، قفزة الموت المروعة.

رجع براندير إلى نين غيريث. لجلب الأخبار إلى الشعب، وكان قد قابل دورلاس في الغابة وقتله، حيث كان دورلاس هو الشخص الأول والأخير الذي يقتله براندير. ثم وصل إلى نين غيريث، فنادى عليه الرجال، هل رأيت نينيال، لقد ذهبت دون أن نراها؟

أجابهم: نينيال ذهبت إلى غير رجعه، ووجدت التنين ميت وتورامبار ميت، وهذه أخبارٌ جيده على كل حال. تذمر الناس من هذا الكلام وقالوا بأنه قد جن، لكن براندير قال: اسمعوني حتى النهاية، نينيال المحبوبة ماتت أيضاً. لقد رمت نفسها في تيغيلين. لم تعد لديها رغبة بالحياة لأنها علمت بأنها هي نيانور بنت هورين من دور لومين، قبل أن يقع عليها النسيان، وتورامبار هو أخوها تورين بن هورين.

أخذ الناس يبكون، عندما توقف عن الكلام، وإذا بتورين يقف أمامهم. لأنه عندما مات التنين، فقد غادره الإغماء وسقط إلى نوم عميق من التعب لكن برودة الليل أزعجته ومقابض غورثانغ عَلّمتْ في جانبه فاستيقظ، ورأى كأن شخصاً كان إلى جانبه وهو من عَصّبَ له يده، فتعجب كثيراً كيف يتركه مستلقياً على الأرض الباردة. ناداه ولم يجبه أحد، بحث عن المساعدة لأنه كان مرهق ومريض.

لكن عندما رآه الناس انتابهم الخوف معتقدين بأنه طيف روحه القلقة. وقال: كلا لتحل السعادة والفرح لأن التنين مات وأنا حي، لكن لماذا سخرتم من رأيي، وجئتم إلى الخطر؟ أين نينيال ؟ أنا مشتاق لرؤيتها، بالتأكيد لم تجلبوها من بيتها ؟

أخبره براندير بما حدث، وبأن نينيال ماتت. لكن زوجة دورلاس صرخت لا يا سيدي أنه مخبول فعندما أتى إلى هنا قال أنك ميت، وقال تلك أخبار جيده، لكنك حي.

غضب تورامبار، معتقداً أن براندير قال أو عمل بخبثٍ تجاهه هو ونينيال، لأنه استكثر عليهما المحبة. فتكلم بشكل شرير على براندير ودعاه بالقدم المضروبة، فأخبره براندير عن كل الذي سمعه، بأن نينيال ما هي إلا نيانور بنت هورين، وصرخ بآخر كلمات غلاورونغ التي قالها. بأن تورامبار لعنةٌ على أهله وعلى كل من يأويه.

غضب تورامبار كثيراً، لأنه قد سمع بهذه الكلمات خطوات قدره تتجاوزه، واتهم براندير بأنه هو من قاد نينيال إلى حتفها، ونشر أكاذيب غلاورونغ بفرح. إنْ لم يكن بالحقيقة هو نفسه مخترع هذه الأكاذيب. ثم لعن براندير وقتله، وهرب إلى الغابات، لكن بعد فترة شفي من جنونه وجاء إلى هاوذ آين ايللث، جلس هناك متأملاً كل أعماله، ونادى على فيندويلاس كي تقدم له النصيحة، لأنه لم يكن يعرف ماذا سيفعل، سوى الذهاب بتعاسةٍ إلى دورياث للقاء أهله. أو تركهم إلى الأبد قاصداً الموت في معركة.

وبينما هو جالس هناك، وإذا بمابلونغ مع مجموعةٍ من الجان الرماديين جاءوا إلى معبر تيغيلين، عرف تورين ورحب به وكان مسروراً بأن يجده على قيد الحياة، لأنه علم بأن خطة غلاورونغ تقضي بالمسير إلى بريثيل، كان مابلونغ قد سمع تقريراً بأن سيف نارغوثروند الأسود يقيم الآن في بريثيل. لذلك جاء ليحذر تورين ويعرض عليه المساعدة إن كان بحاجة لها. لكن تورين قال له: لقد تأخرت كثيراً لأن التنين قد مات.

تعجبوا مما سمعوا ثم مدحوه كثيراً وأثنوا عليه، لكنه لم يرد بشيء إلا أنه قال لهم: عندي سؤال واحد فقط أريد أخباراً عن أهلي الذين من دور لومين، لقد علمت بأنهم ذهبوا إلى المملكة المخفية.

فزع مابلونغ من سؤاله لكن لابد من إخباره كيف فقدت موروين وكيف وقعت نيانور تحت نوبة النسيان والخرس. وكيف هربت منهم على حدود دورياث، وذهبت نحو الشمال. أخيراً عرف تورين بأن القدر قد تجاوزه وبأنه ذبح براندير ظلماً، لأنه ردد كلمات غلاورونغ ولم يختلق الأكاذيب، فضحك كطفل ثم صرخ، هذه مزحةٌ مؤلمةٌ فعلاً. لكنه طلب من مابلونغ

العودة إلى دورياث، باللعنات عليه، وعلى مهمته، ثم قال: كل ما أريده فقط، أن يحلَّ الليل.

ثم هرب منهم مثل الريح، فتعجبوا وتساءلوا ما هذا الجنون الذي استولى عليه، وتبعوه لكن تورين أصبح بعيداً عنهم، فقد ذهب إلى كابيد آين أراس، واستمع إلى هدير الماء، فرأى أن كل أوراق الأشجار قد ذبلت وتساقطت كما لو أن الشتاء جاء. هناك سحب سيفه، فلم يبقى له سواه من كل ما يملك وقال: رائعٌ يا غورثانغ أنت لا تعرف سيداً ولا ووفاء، لا تعرف إلا اليد التي تستخدمك، فليس لك دم لكي تهزل وتنكمش، لذلك فلا تكن ضعيفاً وخذ تورين تورامبار واذبحني بسرعة.

رنَّ صوتٌ من النصل وكان بارداً في جوابه وقال: نعم سأشرب دمك بكل سرور فلم أنسى دم سيدي بيليغ، وبراندير المقتول ظلماً، فأنا سأذبحك بسرعة.

وضع تورين المقبض على الأرض ورمى نفسه على رأس غورثانغ، فأخذ النصل الأسود حياته، لكن مابلونغ والجان الذين معه وصلوا فرأوا غلاورونغ يتمدد ميتاً. ورأوا أيضاً جسد تورين الممدد بجانبه. فحزنوا كثيراً. وعندما جاء شعب بريثيل، أخبروهم عن سبب جنون تورين وموته، فكانوا مرعوبين. قال مابلونغ بشكل مرير: أنا أيضاً مشتبك بقدر أبناء هورين، وبالتالي مع حكايتي هذه فقد قُتل اليوم شخصاً أحبه.

رفعوا جثة تورين فوجدوا غورثانغ مكسور ومفتت. قام الجان والبشر بجمع كميةٍ كبيرةٍ من الخشب وأحرقوا جثة التنين، فاستهلكته النار حتى أصبح رماداً. لكنهم احتفظوا بجثة تورين، ووضعوها على تلٍ عالي في نفس المكان الذي مات فيه ووضعوا شظايا غورثانغ بجانبه. وعندما تم كل شيء. غنى الجان أغاني الرثاء لأبناء هورين. ووضعوا حجارة رمادية كبيرةً على التل. ونصبوا عليها شاهدة نُقش عليها بأحرف دورياث الرونية.

**TURIN TURAMBAR DAGNIR GLAURUNGA**

وكتبوا تحتها **NIENOR NINIEL**

لكن جثتها لم تكن هناك ولا أحد يعرف إلى أي مكانٍ أخذتها مياه تيغيلين الباردة.



# الفصل الثاني والعشرون

## خراب دورياث

هكـذا كانـت نهايـة حكايـة تـورين تورامبـار، لكـن مورغـوث لم يـنم ولم يعـرف طعـم الراحـة مـن الشّـر، فتعاملاتـه مـع بيـت هـادور لم تنتـه بعـد، ولم يشـبع حقـده ضـدهم بعـد. مـع ذلك فقد كان هورين تحت عينيه. وموروين بقيت تتجول حائرةً في البرية.

كـان مورغـوث مسـتاء كثـيراً مـن هـورين. لأن كـل مـا يعرفـه عـن أعمـال حقـده فـإن هـورين يعرفـه أيضـاً. لكـن اخـتلط الكـذب بالحقيقـة، وبأيـة حـال فـإن ذلـك جيـد إن كـان مخبأ أو مشـوّه. أراد مورغـوث وبكـل الوسـائل أن يضـع ضـوءاً شـريراً علـى كـل الأعمـال الـتي عملهـا ثينغـول وميليـان، لأنـه يكرههمـا ويخـاف منهمـا، لـذلك فقـد تحـيَّنَ الوقـت المناسـب لشـروره. وأطلـق هـورين وحـرره مـن عبوديتـه. وعـرض عليـه الـذهاب أينمـا يريـد. متظـاهراً بـذلك بأنـه يشـفق علـى هـورين، وبـأن عـدوه قـد هـزم تمامـاً، لكنـه كـان كاذبـاً، فلقـد كـان قصـده بالنسـبة لهـورين، بـأن يلعب دوراً في تعزيز الكراهية بين الإنس والجان قبل موته.

مـع أن ثقتـه بكـلام مورغـوث ضـعيفة، لأنـه يعرفـه بأنـه بالحقيقـة بـدون رحمـة أو شـفقة، لكنـه أخـذ حريتـه وخـرج حزينـاً يشـعر بـالمرارة مـن كـلام سـيد الظـلام. مـرت سـنة علـى وفـاة ابنـه تـورين، فلثمانيـة وعشـرين سـنة بقـي هـورين أسـيراً في أنغبانـد. وكـان قـد كـبر بـالعمر فأصـبح مـتجهم الوجـه وابـيضَّ شـعره ولحيتـه منـذ زمـنٍ طويـل، لكـن ظهـره لم ينحـني. عـبر إلى هيثلـوم متوشـحاً سـيفه برفقـة مجموعـة كبـيرة مـن خـدم الظـلام. أتـت الأخبـار إلى زعمـاء الإيسـتيرلينغز، بـأن هنـاك مسـير عظـيم مـن القـادة والفرسـان وجنـود الظـلام مـن أنغبانـد علـى رمـال إنفاوغليـث، ومعهـم رجـلٌ عجـوزْ، كشـخص مكـرم بالشـرف العـالي، لـذلك لم يضـعوا أيـديهم علـى هـورين، وتركـوه يمشـي في تلـك الأرض وفـق رغبتـه، كـان مـن الحكمـة أن يتجنـب شـعبه لقاءه لأنه أتى من أنغباند كواحد مكرم ومبجل من حلف مورغوث.

الحريـة علـى هـذا الشـكل زادت مـن مـرارة قلـب هـورين، لـذلك غـادر هيثلـوم وصـعد إلى الجبـال. هنـاك لمـح وسـط الغيـوم قمـم كريسـايغريم فتـذكر تورغـون، ورغـب ثانيـةً بـالعودة إلى

غونـدولين المملكـة المخفيـة. لـذلك نـزل مـن إيريـد ويثـرين، ولم يكـن يعلـم بـأن مخلوقـات مورغـوث تراقـب كـل خطواتـه. فعـبر مـن بريثيـاخ إلى ديمبـار، حـتى وصـل قعـر إيخوريـاث المظلـم. وكانـت كـل الأرض هنـاك بـاردةً ومقفـرةْ. نظـر إليهـا بقليـلٍ مـن الأمـل. واقـف عنـد كعـب انهيـارٍ صـخريٍ كبـير تحـت سـور حجـري مائـل. لم يعـرف أن هـذا هـو كـل مـا تبقـى مـن طريـق الهـرب القـديم. فـالنهر الجـاف مسـدود، والبوابـة المقوسـة مختفيـة، نظـر هـورين إلى السـماء الرماديـة، لعلـه يلمـح النسـور ثانيـةً. كمـا حـدث معـه منـذ عهـد بعيـد في شـبابه، لكنـه لم يـرى إلا الظـلال الـتي نفخـت مـن الشـرق والغيـوم الملتفـة حـول القمـم العاليـة الصـعبة المنـال، ولم يسـمع إلا صوت الريح تصفر على الأحجار.

لكـن مراقبـة النسـور العظيمـة كانـت مضـاعفةً الآن، فقـد ميـزت هـورين جيـداً مـن علـى ارتفـاع عـالي وكـان يائسـاً في الضـوء الباهـت. بـدى وكـأن هنـاك أخبـار عظيمـة، لـذلك ذهـب ثورونـدور بنفسـه فـوراً لإخبـار تورغـون. لكـن تورغـون قـال لـه: إذا كنـت تظـن أن مورغـوث نائم، فأنت مخطئ.

قـال ثورونـدور: لـيس كـذلك. إذا كانـت نسـور مـانوي متعـودة علـى خطـأ كهـذا. فـإن اختفـاءك يا سيدي كان يمكن أن يكون بلا جدوى منذ زمنٍ بعيد.

فقـال لـه تورغـون: هـذا الكـلام نـذير شـؤم، لأنها لا تحمـل إلا معـنىً واحـداً، حـتى هـورين ثـاليون نفسه استسلم لإرادة مورغوث. لقد انغلق قلبي.

لكـن بعـد ذهـاب ثورونـدور، جلـس تورغـون يفكـر لمـدة طويلـة، وكـان مضـطرباً. تـذكر أعمـال هـورين مـن دور لـومين، فـانفتح قلبـه وأرسـل إلى النسـور لكـي يـأتوا بهـورين إلى غونـدولين إن كـان هـو يريـد ذلـك، لكنـه كـان قـد تـأخر جـداً لأنهـم لم يـروا هـورين مـرة ثانيـة لا في الضـوء ولا في الظل.

وقـف هـورين بيـأس أمـام الجـروف الصـامته مـن إيخوريـاث، كانـت أشـعة شمـس الغـروب تخـترق الغيـوم وتصـبغ بيـاض شـعره بـالأحمر. صـرخ بصـوت عـالٍ في البريـة غـافلاً عـن أيـة آذانٍ قـد تسـمعه. فلعـن الأرض عديمـة الرحمـة، ثم وقـف علـى صـخرة عاليـة، نظـر باتجـاه غونـدولين ونـادى بـأعلى صـوته، تورغـون. تورغـون، أتـذكر مسـتنقع سـيريخ. آه يـا تورغـون أم أنـك لا تسـتطيع سمـاع صـوتي في قاعاتـك المخفيـة؟ لم يكـن هنـاك أيَّ أثـر لأي صـوت إلا صـوت صـفير الـريح علـى الأعشـاب الجافـة، رغـم ذلـك فقـد وصـل صـوت همـس الـريح إلى سـيريخ عنـد

مغيب الشمس، وبينما هو يتكلم غابت الشمس وراء جبال الظل وحلَّ الظلام، فسكنت الريح، وساد صمت في الأراضي القفر.

لكن كانت هناك آذان تسمع كلام هورين، فبعثوا بتقريرهم إلى العرش المظلم في الشمال، ابتسم مورغوث لأنه عرف الآن وبشكل واضح منطقة سكن تورغون. حيث كان مسكنه محمي بسبب النسور، فلم يكن باستطاعة أي جاسوس، الوصول إلى مرمى البصر من الأرض الواقعة خلف الجبال المحيطة، وهذا كان الشر الأول الذي أنجزته حرية هورين.

عندما حل الظلام تعثر هورين فسقط عن الصخرة، وغطّ في نوم ثقيل بسبب الألم والحزن، سمع في نومه صوت موروين ينوح ويبكي، وغالباً ما كانت تذكر اسمه، بدا له وكأن صوتها يخرج من بريثيل. لذلك عندما صحا مع بداية النهار قفل عائداً إلى بريثياخ، ومر إلى إفريز بريثيل فوصل مع الليل إلى معابر تيغيلين. شاهده الحراس الليليين، فخافوا منه لأنهم اعتقدوا بأنهم رأوا شبحاً يخرج من بعض تلال المعركة القديمة وراح يمشي حولهم في الظلال. لذلك لم يبق هورين هناك بل ذهب إلى المنطقة التي حُرق فيها غلاورونغ، ورأى الحجارة الطويلة التي تقف بقرب حافة كابيد نايرامارث.

لم ينظر هورين للحجارة ولم يقرأ ما كتب عليها هناك، لكنه رأى بأنه لم يكن لوحده هناك، فقد كان في ظل الحجارة امرأة راكعة على ركبتيها، وعندما وقف هورين وكان صامتاً، رفعت هي قلنسوتها الرثة التي كانت تغطي وجهها، بدت من تحتها امرأة رمادية كبيرة بالسن، لكنه عندما نظر إلى عينيها، عرفها، مع أنهما كانا في برية مليئة بالخوف، فما زال ذلك الضوء يلمع في عينيها، وهو ما أكسبها منذ عهد بعيد اسم إيلذوين. أعزُّ وأجمل النساء الفانيات في كل الزمان القديم.

قالت له: أتيت أخيراً، لقد انتظرتك طويلاً جداً.

أجابها: لقد كان طريقاً مظلماً، لكني أتيت عندما استطعت المجيء.

فقالت له موروين: لكنك تأخرت كثيراً. فلقد ضاعوا.

قال: لقد علمت بذلك. ولكن لم أفقدكِ.

أجابته موروين: أنا منهكة تقريباً وسأذهب مع غروب الشمس، فلم يبقَ لي إلا القليل من الوقت. إذا كنت تعرف شيء أخبرني. فأنا لم أجدهم.

لم يجيبها هورين، لكنهما جلسا بجانب الحجارة ولم يتكلما ثانية، وعندما غربت الشمس تنهدت موروين وأمسكت بيده، بقيت ممسكةً بها حتى ماتت. عرف هورين بأنها ماتت.

نظـر إليهـا فقـد بـدت في الغسـق وخطـوط الحـزن القاسـية مصـقولة علـى وجههـا منـذ زمـن وقـال: إنها لم تقهـر، وأغلـق عينيهـا وجلـس بجانبهـا بـلا حـراك بينمـا الليـل كـان يهـبط، وميـاه كابيـد نايرامـارث تهـدر لكنـه لم يسـمع أي صـوت، ولم يـرى أو يشـعر بـأي شـيء، فقـد أصـبح قلبـه متحجـراً. أتـت ريـحٌ بـاردةٌ حملـتْ معهـا المطـر القاسـي إلى وجهـه، فاسـتيقظ وارتفـع غضـبه كمـا يتصـاعد الـدخان، وسـيطرت علـى عقلـه رغبـة أخـذ الثـأر، للتكفـير عـن أخطـاءه وأخطـاء أهـل بيتـه. متهمـاً كـل الـذين تعامـل معهـم في مـا أصـابه مـن ألم. صـعد فـوق الحجـارة وعمـل قـبراً لمـوروين مـن الحجـارة فـوق كابيـد نايرامـارث، علـى الجانـب الغـربي. وكتـب فوقـه هـذه الكلمات. هنا ترقد أيضاً موروين إيلذوين.

يقال بأن عرّافاً وعازف قيثارة من بريثيل يدعى غليرهوين، ألفا أغنية تقول:

تلك القبور التعيسة.

يجب أن لا يدنسها مورغوث.

ولا يجب أن يهدمها أحد.

حتى وإن غطى البحر كل الأرض.

ولو أن ذلك حدث فعلاً.

فيجب أن تبقى تول موروين.

واقفةً وسط الماء وحيده.

خلف الشواطئ الجديدة.

التي وُجدت أيام غضب الڤالار.

لكن هورين لا يستلقي هناك.

فمازال شقاؤه يسيّرهُ، والظل يتبعه.

عـبر هـورين مـن فـوق تيغيلـين ونـزل جنوبـاً إلى الطريـق القـديم الـذي يصـل إلى نارغوثرونـد، ورأى في الشـرق البعيـد، المرتفـع الوحيـد لآمـون روذ وعـرف مـا حصـل هنـاك مـن أحـداث. وبعـد مسـافة طويلـة وصـل إلى ضـفاف نـاروغ وخـاطر بعبـور النهـر الـبري مـن فـوق الحجـارة الـتي كانـت قـد سـقطت مـن الجسـر. كمـا غـامر مـن قبلـه مـابلونغ. ووقـف أمـام أبـواب فيلاغونـد المكسّرة، المتكئة دعاماتها على الخراب.

هنـا يجـب أن نقـول أنـه بعـد رحيـل غلاورونـغ. اسـتدل مـيم ذلـك القـزم التافـه، علـى الطريـق إلى نارغوثرونـد، زحـف ضـمن القاعـات المخربـة، واسـتولى عليهـا، وجلـس هنـاك ممسـكاً بصـولجان

الـذهب المرصـع بـالمجوهرات، فلـم يسـمح لأي شـيء أن يحـرك إلا بمعرفتـه، لكـي لا يقـترب أحـد منـه ويسـرقه، فقـد كـان خائفـاً مـن روح غلاورونـغ وذكـراه المرعبـة. لكـن الآن أتـى شـخص. ووقـف أمـام العتبـة، فخـرج إليـه ميـيم وطلـب معرفـة غرضـه، لكـن هـورين قـال: مـن أنت حتى تمنعني من الدخول إلى بيت فينرود فيلاغوند ؟

أجابـه القـزم: أنـا ميـيم. فلقـد حفـر الأقـزام قاعـات نولـوككيزداين، قبـل أن يـأتي المتكـبرون والمتغطرسون من البحر. وأنا عائدٌ لأخذ ما هو لي، لأني أنا الأخير المتبقي من شعبي.

فقـال لـه هـورين: إذا لـن تسـتمتع كثـيراً بميراثـك فيمـا بعـد، لأني أنـا هـورين بـن غالـدور، عائـدٌ مـن أنغبانـد وابـني تـورين تورامبـار، الـذي لم تنسـاه بعـد. وهـو مـن ذبـح التنـين غلاورونـغ، الـذي دمر هذه القاعات حيث تجلس أنت، ومعلومٌ لديَّ من الذي غدر بخوذة تنين دور لومين.

خـاف القـزم ميـيم كثـيراً عنـدما سمـع هـذا الكـلام، وتوسـل إلى هـورين بـأن يأخـذ مـا يريـد وينقـذ حياتـه، لكــن هــورين لم يعــر توســلاته أي اهتمــام فذبحــه أمــام أبــواب نارغوثرونــد. ثم دخــل وبقــي لفــترة في ذلــك المكــان المخيــف، حيــث كنــوز ڤــالينور منثــورةً علــى الأرض وباليــة في الظـلام. لكـن قيـل بأنـه عنـدما خـرج هـورين مـن حطـام نارغوثرونـد ووقـف ثانيـة تحـت السـماء فقد كان يحمل معه إلى الخارج من كل ذلك الكنز العظيم شيئاً واحد فقط . . .

سـافر هـورين شـرقاً حـتى وصـل إلى بحـيرات الغسـق فـوق شـلالات سـيريون، وهنـاك أخـذهُ الجـان الـذين يحرسـون المعسـكرات الغربيـة لـدورياث. للمثـول أمـام الملـك ثينغـول في الكهـوف الألـف. تعجـب ثينغـول كثـيراً وحـزن عنـدما نظـر إليـه، لأنـه عـرف أن ذلـك المـتجهم الهـرم هـو هـورين ثـاليون أسـير مورغـوث، رحـب بـه بلطافـة وأظهـر لـه الشـرف. لم يجـب هـورين بـأي شـيء، لكنـه أخـرج مـن تحـت عباءتـه الشـيء الوحيـد الـذي أخرجـه معـه مـن نارغوثرونـد. وكـان ذلـك كنـز نـاوغلامير، عقـد الأقـزام، الـذي صُـنعَ لفينـرود فيلاغونـد، منـذ زمـن طويـل مـن قبـل حرفيـو نـوغرود وبيليغوسـت، وهـو مـن أشـهر أعمـالهم في أيـام إيلـدار. وكـان فينـرود يقدمـه علـى كـل كنوز نارغوثروند. أخرجة هورين ورماه أمام أقدام ثينغول وهو يصرخ بالكلمات البرية المرة.

خُـذهُ كـأجر لـك لأنـك حافظـت علـى زوجـتي وأولادي. فهـذا نـاوغلامير المشـهور اسمـه بـين الإنـس والجـان، وأنـا أخرجتـه لـك مـن ظـلام نارغوثرونـد. حيـث أن قريبـك فينـرود تركـه خلفـه عندما صعد مع بيرين بن باراهير لإنجاز مهمة ثينغول من دورياث.

نظـر ثينغـول إلى الكنـز العظـيم وعـرف أنـه نـاوغلامير، وحسـناً فعـل بأنـه عـرف قصـد هـورين، لكــن شــفقته منعــت غضــبه، وتحمــل ازدراء هــورين لــه. أخــيراً تكلمــت ميليــان قائلــةً: هــورين

ثـاليون لقـد سـحرك مورغـوث، والآن عيـون مورغـوث تبصـر مـن خلالـك، بإرادتـك أو خـارج إرادتـك. فإنـك تـرى كـل شـيء بشـكل مخـادع. لقـد تـربى ابنـك تـورين لمـدة طويلـة في قاعـات مينيغـروث، ورأى الحـب والشـرف كـابن ملـك. ولم يكـن بـإرادة الملـك ولا بـإرادتي عـدم عودتـه إلى دوريـاث، وبعـد ذلـك زوجتـك وابنتـك استضـفناهما بالشـرف وحُسـن النيـة، وحاولنـا بكـل الوسـائل تقـديم النصـح لمـوروين بعـدم الـذهاب إلى طريـق نارغوثرونـد. وأنـت الآن تـوبخ أصدقاءك بصوت مورغوث.

كـان هـورين يسـتمع إلى كلمـات ميليـان وهـو يقـف ثابتـاً، ثم حـدق مطـولاً في عيـون الملكـة، وهنـاك في مينيغـروث مـازال زنـار ميليـان يحمـيهم مـن ظـلام العـدو، فقـرأ الحقيقـة الـتي كانـت، وتـذوق أخـيراً حجـم المشـكلة الـتي وضـعه فيهـا مورغـوث بـاوغلير. ولم يـتكلم أكثـر عـن الماضـي. لكنـه انحـنى ورفـع نـاوغلامير بعـد أن كـان قـد ألقـاه أمـام كرسـي ثينغـول وأعطـاه إيـاه قـائلاً: خـذ يـا سـيدي عقـد الأقـزام كهديـة مـن شـخص لا يملـك أيّ شـيء، وكتـذكار مـن هـورين الـذي مـن دور لـومين، لأن مصـيري الآن قـد أُنجـز. وتحقـق هـدف مورغـوث، لكنـني لم أعد عبداً له.

اسـتدار وغـادر الكهـوف الألـف. وكـل مـن رآه تراجـع مـن أمـام وجهـه. ولم يشـأ أحـدٌ مقاومـة ذهابـه، لم يعرفـوا إلى أيـن سـيذهب. لكـن قيـل بـأن هـورين لم يعـش بعـد ذلـك. ولأنـه كـان مجـرداً مـن الأهـداف والرغبـات، فقـد رمـى نفسـه أخـيراً في البحـر الغـربي. هكـذا كانـت نهايـة المحارب الأكثر جبروتاً بين البشر الفانيين.

بعـد أن ذهـب هـورين مـن مينيغـروث، جلـس ثينغـول لمـدة طويلـة صـامتاً يحـدق في الكنـز العظـيم الملقـى علـى ركبتيـه، وجـاء إليـه رأي بـأن يعـاد تصـنيع عقـد الأقـزام ويجـب أن تكـون السـيلماريل موضـوعة فيـه كمجموعـة واحـدة. لكـن بمـرور السـنين زاد انشـغال فكـر ثينغـول بجـوهرة فيـانور بشـكل مسـتمر، وأصـبح مرتبطـاً بهـا. ورغـب بـأن لا يبقـي السـيلماريل مرتـاحٌ وراء أبواب الخزنات العميقة، فتدبر الأمر لحمله معه دائماً، في النوم وفي اليقظة.

وفي تلـك الأيـام كـان مـايزال الأقـزام يـأتون بـرحلاتهم إلى بيليريانـد مـن قصـورهم في إيريـد لينـدون، ويمـرون فـوق جيليـون مـن سـارن أثـراد، المعـبر الحجـري. كـانوا يسـافرون عـبر الطريـق القـديم إلى دوريـاث. ولأن مهـارتهم في أعمـال التعـدين والحجـارة كبـيرة. كانـت الحاجـة ماسـة إلى مهـاراتهم في قاعـات مينيغـروث. لكـنهم لم يـأتوا كمـا كـانوا في السـابق كمجموعـات صـغيرة. بـل بمجموعـات كبـيرة مسـلحة بشـكل جيـد لحمـايتهم عنـد مـرورهم في الأراضـي

الخطـرة بـين آروس وجيليـون. سـكنوا وقتهـا في مينيغـروث في غـرف الحـدادة الموضـوعة جنبـاً إلى جنـب مـع الحرفيـون العظمـاء الـذين جـاؤوا مـن نـوغرود إلى دوريـاث. لـذلك أعلـن لهـم الملـك عـن رغبتـه. بمـا أن مهـارتهم عظيمـة بمـا فيـه الكفايـة، فعلـيهم أن يعيـدوا صـياغة نـاوغلامير، وأن يضـعوا فيـه السـيلماريل. نظـر الأقـزام إلى عمـل آبـائهم. واندهشـوا مـن جـوهرة فيـانور المشـرقة، وكانـت لـديهم رغبـة عارمـة بـأن يمتلكوهـا ويحملوهـا معهـم إلى بيـوتهم البعيـدة. لكـنهم أخفـوا نيتهم ووافقوا على المهمة.

عملـوا لمـدة طويلـة، وكـان ثينغـول ينـزل لوحـده إلى ورش الحـدادة العميقـة، ويجلـس دائمـاً بيـنهم عنـدما كـانوا يعملـون، وبمـرور الوقـت أنجـزت رغبتـه، والعمـل الأعظـم لاجتمـاع الجـان والأقـزام قـد أنجـز كعمـل واحـد. كـان جمالـه عظـيم جـداً. فقـد عكسـت جـواهر نـاوغلامير الـتي لا تعـد ولا تحصـى، أشـعة ضـوء السـيلماريل الموضـوعة في منتصـفها، إلى الخـارج بأشـكال رائعـة. وبينمـا كـان ثينغـول يتواجـد بيـنهم لوحـده، أراد أخـذ الطـوق ووضـعه حـول عنقـه، لكـن الأقـزام حجبـوه عنـه في تلـك اللحظـة، وطلبـوا منـه بـأن يتنـازل عنـه قـائلين: بـأي حـق يـدعي ملـك الجـان حقـه في امـتلاك نـاوغلامير، الـذي صـنعه آبائنـا لفينـرود فيلاغونـد المتـوفي؟ صـحيح أنـه جـاء إليـك بيـد هـورين الرجـل الـذي مـن دور لـومين. لكنـه قـد أخـذه كلـص في الظـلام وأخرجـه مـن نارغوثرونـد. أدرك ثينغـول نوايـاهم ومـا في قلـوبهم، ورأى جيـداً بـأن رغبـتهم إلى السـيلماريل، لكـنهم أرادوا ذريعـة وتغطيـة عادلـة لنيـتهم الحقيقيـة. وفي غضـبه وفخـره لم يعطـي أي انتبـاه إلى الخطـر المحـدق بـه، لكنـه تكلـم معهـم باحتقـار قـائلاً: كيـف تجـرؤون أنـتم أيهـا النسـل الجلـف علـى المطالبـة بـه مـني، أنـا إيللـو ثينغـول. سـيد بيليريانـد، والـذي ابتـدأت حياتـه بميـاه كـويفيينين، منـذ سـنوات كثـيرة لا تعـد ولا تحصـى مـن قبـل أن يسـتيقظ آبـاء الشـعب القـزم؟ كـان يقـف طـويلاً متفـاخراً بيـنهم وتَعـرَّضَ لهـم بالكلمـات المخزيـة الـتي لا مقابـل لهـا خارج دورياث.

توقـدت رغبـة الأقـزام وغضـبوا مـن كـلام الملـك فوثبـوا عليـه ووضـعوا أيـديهم عليـه. ذبحـوه وهـو لايـزال واقفـاً. هكـذا مـات في الأمـاكن العميقـة مـن مينيغـروث إيلـوي سـينغولو. ملـك دوريـاث. والوحيـد مـن بـين أبنـاء إلوثاتـار الـذي كـان مرتبطـاً بواحـد مـن آينـور. وهـو الوحيـد مـن الجـان المنبـوذين الـذي رأى ضـوء أشـجار ڤـالينور. وبنظرتـه الأخـيرة قبـل أن يمـوت حـدّقَ علـى السيلماريل.

أخذ الأقزام ناوغلامير وغادروا مينيغروث هاربين إلى المناطق الشرقية. انتشر الخبر بسرعة عبر الغابة، وطاردهم الجان حتى الموت، فبعض تلك الفرق مرت من آروس، ووجدوهم أثناء بحثهم عن الطريق الشرقي. واسترجع الجان ناوغلامير. فقد عاد بالحزن إلى الملكة ميليان، رغم ذلك فقد هرب اثنان من قتلة ثينغول، هربا من الملاحقة على الحدود الشرقية، وعادا أخيراً إلى مدينتهم البعيدة في الجبال الزرقاء. هناك في نوغرود أخبروا ببعض ما حصل وقالوا: بأن الأقزام قُتلوا في دورياث بأوامر من ملك الجان الذي خدعهم ولم يعطيهم مكافأتهم.

كان هناك حزن ورثاء عظيمين في نوغرود لدى الأقزام بسبب موت أقربائهم أولئك الحرفيون العظماء، فنتفوا لحاهم وناحوا، وجلسوا يفكرون لمدة طويلة بكيفية الثأر. يقال بأنهم طلبوا مساعدة أقزام بيليغوست لكن لم يجبهم أحد، بل أراد أقزام بيليغوست ثنيهم عن مسعاهم. لكن نصيحتهم كانت غير مجدية، وقبل مدة طويلة زحف جيش عظيم من نوغرود، وعبر جيليون غرباً إلى بيليرياند.

وقع على دورياث تغيير ثقيل، فقد جلست الملكة ميليان بصمت ولمدة طويلة بجانب الملك ثينغول. ورجعت بالفكر إلى السنوات المضاءة بالنجوم وإلى لقائهما الأول بين عنادل نان إيلموث في العصور الماضية. فعرفت بأن فراقها عن ثينغول كان أعظم فراق وإن نهاية دورياث اقتربت كثيراً، لأن ميليان تعتبر من الجزء المقدس من الڤالار، وهي من المايا عظماء القوة والحكمة. لكنها عندما أحبت إيلوي سينغولو اتخذت لنفسها شكل أبناء إلوڤاتار الأقدم. وبهذا الاتحاد أصبحت ملزمة بسلسلة قيود من لحم أردا. وفي ذلك الشكل والهيئة حملت وولدت لوثايين تينوڤيل، وفي تلك الهيئة والشكل اكتسبت قوة على جوهر أردا، فكانت دورياث محمية ولعصور طويلة من الشرور المحيطة بها بواسطة زنار ميليان. لكن الآن، مات ثينغول وعبرت روحه إلى قاعات ماندوز. وبموته رجع التغيير إلى ميليان أيضاً. ففي ذلك الوقت سحبت قوتها من غابات نيلدوريث والإقليم. وتكلم نهر إيسغالدوين المسحور بصوت مختلف. وأصبحت دورياث مفتوحةً أمام أعدائها.

فيما بعد لم تتكلم ميليان مع أحد إلا مع مابلونغ فقط، فقالت له بأن ينتبه إلى السيلماريل، وأن يرسل بسرعة إلى بيرين ولوثايين في أوسيرياند، أما هي فقد اختفت من الأرض الوسطى وعبرت إلى أرض الڤالار خلف البحر الغربي، جلست من حيث جاءت، في حدائق لورين مستغرقةً في حزنها. ولم تعرف عنها فيما بعد حكاية غير هذه الحكاية.

عبر جيش ناوغريم فوق آروس ومرَّ بدون مقاومة إلى غابة دورياث، فلم يصمد أحد أمامهم لأنهم كانوا كثيرين وشرسين. اعترى الشك واليأس قادة الجان الرماديين، فكانوا يذهبون هنا وهناك بلا هدف محدد. أما الأقزام فقد حملوا على طريقهم ومروا فوق الجسر العظيم ودخلوا إلى مينيغروث. فحدث هناك شيءٌ من أكثر وأشد الأعمال حُزناً في الأيام القديمة، حيث ذُبح الكثير من الجان والأقزام في معركة الكهوف الألف، ولم يكن ذلك من الأيام المنسية، كان النصر حليف الأقزام. وسُلبت قاعات ثينغول واستبيحت. هناك سقط مابلونغ اليد الثقيلة أمام أبواب الخزنة حيث يوضع ناوغلامير، فأخذوه وأخذوا السيلماريل.

في ذلك الوقت سكن بيرين ولوثايين في تول غالين، الجزيرة الخضراء في نهر أدورانت في الجهة الجنوبية من المنطقة، التي تتدفق إليها معظم الجدول النازلة من إيريد ليندون لتنضم إلى نهر جيليون. وكان ابنهما ديور إيللوخيل، وزوجته نيملوث قريبة كيليبورن أمير دورياث الذي تزوج من السيدة غالادريل، وأبناء ديور ونيملوث كانا إيللوريد وايللورين، وولدت لهم أخت، اسمها إيلوينغ ومعناه النجوم المنثورة، لأنها ولدت بليلة مليئة بالنجوم، تتألق أضواؤهم كشلال من رذاذ لانثير لاماث بجانب بيت أبيها.

انتشرت الأخبار بسرعة شديدة بين جان أوسيرياند، بأن جيشٌ عظيمٌ من الأقزام يحملون أعتدة الحرب قد نزل من الجبال ومرَّ فوق جيليون من معبر الحجارة، وصلت هذه الأخبار حالاً إلى بيرين ولوثايين، وفي ذلك الوقت جاءهم رسولٌ يخبرهم عما حدث في دورياث. عندها خرج بيرين من تول غالين واستدعى ابنه ورحلوا إلى الشمال إلى نهر آسكار. ورحل معهم الكثير من الجان الخضر من أوسيرياند.

هكذا حدث عندما عبر أقزام نوغرود عائدين من مينيغروث، وقد تناقصت حشودهم، فمرّوا ثانيةً بطريق عودتهم على ساران أثراد. هناك هوجموا من قبل أعداء غير مرئيين، لأنهم عندما تسلقوا ضفاف جيليون كانوا مرهقين بغنائمهم التي نهبوها من دورياث، وفجأة امتلأت الغابة بأصوات أبواق الجان. فأعملوا فيهم الرماح والسهام السريعة، التي كانت تأتيهم من كل جانب. فذُبح الكثير من الأقزام في بداية الهجوم، لكن هرب بعضهم من الكمين واتجهوا شرقاً نحو الجبال، وبينما هم يتسلقون المنحدرات الطويلة تحت جبل دولميد، هناك ظهر عليهم رعاة الأشجار وطردوا الأقزام إلى حدود الغابات الغامضة من إيريد ليندون. ولهذا السبب يقال بأنه لم يتسلق أحد فيما بعد الممرات العالية المؤدية إلى بيوتهم.

في تلك المعركة في ساران أثراد، قاتل بيرين بمعركته الأخيرة، وهو نفسه من ذَبح سيد نوغرود وأخذ منه عقد الأقزام، لكن وهو يموت لعنه ولعن الكنز الذي معه. حدّق بيرين بتعجبٍ على جوهرة فيانور نفسها التي قطعها من تاج مورغوث. والآن هي مشرقةً ضمن مجموعة من الأحجار الكريمة والمجوهرات المصاغة بحرفية ومكر الأقزام. فقام بغسله وتنظيفه من الدم في مياه النهر، وعندما أنتهى من كل ذلك كان كنز دورياث قد غرق في نهر آسكار. ومنذ ذلك الوقت فقد أصبح اسم النهر راثلوريل، أي السرير الذهبي. أخذ بيرين ناوغلامير وعاد إلى تول غالين، فقد خفف قليلاً من حزن لوثايين عندما علمت بأنه ذبح سيد نوغرود، وذبح الكثير من الأقزام إلى جانبه. لكنه قال وغنى بأن لوثايين معدةٌ لارتداء هذا العقد وتلك الجوهرة الخالدة، فقد كان منظرها أعظم مجد وأجمل ما خرج من مملكة ڤالينور. ولفترة قصيرة أصبح منظر أرض الموت حيث كانوا يعيشون أشبه بمنظر أرض الڤالار. وفي وقتها لم يكن أي مكان على الأرض أكثر جمالاً وصفاءً أو أكثر امتلاء بالضوء من هذه الأرض.

قام ديور ولي عهد ثينغول بوداع بيرين ولوثايين، وغادر لانثير لاماث مع زوجته نيملوث فوصل إلى مينيغروث وسكن هناك. رحل معهم أبناءهم الشباب إيللوريد وإيللورين وابنتهم إيلوينغ. فاستقبلتهم عشائر سيندار بالبهجة والفرح. لأنهم أخرجوهم من ظلام حزنهم بسبب سقوط أقاربهم وملكهم ومغادرة ميليان. اتخذ ديور إيللوخيل على نفسه عهداً بأن يرفع ويعيد مجد مملكة دورياث.

في وقت متأخرٍ من إحدى ليالي الخريف، جاء شخص ودقَّ على أبواب مينيغروث وطلب المثول أمام الملك، كان هذا الشخص هو سيّد الجان الخضر، وقد أتى مسرعاً من أوسيرياند. جلبه حراس الباب إلى حيث يجلس الملك ديور لوحده في غرفته. وهناك لم يتكلم أي شيء إنما أعطى الملك صندوق واستأذن بالعودة. وفي ذلك الصندوق كان يوجد عقد الأقزام حيث وضعت السيلماريل. نظر ديور إليه وعرف الإشارة، بأن بيرين إيرخاميون ولوثايين تينوڤيل قد ماتا فعلاً، وذهبا إلى المكان الذي يذهب إليه مصير نسل البشر خلف العالم.

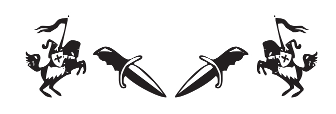
بقي ديور يحدق مطولاً في السيلماريل، الذي جلبه أباه وأمه وأخرجاه بالأمل من إرهاب مورغوث. فقد كان حزنه عظيم لأن ذلك الموت جاءهم بسرعة. لكن الحكماء قالوا بأن السيلماريل قد عجل بنهايتهم، لأنه ألهب جمال لوثايين عندما لبسته، فقد كان مشرقاً للغاية في تلك الأراضي الميته.

قـام ديـور بارتـداء نـاوغلامير حـول عنقـه، وظهـر بأنـه هـو الابـن الأجمـل في العـالم مـن بـين كـل الأجناس الثلاثة، إيداين وإيلدار وميَّار في كل العالم المبارك.

مشـت الاشـاعة بـين الجـان المتفـرقين في بيليريانـد بـأن ديـور وريـث ثينغـول قـد ارتـدى نـاوغلامير، فقـالوا: بـأن سـيلماريل فيـانور سـيحرق غابـة دوريـاث ثانيـةً، وقـد أيقـظ قسـم أبنـاء فيـانور مـن النـوم ثانيـةً. لأنـه عنـدما ارتـدت لوثـايين عقـد الأقـزام لم يتجاسـر الجـان علـى مهاجمتهـا، لكـن سمـع الآن عـن اسـتعادة النشـاط في دوريـاث وكبريـاء ديـور. لـذلك تجمـع شتات أبناء فيانور السبعة ثانيةً، وأرسلوا إليه مطالبين بملكهم.

لم يـرد ديـور أيَّ جـواب علـى أبنـاء فيـانور، فأثـار كيليغـورم أخوتـه ليسـتعدوا لهجـوم مباغـت علـى دوريـاث، وجـاؤوا علـى غـير توقـع في منتصـف الشـتاء وقـاتلوا ديـور في الكهـوف الألـف. وحـدثت القتـل الثـاني للجـان بيـد الجـان. هنـاك قُتـل كيليغـورم بيـد ديـور، وقُتـل هنـاك أيضـاً كـوروفين وكـارانثير المظلـم. وقُتـل أيضـاً ديـور وزوجتـه نيملـوث. واسـتولى خـدم كيليغـورم القسـاة علـى أبنـاءه الشـباب. وتركـوهم للمـوت جوعـاً في الغابـات. وبالفعـل فقـد نـدم مايـذروس عـن ذلـك الفعـل، وبحـث عـنهم لفـترة طويلـة في الغابـة، لكـن بحثـه كـان بـلا جـدوى. ولم تعـرف أيّـةَ أخبار فيما بعد عن مصير إيللوريد وإيللورين. هكذا دمرت دورياث ولم تقُم لها قائمةٌ ثانيةً.

لم يحصـل أبنـاء فيـانور علـى مبتغـاهم، فلـم يكونـوا رابحـين كمـا تصـوروا لأن بقيـة الشـعب هربـوا، وأخـذوا معهـم إيلوينـغ بنـت ديـور، فكـانوا يحملـون معهـم السـيلماريل. وقـد ذهبـوا إلى مصـبات نهر سيريون بجانب البحر.



## الفصل الثالث والعشرون

# تور وسقوط غوندولين

قيل بأن هوور أخو هورين والذي كان قد قُتل في معركة الدموع غير المعدودة. وكانت زوجته ريان قد ولدت في شتاء تلك السنة طفلاً في برية ميثريم، وسمّتهُ تور. وتبناه أنايل من الجان الرماديين الذين مازالوا يسكنون لحد الآن في تلالهم. قرر الجان الرماديون مغادرة كهوف أندروث حيث يسكنون عندما كان تور بعمر ستة عشر عاماً. شقوا طريقهم سرّاً إلى مرافئ سيريون في الجنوب البعيد. لكنهم هوجموا على الطريق من قبل الأوركس والإيستيرلينغز قبل أن يهربوا. فاقتيد تور أسيراً، وأصبح عبداً عند لورغان، زعيم إيستيرلينغز من هيثلوم. تحمل تور العبودية لثلاث سنوات، لكنه في النهاية هرب، وعاد إلى كهوف أندروث، هناك سكن لوحده في ذلك الوقت. وبهذا الهروب فقد شعر لورغان بأن تور أهان إيستيرلينغز، لذلك وضع مكافأةً عظيمةً لمن يأتيه برأس تور.

عاش تور في هذه الخلوة كهارب من العدالة لأربع سنوات، عندها وضعه أولمو في قلبه لكي يخرجه من أرض آبائه، لأن أولمو اختار تور كأداة لتنفيذ مخططاته. ترك تور كهوف أندروث مرة أخرى وذهب غرباً باتجاه دور لومين. عثر على أنون إين غيلايذ، وهي بوابة نولدور التي بناها شعب تورغون عندما سكنوا في نيڤراست منذ مدة طويلة. وهناك عثر على نفق معتم يمر تحت الجبال ويخرج من كيريث نينياخ، شق قوس قزح. التي من خلاله يمر الماء الهادر نحو البحر الغربي. هكذا كانت رحلة تور في ذلك الزمان، حيث غادر هيثلوم مسرعاً ولم يعلم به أو يراه أو يسمع عنه بشر أو أوركس، ولم تأتِ أية معلومات عنه إلى مسامع مورغوث.

وصل تور إلى نيڤراست ونظر إلى بيليغار ذلك البحر العظيم الذي يحبه، ودائماً ما يكون في قلبه شوق إليه ولسماع صوته بأذنيه، كان بادياً عليه الاضطراب الذي أخذه في نهاية المطاف إلى مملكة أولمو. سكن تور في نيڤراست لوحده. مرَّ صيف تلك السنة، واقترب

قـدر نارغوثرونـد، لكـن عنـدما أتـى الخريـف، شـاهد سـبع بجعـات عظيمـات يَطِـرنَ نحـو الجنـوب. عـرف تلـك الإشـارة الـتي تـأخرت كثـيراً. فتبـع طـيرانهم علـى طـول شـواطئ البحـر. وهكـذا حـتى وصـل بعـد طـول مسـيرٍ إلى قاعـات ڤينيامـار المهجـورة الواقعـة تحـت جبـل تـاراس. دخـل إلى تلـك القاعـات ووجـد هنـاك الـترس والـدرع والسـيف والخـوذة. الـذين تـركهم تورغـون طبقـاً لأوامـر أولمـو منـذ مـدة طويلـة. فحمـل هـذه الأسـلحة ولـبس الـدرع والخـوذة ونـزل إلى الشـاطئ. في تلـك الأثنـاء جـاءت إلى هنـاك عاصـفة عظيمـة خارجـة مـن الغـرب، خـرج مـن هـذه العاصـفة أولمـو سـيد الميـاه، فظهـر في الفخامـة وتكلـم مـع تـور الواقـف بجانـب البحـر، وعـرض عليـه أن يغـادر مـن ذلـك المكـان مـن أجـل البحـث عـن غونـدولين، المملكـة المخفيـة. وأعطاه عباءة كبيرة لتغطيه بالظل عن عيون أعداءه.

بعـدما عـبرت العاصـفة في الصـباح. وجـد تـور بجانـب أسـوار ڤينيامـار شـخص مـن الجـان يقـف هنـاك. كـان ذلـك الشـخص هـو ڤورونـوي بـن أرانـوي مـن غونـدولين، وهـو الـذي أبحـر بـآخر سـفينة أرسـلها تورغـون إلى الغـرب، لكـن عنـدما عـادت تلـك السـفينة في آخـر الأمـر مـن أعمـاق المحـيط منهكـة ولم تنجـو مـن العاصـفة الكبـيرة الـتي وقعـت علـى مرمـى البصـر مـن سـواحل الأرض الوسـطى. فقـد أخـذه أولمـو لوحـده مـن بـين كـل البحـارة، وألقـى بـه في الأرض القريبـة مـن ڤينيامـار. وعلمـه بـأن يتلقـى أوامـره مـن تـور، الـذي يتبـع لأوامـر سـيد الميـاه. انـدهش ڤورونـوي عنـدما رأى تـور. وقبـل أن يكـون هـو دليلـه ومرشـده إلى الأبـواب المخفيـة لغونـدولين، لـذلك فقـد خرجـا سـوية مـن ذلـك المكـان. وعنـدما حـل شـتاء تلـك السـنة قادمـاً مـن الشـمال، سارا متيقظين باتجاه الشرق تحت افريز جبال الظل.

بعـد سـفر طويـل وصـلا إلى بحـيرات إيڤـرين. نظـرا بحـزن للـدنس المعمـول مـن جـراء مـرور التنـين غلاورونـغ مـن هنـاك، وبينمـا همـا يحـدقان علـى الخـراب وإذ بشـخصٍ يمـرُّ مـن أمامهمـا مسـرعاً باتجـاه الشـمال، كـان رجـلاً طـويلاً يلتـف بـرداء أسـود. ويحمـل سـيفاً أسـوداً، لكنهمـا لم يعرفـا من هو، ولم يعرفا ما حدث في الجنوب. تجاوزهما ومرَّ بجوارهما ولم يقولا أية كلمة.

أخـيراً وبـالقوة الـتي وضـعها عليهمـا أولمـو فقـد وصـلا إلى البـاب المخفـي لغونـدولين. ثم نـزلا إلى النفـق الـذي أوصـلهما إلى البوابـة الداخليـة. هنـاك أخـذهما الحـراس كسـجناء، واقتادوهمـا مـن فـوق وادي أورفـالخ إيخـور الجبـار، المحمـي بسـبعة أبـواب، وجلبوهمـا أمـام النـافورة إلى إكثيليـون. مراقـب البوابـة الكبـيرة في نهايـة الطريـق الصـاعدة. هنـاك أزاح تـور عباءتـه عـن جانبيـة لتظهـر الأسـلحة الـتي حملهـا مـن ڤينيامـار، فعرفـوا بأنـه مرسـل مـن قبـل أولمـو. نظـر تـور إلى الأسـفل إلى

وادي توملادين الجميل، فبدا وكأنه جوهرة خضراء وسط التلال المحيطة به، ونظر إلى البعيد فرأى على مرتفع آمون غواريث الصخري، مدينة غوندولين العظيمة، مدينة بسبعة أسماء، المدينة الأشهر وصاحبة المجد الأعظم الممجد بالأغنية من بين كل مساكن الجان في هيثير لاندس. أصدر إكثيليون الأوامر لينفخ في الأبواق على الأبراج العظيمة، فتردد الصوت في التلال البعيدة لكنه جاء واضحاً صوت الإجابة من الأبواق على الأسوار البيضاء للمدينة، فتوهجت وأشرقت كالفجر على السهول.

هكذا كان ابن هوور الذي عبر توملادين وجاء إلى أبواب غوندولين، وصعد إلى السلالم العريضة للمدينة، أخيراً وصل إلى برج الملك، وشاهد صور أشجار ڤالينور. ثم وقف تور أمام الملك تورغون بن فينغولفين، الملك الأعلى لنولدور. وعن يمين الملك كان يجلس مايغلين ابن اخته، وعن يساره جلست ابنته إيدريل كيليبريندال. استغرب كل من سمع صوت تور. وارتابوا فيه، فهل هو فعلاً من جنس البشر الفانيين. لأن كلماته هي كلمات أولمو سيد المياه التي جاءته في تلك الساعة. فقدم تحذيراً إلى تورغون بأن لعنة ماندوز أصبحت قريبة الإنجاز. والتي تقول بأن كل أعمال نولدور يجب أن تفنى، وعليه أن يغادر، ويترك المدينة الجميلة الهائلة التي بناها وأن يهبط إلى سيريون ومن ثم إلى البحر.

تأمل تورغون في نصيحة أولمو مطولاً، وجاء إلى فكره الكلمات التي تحدث معه فيها في ڤينيامار. من غير الجيد أن يكون حبك لما هو ناتج عن عمل يديك وتصاميم قلبك، تذكر بأن الأمل الحقيقي لنولدور يضطجع في الغرب، آتياً من البحر، لكن تورغون أصبح الآن متكبراً وغوندولين جميلة مثل ذاكرة من جان تيريون. فمازال يثق بسريتها وقوة حصونها، حتى لو أنها عارضت أحداً من الڤالار. وبعد نيرنايث أرنوي دياد كانت رغبة شعب هذه المدينة بعدم التدخل بمشاكل الجان أو البشر مرة أخرى، ولا للعودة من خلال الخطر والفزع إلى الغرب. فأغلقوا خلفهم ولم يبقوا هناك على أية ممرات، فالتلال المسحورة واجهت كل من كان يريد الدخول. مع ذلك فقد هربوا من ملاحقة حقد مورغوث، وكانت أخبار بقية الأراضي تصلهم ضعيفة ومتأخرة. ونادراً ما اهتموا بأخبار غيرهم. بحث عنهم جواسيس أنغباند دون جدوى، ومسكنهم كان كالإشاعة والسرِّ الذي لا يمكن لأحد أن يجده. تكلم مايغلين في مجلس الملك بعكس نصيحة تور وبدت كلماته ذات وزنٍ لأنها ذهبت بعيداً في قلب تورغون، وبالنهاية رفض تورغون عرض أولمو ورفض نصيحته. لكن في تحذير الڤالار سمع ثانية الكلمات التي قيلت أمام شعب نولدور، أثناء مغادرتهم وهم على ساحل أرامان

منذ عهد بعيد. فاستيقظ الخوف في قلب تورغون من الخيانة والغدر. لذلك أغلقوا في ذلك الوقت كل المداخل المؤدية إلى الأبواب المخفية في الجبال المحيطة. وبعد ذلك لم يذهب أحدٌ من غوندولين لا في الحرب ولا في السلم، بينما ماتزال تلك المدينة واقفة. جاءت الأخبار من قبل ثورونـدور سيد النسور تفيد بسقوط نارغوثروند. وبعد اغتيال ثينغول ووريثه ديور وخراب دورياث. لكن تورغون أغلق أذنيه عن الكلام بدون مشاكل، وأقسم بأن لا يقف بصف أحدٍ من أبناء فيانور. ومنع شعبه مرور أحلافهم من التلال.

بقي تور في غوندولين بسبب جمالها ونعمتها وحكمة شعبها التي منعتها من الاستعباد. وأصبح تور هائلاً في القوام والعقل، وغاص بأعماق علوم الجان المنفيين. مال قلب إيدريل نحوه، وانجذب هو إليها، أما كراهية مايغلين لتور فقد ازدادت، لأنه رغب بامتلاك إيدريل قبل كل الأشياء لأنها الوريث الوحيد لملك غوندولين. لكنها الآن بعيدةً جداً، لأن تور لقي حظوة عند الملك، والذي منذ أن سكن هنا ومنذ سبع سنوات لم يرفض له تورغون طلب، حتى يد ابنة الملك. على الرغم من أنه لم يستمع إلى تحذيرات أولمو. فقد أدرك بأن مصير نولدور ارتبط بمصير شخص واحد، وهو من أرسله أولمو. ولم ينس كلام هوور له أمام جمهور غوندولين المغادر من معركة الدموع غير المرقمة.

كان هناك بهجةٌ وعرسٌ عظيم. لأن تور ربح قلوب كل الشعب. إلا مايغلين وأتباعه السريين. وهكذا حدث الاتحاد الثاني بين الجان والبشر.

وفي ربيع السنة التالية كان قد ولد في غوندولين إيارينديل، الجان النصف ابن تور وإيدريل كيليبريندال. وكان ذلك في السنة الخمسمائة وثلاثة منذ مجيء نولدور إلى الأرض الوسطى. فقد كان إيارينديل فائق الجمال، ففي وجهه كان ضوءٌ كأضواء السماء، وعنده حكمة وجمال إيلدار، وقوة وصلابة قدماء البشر. وتكلم البحر دائماً في قلبه وأذنه، كما كان الحال مع أبيه تور.

كانت أيام غوندولين لحد الآن مليئة بالبهجة والسلام، فلا أحد يعرف المنطقة التي تقع فيها المملكة المخفية. التي كُشفت أخيراً لمورغوث بسبب نداءات هورين عندما وقف في البرية خلف جبال التطويق ولم يجد المدخل فنادى بيأسٍ إلى تورغون. بعدها تركز تفكير مورغوث وبشكل مستمر على الأراضي الجبلية بين أناخ ومياه سيريون العليا. حيث لم يصل إليها خَدمةُ من قبل، رغم ذلك فلم يستطع أي جاسوس أو أي أحد من مخلوقات أنغباند من الوصول إلى هناك بسبب يقظة النسور. وبالتالي فقد أحبطت كل مخططات

مورغـوث. كانـت إيـدريل كيليبرينـدال حكيمـة وبعيـدة النظـر. لكـن قلبهـا كـان متوجسـاً وزحـف نـذير الشـؤم كغيمـةٍ علـى روحهـا، لـذلك في ذلـك الوقـت دبـرت خطـةً لكـي تنجـز طريقـاً سـرياً يجـب أن يقـود مـن تحـت المدينـة ويعـبر إلى الخـارج، فيمـر مـن تحـت الأرض ويظهـر بعيـداً خلـف الأسـوار، مـن الجهـة الشـمالية لآمـون غواريـث. ودبـرت ذلـك بحيـث لا يعـرف بهـذا العمـل إلا بضعةٌ، ولم تصل أي همسة بخصوص هذا العمل إلى آذان مايغلين.

وفي الوقـت الـذي كـبر فيـه إيارينـديل، كـانوا قـد فقـدوا مـايغلين، لأنـه كمـا قيـل بأنـه أحـب الحفـر والتنقيـب عــن المعـادن وفضّــلها علـى أي حرفـة أخـرى. كــان مــايغلين سـيداً وزعيمـاً للجــان الـذين عملـوا في الجبـال بعيـداً عـن المدينـة، يـذهبون لطلـب المعـادن مـن أجـل حـرفهم لصـناعة أشـياء تصـلح للحـرب والسـلام، لكـن في أغلـب الأحيـان ذهـب مـايغلين مـع بضـعة مـن قومـه إلى أبعـد مـن مخـافر الـتلال، ولم يعـرف الملـك بـأن ذلـك كـان تحـدياً لـه ومخالفـة لأوامـره. شـاءت الأقـدار بـأن يقـع مـايغلين أسـيراً لـدى الأوركـس، فأخـذوه إلى أنغبانـد. ولم يكـن مـايغلين جبانـاً ولا ضـعيفاً، لكــن العـذاب الـذي لقيـه أجـبر روحـه علـى الإذعـان، فاشـترى حياتـه وحريتـه بكشـفه لمورغـوث عـن مكـان غونـدولين والطـرق المؤديـة إلى مهاجمتهـا. لقـد كانـت فرحـة مورغـوث عظيمـة فعـلاً، لـذلك وعـد مـايغلين بـأن ينصـبه سـيداً علـى غونـدولين التابعـة لمورغـوث. ووعـده بـالزواج مـن إيـدريل كيليبرينـدال عنـدما يحتلـوا المدينـة، في الحقيقـة فـإن رغبتـه بايـدريل وكراهيتـه لتـور سـهلا علـى مـايغلين الخيانـة. كـان مـايغلين صـاحب أسـوأ سمعـة في كـل تـاريخ العصـور القديمـة كلهـا، لأن مورغـوث أعـاده إلى غونـدولين، خشـية أن يفتقـدوه فيعلمـوا أنـه أسـير عنـد مورغـوث فيتوقعـون خيانتـه، ولكـي يسـتطيع مـايغلين مسـاعدتهم بـالهجوم مـن الـداخل عنـدما تحـين السـاعة. بعـدها بقـي مـايغلين في قاعـات الملـك مبتسـماً بوجهـه وقلبـه مليء بالشر، بينما تجمع الظلام في قلبه أكثر مايكون على إيدريل.

أخـيراً كـان مورغـوث مسـتعد للهجـوم علـى غونـدولين، وذلـك عنـدما كـان إيارينـديل بعمـر سـبع سـنوات. أرسـل مورغـوث البـالروغز والأوركـس علـى غونـدولين وأرسـل معهـم ذئابـه وأتـت معهـم تنـانين مـن ذريـة غلاورونـغ الـذين أصـبحوا الآن كُثـر ومـرعبين. وصـل جـيش مورغـوث إلى الـتلال الشـمالية العظيمـة الارتفـاع وكانـت قليلـة المراقبـة بسـبب ارتفاعهـا، فقـد وصـلوا إليهـا لـيلاً في وقـت الإحتفـال. في الوقـت الـذي كـان فيـه كـل شـعب غونـدولين علـى الأسـوار ينتظـرون شـروق الشـمس، وينشـدون مـن أجـل ارتقائهـا الأغـاني، لأنـه كـان عنـدهم في الغـد عيـد عظـيم اسمـه بوابـات الصـيف. لكـن صـعد ضـوء أحمـر أضـاء تـلال الشـمال ولـيس الشـرق، ولم يكـن

هنـاك مجـال لإيقـاف تقـدم الخصـم حـتى وصـل الأعـداء أخـيراً تحـت أسـوار غونـدولين. وحوصـرت المدينـة بـدون أمـلٍ في النجـاة. ومـن أعمـال الشـجاعة اليائسـة الـتي عُملـت هنـاك كانـت مـن قبـل زعمـاء البيـوت النبيلـة وهـم المحـاربون. ناهيـك عـن الأعمـال البطوليـة مـن قبـل تـور، فقـد أُخـبر الكثـير عمـا حصـل في سـقوط غونـدولين، في معركـة إكثيليـون عنـد النـافورة مـع غوثمـوغ سـيد البـالروغز، في نفـس سـاحة الملـك، حيـث ذبـح كـل منهمـا الآخـر. وفي الـدفاع عـن بـرج تورغـون مـن قبـل أهـل بيتـه، حـتى أخـيراً سـقط الـبرج، وكـان سـقوطه هـائلاً وسـقط تورغون ميتاً في دمار البرج.

سـعى تـور لإنقـاذ إيـدريل مـن سـبي المدينـة، لكـن مـايغلين كـان عنـدها ووضـع يـده عليهـا وعلـى إيارينـديل. فتقاتـل تـور مـع مـايغلين علـى الأسـوار، وقـام تـور برمـي مـايغلين بعيـداً فسـقط جسـمه علـى المنحـدرات الصـخرية لآمـون غواريـث فـارتطم بالصـخور ثـلاث مـرات قبـل أن يقـع في النـيران المشـتعلة بالأسـفل. قـاد تـور وإيـدريل بقيـة النـاس النـاجين مـن غونـدولين والمتجمعـين مـن الحرائـق إلى الأسـفل، إلى الطريـق السـري الـذي أعدتـه إيـدريل. وعـن هـذا المعـبر لم يعـرف قـادة أنغبانـد أي شـيء. لكـنهم فكـروا بـأن أي هـاربين لـن يـذهبوا نحـو الطريـق الشـمالي، أو أجـزاء الجبـال العاليـة القريبـة مـن أنغبانـد. دُمـرت غونـدولين مـن لهيـب تنـانين الشـمال، وكـان دخـان الحرائـق وبخـار نـافورات غونـدولين يسـقط علـى وادي تـوملادين بسـحب الكآبـة. هكـذا كـان هـروب تـور بمسـاعدة مجموعتـه. لكـن مـا تـزال الطريـق طويلـةً ومفتوحـة للمـرور مـن مـدخل النفـق حـتى سـفوح الجبـال. مـع كـل هـذا فقـد وصـلوا إلى هنـاك، وبعـد الأمـل تسـلقوا الأمـاكن العاليـة في المصـيبة والبـؤس. فقـد كانـت بـاردة وفظيعـة. وكـان بينهم الكثير من الذين جرحوا والكثير من النساء والأطفال.

كـان هنـاك ممـر مخيـف اسمـه كيريـث ثورونـاث، أي شـق النسـور، وهـو يمـر تحـت ظـل القمـم العاليـة ويضـيق كـالجرح علـى طـول الطريـق، وعـن اليمـين كـان محاطـاً بمنحـدرات نحـو الهاويـة، وإلى اليسـار ينحـدر بشـكل مخيـف نحـو الفـراغ، علـى طـول هـذا الطريـق الضـيق اصـطف مـوكبهم. وكـانوا قـد تعرضـوا لكمـين مـن قبـل الأوركـس لأن مورغـوث وضـع مـراقبين علـى كـل شـيء في الـتلال المحيطـة، ومـا زاد مـن محنـتهم المخيفـة هـو تواجـد البـالروغ مـع الأورك. وبالكـاد تم انقـاذهم بفضـل شـجاعة أصـفر الشـعر غلورفينـديل، رئـيس بيـت الزهـرة الذهبيـة لغونـدولين، فلم تكن النسور موجودة هناك لمساعدتهم.

خلـدَّت الكثـير مـن الأناشـيد مبـارزة غلورفينـديل مـع البـالروغ علـى قمـة صـخرة ذلـك المكـان العـالي، وسـقط كلاهمـا في حطـام الهاويـة. عنـدها جـاءت النسـور وهاجمـت الأوركـس. فـأرجعوهم علـى أعقـابهم يصـرخون، وغـالبيتهم قتلـوا أو سـقطوا إلى الأعمـاق. كـل ذلـك ولم تصـل بعـد إشـاعة الهـروب مـن غونـدولين إلى آذان مورغـوث. بعـدها قـام ثورونـدور بحمـل جسـم غلورفينـديل وأخرجـه مـن الهاويـة. ودفنـوه هنـاك إذ بنـو تـل مـن الحجـارة فـوق قـبره بـالقرب مـن الممـر، ونبـت العشـب الأخضـر علـى القـبر هنـاك، ونبتـت هنـاك زهـور صـفراء فـوق الحجـارة الجرداء، وبقيت هكذا حتى تغيير العالم.

هكـذا عـبرت البقيـة الباقيـة مـن غونـدولين فـوق الجبـال تحـت قيـادة تـور بـن هـوور، ونزلـوا إلى وادي سـيريون. ثم هربـوا إلى الجنـوب مـرهقين يسـيرون بـالقرب مـن المعسـكرات الخطـرة، حـتى وصـلوا بعـد طـول مسـير إلى نـان تـاثرين، أرض الصفصـاف. لأن قـوة أولمـو مازالـت تمشـي في ميـاه النهـر العظـيم، وكـان أولمـو دائمـاً حـولهم. هنـاك اسـتراحوا لفـترة، وقـد شـفيت جـراحهم وتعـبهم وآلامهـم، لكـن حـزنهم لم يشـفى. فجعلـوا هنـاك عيـد لتـذكار غونـدولين والجـان الـذين مـاتوا للـدفاع عنهـا. وللعـذارى والزوجـات ومحـاربو الملـك، لأنـه يوجـد لغونـدولين الكثـير مـن العشـاق والمحبـين الـذين كـانوا قـد أنشـدوا لهـا الأناشـيد تحـت صفصـاف نـان تـاثرين. وكـان وقـت ذلـك العيـد عنـد نهايـة السـنة. هنـاك عمـل تـور أغنيـة لابنـه إيارينـديل، تحكـي عـن مجـيء أولمـو سـيد الميـاه إلى شـواطئ نيڤراسـت في الوقـت السـابق. فاسـتيقظ الشـوق في قلبـه وقلـب ابنـه إلى البحـر. غـادر تـور وإيـدريل نـان تـاثرين ونـزلا جنوبـاً إلى النهـر ومنـه إلى البحـر. وسـكنا هنـاك عنـد مصـبات نهـر سـيريون، ثم جمعـا شـعبهم إلى جماعـة إيلوينـغ بنـت ديـور الـتي كانـت قـد هربـت إلى هنـاك منـذ مـدة قليلـة. وصـلت إلى بـالار الأخبـار الـتي تفيـد بسـقوط غونـدولين ومـوت تورغـون. عنـدها نُـودي علـى إيرينيـون غيـل غـالاد بـن فينغـون، ليكـون هـو الملـك الأعلـى لنولدور في الأرض الوسطى.

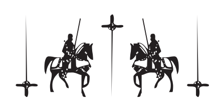
اعتقـد مورغـوث بـأن نصـره كـان تامـاً، لـذلك فلـم يهـتم كثـيراً بـأمر أبنـاء فيـانور وبقسـمهم الـذي لم يؤذيـه أبـداً، إنمـا كـان منقلبـاً لمسـاعدة الأقـدار لـه، فضـحك في قلبـه لطغيـان فكـره الأسـود، وأسـف لأنـه فقـد أحـد السـيلماريل، فهـو يعتقـد بأنـه وبالسـيلماريل سـيتم القضـاء علـى آخـر ذرة مـن شـعب إيلـدار الـذي يجـب أن يختفـي مـن الأرض الوسـطى، ويرتـاح هـو ممـا قـد يسـببوه لـه مـن الإزعـاج. علـم مورغـوث بـأنهم يسـكنون الآن عنـد ميـاه سـيريون، لكنـه لم يعطـي أيـة إشـارة، بـل تحـيَّن وقتـه، وانتظـر عمـل القسـم والكـذب. رغـم ذلـك فقـد ازداد شـعب الجـان عنـد

نهر سيريون والبحر. إذ كانت غالبية الشعب ممَن نجوا من دوريات وغوندولين، وانضم إليهم بحارة كيردان من بالار. المأخوذين دائماً إلى الموج وبناء السفن، وسكنوا دائماً بالقرب من سواحل آرڤيرنين تحت ظلال يد أولمو.

يقال أنه في ذلك الوقت خرج أولمو من المياه العميقة وذهب إلى ڤالينور، هناك تحدث مع الڤالار عن حاجة الجان لهم، فطلب منهم أن يغفروا لهم، وينقذوهم من جبروت تفرد مورغوث بحكم الأرض الوسطى، واستعادة السيلماريل. لأنها هي الشيء الوحيد الذي أزهر وأخذ نوره من الشجرتين اللتين أزهرتا في أيام البركة، عندما كانتا تشرقان في ڤالينور. لكن مانوي لم يتحرك. ولم تُعرف بعد ما هي نصيحة قلبه وعنْ أيةِ حكاية ستُخبرْ.

قالت الحكماء: بأن الساعة لم تحن بعد، لأن هناك متحدث واحد فقط وهو متجسد في شخص، سوف يأتي من أجل قضية الجان والبشر. لكي يتوسل طالباً العفو عنهم وعن جرائمهم وآثامهم، والشفقة على معاناتهم. عندها ربما سوف يتغير رأي القوى، حتى مانوي، ربما لا يستطيع أن يحرر قسم فيانور حتى يصل إلى نهايته، ليتخلى أبناء فيانور عن السيلماريلس، وعن ادعائهم المجحف بحقهم في امتلاك نوره. لأن النور الذي أضاء السيلماريلس هو بالأساس من صنع الڤالار أنفسهم. ولا يحق لأبناء فيانور ادعاء ملكيته.

أحسَّ تور في تلك الأيام بالشيخوخة تزحف إليه، وازداد شوقة إلى أعماق البحر، لذلك بنى سفينة سماها إيارامي، ومعناها جناح البحر. وأبحر مع غروب الشمس برفقة زوجته إيدريل كيليبريندال نحو الغرب. لم تأتي عنهم أية أغنية أو حكاية. لكن في الأيام اللاحقة أُنشدت أغنية عن تور بأنه هو الوحيد من بين جنس البشر الفانيين، الذي اعتبر على أنه من الجنس الأول(الجان)، وارتبط بنولدور التي أحب، وانفصل مصيره عن مصير البشر الفانيين.



# الفصل الرابع والعشرون

## رحلة إياريندِيل البحرية وحرب الغضب

إيارينـديل المِشْـرقْ الـذي أصـبح سـيد الشـعب الـذي سـكن بـالقرب مـن مصـبات نهـر سـيريون. فقـد اتخـذ إيلوينـغ الجميلـة زوجـةً لـه. وهـي ولـدت لـه إيلرونـد وإيلـروس اللـذين يـدعيان بالجـان النصـف، رغـم ذلـك فلـم تـدخل الراحـة إلى قلـب إيارينـديل. وقصـة رحلتـه البحريـة حـول الشـواطئ لم تكـن هـي مـا يقلقـه، فقـد نمـا في قلبـه هـدفان، مُزجـا كهـدف واحـد وهـو شـوقه الـدائم إلى البحـر الواسـع. فـأراد الإبحـار للبحـث عـن تـور وإيـدريل الـذين لم يعـودا. فهـو يعتقـد بأنهمـا ربمـا وجـدا الشـاطئ الأخـير. وربمـا يسـتطيع قبـل موتـه أن يوصـل رسـالة الإنـس والجـان إلى الفـالار في الغـرب. الـذين يجـب أن يحركـوا قلـوبهم مـن أجـل رحمـة أحـزان الأرض الوسطى.

أصبح إيارينـديل صـديقاً لكـيردان بنـاء السـفن، الـذي يسـكن في جزيـرة بـالار مـع شـعبة الـذي نجـا، مقتربـين مـن مرافـئ بريثومبـار وإيغلاريسـت. بـنى إيارينـديل بمسـاعدة كـيردان سـفينة فينغيلـوت، أي زهـرة الزبـد. والـتي كانـت أجمـل مـن سـفن الأغنيـات، فقـد كانـت مجاذيفهـا ذهبيـة، وأخشـابها بيضـاء مقطوعـة مـن غابـات فايمبريثيـل العـذراء، وأشـرعتها كانـت كـالقمر الفضـي. وفي مخطـوط ''لاي أوف إيارينـديل'' يوجـد الكثـير مـن الأناشـيد عـن مغامراتـه في أعمـاق الأراضـي غـير المداسـة الـتي زارهـا، وكـذلك عـن الكثـير مـن البحـار والجـزر، وفي كـل ذلك لم تكن إيلوينغ معه، لكنها جلست حزينة في مصبات نهر سيريون.

لم يجـد إيارينـديل لا تـور ولا إيـدريل، ولم يسـتطع الـذهاب برحلـة إلى شـواطئ ڤـالينور المغيبـة بالسـحر والظـلال. فلقـد سـار كثـيراً بعكـس الـريح، حـتى أعـاده الشـوق إلى إيلوينـغ والعـودة مجـدداً باتجـاه شـواطئ بيليريانـد. لكـن قلبـه كـان يـدعوه دائمـاً إلى الإسـراع، بسـبب خـوف

مفـاجئ وقـع عليـه كطيـف الأحـلام، والـريح المعانـدة لـه بالمسـير قـد لا توصـله بسـرعة كمـا يرغب.

الآن، عنـدما وصـلت الأخبـار إلى مايـذروس بـأن إيلوينـغ مازالـت علـى قيـد الحيـاة وهـي تعـيش في مصـبات نهـر سـيريون ومـازال السـيلماريل بحوزتهـا. نـدم علـى الأعمـال الشـنيعة الـتي قـاموا بهـا في دوريـاث. لكـن مـع مـرور الوقـت وإدراكـه بعـدم تحقيـق القسـم تعـود إليـه ولأخوتـه عـذاباتهم ومعانـاتهم. لـذلك جمعهـم مـن طـرق التيـه والتشـرد، وأرسـلوا الرسـائل شـديدة اللهجـة إلى مرافـئ أصـدقائهم وأكـدوا علـى مطلـبهم بحقهـم الأبـدي في امـتلاك السـيلماريل. لكـن إيلوينـغ وشـعب سـيريون لـن يسـلموا الجـوهرة الـتي فـاز بهـا بـيرين ولبسـتها لوثـايين وكانـت السـبب في ذبـح ديـور الجميـل. علـى الأقـل لـن يفعلـوا ذلـك مـادام سـيدهم إيارينـديل لم يعـد مـن البحـر بعـد، لأنـه يبــدو إلــيهم بــأن الســيلماريل تضــع الشــفاء والبركــة علــيهم وعلــى بيــوتهم وســفنهم. لــذلك حــدثت هنــاك المذبحــة الأخــيرة والأشــد قســوة لقتــل الجــان لبعضــهم. وكانــت تلــك ثالــث الأخطاء العظيمة التي ارتكبت بسبب ذلك القسم الملعون.

حـدث ذلـك بـأن نـزل، المتبقـين مـن أبنـاء فيـانور علـى قيـد الحيـاة، فجـأة علـى المنفيـين مـن غونــدولين والبقيــة مــن دوريــاث وحطمــوهم، وفي تلــك المعركــة بعــض النــاس تنحــوا جانبــاً، والـبعض تمـرد وعصـى فَـذُبحَ لأنـه قـام بمسـاعدة إيلوينـغ ضـد أسـياده ( ولهـذا كـان الحـزن والاضـطراب في قلـوب إيلـدار في تلـك الأيـام )، لكـن مايـذروس ومـاغلور ربحـا في ذلـك اليـوم. مـع أنـه لم يبقـى مـن أبنـاء فيـانور سـواهما، لأن أمـرود وأمـراس كانـا قـد قـتلا. تـأخرت كثـيراً نجـدة سـفن كـيردان وغيـل غـالاد الملـك الأعلـى لنولـدور لمسـاعدة جـان سـيريون، وذهبـت إيلوينـغ وأبنائهـا. انضـم قلـةٌ مـن النـاس الـتي لم تمـت بـالهجوم إلى غيـل غـالاد وذهبـوا معـه إلى بـالار، وأخـبروا بـأن إيلـروس وإيلرونـد كانـا قـد أُسـرا. لكـن إيلوينـغ رمـتْ نفسـها في البحـر وكانـت لاتزال تلبس السيلماريل على صدرها.

وهكـذا فلـم يسـتطع مايـذروس ومـاغلور أن يحصـلا علـى الجـوهرة. لكنهـا بالمقابـل لم تضـع إلى الأبـد، لأن أولمـو أنقـذ إيلوينـغ، وأخرجهـا مـن المـوج وسـلمها إلى مـا يشـبه الطـير الأبـيض الكبـير. ولاتـزال السـيلماريل مشـرقةً علـى صـدرها مثـل الـنجم. راحـت تحلـق فـوق المـاء باحثـةً عـن محبوبهـا إيارينـديل. وعنـدما حـل الليـل كـان إيارينـديل يوجـه دفـة القيـادة في سـفينته ويغـني، رآهـا تتجـه نحـوه كغيمـة بيضـاء مسـرعة تمـر مـن تحـت القمـر، كـنجم فـوق البحـر يتحـرك في طريـق غريـب، كأنهـا لهـبٌ شـاحب علـى أجنحـة العاصـفة. وبينمـا هـو كـذلك سـقطت مـن

الهـواء علـى أخشـاب فينغيلـوت مغشـياً عليهـا بسـبب ارتطامهـا بسـطح السـفينة، اقـترب إيارينـديل منهـا وضـمها إلى صـدره، وعنـدما طلـع الصـباح نظـر إلى وجـه زوجتـه، والدهشـة باديةً عليه، إنها زوجته نفسها بجانبه وشعرها يغطي وجهها لكنها ماتزال نائمة.

حـزن إيارينـديل وإيلوينـغ كثـيراً مـن أجـل الخـراب الـذي حـلَّ في مرافـئ سـيريون، وأسـر ابنيهمـا، وكـل الخـوف مـن أن يكونـا قـد قُـتلا. لكـن مـاغلور أشـفق علـى إيلـروس وإيلرونـد ولم يقتلهمـا، بـل بـالعكس فقـد عززهمـا، وأحبهمـا كثـيراً وقلـة كـان يعتقـدون أنـه فعـل ذلـك. لكـن بالمقابـل فـإن قلب ماغلور كان مريضاً ومرهقاً من عبء القسم المخيف.

رغـم كـل ذلـك رأى إيارينـديل بأنـه لم يبقـى لـه أي أمـل في الأرض الوسـطى، فـأدار مركبـه بيـأس ولم يرجـع إلى بيتـه، لكنـه عـاد مـرة أخـرى إلى ڤـالينور وإيلوينـغ بجانبـه. بقـي في أغلـب الأحيـان يقـف علـى جؤجـؤ سـفينته فينغيلـوت والسـيلماريل معلـقٌ بـين حاجبيـه، كـان ضـوء السـيلماريل العظـيم يشّـع باتجـاه الغـرب. وقـد قالـت الحكمـاء أنـه بسـبب قـوة تلـك الجـوهرة المقدسـة فقـد اسـتطاع الوصـول في الوقـت المحـدد إلى الميـاه الـتي لم تنقـذ أيـة سـفينة مـن قبـل كمـا هـو معـروف في تيلـيري. ثم وصـلا إلى الجـزر المسـحورة الـتي ذهـب سـحرها عنهمـا، ثم إلى البحـار الغامضـة وعـبرا ظلالهـا، ونظـرا إلى تـول إيريسـيا الجزيـرة الوحيـدة، ولم يـتمهلا أبـداً، وفي نهايـة المطـاف ألقـى مرسـاة سـفينته في خلـيج إيلـدامار. رأى تيلـيري السـفينة القادمـة مـن الشـرق فاندهشـوا كثـيراً، إذ كـانوا يحـدقوا مـن بعيـد علـى السـيلماريل، فقـد كانـت عظيمـةً جـداً. يعتـبر إيارينـديل بأنـه أول شـخص مـن البشـر الفـانيين يهـبط علـى الشـواطئ الخالـدة. ثم تكلـم مـع إيلوينـغ ومـع الـذين كـانوا معهمـا. فقـد رافقـه ثلاثـة بحـارة ملاحـين، أبحـروا معـه عـبر كـل البحـار، وهـم فالاثـار، إيريللونـت وآيرانـدير. فقـال لهـم إيارينـديل: هنـا يجـب أن لا يضـع أحـدٌ قدمـه إلا أنـا خشـيةَ أن يقـع تحـت غضـب الڤـالار. وهـذا الخطـر الـذي سـتواجهه نفسـي لوحـدها مـن أجل مصلحة الإنس والجان.

أجابتـه إيلوينـغ: هـل سـتكون طرقنـا منفصـلةً إلى الأبـد، فلـن أقبـل إلا أن أكـون معـك في كـل المخـاطر. وقفـزت إلى الرغـوة البيضـاء وركضـت نحـوه، لكـن إيارينـديل كـان حزينـاً، لأنـه كـان يخشـى غضـب أسـياد الغـرب علـى أي شـخص مـن الأرض الوسـطى قـد يتجـرأ علـى عبـور حدود أمان. ثم ودع إياريندل وإيلوينغ رفاق رحلتهما البحرية وافترقا عنهم للأبد.

طلـب إيارينـديل مـن إيلوينـغ أن تنتظـره في مكانهـا، وقـال لهـا: إن مهمـة إيصـال الرسـالة هـي قـدري الـذي سـأتحمله لوحـدي. ثم صـعد لوحـده إلى الأرض، ووصـل إلى كالاكيريـا، فبـدت لـه

فارغــةً وصــامتةْ، كمــا كانــت عنــدما جــاء إليهــا مورغــوث وأونغوليانــت في العصــور الماضــية. والآن أيضـاً وصـل إيارينـديل في وقـت المهرجـان، وتقريبـاً غالبيـة شـعوب الجـان كانـت ذاهبـة إلى ڤاليمــار، أو تجمعــوا في قاعــات مــانوي علــى تَــني كويتيــل، ولم يتركــوا إلا القليــل مــنهم علــى أسوار تيريون من أجل الحراسة.

رآه بعـض النـاس مـن بعيـد يحمـل ضـوءاً عظيمـاً، فـذهبوا مسـرعين إلى ڤاليمـار. تسـلق إيارينـديل تـل تونـا الأخضـر فوجـده خاليـاً، ثم دخـل إلى شـوارع تيريـون وكانـت فارغـةً أيضـاً. فأصـبح قلبـه ثقيـل، لأنـه خـاف أن يكـون قـد أتـى بعـض الشـر إلى العـالم المبـارك. مشـى في شـوارع تـيرون المهجــورة، فعلــق علــى رداءه وحــذاءه غُبــار الألمــاس والمجــوهرات. فأصــبح يلمــع ويــومض مــن غبـار الألمـاس عنـدما كـان يصـعد السـلالم البيضـاء الطويلـة. نـادى بصـوتٍ عـالٍ وبكـل لغـات الإنـس والجـان، لكـن لم يجبـه أحـد، لـذلك قفـل عائـداً إلى البحـر. وبينمـا هـو يمشـي علـى الطريق الشاطئية، وإذا بشخصٍ يقف على التل، راح ينادي له بصوتٍ عظيم.

أهـلاً بـك يـا إيارينـديل أشـهر الملاحـين، القـادم علـى غـير توقـع، ويحـدوه الأمـل. أهـلاً بـك يـا إيارينــديل، يــا حامــل ضــوء مــا قبــل الشــمس والقمــر، فخامــة أبنــاء الأرض، نجــمٌ في الظــلام. جوهرةٌ في الغروب. إشعاع في الصباح.

كـان ذلـك الصـوت صـوت إيونـوي رسـول مـانوي، وقـد جـاء مـن ڤاليمـار لاسـتدعاء إيارينـديل للمثــول أمــام ســلطات أردا. دخــل إيارينــديل إلى ڤــالينور، إلى قاعــات ڤاليمــار، وبعــدها لم يضـع قدميـه علـى أراضـي البشـر. عقـد الڤـالار مجلسـهم واسـتدعوا أولمـو مـن أعمـاق البحـار، وقـف إيارينـديل أمـامهم وألقـى علـى مسـامعهم رسـالة الشـعبين (الإنـس والجـان). طالبـاً العفـو عـن نولـدور والرحمـة لهـم لأن حـزنهم عظـيم. أيضـاً طلـب الرحمـة للإنـس والجـان وتقـديم الـدعم والمعونة لهم في حوائجهم. فقبل الڤالار توسلاته.

قيـل بـين الجـان، بأنـه بعـد خـروج إيارينـديل مـن مجلـس الڤـالار قاصـداً زوجتـه إيلوينـغ. تكلـم مانـدوز بشـأن مصـير إيارينـديل قـائلاً: هـل سـتتم ترقيـة حيـاة هـذا الرجـل الفـاني لتسـتمر علـى الأراضـي الأبديـة، ليبقـى حيّـاً إلى الأبـد؟ لكـن أولمـو قـال: هـل لأنـه ولـد في العـالم، وسـواء قيـل لي بأنـه إيارينـديل بـن تـور مـن سـلالة هـادور، أو ابـن إيـدريل بنـت تورغـون مـن نسـل الجـان، مـن بيـت فينـوي؟ فأجـاب مانـدوز: أنـه متسـاوٍ مـع نولـدور، الـذين ذهبـوا عمـداً إلى المنفـى، فقد لا يعودون إلى هنا.

لكن بعدما أنهى الجميع كلامهم، أصدر مانوي حُكمه وقال: في هذه المسألة فقد أُعطيت قوة الموت لي، والمغامر الذي خاطر من أجل محبته لكلا الشعبين يجب أن لا يقع عليه الموت، لا عليه هو ولا على زوجته إيلوينغ، التي دخلت الخطر من أجل محبتها له. لكنهما لن يمشيا ثانيةً أبداً بين الجان أو بين البشر في الأراضي الخارجية. هذا هو المرسوم المتعلق بإيارينديل وإيلوينغ، أما بخصوص ابنيهما فسوف يمنحون حق الاختيار بحرية، وبأي مصير من مصائر أقربائهم سيرتبطون، وتحت حكم مَنْ سيخضعون.

انقضى وقتٌ طويلٌ على غياب إيارينديل، وكانت إيلوينغ وحيدةً وخائفةً، لذلك مشت تائهةً على ضفاف البحر، واقتربت من ألكوالوندي حيث تتوضع أساطيل تيليري، هناك تصادقت مع شعب تيليري، واستمعوا لحكاياتها عن دورياث وغوندولين وأحزان بيليرياند. فامتلأ شعب تيليري بالشفقة والدهشة لما حدث في الأرض الوسطى. وإلى هناك عاد إيارينديل فوجدها في مرفأ البجعات. وقبل مدة طويلة تم استدعاؤهما إلى ڤاليمار، هناك أُعلن لهما مرسوم الملك القديم.

ثم قال إيارينديل لايلوينغ اختاري أنتِ لأنني مللت من العالم، فاختارت إيلوينغ أن تكون محكومة بمصير الأبناء الأقدم من أبناء إلوڤاتار، بسبب لوثايين، ولأجلها هي اختار إيارينديل نفس المصير. مع أن قلبه كان أقرب إلى مصير البشر، فهم شعبه وشعب أبيه. ولتتمة عرض الڤالار ذهب إيونوي إلى شاطئ أمان، حيث مازال رفاق إيارينديل ينتظرون الأخبار هناك، فأخذ المركب والملاحون الثلاثة الذين كانوا هناك. وقادهم الڤالار إلى الشرق عبر ريح عظيمة. لكنه أخذ منهم فينغيلوت، وقدسها الڤالار، فحملتهم خارج ڤالينور إلى الحافة القصوى للعالم. ومرروها من خلال باب الليل، وهناك ارتفعت حتى وصلت إلى السماء الواسعة.

لقد كانت جميلة ورائعة تلك السفينة المصنوعة. فلقد كانت مملوءةً باللهب المتراقص الصافي اللامع. جلس إيارينديل الملاح في دفة القيادة يبرق ويومض من غبار مجوهرات الجان، وكان السيلماريل معلقٌ بين حاجبيه. سافر بعيداً في تلك السفينة حتى وصل إلى فضاءاتٍ بدون نجوم، لكنه في أغلب الأحيان كان يُرى في الصباح أو في المساء يلمع عند شروق الشمس أو عند غروبها. كلما عاد من رحلاته، من خلف حدود العالم إلى ڤالينور.

لم تذهب إيلوينغ في تلك الرحلات لأنها لا تستطيع تحمل برودة الفراغ بلا دروب، أو بالأحرى لأنها أحبت الأرض والنسائم العليلة التي تهب على التل والبحر، لذلك بنوا لها

برجاً أبيض هناك في الشمال على حدود بحار الفصل، وفي أغلب الأوقات كانت تأتي طيور البحر إلى تلك الأرض للتزاوج، ويقال بأن إيلوينغ تعلمت لغة الطيور، التي لبست شكلهم عندما أنقذها أولمو من البحر، وهم من علمها حرفة الطيران، وكانت أجنحتها باللون الأبيض والفضة الرمادية. وأحياناً عندما كان إيارينديل يقترب من أردا كانت تطير لتلاقيه. كما طارت منذ عهد بعيد عندما أُنقذتْ من البحر. حتى أن بعيدو النظر من بين الجان الذين يسكنون الجزيرة المنعزلة كانوا يشاهدوها من بعدي كطائرٍ أبيض، مشرقه كوردة مصبوغة في الغروب. كلما ارتفعت بالبهجة لتحيي مجيء فينغيلوت إلى المرفأ.

وعندما قرر إيارينديل الإبحار لأول مرة بفينغيلوت في رحاب السماء. فقد ارتفع منطلقاً بتألق لامع، وقد شاهدته شعوب الأرض الوسطى من بعيد فتعجبوا، واتخذوه كإشارة وعلامة، وسموه غيل ايستيل نجمة الأمل العاليه. وعندما رأى مايذروس هذا النجم الجديد في المساء قال لأخيه ماغلور: بالتأكيد ذلك هو السيلماريل الذي يشرق الآن في الغرب.

فأجابه ماغلور: إذا كان حقاً هو السيلماريل الذي رأيناه يُلقى في البحر، فإنه يرتفع ثانية بقوة الڤالار، لذلك دعنا نكون مسرورين لمجده الذي يُرى من قبل كثيرين. فهو في مأمنٍ الآن من كل الشرور. نظر الجان إلى الأعلى ولم يعودوا يائسين، أمّا مورغوث فقد امتلأ بالشك.

فيما بعد قيل بأن مورغوث لم يشاهد الهجوم الذي أتاه من الغرب. لأن فخره كان عظيماً فهو يعتبر بأن لا أحد قادرٌ على أن يشنَّ حرباً مفتوحة عليه، وكان عنده اعتقاد بأن الفجوة أصبحت كبيرة في الجفاء بين نولدور وأسياد الغرب، وهم قانعون بعالمهم السعيد، عالم الڤالار الذي لن يحترم أي مملكة أخرى في هذا العالم سواهم. وإليه تنسب عدم الرحمة، أما الشفقة، فهي خارجة من حساباته. لكن جيش الڤالار استعد للمعركة، وزحف إليه شعب إينغوي تحت رايات ڤانيار البيضاء، ونولدور الذين لم يغادروا ڤالينور تحت زعامة فينارفين بن فينوي، وبعض تيليري الذين كانوا متحمسين للحرب، بسبب ذكرياتهم عن مجزرة القتل في مرفأ البجعة واغتصاب سفنهم. لكنهم أصغوا إلى إيلوينغ بنت ديور إيللوخيل وعادوا إلى أهلهم وأقاربهم، وأرسلوا ملاحين بما فيه الكفاية لعمليات إبحار السفن التي حملت جيش ڤالينور شرقاً عبر البحر. إلا أنهم بقوا في السفن ولم تطأ أقدام أحدٍ منهم هيثير لاندس.

ذُكر القليل من الحكايات والأخبار عن زحف جيش الڤالار إلى شمال الأرض الوسطى، لأنه لم يكن من بين الجيش أحدٌ من أولئك الذين سكنوا وعانوا في هيثير لاندس. أمّا الذي جعل أعمال تلك الأيام تبقى مخلدةً ومعروفةً بالتاريخ، فهو ما علموه فقط بعد مدة طويلة من أهلهم في أمان، لكن في النهاية خرج جبروت ڤالينور من الغرب، وتحديات أبواق إيونوي ملأت السماء، فكانت بيليرياند مشتعلةً بمجد أسلحتهم، لأن جيش الڤالار مصطفٌ بأشكالٍ شبابيةٍ جميلةٍ ورهيبة. وكانت الجبال تهتز تحت أقدامهم.

سمي اللقاء بين جيش الغرب وجيش الشمال بالمعركة العظيمة، أو حرب الغضب. فقد انظم إلى هناك كل قوى عرش مورغوث، والذي كان عظيماً وفوق الحصر في عدده، حتى أن سهل إنفاوغليث لم يستطيع استيعابه، وكل الشمال كان ملتهباً بالحرب.

لكن كل تلك الحشود لم تنفعه، فقد قُضيَ على غالبية البالروغز، إلا القلة منهم الذين نجوا وانسحبوا إلى كهوفٍ عميقةٍ لا يمكن الوصول إليها في جذور الأرض. أما الجحافل العديدة للأوركس فقد هلكت مثل القش في النار العظيمة، أو جُرفوا مثل أوراقٍ ذابلة أمام ريحٍ حارقة. وبقي منهم البعض الذي أزعج العالم لسنوات طويلة فيما بعد. كذلك بقي بعضٌ من بيوت آباء البشر الثلاثة من أصدقاء الجان، الذين حاربوا مع جيش الڤالار، وانتقموا لباراغوند وباراهير، غالدور وغوندور، هور وهورين والعديد من السادات الآخرين. لكن جزءً كبيراً من أبناء البشر، سواء كانوا شعب أولدور، أو القادمون الجدد من الشرق، فقد حاربوا مع العدو، ولن ينسى لهم الجان هذا الفعل القبيح أبداً.

رأى مورغوث كيف تم القضاء على جيشه وكيف تبعثرت وتشتت قواه، فجبن ولم يجرؤ على إظهار نفسه، لكنه أطلق على خصومه هجومه اليائس الأخير الذي كان على أُهبة الاستعداد، هناك خرجت من حفر أنغباند التنانين المجنحة التي لم تُرى من قبل وكانت مفاجِئَةً ومُدَمِرةً جداً في بداية هجومها المروع، فقد شتت جيش الڤالار الذي تراجع، وقد كان مجيء التنانين مع رعدٍ عظيمٍ وبرقٍ وعاصفةٍ من نارْ.

أتى إيارينديل يشرق باللهب الأبيض، وقد تجمعت حول فينغيلوت كل طيور السماء العظيمة، وكان قائدهم ثورونـدور. دارت معركةٌ في الهواء طوال اليوم وخلال الليل المظلم المريب. وقبل شروق الشمس تمكن إيارينديل من قتل أنكالاغون الأسود. وهو الأعظم بين جيش التنانين، فرماه من السماء إلى الأرض. سقط أنكالاغون على أبراج ثانغورودريم فدمرها. ثم ارتفعت الشمس وانتصر جيش الڤالار، تقريباً تم قتل أغلب التنانين، وأصبحت

كل حفر مورغوث محطمة ومن دون غطاء. طاردته قوات الڤالار إلى أعماق الأرض، هناك أخيراً توقف مورغوث وهو يعوي. وعلى الرغم من جبنه، فقد هرب إلى أعمق حفرة له، وطلب العفو والسلام، لكنهم قطعوا أقدامه من تحته وأُلقي على وجهه، ثم كان لابد من السلسلة أنغاينور التي رُبط فيها من قبل، وضربوه على تاجه الحديدي حتى غاص ووصل إلى عنقه وكاد يخنقه، فركع على ركبتيه، وأُخذت منه جوهرتا السيلماريلس المتبقيتان في تاجه، فأشرقت أنوارهما لا تشوبهما شائبة حتى وصل نورهما إلى السماء، أخذهما إيونوي وحرسهما.

هكذا تم وضع حد لقوة وسطوة أنغباند في الشمال، فأصبح عالم الشر ضئيلاً، وخرج أكثر العبيد من خلف السجون العميقة إلى أمل ضوء النهار، وشاهدوا العالم الذي تغيّر. لقد كان غضب أعداء الشمال عظيماً جداً، فقد تمزقت المناطق الشمالية من العالم الغربي، وهدر البحر من خلال الكثير من الفتحات العميقة، وكان هناك اضطراب وضوضاء عظيمين. فقد غارت أنهارٌ كثيرةٌ، أو وَجدت طُرقاً جديدةً، وانتفخت الوديان وانسحقت التلال، وأصبح سيريون لا شيء.

استدعى إيونوي وبصفته رسول، الملك الأكبر مانوي، كل جان بيليرياند وطلب منهم مغادرة الأرض الوسطى لكن مايذروس وماغلور لم يصغيا إليه، لكنهما كانا مستعدين للبغضة والمتاعب، وللمحاولات اليائسة في سبيل الوفاء بقسمهم، فهما على استعدادٍ لخوض حربٍ من أجل السيلماريلس التي كانت محجوبة حتى عن جيش ڤالينور المنتصر. رغم كل ذلك فقد وقفا وحيدين ضد كل العالم، وأرسلا رسالة إلى إيونوي يطالبانه فيها بالتنازل لهما عن السيلماريلس التي كان قد صنعها أبوهما فيانور منذ القديم، وسرقها منه مورغوث.

أجابهما إيونوي: صحيح أنها من صنع أبيكما وقد امتلكها أبناء فيانور في الماضي، لكن الآن مات كثيرون منهم بسبب الأعمال القاسية التي قاموا بها فقد أعماهم ذلك القسم، والأهم من ذلك فقد كان السبب في قتل ديور والهجوم على المرافئ، لذلك يجب أن يعود ضوء السيلماريلس إلى الغرب، من حيث كانت بدايته، ويجب أن يعود مايذروس وماغلور إلى ڤالينور، والالتزام بقرارات الڤالار. وقد أمر إيونوي بأن تكون السيلماريلس في عهدته هو شخصياً. في الحقيقة كان ماغلور راغباً في الاستسلام، لأن قلبه كان حزين وقال: لقد

اجـاز لنـا القسـم بانتظـار وقتنـا. وقـد يكـون ذلـك الوقـت في ڤـالينور، والجميـع سـيغفر لنـا وينسى، وسنكون نحن في بلدنا بسلام.

لكـن مايـذروس أجابـه بأننـا إذا عـدنا إلى أمـان، فلـن نحظـى بـدعم الڤـالار، وبالتـالي فـإن القسـم سـيبقى، ولـن يكـون هنـاك أمـل في الوفـاء بـه، ومـن يعلـم إلى أي قـدرٍ مخيـف سـنذهب إذا عصينا السلطة في أرضها. أو سيكون هدفنا هو حمل الحرب إلى عالمهم المقدس.

مـع كـل ذلـك فمـازال مـاغلور يتراجـع وقـال: إذا أنكـر مـانوي وڤـاردا تحقيـق القسـم، وهمـا مـن الشهود على القسم، أفلا يجعله ذلك مقضياً.

أجابـه مايـذروس: لكـن كيـف ستصـل أصـواتنا إلى إلوڤاتـار خلـف دوائـر العـالم؟ ولقـد أقسـمنا بألوفاتـار في هـذا القسـم المجنـون. واسـتدعينا الظـلام الأبـدي ليكـون فوقنـا إذا لم نحفـظْ كلمتنـا. فمن القادر على تحريرنا.

فقـال لـه مـاغلور: لا يمكـن لأحـد أن يحررنـا، بـل بالحقيقـة فـإن الظـلام الأبـدي سـيكون نصيبنا، سواءٌ بقي القسمُ أو انكسر، لكن أقل الشرين هو في كسر القسم.

رغـم كـل ذلـك، خضـع مـاغلور لرغبـة أخيـه مايـذروس، وقـد اتفقـا علـى أن يضـعا أيـديهما سـويةً علـى السـيلماريلس. لـذلك تنكـرا وجـاءا في الليـل إلى معسـكر إيونـوي، زحفـا إلى المكـان المحـروس الـذي فيـه السـيلماريلس، فقـتلا الحـراس وأخـذا الجـواهر. عنـدها انـتفض كـل المعسـكر ضـدهما، كانـا مسـتعدين للـدفاع عـن حقهـم حـتى آخـر نفـس. لكـن إيونـوي لم يسـمح بقتـل أبنـاء فيـانور، فهربـا بعيـداً مـن دون قتـال، وأخـذ كـل واحـد منهمـا سـيلماريل واحـد وقـالا لقـد ضـاعت منهـا واحـدة وبقيـت اثنتـان، ولم يبقـى سـوانا نحـن الاثنـين مـن إخوتنـا، وهـذا سَـهّل علينا مصير المشاركة في ميراث أبينا.

أحرقـت الجـوهرة يـد مايـذروس بـألم لا يطـاق، فـأدرك في حينهـا مقولـة إيونـوي بـأن حقـه بهـا قـد يصـبح بـاطلاً، وسـيكون القسـم بـاطلاً. وبيـاس وألم رمـى نفسـه في هـوةٍ مفتوحـة مـن النـار، هكذا انتهى هو والسيلماريل التي كانت في يده حُملا معاً إلى حضن الأرض.

وقيـل بـأن مـاغلور لم يسـتطع تحمـل عـذاب السـيلماريل، فرماهـا في البحـر. وبعـد ذلـك بقـي يتجـول علـى الشـواطئ ويغـني آسـفاً متألمـاً بجانـب الأمـواج، فقـد كـان مـاغلور مقتـدراً بـين المغنـين منـذ قـديم الزمـان، ولم يسـبقه إلا دايـرون مـن دوريـاث. لكنـه لم يعـد ليقـيم بـين شـعب الجـان أبـداً. وهـذا مـا حصـل للسـيلماريلس، فقـد وجـدوا بيـوتهم الدائمـة، واحـدةً في هـواء السماء، والثانية في نيران قلب العالم، والثالثة في المياه العميقة.

وفي تلك الأيام بُنيت الكثير من السفن على شواطئ البحر الغربي. ومن هناك أبحرت أساطيل إيلدار الكثيرة إلى الغرب. ولم يرجعوا أبداً إلى أرض الحروب والأحزان. وعاد الڤانيار إلى ڤالينور تحت راياتهم البيضاء متوجين بالنصر، لكن بهجتهم بالنصر كانت منقوصة بسبب فقدان السيلماريلس التي أخذوها من تاج مورغوث. وكانوا يعرفون بأن هذه الجواهر لا يمكن أن توجد أو تجتمع مرةً أخرى، ما لم يتم تدمير العالم وتعاد صياغته من جديد.

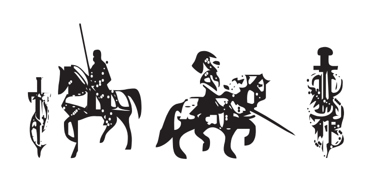
وفي طريق عودتهم إلى الغرب، أقام جان بيليرياند على تول إيريسيا، الجزيرة المنعزلة، التي تبدو على حدٍ سواء للشرق والغرب، حيث أنهم قد يأتوا إلى ڤالينور، وكانوا مشمولين بعطف مانوي وعفو الڤالار. فغفرت لهم تيليري الألم القديم. ودُفنت اللعنة للأبد.

لكن هذا لا يعني بأن كل إيلدالي كانت مستعدةً للتخلي عن هيثير لاندس، حيث سكنوا وعانوا لمدة طويلة، لذلك تخلف البعض لعصرٍ من الزمان في الأرض الوسطى، ومن بين أولئك كان كيردان بنَّاء السفن، وكيليبورن من دورياث مع زوجته غالادريل، فهي الوحيدة المتبقية من الذين قادوا نولدور للنفي في بيليرياند. وبقي أيضاً في الأرض الوسطى غيل غالاد، الملك الأعلى. ومعه كان إيلروند، جان النصف، الذي اختار أن يُعد من بين إيلدار، عندما مُنح حق الاختيار. لكن أخوه إيلروس اختار البقاء بين بالبشر. ومن هذه الأُخوة وحدها جاء إلى ما بين البشر دم البكر. وهي سلالة من الأرواح السماوية التي كانت قبل ولادة أردا. لأنهما أبناء إيلوينغ بنت ديور بن لوثايين بنت ثينغول وميليان. وأبوهما إيارينديل وهو ابن إيدريل كيليبريندال بنت تورغون من غوندولين.

أما بالنسبة لمورغوث فقد دفعة الڤالار بنفسهم من خلال باب الليل إلى ما وراء أسوار العالم. إلى الفراغ الأبدي. ووضعوا حراسةً دائمة على تلك الأسوار. واستمر إياريندل بمراقبة متاريس أسوار السماء، رغم ذلك فأكاذيب ميلكور الجبار الملعون، مورغوث باوغلير. وقوة الحقد والإرهاب. كانت قد بَذرت في قلوب الجان والبشر بذرةً لا يمكن أن تموت أو تُدَمَّرْ. ودائماً تتبرعم هذه الأكاذيب بشكلٍ مفاجئ ثانيةً، ووسوف تؤتي ثمارها المظلمة حتى آخر الأيام.

* * *

هكـذا تنتهـي السـيلماريليُن، إذ كانـت قـد مـرّت مـن الأعلـى إلى الجميـل إلى الظـلام والخـراب، فقــد كانــت منــذ القــديم مصــير أردا المشــوه. وإذا كــان أي تغيــير ســيأتي ليصــلح الفســاد، فالوحيـدان اللـذان قـد يعرفـا ذلـك لكنهمـا لـن يكشـفاه لأحـد همـا مـانوي وڤـاردا، حـتى لم يُصرح عن ذلك في أقدار ماندوز.



# أكالابيث

## غرق نومينور

يُقال في إيلدار بأنَّ قدوم البشر إلى العالم كانَ بفترة انتشار ظل مورغوث، وقد سقطوا بسرعة تحت سلطته، لأنه كان قد أرسل مبعوثيه بينهم لتضليلهم، وقد أصغى البشر إلى كلامه المخادع والشرير، فعبدوا الظلام ومازالوا لحد الآن يخافون منه. لكن كان هناك البعض ممن أداروا ظهرهم للشر وتركوا أراضي أقربائهم وذهبوا للتجول في الغرب البعيد. لأنهم سمعوا إشاعة تقول. (ضوءٌ يأتي من الغرب، يمنع الظل من تغطية العالم). فطاردهم خدام مورغوث بالحقد، فأصبحت طرقهم طويلة وصعبة، وبعد طول مسير وصلوا إلى الأراضي المطلة على البحر، ودخلوا إلى بيليرياند في أيام حرب الجواهر. وفي لغة سيندارين كان اسمهم إيداين، الذين أصبحوا فيما بعد أصدقاء وحلفاء إيلدار. وقاموا بأعمال الشجاعة العظيمة في الحرب ضد مورغوث.

ومنهم ظهر، من سار على طريق آبائه. وهو إيارينديل اللامع. وفي مخطوط ''لاي أوف إيارينديل''، يروى كيف في الماضي، عندما كان نصر مورغوث شبه كامل، فقد بنى سفينته فينغيلوت، والتي يدعوها البشر روثينزيل، وسافر بها عبر البحار التي لم يبحر بها أحد من قبل قاصداً ڤالينور، فقد كانت لديه رغبة في التحدث إلى السلطات نيابة عن كلا الشعبين، لعله يجد رحمة عند الڤالار ويرسلوا له المساعدة في حاجتهم القصوى. لذلك فإن كلاً من الجان والبشر يدعونه إيارينديل المبارك، لأنه نفذ مهمته بعد أن تجاوز الكثير من الأخطار الطويلة. ومن ڤالينور جاء جيش أسياد الغرب إلى هناك، لكن إيارينديل لم يرجع أبداً إلى الأراضي التي أحبها.

في المعركة العظيمة التي سقط فيها مورغوث نهائياً ودُمرت أبراج ثانغورودريم. كان إيداين لوحده من بين قبائل البشر، هم الذين قاتلوا مع الڤالار. بينما البشر الآخرين قاتلوا مع مورغوث. وبعد انتصار سادات الغرب، فإن أولئك البشر الأشرار الذين لم يقتلوا، هربوا

عائـدين إلى الشـرق، حيـث الكثـير مـن جنسـهم مـازال يتخـبط في الأراضـي البـور، متوحشـين فوضـويين، رافضـين علـى حـد سـواء اسـتدعاء الڤـالار ومورغـوث. وعنـدما سـار بيـنهم البشـر الأشـرار، ألقـوا فـوقهم ظـلال الخـوف واتخـذوهم ملوكـاً علـيهم. كـان الڤـالار قـد تـرك لفـترة مـن الوقـت بشـر الأرض الوسـطى، فهـم الـذين رفضـوا مـذكرة الاسـتدعاء واتخـذوا أعـوان مورغـوث سـاداتٍ لهـم. فقـد سـكن البشـر في الظـلام وضُـربوا بـأكثر الشـرور المبتكـرة مـن قبـل مورغـوث في أيـام حكمـه وسـلطانه. كالشـياطين والتنـانين والوحـوش الممسـوخة والأوركـس القـذرين. تلـك كانت سخرية قدر أبناء إلوڤاتار. وكان غالبية البشر تعساء.

لكـن مـانوي طـرد مورغـوث، وأغلـق عليـه خلـف أسـوار العـالم في الفـراغ الأبـدي، فلـن يسـتطيع إعـادة نفسـه إلى العـالم مـرةً أخـرى حاضـراً ومرئـي. بينمـا سـادات الغـرب مـازالوا علـى عروشـهم. وبـالرغم مـن كـل ذلـك فـإن البـذور الـتي زرعهـا مورغـوث مازالـت تـورق وتـؤتي ثمارهـا الشـريرة، فمـن كـان يخدمـه فإنـه سـيبقى وجهـه نحـو خدمتـه ومتحـرك نحـو إحبـاط إدارة الڤـالار وتحطـيم كـل مـن يطـيعهم. هـذا مـا يعرفـه سـادة الغـرب جيـداً، لـذلك فعنـدما أُبعـد مورغـوث إلى الفـراغ، عقـدوا مجلسـاً يتعلـق بالعصـور والأزمنـة اللاحقـة، فاسـتدعوا إيلـدار للعـودة إلى الغـرب. وأولئـك الـذي أصـغوا للاسـتدعاء مـن إيلـدار سـكنوا في جزيـرة إيريسـيا. هنـاك في تلـك الأرض مرفـأ يـدعى أڤـالوني، وهـو مـن أقـرب المـدن إلى ڤـالينور. وبـرج أڤـالوني هـو أول شـيء يـراه الملاحـون علـى بعـد فراسـخ كثـيرة مـن البحـر عنـدما يقتربـون مـن الأراضـي الأبديـة. أعطيـت مكافـأة عظيمـة لآبـاء البشـر الثلاثـة المخلصـين، فقـد سـار إيونـوي بيـنهم وعلمهـم الحكمـة وأعطـاهم قـوةً وحيـاةً أكثـر تحمـلاً مـن الآخـرين، أكثـر مـن تلـك الـتي يمتلكهـا الآخـرين مـن الجـنس الفـاني. وجُهـز لإيـداين أرضـاً لتكـون مسـكناً لهـم. هـذه الأرض ليسـت جـزءاً مـن ڤـالينور ولا مـن الأرض الوسـطى، فقـد فصـل بـين هـذه الأرض وبينهمـا البحـر الواسـع، علـى الـرغم مـن أنهـا كانـت أقـرب إلى ڤـالينور. رُفعـت هـذه الأرض مـن أعمـاق الميـاه الكـبرى بواسـطة أوسـي، وقـام أوليـي بتثبيـت أساسـاتها، ثم قامـت ياڤانـا بإخصـابها. وجلـب إيلـدار إليهـا الأزهـار والنـافورات مـن تـول إيريسـيا. سمـى الڤـالار تلـك الأرض أنـدور، أي أرض الهديـة. وأشـرق نجـم إيارينـديل يلمـع في الغـرب كـدليل علـى أن تلـك الأرض أصـبحت جـاهزة، ومرشـداً إليهـا عـبر البحـر. تعجب البشر كثيراً لرؤية ذلك اللهب الفضي على دروب الشمس.

أبحر إيـداين علـى الميـاه العميقـة يتبعـون ذلـك الـنجم. وجعـل الڤـالار البحـر مسـالماً لهـم، فبعثـوا لهـم نـور الشـمس وأرسـلوا الـريح لعـدة أيـام. لـذلك فقـد تألقـت الميـاه بعيـون إيـداين مثـل الزجـاج

المتموج، وتتطاير الزبد أمام سفنهم كالثلج. وكان روثينزيل لامعاً جداً، حتى في الصباح كان البشر يستطيعون رؤيته في الغرب كالومضات، وفي الليالي المعتمة كان روثينزيل يشرق لوحده، لأنه لم يكن هناك أي نجمٍ آخر بجانبه، لذلك وجهوا طريقهم نحوه مباشرةً. وأخيراً وصل إيداين بعد أن قطع فراسخ طويلةً عبر البحر، فشاهدوا الأرض التي وعدوا بها، أندور أرض الهدية، تلمع في السديم الذهبي. ثم نزلوا من البحر إلى الأرض، ووجدوا بلاداً جميلةً ومثمرة فكانوا مسرورين. سموا تلك الأرض إيلينا ومعناه أجنحة النجوم. وتدعى أيضاً، أنادوني، أي الغربية. وهي التي تدعى نومينور في لغة إيلدارين العاليه.

هذه كانت بداية أولئك الناس، وفي لغة الجان الرماديين كانوا يسمونهم دوناداين، النومينوريون، ملوكٌ بين البشر. لكنهم بالتالي لم يفلتوا من قدر الموت الذي وضعه إلوڤاتار على البشرية جمعاء. فمازالوا يعتبرون من الفانيين. مرت سنين طوال قبل سقوط الظل فوقهم ولم يعرفوا المرض. لذلك نموا بالحكمة والمجد فكانوا في كل شيء أشبه بالأبناء الأوائل(الجان). منهم إلى أقربائهم الآخرين من البشر. فقد كانوا طوال القامة، أطول من أطول أبناء الأرض الوسطى. وكان الضوء في عيونهم مثل النجوم الساطعة. لكن أعدادهم ازدادت ببطء في هذه الأرض، مع أنهم أنجبوا أبناء وبنات أجمل من آبائهم لكن أعدادهم كانت قليلة.

منذ القدم كانت المدينة الرئيسية ومرفأ نومينور في وسط السواحل الغربية وكان يطلق عليه اسم أندونيه لأنه يواجه غروب الشمس. وفي وسط الأرض كان هناك جبلٌ عالي وشديد الانحدار اسمه مينيلتارما، أي عمود السماء. وعلى القمة في أعلى نقطة منه، كرّس معبدٌ لإيرو إلوڤاتار، كان هذا المعبد مفتوحاً بدون سقف. ولم يكن عند النومينوريين معبداً أو مكاناً مقدساً سواه. وعند سفح الجبل بنيت قبور الملوك بشكلٍ باهضٍ على تل أرمينيلوس. فقد كان أجمل من المدن. وهناك بنوا برجاً وحصناً في عهد إيلروس بن إياريندیل، الذي عينه الڤالار ليكون الملك الأول لدونادين.

ينحدر إيلروس وأخوه إيلروند من نسل البيوت الثلاثة لإيداين، لكن فيهما أيضاً جزء من إيلدار ومن الميّار. لأن إيدريل من غوندولين ولوثايين ابنة ميليان التي كانت مقدمة على كل الامهات. بالحقيقة فإن الڤالار غير قادرين على سحب هدية الموت التي فرضها إلوڤاتار على البشر. لكن في مسألة نصف الجان فقد منحهم إلوڤاتار القرار، ليحكموا بذلك على أبناء إياريندیل بأن يختاروا قدرهم بنفسهم. وقد اختار إيلروند البقاء مع البكر

(الجان) وقد منحت له حياة الجان، لكن إيلروس الذي اختار أن يكون ملك البشر، فقد بقي عظيماً، وعلى مدى سنوات خصص الكثير منها لبشر الأرض الوسطى. وكل نسله كانوا ملوكاً وأسياداً للبيت الملكي. كانت حياته طويلةً بالنسبة لمقياس النومينوريين. وقد عاش إيلروس خمسمائة سنة، وحكم نومينور أربعمائة وعشر سنين.

هكذا مرت السنوات وتراجعت الأرض الوسطى وبهت ضوؤها وحكمتها، فقد سكن دوناداين تحت حماية الڤالار وفي صداقة إيلدار، فكانوا متزايدين في العقل والجسم والقوام، ومع ذلك فإن هؤلاء الناس استخدموا لغتهم الخاصة، وملوكهم وساداتهم تعلموا وتكلموا أيضاً بلغة الجان، التي تعلموها في أيام تحالفهم. وهكذا أبقوا على التحدث مع إيلدار سواء في إيريسيا أو في الأراضي الغربية للأرض الوسطى. وتعلم سادة العلم بينهم أيضاً لغة العالم المبارك وهي لغة إيلدارين العليا. وهي التي حفظت بها أكثر القصص والأناشيد القديمة التي كانت منذ بدء العالم. وكان لهم الفضل في صناعة المخطوطات والرسائل والكتب، وكتبوا فيها العديد من أشياء الحكمة والعجائب، وكل ذلك بفضل المد العالي من عالمهم الذي نسي كله الآن. لذلك فكل السادة النومينوريون كان عندهم بجانب أسمائهم الخاصة أسماء بلغة إيلدارين، وكذلك كان الأمر بالنسبة لأسماء المدن والأماكن الجميلة التي أسسوها في نومينور وعلى شواطئ هيثير لاندس.

أصبح دوناداين هائلاً في الحرف والصناعة، وبما أنهم يمتلكون القدرات العقلية الهائلة، فإنهم سيتفوقون بسهولة على ملوك الشر في الأرض الوسطى في الصناعات الحربية وصياغة الأسلحة. لكنهم كانوا رجال سلام، وأكثر شيء دعموه وساعدوه بفكرهم هو بناء السفن والصناعات البحرية، فكانوا البحارة الذين لم يكن مثلهم أحد منذ أن تناقص العالم. والسفر عبر البحار الفسيحة كانت المفخرة الرئيسية لهم. بالإضافة إلى المغامرة برجال شجعان في أيام شبابهم.

لكن سادات ڤالينور منعوهم من الإبحار بعيداً نحو الغرب، فلم تعد ترى شواطئ نومينور الغربية من بعيد، بقي دونادين راضياً لمدة طويلةٍ، مع أنهم لم يفهموا المغزى الحقيقي لمنعهم من الإبحار غرباً. فقد كان مقصد مانوي من ذلك، هو كبح مسعى النومينوريين في الاقتراب من العالم المبارك. لكي لا يتجاوزوا الحدود المقررة لنعمتهم. فيصبحوا عاشقين للخلود مثل الڤالار وإيلدار وبذلك فإن الأراضي عندها ستعاني من كل شيء.

في تلـك الأيـام كـان لا يـزال ڤـالينور مرئيـاً في العـالم، وهنـاك في ڤـالينور سمـح إلوڤاتـار للڤـالار بـأن يبقـوا علـى الأرض ويقيمـوا بأمـاكن دائمـه. كتـذكار تحـذيري لمورغـوث في محاولـة إلقـاء ضـلة علـى العـالم. هـذه الحقيقـة كـان يعرفهـا النومينوريـون جيـداً. وأحيانـاً في الأوقـات الـتي يكـون فيهـا الهـواء نقيـاً والشـمس في الشـرق، كـانوا يلمحـون في البعيـد المدينـة الغربيـة مشـرقةً بالبيـاض علـى الشـاطئ البعيـد، والمينـاء والـبرج العظـيم. فقـد كانـت أعـين النومينـوريين تـرى للبعيـد. حـتى هـذا المشـهد لم يكـن يـراه مـن بيـنهم إلا أصـحاب العيـون الثاقبـة النظـر، وربمـا يجـب أن ينظـروا مـن مينيلتارمـا أو مـن بعـض السـفن العاليـة الـتي قـد تقـترب مـن شـواطئهم الغربيـة، بقـدر مـا كـان يسـمح لهـم القـانون بالـذهاب إلى الغـرب. لأنهـم لم يتجـرأوا علـى كسـر الحظـر المفـروض مـن قبـل أسـياد الغـرب. لكـن الحكمـاء مـن بيـنهم عرفـوا بـأن تلـك الأرض البعيـدة لم تكـن في الحقيقـة هـي ڤـالينور أرض العـالم المبـارك، بـل كانـت أڤـالوني. وهـو مرفـأٌ لإيلـدار علـى أرض إيريسـيا وهـي تقـع في أقصـى شـرق الأراضـي الأبديـة. ومـن هنـاك لا يـزال البكـر (الجـان) في بعـض الأحيـان، يبحـر إلى نومينـور في مراكـب بـدون مجـاذيف، وهـذه المراكـب كانـت مثـل الطيـور البيضـاء الـتي تطـير مـن مغـرب الشـمس. فقـد جلبـوا معهـم إلى نومينـور الكثـير مـن الهـدايا. كـالطيور المغـردة، والزهـور العطـرة، والأعشـاب العظيمـة المزايـا، وجلبـوا أيضـاً شـتلة كيليبـورن، وهـي الشـجرة البيضـاء الـتي نمـت وسـط إيريسـيا. وذلـك كـان تحـولاً في حيـاة شـتلة غـالاثيليون، شـجرة تونـا، وهـي نسـخة عـن تيلبيريـون الـتي أعطتهـا ياڤانَـا إلى إيلـدار في العـالم المبـارك، وهـذه الشـجرة كانـت قـد نمـت وأزهـرت في سـاحات الملـك في أرمينيلوس، وسميت نيملوث. فقد كانت تزهر في المساء وتملأ ضلال الليل بعطرها.

وبسـبب حظـر الڤـالار المفـروض علـى إبحـار دونـاداين باتجـاه الغـرب. فقـد ذهـب دونـاداين بـرحلات بحريـة كثـيرة. فمـن أقاصـي الشـرق، إلى ظـلام الشـمال وحـرارة الجنـوب ومـا بعـد الجنـوب إلى الظـلام الأسـفل. ووصـلوا إلى البحـار الداخليـة، وأبحـروا حـول الأرض الوسـطى، فلمحـوا مـن خـلال مقـدمات سـفنهم العاليـة أبـواب الصـباح في الشـرق، وأحيانـاً وصـل دونـاداين إلى شـواطئ الأرض الرائعـة. وتأسـفوا لحـال العـالم المنبـوذ في الأرض الوسـطى، ووضـع سـادات نومينـور أقـدامهم ثانيـةً علـى الشـواطئ الغربيـة لـلأرض الوسـطى في السـنوات المظلمـة مـن تـاريخ البشـر. لكـن لم يتجاسـر أحـد علـى مقـاومتهم. لأن غالبيـة البشـر في ذلـك العصـر كـانوا واقعـين تحـت الظـل وكـانوا خـائفين وضـعفاء. وكـان مجـيء النومينـوريين بيـنهم قـد علمهـم الكثـير مـن الأشـياء. لأنهـم كـانوا قـد أحضـروا معهـم الحنطـة والنبيـذ. وعلمـوا البشـر علـى طحـن

الحبـوب وقطـع الخشـب وتشـكيل الحجـارة، وتنظـيم الحيـاة في أراضـي المـوت السـريع والنعمـة القليلة.

مـن بعـدها ارتـاح أهـل الأرض الوسـطى، ومـن هنـا وهنـاك وعلـى الشـواطئ الغربيـة عـاد المشـردون مـن الغابـات، ونفـض البشـر عـنهم نـير ذريـة مورغـوث وتناسـوا رهبـة الظـلام. وبجلـوا ذكـرى ملـوك البحـر طـوال القامـه. وعنـدما غـادروهم سمـوهم آلهـة وتمنـوا عـودتهم. لم يـدم سـكن النومينـوريين طـويلاً في الأرض الوسـطى، ولم يجعلـوا لهـم هنـاك مسـتعمرةً فهـم يجـب أن يبحـروا نحو الشرق. لكن قلوبهم ترنو دائماً إلى الغرب.

مـع مـرور السـنوات نمـا لـدى النومينوريـون شـوقٌ كبـير إلى المدينـة الأبديـة الـتي رأوهـا مـن بعيـد. وازدادت لـديهم الرغبـة بـالخلود والبقـاء والهـروب مـن المـوت. أيضـاً ازدادت قـوتهم ومجـدهم بشـكل كبـير فـازداد معـه القلـق والاضـطراب. مـع أن الڤـالار كـان قـد كافـأ دونـاداين بحيـاةٍ طويلـة، لكـن هـذه الحيـاة الطويلـة لم تسـتطع أن تأخـذ معهـا المعانـاة والتعـب، فـلا مفـر في نهايـة المطـاف مـن قـدر المـوت. حـتى ملـوكهم الـذين هـم ذريـة إيارينـديل واجهـوا قـدر المـوت. مـع أن حيـاتهم الطويلـة كـان مـداها قصـير بالنسـبة لإيلـدار. وهكـذا سـقط الظـل فـوقهم، وسـبب ذلـك ربمـا لأن إرادة مورغـوث مازالـت قـادرة علـى الحركـة ضـمن العـالم. تـذمر النومينوريـون مـن هـذا القـدر في بـادئ الأمـر بقلـوبهم، وبعـد ذلـك صـرحوا فيهـا بـالكلام المباشـر، ضـد قـدر البشـر، والأهم من ذلك ضد الحظر الذي نهاهم عن الإبحار نحو الغرب.

وقـالوا فيمـا بيـنهم: لمـاذا يجلـس سـادة الغـرب هنـاك بسـلام دائـم، بينمـا نحـن هنـا يجـب أن نمـوت ولا نعـرف إلى أيـن سـنذهب. مغـادرين أوطاننـا وكـل مـا عملنـاه؟ حـتى إيلـدار الـذي تمـرد وثـار ضـد سـلطتهم أيضـاً لا يمـوت. فلقـد قهرنـا كـل البحـار، ولا يوجـد مـاء متـوحش أو واسـع إلا وتسـتطيع سـفننا أن تتغلـب عليـه، فلمـاذا لا يجـب علينـا الـذهاب إلى أڤـالوني ونحيـي أصـدقاءنا هناك؟.

قـال بعـض مـن كـان هنـاك بيـنهم: لمـاذا يجـب علينـا أن لا نـذهب إلى أمـان ونتـذوق هنـاك حـتى لمدة يوم واحد نعمة وبركة سلطات أردا ؟ هل لم نصبح هائلين بعد بين شعوب أردا ؟

نقـل إيلـدار فحـوى هـذا الكـلام إلى الڤـالار، وكـان مـانوي مكتئبـاً لرؤيـة الغيـوم تتلبـد فـوق قمـة مجـد نومينـور. فأرسـل الرسـل إلى دونـاداين، ليتكلمـوا بجديـة مـع الملـك ومـع كـل مـن يسـتمع إليهـم، بخصوص المصير وصياغة العالم.

فقالت الرسل: قدر العالم بيد واحد أحد هو وضعه وهو يغيره. أما بالنسبة إلى العالم المبارك فكان لهم ذلك. ففي تلك الرحلة البحرية حيث نجوتم من الخداع والفخاخ ووصلتم فعلاً إلى أرض أمان العالم المبارك. فالقليل ينفعكم. لأنها ليست أرض مانوي هي التي تجعل شعبها من الخالدين. لكن الخالدون هم الذين يقدسون الأرض والمكان حيث يسكنون. وإذا أصبحتم هناك فإنكم ستذبلون وتتعبون قريباً، كالعث في الضوء القوي الصامد.

سألهم الملك: حتى جدي إياريندِيل الحي، أم هو لا يعيش في أرض أمان أيضاً.

فأجابوه: أنت تعرف بأن إياريندِيل لديه مصير مستقل، وهو محكوم بمصير البكر (الجان) الذين لا يموتوا. وأيضاً فإن قدره يحكم عليه بعدم العودة أبداً إلى الأراضي الفانية. بينما أنت وشعبك لستم من البكر (الجان) فأنتم بشر هالكون، كما خلقكم إلوڤاتار. رغم ذلك يبدو بأنك ترغب بأن يكون عندك الصفات الجيدة لكلا الشعبين (الإنس والجان).لكي تبحر إلى ڤالينور متى تريد، وتعود إلى بيتك كما يحلو لك. لكن ذلك لا يمكن أن يكون. ولا يمكن للڤالار أن يأخذ منكم هدية إلوڤاتار. وأيضاً أنت تقول بأن إيلدار بدون عقاب وحتى أولئك الذين تمردوا على السلطات لم يموتوا. رغم ذلك فهذه ليست مكافأة ولا عقاب، لكن استكمالاً لوجودهم، فلا يستطيعون الهرب، بل سيبقون مرتبطين بهذا العالم. فلا يغادرونه طالما بقوا على قيد الحياة، فإن حياتهم هي مسؤوليتهم. وقلت بأن البشر يعاقبون على التمرد. ونقول لك بأنه لديك حصة صغيرة وهي الموت، لكن الموت في البداية لم يكن محدداً على أنه عقوبة بل هدية. وهكذا فأنت يمكن أن تهرب وتترك العالم، فأنت غير ملتزم به منتظراً بالأمل والضجر. لذلك فلا يجب علينا أن نحسد الآخرين.

فأجابهم النومينوريون: لماذا لا يجب أن نحسد الڤالار، أو حتى أن نحسد الخالدين؟ لأنه مطلوبٌ منا فقط الثقة العمياء، والأمل غير المضمون. مع العلم أننا لا نعرف ما ينتظرنا بعد فترة قصيرة. وبالرغم من كل ذلك فأننا نحب الأرض أيضاً ولن نفرط بها.

ثم قالت الرسل: في الواقع فإن توجهات عقل إلوڤاتار المتعلقة بكم، غير مكشوفة للڤالار. فهو لم يكشف عن كل الأشياء التي ستأتي. لكننا نتمسك بها عندما تصبح حقيقة، فإن بيتكم ليس هنا ولا في أرض أمان ولا في أي مكان ضمن دوائر العالم. وقدر البشر أن يموتوا ويغادروا. وفي البدء كانت تلك هدية لكم من إلوڤاتار، ثم أصبحت تجلب لكم الحزن

وذلك فقط بسبب مجيئكم تحت ظل مورغوث، فبدا لكم بأن الموت محاط بظلمة عظيمة وأصبحتم منه خائفين. فنما لدى البعض منكم عناد وفخر وعدم تقبل لهذه الهدية، وبقوا هكذا حتى سُلبت منهم حياتهم وماتوا. نحن الذين نتحمل أثقال السنين المتزايدة ولا نفهم ذلك بشكل واضح. لكن إذا عاد ذلك الحزن لإزعاجكم كما تقولون، عندها ستخافون من ظهور الظل ثانيةً ويعود للنمو في قلوبكم. على الرغم من أن دوناداين هو الأنقى بين كل أولئك البشر الذين هربوا قديماً من الظل وقاتلوا ببسالة ضده. ونقول لكم: كونوا على حذر! وإياكم أن تخالفوا إرادة إيرو. ويطلب منكم الڤالار بشكل جدي أن لا تخسروا الثقة التي استعدتموها، خشية أن تُكرهوا على ذلك الرباط. وفي النهاية نأمل بأن تكون حتى أقل رغباتكم محققه. لقد وضع إلوڤاتار محبة أردا في قلوبكم. وهو لا يزرع إلا لهدف، ومع هذا فقد تمضي عصورٌ كثيرة من حياة البشر قبل أن يكون ذلك الهدف معروفاً. وإليكم سيكون الكشف والتوضيح وليس للڤالار.

حدثت تلك الأشياء في أيام تار كيرياتان بناء السفن وأيام ابنه تار أتانامير. فقد كانوا رجالاً متكبرين، متلهفين للثروة، قاموا بفرض الجزية على أهل الأرض الوسطى. فكانوا يأخذون منهم بدل أن يعطوهم. وإلى تار أتانامير جاء أولئك الرسل، وكان هو الملك الثالث عشر. ففي أيامه بلغ عمر مملكة نومينور أكثر من ألفي سنة، ووصلت إلى قمة النعمة، لكنها لم تصل بعد إلى قمة القوة. لكن أتانامير كان شقياً ولم يعطِ الكثير من الاهتمام لنصائح الرسل. وتبعته الغالبية العظمى من شعبة في ذلك، لأنهم مازالوا يتمنون الفرار من قدر الموت في أيامهم، ولا يريدون انتظار الأمل. عاش أتانامير عمراً مديداً، وقد تشبث بالحياة وانغمس بملذتها، وهو الأول من بين النومينوريين الذي سار على هذا المنوال، ورفض المغادرة حتى بعد أن أصبح خرفاً ومهجوراً، فأنكر تسليم منصب الملك إلى ابنه في آخر أيامه. لأن عادة سادات نومينور كانت هي الزواج المتأخر من حياتهم الطويلة، ومغادرة العرش وترك السلطة إلى أبنائهم عندما يصبح الأبناء كاملي الجسم والقوام والعقل.

بعد أتانامير أصبح تار أنكاليمون بن أتانامير ملكاً، وكان يشبه أباه بالعقل، وفي أيامه انقسم شعب نومينور إلى حزبين. كان الحزب الأكبر بينهم هو حزب رجال الملك، وكانوا متكبرين وابتعدوا كثيراً عن إيلدار وعن الڤالار. أما الحزب الثاني فهو الأقل عدداً وكان اسمه ايلينديلي، أصدقاء الجان. وعلى الرغم من كل شيء فقد بقوا موالين للملك وبيت إيلروس، وكانوا يرغبون بالمحافظة على الصداقة مع إيلدار. وأصغوا إلى نصائح سادات

الغرب، لذلك سموا أنفسهم المخلصون. مع أنهم لم يتهربوا من مأساة شعبهم بشكل كامل وبقوا قلقين من التفكير بالموت.

هكذا تناقصت البركة الغربية. لكن القوة والعظمة ازدادتا لكلٍ من الملوك والشعب، ولم يتركوا الحكمة بعد. وإذا كانوا يحبون الفالار قليلاً فمازالوا يهابونهم، ولم يتجرأوا وبشكل مفضوح على كسر الحظر أو الإبحار خلف الحدود المعينة. فمازالوا يبحرون بسفنهم الطويلة إلى الشرق. لكن خوفهم من الموت زاد من الظلام فوقهم. فحاولوا تأخير القدر بكل الوسائل التي يملكونها، لذلك بدأوا بتشييد أبنيةٍ عظيمةٍ لموتاهم، بينما عمل حكماؤهم بشكل مستمر على محاولة اكتشاف سر استعادة الحياة. أو على الأقل إطالة أيام حياة البشر. رغم ذلك فلم ينجزوا فقط إلا فن تحنيط أجساد الموتى، وملأوا الأرض بالقبور الصامته، التي كان فكر الموت فيها محفوظاً في الظلام. لكن أولئك عاشوا بشكل مغاير وبلهفة أكثر للسرور والمرح راغبين دائماً بالمزيد من السلع والغنى. وبعد أيام حكم تار أنكاليمون، أُهملت أول وصايا إيرو. ونادراً ما كان يذهب البشر للقداديس على مرتفعات مينيلتارما في وسط الأرض.

منذ أن كان الغرب محرماً عليهم. فقد اعتاد النومينوريون على بناء الأبراج القوية والموانئ الكبيرة، وفي ذلك الوقت أيضاً، أنشأوا مستوطنات كبيرة خارج أرضهم، وأول ما ابتدأوا به كان على الشواطئ الغربية للأراضي القديمة. لأن أرضهم ضاقت بهم، ولم يقنعوا أو يشعروا بالراحة في ذلك المكان، ولرغبتهم في السيطرة والتملك وسيادة الأرض الوسطى. وافق كثيرون منهم على السكن في تلك المستوطنات، لكنهم ظهروا كسادة مسيطرين يسعون لكسب المديح والتبجيل، بدل من أن يظهروا كمساعدين ومعلمين. وكانت سفن النومينوريين العظيمة تبحر شرقاً مع الرياح وتعود بالكثير من الحمولات والثروة. فازداد ملوكهم قوةً وفخامةً. فشربوا وتمتعوا وكسوا أنفسهم بالفضة والذهب.

في كل هذه الأعمال كان نصيب حزب أصدقاء الجان صغيراً جداً، فقد ذهبوا لوحدهم إلى الشمال، وبالتحديد إلى أرض غيل غالاد، حافظين عهد صداقتهم مع الجان ومساعدتهم لهم في القتال ضد ساورون. وكان مرفأهم بيلارغير فوق منابع أندوين العظيم. لكن حزب رجال الملك أبحروا بعيداً نحو الجنوب، وتركت القلاع والسلطة التي صنعوها هناك الكثير من الإشاعات في أساطير البشر.

ظهر ساورون ثانيةً في هذا العصر في الأرض الوسطى. فكبر وعاد إلى الشر الذي رباه عليه مورغوث، وأصبح من أقوى خدمه. وفي زمان الملك الحادي عشر لنومينور تار ميناستير. حصَّنَ ساورون أرض موردور وبنى هناك برج باراد دور، وفيما بعد جاهد دائماً لسيادة الأرض الوسطى، لكي يصبح ملكاً على كل الملوك وإلهاً للبشر. كره ساورون النومينوريين بسبب أفعال آبائهم وتحالفهم القديم مع الجان وولاءهم المطلق للفالار، ولم ينسَ المساعدة التي قدمها في القديم تار ميناستير إلى غيل غالاد. وفي ذلك الوقت كان قد صاغ الخاتم الأوحد، وكانت هناك حرب بين ساورون والجان في إيريادور. أما الآن وقد عَلم بأن ملوك نومينور ازدادوا قوةً وعظمةً. فازداد كرههُ لهُمْ وخاف أن يغيروا على أراضيه، ويسحبوا منه سيادة الشرق. ولوقت طويل لم يتجاسر على تحدي سادات البحار، فانسحب من السواحل.

رغم ذلك فقد كان ساورون ماكراً جداً، ويقال بأن من بين أولئك التسعة الذين تورطوا بالخواتم، كان منهم ثلاثة من عظماء سادات عرق النومينوريين. وعندما ظهر عبيده أولايري، أي أشباح الخاتم، فقد ازدادت بشكل كبير قوة إرهابه وسيطرته على البشر. وبدأ بمهاجمة الأماكن القوية للنومينوريين على شواطئ البحر.

وفي تلك الأيام ازداد الظل عميقاً على نومينور، وحياة ملوك بيت إيلروس تلاشت بسبب تمردهم، لكن قلوبهم كانت قاسية على الفالار. أخذ الملك التاسع عشر صولجان آبائه واعتلى العرش وتسمى باسم أدون أكور، سيد الغرب، وأمر بترك لغة الجان ومنع استعمالها في جلساته. على الرغم من أن مخطوطة الملوك والمسماة هيرونومين، مدرجةً بلغة الجان العلويين. وذلك بسبب العادة القديمة والتي تخشى الملوك كسرها نهائياً. خوفاً من وقوع الشر الآن، فقد اعتبر حزب المخلصين بأن هذا اللقب يبدو فخوراً أكثر من اللازم، لكونه لقب الفالار. أما قلوبهم فقد اجتازت اختباراً صعباً بين ولائهم لبيت إيلروس وبين تبجيلهم للسلطات المحددة. لكن الاسوأ لم يأتِ بعد. لأن آرغيميلزور الملك الثاني والعشرين كان هو العدو الأكبر للمخلصين. وفي أيامه لم يخدم الشجرة البيضاء وبدأت بالذبول، ومنع تماماً استعمال لغة الجان، وعاقب كل من رحب بسفن إيريسيا التي مازالت تجيء سراً إلى الشواطئ الغربية للأرض.

في الأغلب سكن أعضاء حزب ايلينديلي في المناطق الغربية لنومينور، لكن آرغيميلزور أمر بأن كل من يُكتَشفْ بأنه من هذا الحزب، يرحّل من مكان إقامته في الغرب ويسكن في

شـرق الأرض. وهنـاك كـانوا مـراقبين، وكـان المسـكن الرئيسـي للمخلصـين في الأيـام اللاحقـة قريبـاً مـن ميـنـاء رومينـنـا، فـأبحر كثـيرون مـن هـذا الميـنـاء إلى الأرض الوسـطى، قاصـدين السـواحل الشـمالية، حيـث أنهـم مـازالوا يتكلمـون مـع إيلـدار الـذين في مملكـة غيـل غـالاد. هـذا الأمـر عرفـه الملـوك لكـنهم لم يمـانعوه طالمـا أن ايلينـديلي غـادر أرضـهم ولـن يرجـع إليهـا أبـداً. لأنهـم رغبـوا في إنهـاء كـل الـروابط الـتي تـربط بـين النـاس وإيلـدار مـن إيريسـيا. والـذين كـانوا يسـموهم جواسـيس الڤـالار. علـى أمـل أن تبقـى أعمـالهم ومجالسـهم مخفيـةً عـن سـادات الغـرب. لكـن كـل مـا فعلـوه كـان معلومـاً لمـانوي، وكـان الڤـالار غاضـبين علـى ملـوك نومينـور. ولم يقـدموا لهـم النصـح والحمايـة فيمـا بعـد. ولم تـأتي فيمـا بعـد سـفن إيريسـيا مـن مغـرب الشمس وأصبحت مرافئ أندونيه مهجورة.

الأعلـى شـرفاً بعـد بيـت الملـوك كـانوا سـادات أندونيـه. فهـم مـن نسـل إيلـروس. وبـدايتهم تنحـدر مـن سـيلماريان بنـت تـار إيلينـديل الملـك الرابـع لنومينـور. كـان هـؤلاء السـادة مـوالين للملـوك، وكـانوا يبجلـونهم كثـيراً. وكـان سـيد أندونيـه دائمـاً مـن بـين المستشـارين الرئيسـيين لمجلـس الصـولجان. رغـم أنهـم منـذ البدايـة حملـوا حبـاً خاصـاً لإلـدار وتقـديس الڤـالار. وعنـدما نمـا الظـل قـاموا بمسـاعدة المخلصـين بقـدر مـا اسـتطاعوا. لكـنهم ولمـدة طويلـة لم يعلنـوا عـن أنفسـهم صـراحةً، فكـان سـعيهم مـع المستشـارين الأكثـر حكمـةً بـدلاً مـن أن يعـدلوا نفـوس أقطاب الصولجان.

كانـت هنـاك سـيدة تـدعى إنزيلبيـث مشـهورةً بجمالهـا، وأمهـا كانـت ليندوريـه أخـت إيرينـدور سـيد أندونيـه في أيـام آرسـاكالثور أبـو آرغيميلـزور. وقـد اتخـذها آرغيميلـزور زوجـةً لـه، رغـم كـل هـذا فقلـيلاً مـا كـان يـروق لهـا، لأنهـا في قلبهـا كانـت مـن حـزب المخلصـين، لكونهـا متعلمـةً مـن والـدتها. لكـن الملـوك وأبنـائهم ينمـون بـالفخر وعلـى إنكـار الرغبـات. فلـم يكـن الحـب موجـوداً بـين آرغيميلـزور وزوجتـه الملكـة، أو بـين أبنائهـا. فـالكبير إنـزيلادون كـان مثـل أمـه في العقـل وفي الجسـم، لكـن غيميلخـاد الأصـغر فقـد ذهـب مـع أبيـه، إلا أنـه كـان أكثـر غطرسـةً وعنـاداً مـن أبيـه. وإليـه أراد آرغيميلـزور أن يهـب الصـولجان بـدلاً مـن الابـن الأكـبر لـو سمحـت لـه القـوانين بذلك.

لكـن عنـدما تسـلم إنـزيلادون الصـولجان. اتخـذ لنفسـه لقبـاً بلغـة الجـان، كمـا في التقاليـد السـابقة. وسمـى نفسـه تاربـالانتير. لأنـه كـان بعيـد النظـر في العـين والقلـب. حـتى الـذين كرهـوه خـافوا مـن كلماتـه لأنهـا تنبـؤات صـحيحه. وأيضـاً كـان قـد مـنح السـلام لحـزب المخلصـين.

وأعاد مواسم تقديس إيرو على مينيلتارما. الذي كان قد هُجر في عهد آرغيميلزور. وخدم الشجرة البيضاء ثانية بالشرف، وتنبأ قائلاً: عندما تموت الشجرة ينتهي نسل الملوك. لكن توبته كانت متأخرة جداً لتهدئة غضب الڤالار بسبب وقاحة آبائه، وعدم توبة الجزء الأكبر من الشعب. وكان غيميلخاد فضاً وقوياً. فتسلم قيادة حزب رجال الملك وعارض إرادة أخيه بشكل سافر وتجرأ عليه. وكانت أكثر الأمور لحد الآن بشكلٍ سري. وهكذا أصبحت أيام تاربالانتير مظلمة من الحزن، فكان يصرف معظم وقته في الغرب، يصعد في أغلب الأحيان إلى البرج القديم للملك ميناستير على تلة أورومييت القريبة من أندونيه. وهناك كان يحدق إلى الغرب متأملاً رؤية بعض الأشرعة القادمة من الغرب عبر البحر، لكنها لم تأتِ أي سفينة ثانية من الغرب إلى نومينور. وحجب أڤالوني بالغيوم.

مات غيميلخاد بعمر سنتان قبل المئة ( وهو أكثر موت مبكر في سلالة إيلروس منذ نشأتها وحتى تلاشيها)، لكن هذا لم يجلب أي سلام للملك. لأن فارازون بن غيميلخاد كان رجلاً عصبياً جداً وتواقاً للثروة والسلطة أكثر من أبيه. وفي أغلب الأحيان كان يرتحل لخارج الديار، كزعيم للحروب التي خاضها النومينوريون في سواحل الأرض الوسطى، ساعياً لتمدد سلطانهم على البشر. وبهذا كسب صيتاً عظيماً كقائداً في البر والبحر، لذلك عندما عاد إلى نومينور، وسمع بموت أبيه، استدارت قلوب الشعب نحوه لأنه كان قد جلب معه ثروة عظيمةً، وكانت عطاءاته للشعب كثيرة.

في ذلك الوقت مات تاربالانتير بعد أن أرهقه الحزن. ولم يكن لديه ابن ذكر بل كانت لدية بنت فقط واسمها ميريل بلغة الجان. وحسب قوانين النومينوريين، يحق لها اعتلاء الصولجان. لكن فارازون تزوجها رغماً عنها. وهذا فعلٌ شرير، أيضاً شرير في قوانين نومينور التي لا تسمح بهكذا زواج بالإكراه، حتى ولو كان في البيت الملكي، للذين أكثر قرباً من قرابة أبناء العمومة والتي تأتي بالدرجة الثانية. وعندما تزوجها استولى على الصولجان إلى نفسه واتخذ لقب آرفارازون ( تاركاليون في لغة الجان)، وتغير اسم زوجته الملكة إلى آرزيمرافيل.

كان آرفارازون الذهبي فخوراً وأكثر جبروتاً من كل الذين امتلكوا صولجان ملوك البحر منذ تأسيس نومينور. وقد حكم نومينور قبله ثلاثة وعشرين ملكاً وملكة. وهم الآن نائمين في قبورهم العميقة بظلال جبل مينيلتارما، متمددين على أسرتهم الذهبية.

جلس آرفارازون على عرشه المرصع، في مدينة أرمينيلوس بمجد قوته، يطيل التفكير المظلم بالحرب، لأنه كان قد تعلم في الأرض الوسطى من قوة مملكة ساورون، وكراهيته للغربيين.

والآن كـان قـد رجـع إليـه ربابنـة السـفن والقـادة القـادمين مـن الشـرق، فـأخبروه بـأن سـاورون قـد فـرض سـيطرته هنـاك، منـذ عـودة آرفـارازون مـن الأرض الوسـطى. وراح الآن يضـغط باسـتمرار علـى المـدن السـاحلية. وقـد اتخـذ لنفسـه لقـب ملـك البشـر. معلنـاً عـن أهدافـه بطـرد النومينوريين إلى البحر، وحتى تدمير نومينور. إذا لزم الأمر.

غضـب آرفـارازون كثـيراً مـن هـذه الأخبـار وفكـر كثـيراً في سـره، فقلبـه مملـوء برغبـة السـلطة غـير المحـدودة، والسـيطرة المطلقـة لإرادتـه، فقـرر بـدون استشـارة الڤـالار، وحـتى لم يطلـب مسـاعدة الحكمـاء بـل استبد برأيـه. إذ إن لقـب ملـك البشـر هـو مـن يدعيـه لنفسـه ويريـد إرغـام سـاورون علـى أن يكـون خادمـاً لـه وتـابع. فبسـبب كبريائـه يعتـبر أنـه لا يجـب أن يظهـر ملـك ينـافس وريـث إيارينـديل. لـذلك بـدأ في ذلـك الوقـت بصـناعة وتخـزين الأسـلحة في مخـزن كبـير، وبـنى الكثـير مـن السـفن الحربيـة وخـزنهم مـع الأسـلحة. وعنـدما أصـبح كـل شـيءٍ جـاهز. أبحـر مـع جيشه نحو الشرق.

رأى البشـر أشـرعة قادمـة مـن مغـرب الشـمس، مصـبوغةً بلـون قرمـزي يلمـع بـالأحمر والـذهب. فوقـع الخـوف علـى سـاكني السـواحل وهربـوا بعيـداً، لكـن الأسـطول وصـل إلى المكـان الـذي يـدعى أومبـار. وهـو المرفـأ الطبيعـي الهائـل للنومينـوريين، وهـو مرفـا طبيعـي لم تصـنعه الأيـدي. كانـت الأراضـي فارغـة وصـامته حـول موكـب ملـك البحـر عنـدما سـار في الأرض الوسـطى. لسـبعة أيـام سـافر بالرايـة والبـوق حـتى وصـل إلى تـل. فـاعتلاه ووضـع سـرادقه وعرشـه هنـاك، وجلـس في وسـط الأرض، وخيـام جمـاهيره مصـطفةً حولـه. زرقـاء وذهبيـة وبيضـاء. فكـانوا كزهور الحقل الطويلة. ثم بعث الرسل إلى ساورون وأمره بالمجيء وتقديم الولاء.

جـاء سـاورون. حـتى مـن وراء تحصـينات برجـه العظـيم بـاراد دور. ولم يقـدم أي اتفـاق بخصـوص المعركـة، لأنـه لاحـظ قـوة وفخامـة ملـوك البحـر، والـتي فاقـت كـل الإشـاعات الـتي وصـلته عـنهم. فلـم تكـن لديـة الثقـة حـتى بـأقوى خدمـه، مـن القـدرة علـى مقـاومتهم أو الصـمود بـوجههم. ورأى بـأن وقتـه لم يحـن بعـد لتصـفية حسـاباته مـع دونـاداين. فقـد كـان مـاكراً، ومـاهراً جـداً لكسـب مـا يريـد بالرِّقـة واللـين عنـدما لا تنفـع القـوة. لـذلك فقـد تواضـع أمـام آرفـارازون، وصـقل كلامـه. فتعجـب البشـر منـه لأن كـل كلامـه كـان يبـدو عـادلاً وحكيماً.

لكـن آرفـارازون لم ينخـدع بـه بعـد، وجـاء إلى بالـه، بـأن يأخـذه إلى نومينـور، ويسـكنه هنـاك كرهينـة هـو وكـل خدمـه الـذين كـانوا معـه في الأرض الوسـطى. فيبقـى سـاورون هنـاك محافظـاً

على قسمه وولائه. وافق ساورون مكرهاً في ظاهر الأمر، لكنه وفي سره كان مسروراً. لأن ذلك ينسجم بالحقيقة مع رغباته. عبر ساورون البحر وشاهد أرض نومينور ومدينة أرمينيلوس في أيام مجدها. فاندهش لكن قلبه كان مملوءً بالحسد والكراهية.

رغم ذلك مثلما كان الخداع في عقله كذلك كان بفمه، فقد كانت قوة إرادته الخفية. وقبل مضي ثلاث سنوات، أصبح من أقرب المستشارين السريين للملك، لحلاوة التملق التي كانت في لسانه كالعسل، ولمعرفته الكبيرة التي لم تكن مكشوفة بعد للبشر. وبسبب ما ناله من حظوةٍ وإحسانٍ عند الملك فقد تودد له غالبية أعضاء المجلس، إلا واحداً وهو أمانديل سيد أندونيه. ثم جاء التغيير ببطء إلى الأرض، فاضطربت نفوس أصدقاء الجان بشده، وانقطع الكثيرين عنهم مبتعدين بدافع الخوف. بالرغم من أن الذين بقوا منهم مازالوا يطلقون على أنفسهم اسم المخلصين. لكن أعدائهم نعتوهم بالمتمردين. أما الآن وقد استحوذ ساورون على إصغاء البشر له، فقد خالف وبالكثير من الحجج، كل العلوم التي علمهم إياها الفالار. وأضاف بأن البشر يعتقدون بأن العالم يتمدد فقط إلى الشرق، وحتى في الغرب تتمدد الكثير من البحار والأراضي لنفوز بها، ففيها ثروات لا تحصى. ومازالت تنتظرنا، وإذا كان ينبغي أن نصل أخيراً إلى نهاية تلك الأراضي والبحار. خلف امتداد كل الظلمات القديمة. فخارجها صُنع العالم. لأن الظلام وحده هو المقدس، وقد يجعل الرب منه عوالم أخرى لتكون هدايا لأولئك الذين يخدموه. بحيث أن زيادة قوتهم لن تجد نهاية.

وسأله آرفارازون، من هو سيد الظلام ؟

تكلم ساورون مع الملك خلف الأبواب المغلقة، وراح يكذب ويقول: أنه هو الذي اسمه لن يكون منطوقاً الآن. لأن الفالار خدعوك فيما يخصهم. فقد فرضوا تقديم اسم إيرو الذي ابتكره خيالهم من حماقة قلوبهم. فهم يريدون تقييد البشر بالعبودية لأنفسهم. لأنهم هم الوحي لهذا الإيرو، الذي يتكلم فقط وفق إرادتهم. لكن هو سيدهم وسيسود في النهاية. وهو سينقذكم من هذا الوهم، واسمه ميلكور سيد الجميع، مانح الحرية، وهو الذي سيجعلك أقوى منهم.

عاد الملك آرفارازون إلى عبادة الظلام وميلكور سيد ذلك الظلام. وكان في بادئ الأمر سرياً، لكن بعد مدة أصبح بشكل مفضوح وأمام الشعب. فتبعه بذلك الجزء الأكبر من الشعب. رغم ذلك فمازالت تسكن بقية من المخلصين، كما قيل، في رومينا وفي البلاد

القريبة منها، والبعض الآخر منتشرين في الأرض هنا وهناك. وزعيمهم هو أمانديل الذي بحثوا عن قيادته الشجاعة في هذه الأيام الشريرة. كان أمانديل، عضو مجلس الملك، وابنه إيليندديل. وإيليندديل هذا له ولدان هما إيسيلدور وأناريون. كان أمانديل وابنه إيليندديل ربانين عظيمين. وهما من سلالة إيلروس تارمينياتور، رغم ذلك فهما ليسا من البيت الحاكم الذي يعود إليه التاج والعرش في مدينة أرمينيلوس. وفي أيام شبابهما معاً كان أمانديل عزيزاً على فارازون مع أنه كان صديقاً للجان، وبقي في مجلسه حتى مجيء ساورون. أما الآن فقد أقالوه من منصبه، لأن ساورون يكرهُ أكثر من الآخرين في نومينور. لكنه كان نبيلاً جداً، وقائداً بحرياً جبار، وذلك ما جعلة محمولاً بالشرف من قبل الكثيرين من الشعب. فلم يتجاسر لا الملك ولا ساورون على وضع أيديهم عليه لحد الآن.

لذلك انسحب أمانديل إلى رومينا، واستدعى في الخفاء إلى هناك كل من كان يثق به، بأنه من المخلصين. لأنه خشي اشتداد الشر، وكل أصدقاء الجان كانوا في خطر. وسرعان ما حدث ذلك. لأن مينيلتارما هُجر نهائياً في تلك الأيام. ومع ذلك حتى ساورون لم يتجرأ على تدنيس المكان العالي. والملك سوف لن يسمح لأي رجل ولو بالموت والألم، من الصعود إليه، حتى أولئك المخلصين الذين أبقوا على إلوڤاتار في قلوبهم. راح ساورون يحث الملك على قطع الشجرة البيضاء، نيملوث الجميلة، والتي تنمو في قصوره، لأنها نصب تذكاري من إيلدار لضوء ڤالينور.

في البداية لم يوافق الملك على هذا، لأن المعتقدات الأولية تقول بأن مصير بيته مربوط بالشجرة كما تنبأ بذلك تاربالانتير. وهكذا في حماقته وهو الذي يكره إيلدار والڤالار. لكنه الآن يتعلق عبثاً بالظلال القديمة لولاء نومينور. وعندما سمع أمانديل إشاعة الهدف الشرير لساورون، كان الحزن في القلب لمعرفته بالنهاية بأن تلك كانت إرادة ساورون. تكلم مع ابنه إيليندديل وولديه وذكرهم بحكاية أشجار ڤالينور. فلم يقل إيسيلدور أيَّ كلمة، لكنه خرج في الليل وعمل عملاً، فيما بعد أصبح ذلك العمل مشهور. فلقد ذهب متنكراً لوحده إلى أرمينيلوس حيث قصور الملك التي حرمت على المخلصين، وجاء إلى مكان الشجرة التي منع عنها الجميع بطلب من ساورون. كانت الشجرة محروسةً ليلاً نهاراً بحرس من خدم ساورون. وفي ذلك الوقت كانت نيملوث معتمة ولم تزهر بعد، لأن الوقت كان في أواخر الخريف وقد اقترب الشتاء كثيراً. مرَّ إيسيلدور من خلال الحراس وأخذ من ثمار الشجرة المعلقة عليها واستدار للذهاب، لكن الحارس انتبه له وهاجمه فتقاتلا، ثم تمكن

إيسيلدور من الهرب وشق طريقة للخارج مع بعض الجروح. ولأنه أخفى الثمرة فلم يعرف أحد بأنه وضع يده على الشجرة. لكن إيسيلدور بالكاد وصل أخيراً إلى رومينا وسلم الثمرة ليد أمانديل قبل أن تخور قواه، بعد ذلك زُرعت تلك الثمرة بالسر، وكانت مباركة من قبل أمانديل. وفي الربيع نشأت منها نبتة ثم أورقت، لكن عندما تفتحت أول ورقة منها نام إيسيلدور لمدة طويلة مقترباً من الموت. ثم استيقظ ولم تكن هنالك أية آثار لجراحه فقد شفيت تماماً.

لم يحدث ذلك بعد الهجوم مباشرةً. فقد استسلم الملك لإرادة ساورون وقطع الشجرة البيضاء. وانقلب مبتعداً تماماً عن ولاء آبائه. لكن ساورون كان المسبب في بناء الذهبي، وهو معبد هائل على تل في وسط أرمينيلوس مدينة النومينوريين. كانت قاعدته بشكلٍ دائري، وسماكة جدرانه خمسون قدماً، وعرض القاعدة عبر مركز الدائرة خمسمائة قدم. أمّا جدرانه فقد ارتفعت خمسمائة قدم عن مستوى الأرض. وتوجوه بقبة هائلة مغطاة كلها بالفضة، ارتفعت متلألئة بالشمس، وكان بريق ضوئها يرى من بعيد جداً. لكن بعد حين أظلم ضوؤها، واسودت فضتها، بسبب وجود مذبح للنار في وسط المعبد وفي أعلى القبة كانت الفتحة التي يخرج منها الدخان الكثيف. وأول شخص أوقد على ذلك المذبح كان ساورون ومن خشب نيملوث المقطوع. فطقطق خشبها في النار وكان مستهلكاً. استغرب البشر من الأبخرة التي صعدت منها، فقد بقيت الأرض تحت الغيم لمدة سبعة أيام، حتى سارت الغيمة ببطء نحو الغرب.

فيما بعد وفي ذلك المعبد ارتفعت النار والدخان باستمرار لأن قوة ساورون تزداد يومياً، وفي ذلك المعبد، مع إراقة الدم والعذاب والفجور العظيم. فقد جعل من البشر قرابين تقدم لميلكور، لأنه سيحررهم من الموت. وفي أغلب الأحيان اختاروا ضحاياهم من أعضاء حزب المخلصين. ولم يتهمهم بشكل سافر بأنهم لا يعبدون ميلكور، مانح الحرية. بالأحرى كان يريد سبباً ضدهم، بأنهم يكرهون الملك وكانوا من المتمردين، أو بأنهم خططوا ضد أقربائهم. كلها أكاذيب مختلقة وسموم، وهذه التهم كانت بغالبيتها باطلة. بعد ذلك أصبحت الأيام مريرة. والحقد يولد حقداً.

لكن رغم كل هذا. فلم يرحل الموت عن الأرض. بل بالأحرى كان الموت يأتي مباشرةً وفي أغلب الأحيان سريعاً، وبالكثير من المظاهر المخيفة. فبينما كان البشر الأوائل يكبرون ببطء، ثم يضعوهم أخيراً بعد أن يكونوا قد تعبوا من العالم في نومٍ أبدي. أما الآن فقد

هاجمهم الجنون والمرض على الرغم من أنهم مازالوا يخافون من الموت، ومن الخروج إلى الظلام، إلى عالم السيد الذي اتخذوه عليهم. فلعنوا أنفسهم من ألمهم ومعاناتهم. وأصبح البشر يحملون السلاح دوماً في تلك الأيام، فكان أحدهم يذبح الآخر لأتفه الأسباب، لأنهم أصبحوا سريعي الغضب. أما ساورون، أو أولئك الذين كانوا مرتبطين به. فقد استمروا في إعداد الأرض لتكون رجلاً ضد رجل، لكي يتذمر الناس ضد الملك والسادة. أو ضد أي شخص لم يكن معهم. وتحمل رجال السلطة انتقاماً قاسياً.

مع ذلك فقد بدا للنومينوريين وبطول المدة بأنهم نجحوا، مع أن سعادتهم لم تكن زائدة، رغم ذلك فقد ازدادت قوتهم وأصبح رجالهم من أغنى الأغنياء، فبفضل مساعدة واستشارة ساورون، تضاعفت أملاكهم وصمموا الآلات الميكانيكية. وبنوا السفن الضخمة، وأبحروا بالقوة المدججة بالسلاح إلى الأرض الوسطى. فلم يأتوا إليها كمقدمي هدايا ولا حتى كحكام بل كغزاة وكرجال شرسين تواقين للحرب. فطاردوا بشر الأرض الوسطى وأخذوا متاعهم وبضائعهم واستعبدوهم، وذبحوا كثيرين منهم بقسوة على مذابحهم. بالمقابل فقد شيدوا في الأرض الوسطى في تلك الأيام، القلاع والمعابد والقبور الضخمة. وخاف منهم كل البشر، وحكايات الملوك العطوفين التي كانت تعج فيها في الأزمنة الماضية، تلاشت من العالم الآن، وأظلمت الدنيا بعيون الكثيرين بسبب أخبار الفزع والخوف.

هكذا تحول آرفارازون من ملك من أرض النجم، إلى أعتى طاغية مستبد على مر العصور منذ عهد مورغوث. وبالحقيقة فإن ساورون هو الذي كان يحكم من وراء العرش. ومع مرور السنين أحس الملك باقتراب ظل الموت، ومع ازدياد أيام حياته كان يزداد خوفه وغضبه. وجاءت الآن الساعة التي انتظرها ساورون لمدة طويلة. فتحدث ساورون إلى الملك قائلاً: بأن قوته أصبحت عظيمةً الآن، ويجب أن يخضع كل شيء لإرادته وقيادته. ومن لا يخضع يكون مُداناً ومُحَرَّماً.

وقال أيضاً: بأن الڤالار يحتكرون لأنفسهم أرضاً خاليةً من الموت، وقد كذبوا بخصوص ذلك وأخفوه عنكم بأفضل ما يمكن. بسبب جشعهم وخوفهم من أن يستعيد ملوك البشر مملكة الخلود منهم ويحكمون العالم بدلاً عنهم. مع ذلك وبلا شك، فإن جدارة الحياة لا توهب للجميع بل لمستحقيها. كأن يكون رجلاً شريفاً وعزيزاً ومن سلالة ونسب عريقين، فإنه من غير العدل أن يكون محروماً من هذه الهدية الواجبة. فلا يجب أن يحجب الخلود عن آرفارازون ملك الضربات وأعتى أهل الأرض. والذي لا يمكن أن يقارن به أحد إلا

مـانوي وحـده. حـتى ولـو كـان، فـإن الملـوك العظـام لا يتحملـون الـرفض والإنكـار ويأخـذون مـا هو مستحقٌ لهم بالقوة.

جـن جنـون آرفـارازون بإصـغائه لهـذا الكـلام مـن سـاورون. فمشـى تحـت ظـل المـوت لأن مـداه كـان ينسـحب نحـو نهايتـه، وبـدأ بالتأمـل في قلبـه بأنـه يجـب أن يشـن حربـاً علـى الڤـالار، فقـد كـان يهيـئ لـذلك منـذ مـدة طويلـة. ولـو لم يتحـدث عـن ذلـك صـراحةً إلا أنـه لم يكـن قـادراً علـى إخفـاءه عـن الجميـع. علـم أمانـديل بأهـداف الملـك فأصـبح مرعوبـاً وملـئ بفـزع عظـيم. لأنـه يعلـم جيـداً بعـدم إمكانيـة قهـر الڤـالار في الحـرب مـن قبـل البشـر. وذلـك سـيجر الخـراب على العالم إذا لم تتوقف هذه الحرب المجنونة. لذلك دعا ابنه إيلينديل وقال له:

الأيـام مظلمـة ولـيس هنـاك أمـل للبشـر، لأن المـؤمنين قلـة. لـذلك سـأتدبر محاولـة استشـارة كـالتي فعلهـا بالماضـي جـدنا إيارينـديل. وسـأبحر للغـرب فـلا يهـم إن كـان هنـاك منـع أو لا، وسـأتحدث مـع الڤـالار، وحـتى مـع مـانوي نفسـه إذا لـزم الأمـر وأتوسـل مسـاعدته قبـل أن يضيع كل شيء.

فقـال لـه إيلينـديل: هـل سـتخون الملـك؟ فأنـت تعلـم مـاهي التهمـة الـتي يسـوقونها ضـدنا، بأننـا خونة وجواسيس. وحتى هذا اليوم كانت غير صحيحه.

فقـال لـه أمانـديل: سـأخون الملـك، إذا اعتقـدت بـأن مـانوي بحاجـة لهكـذا رسـول. لأنـه يوجـد ولاء واحـدٌ للبشـر ولا يمكـن لأحـدٍ أن يكـون بـريء القلـب منـه لأي سـبب كـان. وهـذه ليسـت خيانـة بـل طلـب لرحمـة البشـر ونجـاتهم مـن سـاورون المحتـال. تلـك هـي ذريعـتي، مـع أن المـؤمنين قلـة. أمـا بالنسـبة إلى المنـع فأنـا نفسـي سـأعاني مـن العقوبـة، خشـية أن يصـبح كـل شـعبي مذنباً.

لكـن يـا أبي، هـل فكـرت بمـا سـيحل بأهـل بيتـك الـذين تـتركهم خلفـك عنـدما يعرفـون مـا قمت به؟

فقـال لـه أمانـديل: يجـب أن لا يكـون هـذا الأمـر معروفـاً، فأنـا سـأهيئ للـدخول إلى هنـاك سـراً، سـأبحر للشـرق إلى المرافـئ الـتي كانـت تبحـر إليهـا سـفننا يوميـاً. وبعـدها كمـا تـأتي الـريح سـأذهب إلى الجنـوب أو الشـمال، ومـن هنـاك أعـود للغـرب قاصـداً مـا قـد أجـده. أمـا بالنسـبة لـك ولبقيـة الشـعب فـالرأي عنـدي، بـأن تهيئـوا لأنفسـكم سـفناً أخـرى وتضـعوا علـى متنهـا مـن كـل الأشـياء الـتي لا يمكـن الاسـتغناء عنهـا، وعنـدما تكـون السـفن جـاهزة يجـب أن تكمنـوا في مرفـأ رومينـا. أخـبر النـاس عـن أهـدافك، وعنـدما تـرى بـأن الوقـت قـد حـان اتبعـني إلى الشـرق.

فلم يعد أمانديل عزيزاً على قريبنا، الذي على العرش فلن يحزن كثيراً لمغادرتنا لمدة أو لفائدة، لكن لا تدعه يعلم بأنك تريد أخذ الكثير من البشر. فقد يضطرب لأنه يخطط للحرب الآن. وهو بحاجة إلى تجميع كل قوة ممكنه. ابحث عن المؤمنين الذين مازالوا متمسكين بالحقيقة، ودعهم يرتبطون بك سرّاً، إن كانوا راغبين بالذهاب معك، واشركهم في أهدافك.

فقال إيليدنديل: وما هي تلك الأهداف؟

أجابه أمانديل: لا تتدخلوا في الحرب بل ابقوا منتظرين فقط. وإلى أن أعود لن أقول أكثر من ذلك. لكن هذا يشبه كثيراً، أن تسافر من أرض النجم بدون نجم يرشدك، لأن تلك الأرض مدنسة، وأنك ستفقد كل من أحببت. فالأوائل الذين سبقونا إلى الموت في الحياة، يسعون للحصول على أرض المنفى في مكان آخر. لكن هل في الشرق أو الغرب وحدهم الڤالار يمكن أن يقولوا.

ودع أمانديل كل عائلته، كشخص موشك على الموت، لأنه قال: لربما يثبت بأنك قد لا تراني مرة أخرى، وعندها لن تكون قد ظهرت لي علامة كالتي ظهرت لجدنا إيارينديل منذ زمنٍ بعيد. لكن ابقوا على استعداد دائم. لأن نهاية العالم الذي نعرفه باتت بمتناول اليد.

يشار هنا بأن أمانديل أبحر ليلاً في سفينة صغيرة، متجهاً إلى الشرق ثم استدار واتجه إلى الغرب. وكان قد أخذ معه ثلاثة خدم أعزاء على قلبه، ولم تُسمع أي كلمة أو إشارة عنهم فيما بعد في هذا العالم. ولا توجد أي حكاية أو تخمين عن مصيرهم. فلا يستطيع البشر أن يكونوا آمنين مرة ثانية في مثل هكذا سفارة. لأن خيانة نومينور من الصعب أن تغتفر.

عمل إيليندديل بكل ما أوصاه به أباه. فكانت سفنه راسية قبالة السواحل الشرقية للبلاد. ووضع المخلصون على متنها زوجاتهم وأولادهم وميراثهم. كان فيها مخزن عظيم للسلع، والكثير من الأشياء الجميلة والقوية، كتلك التي أبدعها النومينوريون أيام حكمتهم. من أواني ومجوهرات. ومخطوطات العلوم المكتوبة بالقرمزي والأسود. وسبعة أحجار[1] كان قد أهداهم إياها إيلدار. قاموا أيضاً بنقل الشجرة الصغيرة، التي هي من سلالة نيملوث الجميلة، إلى السفينة، وكان يحرسها إيسيلدور. هكذا تجهز إيليندديل وكان متأهباً. ولم يتدخل في الأعمال الشريرة لتلك الأيام. وبدأ بالبحث عن الإشارة التي لم تأتِ بعد.

[1] الأحجار السبعة.palantíri . وهي أحجار الرؤية التي أعطاها إيلدار إلى أمانديل، وقد نجت من الغرق وذهبت إلى الأرض الوسطى وقسمت هناك بين الأخوة فيما بعد: ثلاثة لمملكة الشمال أرنور. وأربعة لمملكة الجنوب غوندور.

لـذلك سـافر سـرّاً إلى الشـواطئ الغربيـة محـدقاً مـن فـوق ميـاه البحـر. فقـد كـان الحـزن والحنـين فوقـه لأنـه يحـب أبـاه كثـيراً. لكنـه لم يلمـح شـيئاً إلا تجمـع أسـاطيل آرفـارازون في المرافـئ غـربي البلاد.

في البدايـة كـان الطقـس في جزيـرة نومينـور ملائمـاً جـداً لحاجـات وميـول البشـر. فـالمطر في موسمـه وبمقيـاس محـدد، وأشـعة الشـمس تـارة دافئـة وتـارة بـاردة، والريـاح تـأتي مـن البحـر، وعنـدما كانـت تهـب الـريح مـن الغـرب، كـان يبـدو إلى الكثـيرين بأنها مملـوءةً بعطـرٍ يعـبرهم بسـرعة لكنـه حلـو ويثـير القلـب. كمـا كانـت تعـبر النسـائم المحملـة بـأريج الزهـور المتفتحـة دائمـاً في شـراب العسـل الخالـد وغـير الموجـودة علـى الشـواطئ الفانيـة. لكـن كـل هـذا تبـدل الآن فالسـماء نفسـها أظلمـت وكانـت هنـاك عواصـف المطـر والـبرد في تلـك الأيـام وأصـبحت الريـاح عنيفـة. ومـن الآن وإلى الأبـد سـتتعثر سـفن النومينـوريين وتخفـق في العـودة إلى المرفـأ. ومثـل هـذا الحـزن لم يحـدث منـذ طلـوع الـنجم. فكانـت تخـرج مـن الغـرب أحيانـاً غيمـةً عظيمـةً في المسـاء. وتكـون علـى شـكل نسـر ينشـر أجنحتـه إلى الشـمال والجنـوب. فتلـوح في الأفـق بـبطء كسـتار يخـرج مـن مغـرب الشـمس. وبعـد ذلـك يحـل ليـل معـتم علـى نومينـور. بعـض هـذه الغيـوم الـتي علـى شـكل نسـور، كانـت تحمـل برقـاً ورعـداً تحـت جناحيهـا، راح يـتردد صـوته بـين البحـر والغيمة.

ازداد خـوف البشـر مـن رؤيـتهم لنسـور سـادات الغـرب، فصـرخوا قـائلين إنهـا نسـور مـانوي وهي آتية لتقع على نومينور. فَخَرّوا على وجوههم ساجدين.

نـدم القلـة مـنهم وقـرروا التوبـة. لكـن الآخـرين صـلَّبوا قلـوبهم ووجهـوا قبضـاتهم نحـو السـماء قـائلين لقـد خطـط سـادات الغـرب ضـدنا، وإن كانـت ضـربتهم هـي الأولى، فالضـربة القادمـة ستكون لنا. هذه كانت كلمات الملك نفسه، لكن المدبر لذلك كان ساورون.

ازدادت شـدة الـبرق فقُتـل عـدد كبـير مـن البشـر علـى الـتلال والحقـول وفي شـوارع المدينـة. وضـربت صـاعقة ناريـة قبـة المعبـد فقطعـت دعائمهـا إربـاً، وأصـبح مكلـلاً باللهـب. لكـن المعبـد نفسـه بقـي راسـخاً. وعلـى الـذروة وقـف سـاورن يتحـدى الـبرق ولم يصـب بـأذى. وفي تلـك السـاعة دعـاه البشـر إلـهً وفعـل كـل ذلـك كمـا أراد. لـذلك عنـدما جـاء النـذير الأخـير كـان المنتبهـون لـه قلـةً. لأن الأرض اهتـزت مـن تحـتهم. فكانـت تـئن لكأنـه رعـدٌ أتٍ مـن تحـت الأرض مخـتلط مـع هـدير البحـر. وانبعـث الـدخان مـن قمـة مينيلتارمـا. وكـل هـذه الأفعـال جعلت آرفارازون يضغط باتجاه التسليح.

في ذلك الوقت غطت أساطيل النومينوريين البحر غربي البلاد وكانوا مثل أرخبيل من ألف جزيرة، فكانت صواري سفنهم مثل غابة على الجبال، وأشرعتها تحضن الغيم. وكانت راياتهم ذهبية وسوداء. وكانوا كلهم بانتظار إشارة آرفارازون. أما ساورون فقد انسحب إلى أعمق دائرة للمعبد. وجلب رجالاً لكي يقدمهم كقرابين على المحرقة.

خرجت نسور سادات الغرب يوم السقوط. وحشدت قواها للمعركة تتقدم في خط إلى النهاية التي تقلصت في الأفق. ونشروا أجنحتهم التي غطت السماء، وكان الغرب من خلفهم يشع متوهجاً باللون الأحمر من تحتهم. كما لو أضيئ بلهب الغضب العظيم. فأُنيرت كل نومينور بالأحمر. كان الرجل منهم ينظر إلى زميله فيرى وجهه أحمر ويظنه محمراً من الغضب.

قَوى آرفارازون قلبه وخرج بسفينته القوية ألكاروندا‌س، قلعة البحر. والتي تحتوي على الكثير من المجذفين والكثير من الصواري الذهبية الغامقة. موضوع فوقها عرش آرفارازون. الذي كان يلبس درعه وتاجه مما سمح له بأن يرتفع أعلى من مستوى كل من كان حوله، ثم أعطى الإشارة لرفع المراسي، ودوَّت أصوات أبواق نومينور خارجةً كالرعد.

هكذا تحركت أساطيل النومينوريين تهدد الغرب. مع أن الريح كانت خفيفة، لكن بوجود الكثير من المجذفون والكثير من العبيد الأقوياء الذين كانوا يعملون تحت السوط، لم تكن هناك مشكلة في التحرك. غابت الشمس وكان الصمت رهيباً، حلَّ الظلام على الأرض والبحر كان هادئاً، بينما العالم ينتظر ماذا سيحدث. مرت الأساطيل ببطء من أمام نظر المراقبين في المرافئ. حتى بهتت أضواؤها وراحوا مع الليل. وفي الصباح كانوا قد اختفوا. ثم هبت ريحٌ شرقيةٌ نشطة أخذتهم بعيداً، وبذلك يكونوا قد كسروا حظر الڤالار المفروض على الإبحار للغرب. وسافروا بالبحار الممنوعة، صاعدين للحرب ضد الخالدين، لكي يسحبوا منهم الحياة الأبدية بالقوة، ضمن دوائر هذا العالم.

خرجت أساطيل آرفارازون من عمق البحر وطوقت أڤالوني وكل جزيرة إيريسيا. فراح إيلدار يندب لأن غيمة النومينوريين حجبت عنهم ضوء الشمس. أخيراً وصل آرفارازون حتى أرض أمان، العالم المبارك، وإلى سواحل ڤالينور. وكان الصمت مطبقاً على كل شيء، فالقدر معلقٌ بخيط رفيع، لأن آرفارازون تردد عند النهاية أو تقريباً تراجع. لأن قلبه توجس عندما نظر إلى الشواطئ العديمة الصوت. ورأى تَني كويتيل مشرقاً. أشد بياضاً من الثلج، أبرد من الموت والصمت، راسخٌ فظيعٌ كظل ضوء إلوڤاتار. لكن الآن كان الكبرياء سيده،

وأخيراً ترك سفينته وسار على الشاطئ، مطالباً بملكية هذه الأرض، فلم يكن هناك أحد ليدافع عنها. نزل جيش النومينوريين بالقوة الظاهرة حول تلة تونا، حيث كان كل إيلدار قد لاذوا بالفرار.

في ذلك الوقت استدعى مانوي من على الجبل قوة إلوڤاتار. وأنزل الڤالار حكمهم عن أردا. فأظهر إلوڤاتار سلطته عليها. وقام بتغيير مظهر العالم. فُتحتْ هوة كبيرة في البحر بين نومينور والأراضي الخالدة. وتدفقت المياه نازلةً إليها، فارتفعت الضوضاء والدخان إلى السماء، واهتز العالم. وسُحبت كل أساطيل النومينوريين إلى أسفل الهاوية. فغرقوا وابتلعهم البحر إلى الأبد. لكن الملك آرفارازون والمحاربون الفانون الذين وضعوا أقدامهم على أرض أمان، فقد دُفنوا تحت انهيارات التلال. وهناك من يقول بأنهم مازالوا يقبعون هناك، مسجونون في الكهوف المنسية حتى يحين وقت المعركة الأخيرة ويوم الحساب.

ثم أُخذت أرض أمان وأرض إيريسيا من إيلدار، وسحبتا بعيداً وأبعدتا عن إمكانية وصول البشر إليهما مطلقاً. أما أندور أرض الهدية، نومينور أرض الملوك، إيلينا أرض نجم إيليناديل. فقد دُمرت عن آخرها. لأنها كانت قريبة جداً من الجهة الشرقية للانشقاق العظيم، فانقلبت أساساتها، وانهارت وذهبت إلى الظلام، كأن لم تكن أبداً. ولم يبق للآن مكان مسكون على الأرض يحتفظ بذاكرة خالية من الشر. لأن إلوڤاتار رمى بالبحار الكبيرة إلى غربي الأرض الوسطى، وأفرغ الأراضي إلى الشرق منها. وخلق أراضٍ وبحار جديدة. ونقص العالم لأن ڤالينور وإيريسيا قد سحبتا منه إلى عوالم الأشياء المخفية.

في ساعة واحدة مفتوحه حل هذا العذاب للبشر. فمنذ اليوم التاسع والثلاثين لمرور الأساطيل. انفجرت النار فجأة من مينيلتارما. وأتت ريح هائلة فتزلزلت الأرض واضطربت السماء وانزلقت التلال وغرقت نومينور في البحر. بكل أبنائها وزوجاتهم والعذارى وسيداتها الفخورات، وكل حدائقها وقصورها وقبورها وثروتها وجواهرها، وأقمشتها المصبوغة وعلومها، فاختفت نومينور من الوجود إلى الأبد. وفي النهاية غابت كلها في موجة خضراء باردة وأصبح كل مجدها زبداً ورغوة. والملكة تار ميريل، الأجمل من الفضة أو العاج واللآلئ، تسلقت متمددةً على الأرض، لكن بعد فوات الأوان فقد كافحت لصعود المنحدرات وطرق مينيلتارما الحادة للوصول إلى المكان المقدس، لكن المياه تفوقت عليها وضاع صراخها في هدير الريح.

لكن سواءٌ وصل أمانديل إلى ڤالينور واستمع مانوي إلى دعاءه أم لم يصل، فإن إيليندیل وأبناءه أُنقذوا من خراب ذلك اليوم ببركة الڤالار. لأن إيليندیل بقي في رومیننا رافضاً أمر الملك له بالخروج إلى الحرب. ولكي يتحاشى جنود ساورون من أن يقبضوا عليه ويسحبوه إلى نيران المعبد. قام بإبعاد سفينته عن الشاطئ ووقف في البحر ينتظر الوقت. هناك كان محمياً بالأرض من تيار البحر العظيم الذي سحب كل شيء إلى الهاوية. وبعد أن احتمى من الغضب الأول للعاصفة. لكن الموجة الثانية المفترسة التي طوت الأرض وأبادت نومينور. كانت قد أغرقته، وأصبح يعتبر أن الموت هو أقل الحزن. لأن ألم الموت لن يكون أكبر من الخسارة والعذاب الذي حدث في ذلك اليوم. لكن أنقذته من الغرق في ذلك اليوم ريح عظيمة، كانت وحشية أكثر من أية ريح عرفها البشر. هدرت من الغرب، فكنست سفنه إلى البعيد ومزقت أشرعتها وكسرت صواريها. شتت الناس التعساء كالقش على الماء.

كانوا تسعة سفن، أربعة لإيليندیل وثلاثة لإيسيلدور واثنتان لأناريون. كلهم هربوا قبل العاصفة السوداء. خرجوا من ظلام القدر إلى ظلام العالم. فكانت الأعماق ترتفع من تحتهم بارتفاع الغضب، وموجاتٍ بحجم الجبال تتحرك بقممها العالية المكللة بالثلوج، فترفعهم حتى أواسط حطام الغيم. وبعد عدة أيام رمتهم على شواطئ الأرض الوسطى. كل السواحل والمناطق البحرية في العالم الغربي قد تغيرت وعانت من الخراب العظيم. لأن البحار اجتاحت الأراضي وتبددت الشواطئ والجزر القديمة، وظهرت جزر جديدة، وانهارت التلال وتحولت مجاري الأنهار إلى مسارات أخرى جديدة.

بعدها أسس إيليندیل وأبناءه ممالك الأرض الوسطى. فبعلمهم وحرفيتهم كانت هذه الممالك تحاكي على نحو كبير تلك المنشأة في نومينور قبل مجيء ساورون إليها. ومع ذلك فقد بدت عظيمةً جداً للبشر البدائيين في العالم. وقيل الكثير عن العلوم الأخرى التي فعلها ورثة إيليندیل في العصر التالي. ونزاعهم مع ساورون الذي لم ينتهي بعد.

خاف ساورن كثيراً من غضب الڤالار، ومن العذاب الذي ألقاه إيرو على البر والبحر. فقد كان أكبر بكثير من الهدف التافه الذي كان يتطلع إليه. لأن أقصى أمنياته كانت هي موت النومينوريين وهزيمة ملكهم المتكبر. كان ساورون جالساً في مقعده الأسود وسط المعبد يضحك عندما سمع صوت أبواق آرفارازون تعلن بدء المعركة. وضحك ثانيةً عندما سمع دوي العاصفة. وفي المرة الثالثة ضحك عندما فكر بداخله معتقداً أن ما يحدث الآن

في العالم هو بدايةً للتخلص من إيداين إلى الأبد. فأُخذ من وسط فرحه وبهجته وسقط هو ومعبده ومقعده إلى الهاوية. لكن لم يكن لساورون جسد بشري حتى يفنى بل هيئة على شكل البشر، مع أنها سلبت منه الآن تلك الهيئة وذلك الشكل المعمول بالشر العظيم. لذلك فلم يعد قادراً أبداً على أن يظهر جميلاً لأعين البشر. رغم ذلك فقد ظهرت روحه من الأعماق وعبرت كظل ريح سوداء على البحر، عائدةً إلى الأرض الوسطى، إلى موردور، التي كانت هي بيته، وهناك أخذ ثانيةً خاتمه العظيم وسكن في برج باراد دور، مظلمٌ وصامت، حتى أنه أنزل نفسه بمظهر جديد، فقد جعل صورة الحقد والكراهية مرئية، وعين ساورون، قلةٌ من يستطيعون تحمل فظاعتها.

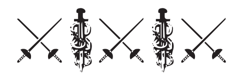
لكن هذه الأمور لم تأتي ضمن قصة غرق نومينور، والتي قيل عنها الآن كل شيء. حتى أن اسم تلك الأرض هلك، ولم يتكلم البشر فيما بعد لا عن إيلينا ولا عن أندور الهدية التي ضاعت، ولا عن نومينور التي لم تعد موجودة ضمن حدود العالم. لكن المنفيين على شواطئ البحر، إذا كانوا قد استداروا نحو الغرب تلبية لرغبة قلوبهم. تحدثوا عن حكاية مار نو فالمار. الذي تغلب على هيجان الموج. أكالابيث الطوفان. أتالانتي في لغة إيلدارين.

يعتقد الكثيرون من بين المنفيين بأن قمة مينيلتارما، عمود السماء لم تغرق إلى الأبد، لكنها ظهرت ثانيةً فوق الموج، وضاعت كجزيرة منعزلة في المياه الكبيرة. لأنها كانت مكاناً مقدساً. وحتى في أيام ساورون لم يدنسها أحد، والبعض يقول بأن بعض سلالة إيارينديل بحثوا عنها هناك. لأنه قيل بين سادة العلم في الزمن القديم، بأن بعيدي النظر من البشر كان يمكنهم من قمة مينيلتارما رؤية وميض الأرض الخالدة. لأنه حتى وبعد الخراب فإن قلوب دوناداين مازالت ترنو إلى الغرب، مع أنهم علموا بحقيقة تغيير العالم. وقالوا بأن أفالوني زالت نهائياً من الأرض. وأرض أمان أُخذت إلى البعيد. ولا يمكن العثور عليها في هذا العالم حيث الظلام الحالي. مع ذلك لقد كانتا موجودتين، ولذا فهما باقيتان. بوجود حقيقي وبالشكل الكامل كما خلقتا منذ البداية.

لأن دونادين اعتقد بأن، حتى البشر إذا كانوا مباركين. قد تبدو لهم من تلك القمة مرة أخرى حياة أجساد الفالار، وكانوا تواقين أكثر للهروب من ظلال منفاهم إلى رؤية شيء من ضوء رسم الأشكال التي لا تموت. وبسبب كآبة فكرة الموت فقد سعوا لطردها حتى إلى أعماق البحار. وهكذا فقد كان من بينهم ملاحون عظماء مازالوا يبحثون في البحار الفارغة متمنين الوصول إلى جزيرة مينيلتارما، ورؤية المخلوقات التي كانت هناك. لكنهم لم

يجدوا شيء، وأولئك الذين أبحروا بعيداً وصلوا فقط إلى الأراضي الجديدة. فوجدوها تشبه الأراضي القديمة. وتخضع للموت. وأولئك الذين أبحروا إلى المناطق الأبعد، لم يضبطوا سوى الحزام المحيط بالأرض وعادوا أخيراً مرهقين إلى المكان الذي انطلقوا منه، وهم الذين قالوا:
كل الطرق منحنية ومقوسة.

وهكذا مع مرور الأيام. تعلم ملوك البشر، من رحلات السفن، ومن العلوم ومن حرفة التنجيم. بأن العالم في الحقيقة خلق على شكلٍ كروي. وحتى الآن لايزال مسموحاً لإيلدار بالمغادرة والعودة إلى الغرب القديم وإلى أڤالوني إذا رغبوا بذلك. لذلك فإن سادة العلم من البشر قالوا بأن الطريق المستقيم يجب أن يبقى موجوداً. من أجل أولئك الذين سمح لهم أن يجدوه. وفسروا ذلك بأنه عندما غرق العالم الجديد(نومينور)، فإن الطريق القديم ومسار ذاكرة الغرب مازالا سالكين. وهو موجود كجسر ضخم غير مرئي يمر من خلال هواء التنفس وهواء التحليق (وهو الآن منحني كما أن العالم منحني). واجتياز طبقة إيلمين(طبقة الهواء فوق أردا) لا يمكن أن تتحمله الأجسام البشرية دون مساعدة. حتى يصل إلى تول إيريسيا الجزيرة المنعزلة. وربما حتى إلى أبعد. إلى ڤالينور، حيث مايزال الڤالار يسكنون هناك، ويراقبون كشف تاريخ العالم. نشأت حكايات وإشاعات على شواطئ البحر بخصوص البحارة والرجال البائسين الذين كانوا على الماء. ومن قبل بعض المصير أو النعمة أو المحاباة من قبل الڤالار. قد دخلوا في هذا الطريق المستقيم ورأوا وجه العالم منخَفِضٌ تحتهم. وبالتالي فقد وصلوا إلى منارة الميناء في أڤالوني، أو من دون شك وصلوا إلى الشواطئ الأخيرة على حافة أمان. ورأوا هناك الجبل الأبيض، رهيب وجميل. قبل أن يموتوا.



# خواتم القوة والعصر الثالث

## (هنا تصل الحكايات إلى نهاياتها)

في القديم كان ساورون وهو من المايا، وقد سمته قبائل سيندار الذين في بيليريانـد، غورثور. في البدء في أردا، أغواه ميلكور لكي يكون موالياً له، فأصبح الأعظم والمؤتمن الأكبر من بين جميع خدم العدو. وكان الأكثر شدة. لأنه يستطيع أخذ أشكال عدة، ولمدة طويلة سيبقى وما يزال يستطيع أن يبدو نبيلاً وجميلاً لكي يكون قادراً تقريباً على خداع الأكثر حذراً.

عند انهيار ثانغورودريم وإلحاق الهزيمة الساحقة بمورغوث، عاد ساورون إلى شكله الصافي وسجد أمام إيونوي رسول مانوي، مستنكراً ومتبرأ من كل الأعمال الشريرة التي قام بها. ويفترض البعض بأن ذلك الأمر في بدايته لم يكن كذباً. بل بالحقيقة إن ساورون كان قد ندم وتاب ولو بدافع الخوف والفزع بعد هزيمة مورغوث والغضب العظيم لسادات الغرب. لكن لم يكن من ضمن صلاحيات إيونوي العفو عن المذنبين. لذلك أمر ساورون بالعودة إلى أمان وهناك سيستلم حكم مانوي. لكن ساورون كان خجلاً وغير راغب بالعودة صاغراً لتنفيذ العقوبة التي سيفرضها عليه الفالار، وقد تكون العبودية لمدة طويلة ليثبت أن توبته حقيقية. لكن ولأنه كان يمتلك قوة عظيمة تحت سلطة مورغوث. لذلك عندما غادر إيونوي، قام ساورون بإخفاء نفسه في الأرض الوسطى. وعاد إلى الشر لأن الروابط الشريرة التي وضعها عليه مورغوث كانت قوية جداً.

* * *

أثناء المعركة العظيمة وصخب سقوط ثانغورودريم، فقد كانت هناك تشنجات هائلة في الأرض أدت إلى تكسّر بيليرياند فصار أغلبها قفراً. وغرقت مساحات شاسعة من الأراضي الشمالية والغربية تحت مياه البحر الكبير. وفي الشرق في أوسيرياند تكسّرت أسوار إيريد لوين، وفُتحت فيهم فجوة عظيمة باتجاه الجنوب، فتدفقت إليها مياه البحر صانعةً خليجاً

هناك، وإلى هذا الخليج تدفقت مياه نهر لهون[١] نازلةً عبر مسار جديد، لذلك دعي هذا الخليج بخليج لهون. وفي القديم كان نولدور يسمي تلك البلاد ليندون، وحملت هذا الاسم فيما بعد. مازال العديد من إيلدار يسكنون هناك. وهم باقون هناك غير راغبين بترك بيليرياند، تلك الأرض التي قاتلوا وكدحوا فيها لفترة طويلة. وكان ملكهم هو غيل غالاد بن فينغون، كان يقيم معه هناك في ليندون إيلروند الجان النصف، ابن إيارينديل الملاح، أخو إيلروس أول ملوك نومينور.

بنى الجان على شواطئ خليج لهون مرفأً لهم، وسموه ميثلوند، وإلى هذا المرفأ جلبوا الكثير من السفن لأنه كان ميناءً جيداً. ومن بين كل مرافئ الجان الرماديين سيبحر إيلدار من الآن وحتى نهاية الزمان عبر هذا المرفأ، هارباً من ظلمة أيام الأرض. فبرحمة الفالار مازال البكر (الجان) قادراً على إيجاد واتباع الطريق المستقيم والرجوع إن أرادوا للالتحاق بعشائرهم في إيريسيا وڤالينور خلف البحار المحيطة.

أما الآخرين من إيلدار والذين كانوا هناك، فقد عبروا جبال إيريد لوين في ذلك العصر ومنها عبروا إلى الأراضي الداخلية، حيث كانت غالبيتهم من تيليري والناجين من دورياث وأوسيرياند، فأسسوا ممالكهم هناك، بين الجان الفضيين في الغابات وبين الجبال البعيدة عن البحر التي لم يشتاقوا إليها في قلوبهم أبداً. فقط في إيريجين والتي يسميها البشر هولين، عمل الجان الذين هم من جنس النولدوريين على تأسيس مملكة دائمة على الجانب الآخر من إيريد لوين. كانت إيريجين قريبة من القصور الكبيرة للأقزام والمسماة خازاد دوم، أما الجان فكانوا يسمونها هاذودروند. وهي التي فيما بعد أصبح اسمها موريا. يسير الطريق الرئيسي من أوست آين إيذيل، مدينة الجان، إلى البوابة الغربية لخازاد دوم. بسبب الصداقة التي كانت تجمع بين الجان والأقزام في تلك الأيام، كما لم يحصل من قبل في أي مكانٍ آخر، وهذه الصداقة أدت إلى إغناء تلك الشعوب. وحرفيو إيريجين من غوايث آي ميرداين، الذين كانت حرفتهم صناعة الجواهر. فقد فاقوا في براعتهم كل من عمل في هذه الحرفة. فلم يسبقهم إلا فيانور نفسه، وفي الحقيقة أكثرهم مهارةً كان كيليبريمبور بن كوروفين الذي انفصل عن أبيه وبقي في نارغوثروند عندما طردوا كيليغورم وكوروفين، كما قيل في كوينتا سيلماريليان.

---

[١] لهون.Lhûn . هنا حرفh يكتب ولا يلفظ إلا كنهاية التنفس، أي تكتب لهون لكن تلفظ لوون، وكذلك الأمر بالنسبة للكلمات (Rhovanion. رهوڤانيون وتلفظ روڤانيون .و. Rhudaur . رهوداوور تلفظ روداوور. وهكذا.....) التي سترد فيما بعد. ...

في أماكن أخرى من الأرض الوسطى كانت تعيش بسلام لعدة سنوات. رغم ذلك فقد كان القسم الأكبر من الأراضي براري وحشية ومقفرة، إلا المناطق التي جاء إليها أهالي بليرياند، وفي الحقيقة فقد سكن الكثير من الجان هناك في الماضي لسنين لا تعد ولا تحصى، يتجولون بحرية في الأراضي الواسعة البعيدة عن البحر. لكنهم كانوا أقاري والتي تنسب إليهم أعمال بليرياند، لكن الإشاعات وڤالينور لم تكن سوى اسم بعيد فقط. وفي الجنوب وفي الشرق الأقصى كان يتواجد بشر ضخام ومعظمهم اتجه إلى الشر. لأن ساورون كان يعمل هناك.

يرى خراب العالم ويقول في قلبه لقد نسي الڤالار الأرض الوسطى بعد هزيمة مورغوث. فازداد غروره بسرعة ونظر بالكراهية إلى إيلدار. لكنه كان خائفاً من رجال نومينور الذين عادوا منذ مدة قصيرة في سفنهم إلى شواطئ الأرض الوسطى. ولمدة طويلة كان منافقاً فأخفى أهدافه وتصاميمه الشريرة المظلمة التي كان قد صاغها في قلبه.

وجد ساورون بأن إقناع البشر كان أسهل من بقية الأعراق. لكنه حاول ولمدة طويلة إقناع الجان بالانضمام إلى خدمته، لمعرفته بأن البكر(الجان) كانت لديهم القوة الأعظم، لذلك مشى بينهم بالطول وبالعرض ومازال يسير بينهم بذلك الشكل الجميل الحكيم. فذهب إلى كل مساكن الجان إلا إلى ليندون لم يذهب، لأن غيل غالاد وإيلروند شكّا فيه وبمظهره الجميل. مع ذلك فلم يعرفوا حقيقة ذلك الشخص الذي لم يدخلوه إلى أرضهم. لكن في مكان آخر فقد استقبله الجان بالترحاب والسرور. وأصغى بعضهم فقط إلى الرسل التي أتت من ليندون تحذر منه. لأن ساورون كان قد اتخذ لنفسه اسم أنناتار، سيد الهدايا. وكسب الجان في البداية الكثير من صداقته. وقال لهم مرةً، ياللأسف على حالة العجز التي وصل إليها العظماء، الملك الهائل غيل غالاد والحكيم البارع في كل العلوم إيلروند، لحد الآن لم يساعدوني في أعمالي. أيكون ذلك لأنهم لا يرغبون برؤية السعادة في الأراضي الأخرى مثل التي في أرضهم؟ لكن لماذا ينبغي أن تبقى الأرض الوسطى مقفرة ومظلمة أبدً. في حين أنه باستطاعة الجان أن يجعلوها جميلة مثل إيريسيا، بل مثل ڤالينور؟. وبما أنكم لن تعودوا إلى هناك، ربما. وألاحظ بأنكم تحبون هذه الأرض الوسطى، كما أحبها أنا. أوليس من واجبنا العمل معاً لإغنائها ورفع سوية كل قبائل الجان التي تتجول هنا غير مدركةٍ لقيمة القوة والمعرفة التي يمتلكها أولئك الذين خلف البحر؟

كانت آراء ساورون مقبولة أكثر في إيريجين فقد استضافوه بكل سرور، لأن رغبة نولدور في تلك الأرض كانت دائماً هي زيادة المهارة والدقة في أعمالهم. علاوة على أنه لم يكن السلام في قلوبهم. منذ أن رفضوا العودة إلى الغرب وهم راغبون بالبقاء في الأرض الوسطى التي أحبوها فعلاً. للتمتع بعد بالهناء الذي غادرهم، لذلك أصغوا لساورون وتعلموا منه الكثير من الأشياء، فقد كانت معارفه عظيمة. لذلك تجاوز إبداع حرفيو أوست آين إيذيل في تلك الأيام كل من سبقهم، ونهلوا من الفكر وهم من صنع خواتم السلطة. لكن ساورون كان يوجه أعمالهم، وكان على بينة بكل ما فعلوه. لأن رغبته تكمن بوضع روابط على الجان وإبقائهم تحت مراقبته.

صنع الجان الكثير من الخواتم. لكن بالمقابل صنع ساورون بالسر خاتماً واحداً للسيطرة على بقية الخواتم، وقَيَّد قوة خواتمهم بقوة خاتمه، لتكون خاضعة كلياً له ومستمرة باستمراريته. وضع ساورون في هذا الخاتم الأوحد الجزء الأكبر من قوته وخبثه. وبما أن قوة خواتم الجان كانت كبيرةً جداً، فيجب على الخاتم الذي يحكمهم أن يكون فائق الفعالية. صاغ ساورون هذا الخاتم في جبل النار في أرض الظل. وعندما كان يلبس الخاتم الأوحد كان بإمكانه إدراك كل الأشياء التي تُعمل بواسطة الخواتم الأدنى، وكان يمكنه أن يرى ويتحكم بأفكار أولئك الذين يلبسون الخواتم الأخرى.

لكن لم يكن الجان بهذه البساطة ليتم القبض عليهم، فحالما يضع ساورون الخاتم الأوحد في إصبعه كانوا يدركون، ويعرفون من هو، ويعلمون بأنه أبرع منهم وبالتالي سيكون سيداً عليهم وعلى خواتمهم التي صنعوها. لذلك بسبب الغضب والخوف كانوا ينزعوا خواتمهم. أحس ساورون بأنه قد تعرض للخيانة لأن الجان لم ينخدعوا، فامتلأ بالغضب وجاء ضدهم بالحرب المفتوحة طالباً منهم أن يسلموه كل الخواتم. لأن حرفيو الجان ما كان لهم أن يبلغوا تلك المهارة لولا علومه واستشارته التي منحهم إياها. لكن الجان فرّوا منه، وأنقذوا ثلاثةً من خواتمهم، حملوها بعيداً وخبأوها.

آخر الخواتم التي صُنعت كانت خواتم الجان الثلاثة، وامتلكت أعظم القوى، النار والماء والهواء، كانت أسماؤها، ناريا (النار)، نينيا (الماء)، فايليا(الهواء). خاتم من النار، وخاتم من الماء، وخاتم من الهواء. مرصعة بالياقوت الأحمر والماس والياقوت الأزرق. ومن بين كل خواتم الجان فقد رغب ساورون بامتلاك هذه الخواتم الثلاثة. لأنها تحتوي على الاستمرارية والبقاء وعدم الفساد بمرور الزمن، بالإضافة إلى أنهم يؤجلون ملل وإرهاق العالم. لم يستطع

ســـاورون اكتشـــافهم، لأنهـــم سُـــلموا إلى أيـــدي الحكـــيم الـــذي أخفـــاهم. ولم يحـــدث أن استعملوهم مرةً بشكل سافر، طالما بقي ساورون محافظاً على الخاتم الحاكم. لذلك بقيت الثلاثة صافية لا تشوبها شائبة، لأنهم صيغوا من قبل كيليبريمبور لوحده، ولم تمسهم يد ساورون أبداً، رغم أنهم كانوا خاضعين للخاتم الأوحد.

ومنذ ذلك الوقت لم تتوقف الحرب بين ساورون والجان. دُفنت إيريجين وتبددت، وذُبح كيليبريمبور، وأغلقت أبواب موريا. ولم يبقى في ذلك الوقت للجان إلا معقل ومأوى إيملادريس. وهي التي يسميها البشر ريفينديل. حيث كان قد أسسها وأنشأها إيلروند نصف الجان، وصمدت لمدة طويلة. بالمقابل اجتمعت في يدي ساورون كل خواتم السلطة الباقية. فوزعهم على بقية شعوب الأرض الوسطى. كان يأمل بالتالي أن يجمع تحت هيمنته كل أولئك الذين يرغبون بالقوة السرية للسيطرة. وبعد حساب حجم كل نوع فقد أعطى للأقزام سبع خواتم. وأعطى للبشر تسعة خواتم. لأن البشر أثبتوا في هذه المسألة كما في غيرها بأنهم أكثر قابلية للمثول تحت إرادته. ولأنه كان خبيثاً فقد كان يسيطر على كل هذه الخواتم بسهولة أكثر لأنه شارك في صياغتها، وكلهم كانوا ملعونين. بالنهاية خدعت هذه الخواتم كل من استعملها. أثبت الأقزام صعوبة شديدة للترويض، لأنهم كانوا يستاؤون من تحمل هيمنة الآخرين. ومن الصعب فهم أفكارهم، ولا يمكن أن يكونوا منقلبين إلى الظلال. لذلك فقد استخدموا خواتمهم من أجل الثروة فقط. لكن الغضب والجشع إلى الذهب أوقد في قلوبهم شراً بما فيه الكفاية لكي يكونوا هم مكاسب لساورون، ويقال بأن أساس الكنوز السبعة لملوك الأقزام في القديم كان خاتم ذهبي. لكن كل تلك الكنوز نُهبت منذ زمن طويل والتهمتا التنانين، وبعض الخواتم السبعة التهمتهم النيران والبعض استرجعها ساورون.

أثبت البشر بأنهم أسهل للتوريط من غيرهم، فأولئك الذي استعملوا الخواتم، فقد أصبح التسعة جبارين بين الناس في أيامهم، وهُمْ الملوك، والسحرة، والمحاربين القدماء. فقد حصلوا على المجد والثروة العظيمة. ثم أدى بهم ذلك إلى خرابهم، فقد كان عندهم على ما يبدو حياة لا تنتهي. رغم ذلك فقد كانت حياة لا تطاق. كان بإمكانهم السير بين الناس غير مرئيين بكل العيون في هذا العالم تحت الشمس. بينما هم يستطيعون رؤية كل الأشياء، حتى تلك التي في العوالم المخفية بالنسبة للبشر الفانيين. لكنهم على الأغلب لم يروا إلا خيالات وأوهام ساورون. واحداً تلو الآخر، عاجلاً أم آجلاً، وطبقاً لقوتهم

الشخصية للخير أو للشر. وطبقاً لميول بداياتهم فقد سقطوا تحت عبودية الخاتم الذي حملوه وتحت سيطرة الخاتم الأوحد الذي كان بيد ساورون، فأصبحوا مخفيين عن أعين الجميع للأبد، إلا عن عيون من لبس خاتم السيطرة. ثم دخلوا عالم الظل، وأصبحوا نازغول، أشباح الخاتم، وهُمْ أفظع خدم العدو. فأينما حلّوا يحلّ الظلام، وصرخاتهم تأتي مع أصوات الموت.

ازدادت شهوة ساورون وغطرسته حتى أنه لم يعد يعرف أية حدود، فعزم على جعل نفسه سيّد كل شيء في الأرض الوسطى، وعلى تحطيم الجان واستيعاب سقوط نومينور إنْ حدث. فهو لا يطيق حريةً ولا منافسة، وسمى نفسه سيد الأرض. مع أنه كان لا يزال باستطاعته ارتداء قناع الحكمة والجمال الذي خدع فيه عيون البشر، إلا أنه أراد أن يحكم بالخوف والقوة. إذا كانا ذا فائدة. وبالنسبة لأولئك الذين أدركوا انتشار ظله على العالم، فقد دعوه السيد المظلم، وسموه العدو. جمع تحت حكومته ثانية كل الأشياء الشريرة الباقية على الأرض أو تحتها من أيام مورغوث. تكاثر الأوركس تحت قيادته مثل الذباب، هكذا بدأت السنين السوداء، والتي سماها الجان بأيام الهروب. ففي تلك الأيام هرب الكثير من جان الأرض الوسطى إلى ليندون، ومن هناك ذهبوا إلى البحار ولن يعودوا إلى الأرض الوسطى ثانيةً، حيث قضى ساورون وعبيده على الكثيرين منهم. لكن في ليندون مازال غيل غالاد محافظاً على قوته، ولم يتجاسر ساورون لحد الآن على عبور جبال إيريد لوين ولا مهاجمة المرافئ والملاجئ، بفضل المساعدات التي قدمها النومينوريون إلى غيل غالاد. لكن في الأماكن الأخرى فقد ساد ساورون. ومن أراد الحرية فقد لجأ إلى أماكن محصنة في الغابة والجبل. وكانوا دائماً مطاردين بالخوف. أما في الشرق والجنوب فقد اقترب كثيراً من السيطرة على كل البشر. وأصبحوا أقوياء في تلك الأيام وبنوا الكثير من البلدان والأسوار الحجرية. فكانت أعدادهم ضخمة وعنيفة في الحرب حيث تسلحوا بالحديد. وعند هؤلاء كان ساورون السيد والإله. وكانوا يخافونه كثيراً، لأنه يحيط منزله بالنار.

وبالتفصيل فقد توقف هجوم ساورون على الأراضي الغربية. كما أخبرنا في حاشية أكالابيث، بسبب جبروت نومينور له. كانت قوة النومينوريين عظيمة جداً فظهروا أمام عبيد ساورون بأنهم القوة التي لا تقهر. لذلك عزم على إنجاز أهدافه بالحيلة حين لا تسعفه القوة. لذلك ترك الأرض الوسطى لفترة وذهب إلى نومينور كرهينة مع الملك تار كاليون، وسكن هناك، حتى استطاع أخيراً وفي حرفيته من إفساد قلوب غالبية الشعب.

ووضعهم بحالة حرب مع الفالار. حتى أنجز ذلك الخراب كما رغب بذلك منذ مدة طويلة. لكن ذلك الخراب كان أكثر فظاعة مما تخيله ساورون. لأنه كان قد نسي جبروت سادة الغرب في غضبهم. فتحطم العالم وابتلعت الأرض من كان فوقها وغمرتها البحار. أما ساورون نفسه فقد سقط إلى أسفل الهاوية، لكن روحه خرجت وعادت على ريح مظلمة إلى الأرض الوسطى تبحث عن بيتها. هناك في سنين غيابه نمت وازدادت سلطة غيل غالاد، وأصبحت عظيمة جداً، وانتشرت على مناطق شاسعة من الشمال والغرب متجاوزةً جبال الضباب والنهر العظيم حتى وصلت لحدود الغابة الخضراء العظيمة. وكانت تقترب من أن تكون من أكثر الأماكن القوية والآمنة للسكن. بعدها انسحب ساورون إلى قلعته في الأرض السوداء يفكر ملياً في الحرب.

في ذلك الوقت فإن النومينوريين الذين نجوا من الدمار، هربوا إلى الشرق كما أخبرنا عنهم في أكالابيث. وكان زعيم أولئك إيلينديل الطويل وأبناءه إيسيلدور وأناريون، وكانوا من أقرباء الملك ومن أحفاد إيلروس، لكنهم مقاومين لآراء ساورون. وهم الذين رفضوا شنَّ الحرب على سادة الغرب. فقد عززوا سفنهم بكل من بقي من المخلصين وغادروا أرض نومينور، قبل وقوع الخراب. كان هؤلاء النومينوريين رجالاً جبابرة ولهم سفن قوية وطويلة، لكن ضربتهم العواصف، وكانت تحملهم عالياً على تلال من الماء حتى أوصلتهم لحدود الغيم. ثم نزلوا على الأرض الوسطى مثل نزول الطيور من العاصفة.

رمى الموج إيلينديل على أرض ليندون، فتصادق مع غيل غالاد ومن هناك عبر نهر لهون وأسس مملكته خلف إيريد لوين، وسكن شعبه في العديد من الأماكن في إيريادور حول مجاري لهون وبارانْدوين. لكن مدينته الرئيسية كانت أنوميناس بجانب مياه بحيرة نينويال. سكن النومينوريون أيضاً في فورنوست على السفوح الشمالية. وفي كاردولان. وفي تلال رهوداوور، فنصبوا الأبراج على إميان بيرايد. وعلى آمون سول. بقي هناك الكثير من التلال الترابية والأعمال المهدمة في تلك الأماكن، لكن أبراج إميان بيرايد مازالت واقفةً إلى الآن قبالة البحر.

انتقل إيسيلدور وأناريون للسكن بعيداً باتجاه الجنوب وفي النهاية وصلت سفنهم إلى نهر أندوين العظيم، الذي يتدفق من رهوفانيون إلى البحر الغربي في خليج بيلفالاس. وأسسا في تلك الأرض مملكة وهي التي سميت فيما بعد غوندور، وسميت المملكة الشمالية آرنور. فقبل فترة طويلة وفي أيام قوتهم كان قد أسس ملاحو نومينور المرافئ والأماكن القوية حول

مصبات نهر أندوين. رغماً عن أنف ساورون والتي تقع أرضه السوداء على مقربةٍ من جهتها الشرقية. وفي الأيام التالية لجأ فقط المخلصين من نومينور إلى هذا المرفأ الآمن. ولأن غالبية شعوب سواحل البحر في تلك المنطقة كانوا من أصدقاء الجان وشعب إيليندِيل، فقد رحبوا بأبنائه. كانت أوسغيلياث هي المدينة الرئيسية في المملكة الجنوبية، يخترقها من الوسط النهر العظيم، بنى بها النومينوريون جسراً عظيماً يرتفع على أبراج وبيوت حجرية رائعة المنظر، دخلت السفن الطويلة قادمة من البحر إلى أرصفة المدينة. وبنوا أيضاً أماكن قوية أخرى على الجهة الثانية. وبنوا على كتف جبال الظل من الجهة الشرقية ميناس إيثيل برج شروق القمر، باعتباره كتهديد لموردور. وعند سفح جبل مينِدولوين من الجهة الغربية بنوا ميناس أنُنور، برج غروب الشمس. والذي يعتبر كدرع ضد البشر المتوحشين الذين يجوبون الأودية. كان بيت إيسيلدور في ميناس إيثيل، وبيت أناريون في ميناس أنُنور. لكنهما تشاركا في المملكة فيما بينهما، حيث كانت العروش موضوعةً جنباً إلى جنب في القاعة العظيمة في أوسغيلياث. تلك كانت مساكن النومينوريين الرئيسية في غوندور. لكنهم بنوا في الأرض أيضاً الكثير من الأعمال الرائعة والقوية في أيام قوتهم. في أرغونات. وفي أغلاروند. وفي إيريخ. وفي دائرة أنغرينوست وهي التي يدعوها البشر أيسنغارد، فقد عملوا القمم من حجر أورثانك، وهي الأحجار غير القابلة للكسر.

جلب المنفيون معهم من نومينور الكثير من الكنوز والإرث العظيم والمزايا الحسنة والأعاجيب. ومن بين تلك الأشياء الثمينة والأكثر شهرة كانت الأحجار السبعة والشجرة البيضاء. أما الشجرة البيضاء فهي التي نمت من فاكهة نيملوث الجميلة التي كانت تقف منتصبة في باحات قصور أرمينيلوس في نومينور قبل أن يحرقها ساورون. ونيملوث بدورها منحدرة من شجرة تيريون الذي كان على صورة الأشجار القديمة في ڤالينور، صورة تيلبيريون الأبيض الذي أوجدته ياڤانَا لينمو في أرض الڤالار، والشجرة هي نَصبٌ تذكاري يرمز إلى إيلدار وضوء ڤالينور. كانت مزروعة في ميناس إيثيل أمام بيت إيسيلدور. بما أنه هو الذي ذهب وحمى هذه الثمرة من الزوال. لكنهم تقاسموا الأحجار السبعة بينهم.

أخذ إيليندِيل ثلاثة، وكل واحد من أبناءه أخذ حجرين. وضع إيليندِيل الأحجار الثلاثة التي كانت من نصيبه على أبراج إميان بيرايد وعلى آمون سول وفي مدينة أنوميناس. ولكن أولئك الأحجار التي كانت لأبنائه فكانوا في ميناس إيثيل وميناس أنُنور وفي أوسغيلياث وعلى قمم أورثانك. كانت ميزة هذه الأحجار، أنها تمكن الناظر فيها من رؤية الأشياء

البعيدة سواء كانت بعيدة في المكان. أو بعيدة في الزمان. وبالنسبة للجزء الأكبر من الناس فقد كانت تكشف فقط أشياء قريبة من حجر القبيلة الأخرى، لأن هذه الحجارة كانت متصلةً ببعضها. لكن أولئك الذين يمتلكون قوة عظيمة من الإرادة والعقل قد يعلمون كيف يوجهون نظرهم إلى أي مكان يرغبون. فقد أدرك النومينوريون بواسطتها الكثير من الأمور التي كان يخفيها أعداؤهم. ولم يفلت من مراقبتهم في أيام قوتهم إلا القليل جداً.

يقال بأن أبراج إميان بيرايد لم تبنى في الحقيقة من قبل منفيي نومينور، بل بناها غيل غالاد من أجل صديقة إيليندل. وحجر رؤية إميان بيرايد كانت موضوعاً في إيلوستيريون البرج الأطول. الذي أصلحه إيليندل ومن هناك كان ينظر إلى بحار الفصل، عندما كان حنين المنفى يجتاح قلبه، وكان يعتقد لبرهة بأنه ينظر بعيداً حتى برج أڤالوني على إيريسيا، حيث هناك موطن الحجارة الأصلي. فهذه الحجارة كانت هدايا إيلدار إلى أمانديل والد إيليندل لراحة المخلصين في نومينور بأيامهم المظلمة. في تلك الفترة التي لم يعد الجان يأتون إلى تلك الأرض عندما كانت تحت ظلال ساورون. فأطلقوا عليها اسم بالانتيري، أي المراقبة عن بعد. لكن كل تلك الأحجار التي جلبت إلى الأرض الوسطى ضاعت فيما بعد.

هكذا أسس منفيو نومينور ممالكهم في آرنور وغوندور. ثم مرت عليهم سنين كثيرة قبل أن يعرفوا أن عدوهم ساورون عاد أيضاً. فقد عاد سراً، كما قيل، إلى مملكته القديمة في موردور خلف إيفيل دواث، جبال الظل. وتلك البلاد تتاخم غوندور من الشرق. هناك فوق وادي غورغورث بنى قلعته الواسعة القوية باراد دور، البرج المظلم. يقع في وسط تلك الأرض جبل ناري، يسميه الجان أورودروين. وهو السبب الحقيقي من وراء وضع ساورون لمسكنه في هذه الأرض، لأنه استعمل النار المتدفقة من قلب الأرض في سحره وصياغته. وفي وسط أرض موردور صمم ساورون الخاتم المسيطر. وبقي ساورون محضونٌ في الظلام حتى يصنع لنفسه شكلاً جديداً. فقد أصبح مرعباً لأن جمال مظهره غادره إلى الأبد عندما سقط في الهاوية أثناء غرق نومينور. وقد أخذ خاتمه العظيم ثانيةً. وكسا نفسه بالقوة والسلطة والحكم، والقلة من بين عظماء الإنس والجان يستطيعون تحمل النظر إلى عين ساورون المملوءة بالخبث.

استعد ساورون لشن حربٍ ضد إيلدار والبشر الغربيين، فأيقظ نيران الجبل ولهذا السبب أصبح دخان أورودروين يرى من بعيد. فيدرك من يراه بأن ساورون قد عاد. أطلق النومينوريون على ذلك الجبل اسما جديداً وهو آمون أمارث والتي تعني جبل الهلاك. تجمع

لـدى سـاورون قـوة عظيمـة مـن عبيـده القـادمين مـن الجنـوب والشـرق. ومـن بيـنهم كـان بعـضٌ مـن الجـنس العـالي مـن نومينـور. لأنـه في أيـام زيـارة سـاورون لهـم، كـان قـد أغـوى الكثـيرين مـنهم فاسـتداروا نحـو الظـلام. لـذلك فغالبيـة النومينـوريين الـذين أبحـروا شـرقاً في ذلـك الوقـت وبنـوا المسـاكن والقـلاع علـى السـواحل كـانوا ميـالين لإرادة سـاورون. فقـد خـدموه سـابقاً بكـل سـرور ومـازالوا يخـدموه لـلآن في الأرض الوسـطى. وبفضـل قـوة غيـل غـالاد. فـإن هـؤلاء الخونـة جبـابرة القـوة والشـر. لم يبقـوا في هـذه الأرض لأن الجـزء الأكـبر مـنهم توافـق مسـكنه في الأراضـي الجنوبيـة البعيـدة. وبقـي مـنهم هنـاك اثنـان وهمـا هيرومـور وفوينـور اللـذان اسـتلما السـلطة في هـارادريم، الشـعب الكثـير والصـلب الـذي يسـكن في الأراضـي الواقعـة جنـوبي مـوردور خلـف مصبات نهر أندوين.

عنـدما رأى سـاورن بـأن وقتـه قـد حـان، جـاء بـالقوة العظيمـة ضـد العـالم الجديـد في غونـدور فاسـتولى علـى مينـاس إيثيـل وحطـم الشـجرة البيضـاء الـتي زرعهـا إيسـيلدور هنـاك، لكـن إيسـيلدور هـرب بالسـفينة عـبر النهـر وأخـذ معـه شـتلات مـن الشـجرة وزوجتـه وأولاده. وأبحـروا مـن مصـبات أنـدوين يبتغـون إيلينـديل. في هـذه الأثنـاء شـنَّ أنـاريون هجـوم مـن أوسـغيلياث ضـد العـدو، فطـردهم باتجـاه الجبـال. اسـتجمع سـاورون قواتـه ثانيـةً. وعـرف أنـاريون بـأن مملكتـه لن تصمد طويلاً إن لم تأته المساعدة.

في وقتهـا عقـد كـل مـن غيـل غـالاد وإيلينـديل مجلسـاً تشـاورياً، لأنهمـا أدركـا بـأن سـاورون ينمـو بسـرعة وقوتـه تـزداد وهـو سـيتغلب علـى خصـومه الواحـد تلـو الآخـر. فـإذا لم يوحـدوا الصـفوف فسـيكون مصـيرهم كمصـير غـيرهم. لـذلك سمـوا ذلـك الاتحـاد الـذي كـان بيـنهم بالتحـالف الأخـير. زحفـوا شـرقاً فـاجتمع في الأرض الوسـطى جـيش عظـيم مـن الإنـس والجـان. عرَّجـوا لفـترة علـى إيملادريـس (ريڤينـديل). ويقـال بـأن ذلـك الجـيش الـذي تجمـع هنـاك، كـان الأكثـر جمـالاً والأروع سـلاحاً، ولم تشـهد الأرض الوسـطى مثلـه مـن قبـل. فـلا يوازيـه إلا عظمـة جـيش الڤالار الذي حشدوه أثناء ذهابهم ضد ثانغورودريم.

خرجـوا مـن إيملادريـس (ريڤينـديل) وعـبروا جبـال الضـباب عـبر عـدة ممـرات، زحفـوا نـازلين إلى نهـر أنـدوين. حـتى وصـلوا أخـيرا إلى حيـث تتجمـع حشـود سـاورون في داغـورلاد، معركـة السـهل. الـذي يقـع أمـام بوابـة الأرض السـوداء. في ذلـك اليـوم تم تقسـيم كـل الكائنـات الحيـة، مـن كـل نـوع، حـتى البهـائم والطيـور. كانـت موجـودة في واحـدٍ مـن الجـانبين. إلا الجـان فهـم الوحيـدين الـذين كـانوا غـير منقسـمين، فكلهـم تبعـوا غيـل غـالاد، قاتـل بعـض الأقـزام في ذلـك

اليوم في هذا الجانب والبعض في الجانب الآخر. لكن قبيلة دورين من موريا قاتلت ضد ساورون.

كان النصر حليف غيل غالاد وإيلينديل، لأن جبروت الجان كان لا يزال عظيماً في تلك الأيام. أما النومينوريين فكانوا أقوياء وطوال القامه، وكان غضبهم مروعاً. فلم يقف أي شيء ضد آيغلوس[1] رمح غيل غالاد. وكان سيف إيليندل يُشغل الأوركس والبشر بالخوف والرهبة. لأنه يشرق بضوء الشمس والقمر، وكان اسم ذلك السيف نارسيل[2].

بعد ذلك زحف تحالف غيل غالاد وإيليندل إلى موردور فأحاطوا بمعقل ساورون وحاصروه لسبع سنين. عانى التحالف في وقتها من الخسائر الشديدة بالنار والنبال والسهام. كان ساورون يرسل ضدهم الكثير من الغارات. وهناك في وادي غورغورث قُتل أناريون بن إيليندل وكثرٌ غيرهُ. لكن أخيراً أطبقوا الحصار على ساورون، فخرج بنفسه للقتال. فتقاتل مع غيل غالاد وإيليندل وذبحهما كليهما، انكسر سيف إيليندل (نارسيل) تحته عندما سقط علية. حتى ساورون نفسه سقط أرضاً. عندها أمسك إيسيلدور بالقطعة المتبقية من السيف نارسيل من جهة المقبض وقطع إصبع ساورون الذي يلبس فيه خاتم السلطة. ثم استولى إيسيلدور على الخاتم لنفسه. في ذلك الوقت هُزم ساورون وغادرت روحه جسمه هاربةً إلى البعيد واختفت في أراضي القفر. ولم يتخذ أي شكل مرئي لسنوات طويلة.

هكذا بدأ العصر الثالث من عصور العالم بعد الأيام القديمة والسنين السوداء. وفي ذلك الوقت بقي الأمل وذاكرة من المرح. فأزهرت شجرة إيلدار البيضاء في قصور ملوك البشر. لأن الشتلة التي حفضها وصانها إيسيلدور. زرعها في حصن أننور كذكرى لأخيه أناريون. قبل أن يغادر من غوندور. وكان خدم ساورون قد دُحروا وتبعثروا رغم أنهم لم يتحطموا تماماً. مع ذلك فقد عاد الكثير من البشر وتركوا خدمة ساورون وأصبحوا خاضعين لسلطة ورثة إيليندل. رغم ذلك مازال الكثيرون يتذكرون ساورون في قلوبهم ويكرهون ممالك الغرب. سوي البرج المظلم بالأرض لكن أساساته بقيت على حالها ولم ينساه النومينوريون. فقد وضعوا بالفعل حراسةً على أرض موردور، لكن لم يجرؤ أحد على السكن هناك

[1] آيغلوس.Aeglos . هو رمح غيل غالاد بالتأكيد أنه كان بحوزته منذ مدة لكن لم يعرف عنه إلا في معركة التحالف الأخير، ومعناه نقطة الثلج أو نقطة الجليد. وهناك رأي آخر يقول بأن آيغلوس هو نبات شوكي يعيش في بيليرياند وقد يكون معنى اسم الرمح أن رأسه مثل شوكة هذا النبات.

[2] نارسيل.Narsil . هو سيف إيليندل الذي صنعه تيليخار أعظم حرفيي نوغرود في أو قبل العصر الأول، وقال عنه تولكين ان اسمه مكون من جذرين مقطعيين جذر نار وتعني (الشمس) وجذر إيسيل وتعني (القمر) أي أنه يرمز إلى الأنوار السماوية العظيمة، انكسر هذا السيف إلى شظايا في معركة حصار بارد دور وجمعت شظاياه وأعيد دقه من جديد واستعمله آراغون إليسار وريث عرش إيسيلدور في حرب الخاتم.

بسبب ذاكرة الرهبة والخوف اللتين خلفهما ساورون في ذلك المكان. وأيضاً بسبب جبل النار الذي يقف بالقرب من باراد دور. هناك في وادي غورغوث المملوء بالرماد. مات الكثير من النومينوريين وحلفائهم من الجان في تلك الأيام. إمّا أيام الحصار أو أثناء المعارك، هناك قتل غيل غالاد الملك الأعلى وإيليندل الطويل. ولن يحدث مطلقاً مرة ثانية اجتماع مثل هذا الحشد العظيم، بعدها لم يكن أي حلف أو اتحاد بين البشر والجان، فبعد أيام الصداقة والود في أيام إيليندل وغيل غالاد أصبحوا الآن شعبين متباعدين.

غاب خاتم السلطة عن المعرفة حتى عن حكماء ذلك العصر. على الرغم من أنه لم يُدَمَّرْ. لأن إيسيلدور رفض أن يسلمه إلى إيلروند وكيردان الذين كان واقفين بجانبه. ونصحاه بأن يذهب ويرميه في أورودروين حيث تمت صياغته والذي كان قريباً منهم وبالمتناول في ذلك الوقت. لأن هذا الخاتم يجب أن يفنى وبذلك تضعف قوة ساورون إلى الأبد. لكي يبقى ساورون وحيداً في البرية كظل الحقد. لكن إيسيلدور رفض هذا الرأي قائلاً: هذا سيكون لي كما أخذ أبي وأخي إلى الموت. أوليس أنا من ضرب العدو ضربته المميتة. ونظر إلى الخاتم فبدا إليه جميلاً للغاية. فقرر أن لا يؤذيه أو يسمح لأحد بتحطيمه. لذلك أخذه في بادئ الأمر وعاد إلى ميناس أننور وزرع الشجرة البيضاء هناك كذكرى لأخية أناريون. لكنه سرعان ما غادرها وكان قد سَلَمَ أمور الإدارة هناك إلى مينيلديل ابن أخيه. وتعهد إليه بكل مملكة الجنوب. أما هو فقد حمل الخاتم الذي سيكون إرث بيته وزحف من غوندور إلى الشمال على الطريق الذي جاء منه إيليندل، وترك المملكة الجنوبية. لأنه كان مصمماً على استعادة مملكة أبيه في إيريادور، بعيداً عن ظلال الأرض السوداء.

لكن وفي الطريق انهالت عليه مجموعات كثيرة من الأوركس التي كانت تكمن في جبال الضباب، نزلوا فجأةً على معسكر إيسيلدور بين الغابة الخضراء والنهر العظيم، بالقرب من لويغ نينغلورون الحقول البهيجة. فقد كان متهوراً ولم يضع حراسةً على المعسكر. لأنه اعتبر بأن كل خصومه قد سقطوا. ذُبح هناك تقريباً غالبية الشعب الذين كانوا برفقته. ومن بينهم كان ثلاثةً من أبناءه الكبار، إيليندور، آراتان، وكيريون. لكنه كان قد ترك زوجته وابنه الأصغر ڤالانديل في إيملادريس (ريڤينديل) عندما ذهب إلى الحرب. أما إيسيلدور نفسه فقد هرب بواسطة الخاتم. لأنه عندما لبسه أصبح مختفياً عن العيون، لكن الأوركس تعقبوه بواسطة الشم والرائحة، ولم يتركوا له إلا منفذاً إجبارياً. وتابعوه حتى وصل أخيراً إلى النهر وهبط فيه، هناك خانه الخاتم وانتقم لصاحبه فانزلق من اصبعه عندما كان يسبح،

ضاع الخاتم في الماء، فظهر إيسيلدور للاعين ثانيةً وهو يكافح في السيل، فضربوه بسهامٍ كثيرةٍ وكانت نهايته. واصل فقط ثلاثة من شعبه مسيرهم عبر الجبال بعد تيهٍ طويل إلى إيملادريس. وواحداً من بين هؤلاء الثلاثة كان أوهتار المبجل الذي كان يعهد إليه إيسيلدور بحفظ شظايا سيف إيلينديل.

وصل نارسيل في الوقت المناسب إلى يد ڤالانديل وريث إيسيلدور في إيملادريس، لكن نصله كان مكسوراً وضوءه مطفأً. ولم تُعد صياغته من جديد، فقد تنبأ السيد إيلروند بأن النصل لن تعاد صياغته حتى يظهر خاتم السلطة من جديد ويعود ساورون، لكن تأمل الإنس والجان بأن لا تحدث هذه الأشياء، فلا يظهر الخاتم ثانيةً ولا يعود ساورون.

اتخذ ڤالانديل له مسكناً في أنوميناس، لكن قومه كانوا يتناقصون. ولم يبقَ من النومينوريين ورجال إيريادور هناك إلا القليل من الناس الذين لم يكونوا كافيين لحماية الأراضي والأماكن التي بناها إيليندِيل. ففي داغورلاد وفي موردور وعلى الحقول البهيجة مات كثيرون منهم. وحدث بعد أيام إيارينِدور الملك السابع الذي جاء بعد ڤالانديل . بأن انقسم البشر الغربيين ودونيداين من الشمال، إلى ممالك وسلطات تافهة وصغيرة. فقضى عليهم خصومهم الواحد تلو الآخر، وتضاءلوا مع مرور السنين حتى ذهب مجدهم. فتركوا التلال المخضرة بالأعشاب وحيدةً. وبطول المدة فلم يبق منهم إلا شعباً غريباً يتجول خفيةً في البراري. ولم يعرف بقية الناس لا بيوتهم ولا أهداف رحلاتهم، ونُسي أسلافهم إلا في إيملادريس في بيت إيلروند. رغم ذلك فقد كانت قطع السيف معززة ومصانةً لأجيال كثيرة من حياة البشر. من قبل ورثة بيت إيسيلدور، وبقيت سلالتهم من الأب إلى الابن دون انقطاع.

أمّا في الجنوب فقد صمدت مملكة غوندور، ولفترة من الوقت نمت عظمتها حتى أعادت إلى الأذهان ثروة وفخامة نومينور قبل السقوط. بنى شعب غوندور الأبراج العالية والأماكن القوية والكثير من مرافئ السفن. وبقي التاج المجنح تاج ملوك البشر معظماً بالرهبة، وتخضع لسلطانه الكثير من الشعوب، متعددة الأراضي واللغات، ولعدة سنوات نمت الشجرة البيضاء أمام بيت الملك في ميناس أننور. فقد جلب بذرة تلك الشجرة إيسيلدور الذي أخرجها من أعماق البحر، من نومينور. حيث كانت بذرتها قد أتت من قبل من أڤالوني. وقبل ذلك جاءت من ڤالينور في يوم من الأيام عندما كان العالم لايزال فتياً.

لكن أخيراً، وفي تعب السنوات السريعة من حياة الأرض الوسطى تضاءلت غوندور، وانتهت سلالة مينيلديل بن أناريون بسبب اختلاط دم النومينوريين مع الكثير من دماء البشر الآخرين، وتناقصت قوتهم وحكمتهم، وأصبحت فترة حياتهم قصيرة. وضعفت مراقبتهم على موردور. وفي أيام تيليمنار وهو الملك الثالث والعشرين من سلالة مينيلديل، جاء الطاعون على ريح سوداء مظلمة قادمة من الشرق. فضرب الملك وأبناءه ومات الكثيرين من شعب غوندور. فهُجرت الحصون التي على حدود موردور وميناس إيثيل كانت مفرغةً من سكانها. ودخل الشر ثانيةً بالسر إلى الأرض السوداء وأثير رماد غورغوروث كما لو أن ريحاً باردةً هبت عليه. لأن أشكالاً مظلمةً قد تجمعت هناك. ويقال في الواقع بأن هؤلاء كانوا أولايري. وهم الذين يدعوهم ساورون نازغول. أشباح الخاتم التسعة الذين بقوا مخفيين لمدة طويلة. لكنهم عادوا الأن لتهيئة طريق سيدهم. لأنه بدأ بالنمو مجدداً.

وفي أيام إيارنيل كانت ضربتهم الأولى. فقد خرجوا بليلٍ من موردور وأتوا عبر ممرات جبال الظل، فأخذوا ميناس إيثيل وسكنوها، وجعلوها مكاناً رهيباً لا يجرؤ أحد إلى النظر إليها. وفيما بعد دعيت ميناس مورغول، برج السحر. كانت ميناس مورغول بحالة حرب دائمة مع ميناس أننور في الغرب. أمّا أوسغيلياث فمع تناقص عدد سكانها أصبحت مدينة مهجورة، وخراباً فتحولت لمدينة أشباح. لكن ميناس أننور بقيت وصمدت واتخذت اسماً جديداً هو ميناس تيريث، أي برج الحراسة. فقد بنى فيها الملوك حصن البرج الأبيض، كان عالياً جداً وجميلاً. وكانت عيناه تتجه إلى الكثير من الاراضي. كانت وماتزال تلك المدينة قويةً وفخورةً. وفيها ماتزال الشجرة البيضاء تزهر لفترة أمام بيت الملوك. وهناك مازالت بقية النومينوريين تدافع عبر النهر ضد إرهاب ورعب ميناس مورغول. وضد كل أعداء الغرب. أوركس ووحوش ورجال أشرار. وهكذا فقد حموا الأراضي التي تقع خلفهم، غرب أندوين من الحرب والدمار.

بقيت ميناس تيريث صامدةً حتى بعد أيام إيارنور بن إيارنيل آخر ملوك غوندور. الذي ركب لوحده وذهب إلى بوابة ميناس مورغول لمواجهة وتحدي سيد مورغول، فقابله في النزال الفردي لكنه وقع في غدر نازغول وأُخذ حياً إلى مدينة العذاب. ولم يره إنسان حي فيما بعد أبداً. لم يترك إيارنور أي وريث على العرش بعده. لكن عندما انتهت سلالة الملوك. قام الوكلاء من بيت مارديل والذين هم من حزب المخلصين بحكم المدينة، فأصبحت فيما

بعـد مملكـةً متقلصـةً منكمشـة. وفقـدت السـيطرة علـى الكثـير مـن أراضـيها البعيـدة. لـذلك أتـى إلى الأرض الخضـراء مـن روهـان فرسـان الشـمال الـروهيريم. جـاءوا وسـكنوا فيهـا، وهـي الـتي كانـت تسـمى مـن قبـل كاليناردزون. فقـد كانـت جـزءاً مـن مملكـة غونـدور. سـاعد الـروهيريم سـادات المدينـة في حـروبهم، وفي الشـمال خلـف شـلالات راوروس وبوابـة أرغونـاث، كـان لـديهم مـدافعون آخـرون عنهـا. لكـن بسـبب قلـة معرفـة البشـر الحـاليين عـن القـوى والسـلطات القديمـة، فلـم يتحركـوا ضـد الأشـياء الشـريرة الـتي تتحـرك أمـامهم. حـتى حـان وقـت اكتمـال سـيدهم المظلـم سـاورون، الـذي يجـب أن يظهـر ثانيـةً. وحـتى ذلـك الوقـت، لم يحـدث مـرة أخـرى مطلقـاً بعـد أيـام إيـارنور أن تجاسـر النـازغول وعـبروا النهـر أو خرجـوا مـن مـدينتهم بشكل مرئي إلى البشر.

في كـل أيـام العصـر الثالـث. وبعـد سـقوط غيـل غـالاد، سـكن السـيد إيلرونـد في إيملادريـس (ريڤينـديل) واجتمـع هنـاك الكثـير مـن الجـان. وأقـوام مـن الحكمـاء والأقويـاء مـن كـل قبائـل الأرض الوسـطى. اسـتمروا لأجيـالٍ كثـيرةٍ مـن حيـاة البشـر بـذكرى جميلـة عـن تلـك الأيـام. كـان بيـت إيلرونـد ملجـأً لكـل المضـطهدين والمـرهقين، وخزانـة الموعظـة الحسـنة وتقاليـد الحكمـة. كـان ذلـك البيـت يـأوي ورثـة إيسـيلدور، مـن الصـغير إلى الكبـير. بسـب قرابـة الـدم مـع إيلرونـد نفسـه. فقـد علـم بحكمتـه بأنـه سـيأتي مـن هـذه السـلالة جـزء عظـيم مجهـز للأعمـال الأخـيرة مـن ذلـك العصـر. وحـتى ذلـك الوقـت. احـتفظ إيلرونـد بشـظايا سـيف إيلينـديل (نارسـيل) عنـدما أظلمت أيام دوناداين وأصبحوا شعباً تائهاً.

في إيريـادور كانـت إيملادريـس هـي المسـكن الرئيسـي للجـان العلـويين. لكـن في المرافـئ الرماديـة مـن لينـدون، كانـت تسـكن بقيـة شـعب غيـل غـالاد ملـك الجـان. وكـانوا أحيانـاً يتجولـون في أراضـي إيريـادور. لكـن الجـزء الأكـبر مـنهم سـكن بـالقرب مـن شـواطئ البحـر، يبنـون ويعتنـون بسـفن الجـان. الـتي كانـت تنقـل البكـر (الجـان) الـذين كـانوا يكـبرون ضـجرين مـن هـذا العـالم، فيبحروا إلى أقاصي الغرب. وكان كيردان بناء السفن سيد المرافئ والهائل بين الحكماء.

حفـظ الجـان الخـواتم الثلاثـة الـتي لا تشـوبها شـائبة، ولم يتكلمـوا بخصوصـها بـين الحكمـاء، حـتى أن قلـة مـن إيلـدار يعرفـون لمـن منحـوا. بـالرغم مـن أن قـوتهم مازالـت تعمـل بعـد سـقوط سـاورون. وحيـث تتواجـد هـذه الخـواتم كـان يتواجـد المـرح غـير ملـوث بـأحزان الـزمن. لـذلك أدرك الجـان ومـع نهايـة العصـر الثالـث بـأن خـاتم اليـاقوت الأزرق كـان مـع إيلرونـد. في وادي ريڤينـديل الجميـل، الـذي تشـرق علـى بيتـه نجـوم السـماء بشـكل صـافي جـداً. بينمـا خـاتم المـاس

كـان في أرض لـورين حيـث تسـكن السـيدة غالادريـل، ملكـة جـان الغابـات، زوجـة كيليبـورن مـن دوريـاث. هـي نفسـها الـتي كانـت مـن نولـدور وتحـتفظ بـذاكرة الأيـام القديمـة في ڤـالينور، وهـي الجنيّـة الأقـدر والأصـفى والأجمـل البـاقي في الأرض الوسـطى. لكـن الخـاتم الأحمـر بقـي مخفيـاً عـن أعـين الجميـع حـتى النهايـة. إلا عـن إيلرونـد وغالادريـل وكـيردان، الـذين يعرفـون مـن هو حامل الخاتم الثالث.

وهكـذا بقـي نعـيم وجمـال الجـان غـير منقـوص، بينمـا مـا يـزال العصـر الثالـث مسـتمراً. في إيملادريـس وفي لوثلـورين، وفي الأرض المخفيـة بـين كيليبرانـت وأنـدوين. حيـث تحمـل الأشـجار زهـوراً مـن ذهـب. فلـم يتجـرأ لا الأوركـس ولا أي شـيء شـرير آخـر علـى المجـيء إلـيهم. رغـم ذلـك فقـد سمـع الكثـير مـن الأصـوات بـين الجـان تنـذر بالشـؤم. مـن أن سـاورون سـيعود ثانيـةً وسـيحدث أحـد أمـرين. إمـا أن يجـد خـاتم السـلطة المفقـود، أو أن أفضـل أعـداءه سيكتشـفه قبلـه ويحطمـه. لكـن في أي مـن الاحتمـالين يجـب علـى السـلطات الثلاثـة أن تكـف عـن أداء وظائفهـا، وتتلاشـى كـل الأشـياء الـتي كـانوا يحتفظـون بهـا. بعـدها سـيعبر الجـان إلى الغسـق. ويبدأ عصر سلطان البشر.

بالحقيقـة سـتحدث الأمـور التاليـة: سـيتم تـدمير الواحـد والسـبعة والتسـعة، أمـا الثلاثـة فيغـادروا، ومعهـم سـينتهي العصـر الثالـث. وآنـذاك سـتكون حكايـات إيلـدار في الأرض الوسـطى قـد وصـلت إلى نهايتهـا. تلـك سـتكون سـنوات الـذبول. وفـيهم سـيكون آخـر تفـتّحٍ وظهـورٍ للجـان في شـرق البحـر، ويكـون قـد وصـل إلى شـتاءه. وفي ذلـك الوقـت سـيبقى نولـدور أقـوى وأجمـل أبنـاء العـالم يمشـي في هيثـير لانـدس، وسـتبقى لغتـه مسـموعةً بـآذان البشـر. وفي ذلـك الوقـت سـتبقى الكثـير الأشـياء الجميلـة والرائعـة علـى الأرض. وأيضـاً الكثـير مـن الأشـياء الشـريرة المفزعـة، مثـل الأوركـس والغـيلان والتنـانين والوحـوش العنيفـة، ومخلوقـات غريبـة وكبـيرة وحكيمـة في الغابـات ذات الأسمـاء المنسـية. والأقـزام سـيبقون يكـدحون ويعملـون في الجبـال بأعمـال الحرفـة الصـبورة مـن المعـادن والحجـارة، والـتي لا يمكـن لأحـدٍ أن ينافسـهم فيهـا. لكـن سـلطان البشر مستعداً وكل الأشياء ستتغير. حتى يظهر سيّد الظلام ثانيةً في ميركوود.

قـديماً كـان اسمهـا غـرين وود العظيمـة وقاعاتهـا الواسـعة وممراتهـا الـتي كانـت مسـكناً للكثـير مـن الوحـوش والطيـور المغـردة. هنـاك كانـت مملكـة الملـك ثرانـدويل تحـت البلـوط والـزان. لكـن بعـد مـرور العديـد مـن السـنوات وعنـدما اقـترب الثلـث الأخـير مـن ذلـك العصـر. تسـلل الظـلام

ببطء إلى الغابة من الجهة الجنوبية، وسار الخوف هناك في الفسحات الغامضة. ونزلت الوحوش لتصطاد، وكانت هناك مخلوقات شريرة تنصب أفخاخها.

تغير اسم الغابة وأصبح اسمها ميركوود. لأنه كان ينمو فيها نبات عنب الثعلب ويمتد عميقاً هناك. والقليل من كان يتشجع ويعبر من هناك. إلا شعب ثراندويل في الشمال فمازالوا يبعدون الشر عن الغار. وقد جاء البعض وأخبر، حتى قبل أن يكتشفه الحكيم بوقت طويل. أن ذلك هو ظل ساورون واشارة عودته. لأنه خرج من أراضي القفر في الشرق وآوى نفسه جنوب الغابة. وببطء نشأ وتشكل هناك ثانيةً، فجعل مسكنه في تل مظلم، كان يعمل فيه السحر. خاف كل الشعب من ساحر دول غولدور. وحتى ذلك الوقت لم يعلموا كم كان ذلك الخطر عظيماً.

عندما تم الشعور بالظلال الأولى في ميركوود. ظهر في غرب الأرض الوسطى إيستاري، وهم الذين دعاهم البشر بالسحرة. لم يعرف أحد في ذلك الوقت من هم هؤلاء السحرة ومن أين جاءوا. إلا كيردان في المرافئ وإيلروند وغالادريل فقد كشف لهم بأنهم أتوا من البحر. لكن فيما بعد قيل بين الجان بأنهم كانوا رسل سادات الغرب، من أجل مقاومة قوى ساورون. الذي سيظهر من جديد. ولتحريك الإنس والجان وكل الأحياء بالنية الحسنة إلى أفعال الشجاعة. ظهروا مشابهين للبشر في الصورة. كشيوخ لكنهم مفعمون بالحيوية، يتغيرون قليلاً بفعل السنين، يتغيرون بالعمر لكن ببطء، على الرغم من كثرة الهموم الملقاة على عاتقهم. ويمتلكون الحكمة العظيمة. والكثير من قوى العقل واليد. لمدة طويلة سافروا بالطول والعرض منتشرين بين البشر والجان. فهم يتمكنون من التحدث مع الوحوش والطيور. وقد أعطتهم شعوب الأرض الوسطى الكثير من الأسماء. لأنهم لم يكشفوا عن أسمائهم الحقيقية. وكان الأساسيان بينهم أولئك اللذان يسميهما الجان ميثرانديرو كورونير. لكن البشر في الشمال سموهما غاندالف وساروماں. ومن بينهم كان كورونير هو الأكبر وجاء بالمرتبة الأولى، بعده جاء ميثرانديرثم راداغاست، والآخرين من إيستاري ذهبا نحو شرق الأرض الوسطى. وليس لهم ذكر في هذه الحكايات. أما راداغاست فقد كان صديق كل الطيور والبهائم. وكورونير ارتحل أكثر بين البشر فكان بارعاً ومهذباً في الخطابة والحديث وماهراً في كل حيل ووسائل حرفة التعدين والصناعة. أما ميثرانديرفكان أقرب بالنصيحة والمشورة مع إيلروند والجان وقد تجول بعيداً في الشمال وفي الغرب ولم يجعل له

مسكناً دائماً في أي مكان من الأرض. سافر كورونير إلى الشرق وعندما عاد سكن في أورثانك في دائرة أيسنغارد التي بناها النومينوريون في أيام قوتهم.

دائماً كان الأكثر يقظة بينهم هو ميثراندير، وهو أكثر من شك في ظلام ميركوود. لذلك فالكثيرون يعتبرونه بأنه كان معمولاً من أشباح الخاتم. فقد كان يخشى بالحقيقة من عودة الظل الأول لساورون. لذلك ذهب إلى دول غولدور، وهرب الساحر منه. فعاد السلام إلى هناك لفترة طويلة. لكن مع طول المدة فقد عاد الظل وازدادت قوته. وفي ذلك الوقت عمل أول مجلس للحكماء ودعي بالمجلس الأبيض. وفي ذلك المكان كان إيلروند وغالادريل وكيردان وسادة آخرون من إيلدار وكان معهم ميثرانديو وكورونير، وتم اختيار كورونير(ساروان الأبيض) لكي يكون رئيس المجلس، لأنه أكثر من درس عن وسائل وحيل ساورون منذ القدم. أما غالادريل فقد تمنت حقيقة أن يقود المجلس ميثرانديو. لكن ساروان استكثر عليه ذلك المنصب. لأن كبرياءه ورغبة السيطرة لديه كانت تنمو بشكل كبير. لكن ميثرانديو رفض المنصب، بما أنه لا يمتلك روابط ولا ولاءات إلا للذين أرسلوه. وهو لا يثبت في مكان ولا يخضع لأي استدعاء. لكن ساروان عكف الآن على دراسة علم خواتم القوة، صنعهم وتاريخهم.

أخذ الظل ينمو بازدياد ويتسع فأظلمت قلوب إيلروند وميثرانديو. لذا ففي ذلك الوقت ذهب ميثرانديو بمخاطرة عظيمة إلى دول غولدور فحفر ونقب عن الساحر، ليكتشف حقيقة مخاوفه فهرب عائداً إلى إيلروند وقال:

بالحقيقة آسف لأن تخميننا لم يكن صحيحاً، لأن هذا ليس أولايري كما افترض الكثيرين لمدة طويلة، بل هو ساورون نفسه الذي تشكل ثانيةً ويشتد من جديد، وقد جمع ثانيةً إلى يده كل الخواتم. وهو يريد خبراً عن الخاتم الأوحد. وعن ورثة إيسيلدور، إذا كانوا مازالوا يعيشون في الأرض.

أجابه إيلروند: في تلك الساعة التي أخذ فيها إيسيلدور الخاتم ولم يتنازل عنه. فإن هذا القدر كان معمولاً، لأن ساورون سيعود.

قال ميثرانديو: رغم ذلك فقد ضاع الواحد، بينما مايزال مخفياً. فإنه باستطاعتنا أن نقهر العدو إذا جمعنا قوانا ولم نتلكأ كثيراً.

استدعي المجلس الأبيض مجدداً. وحثهم ميثرانديو على السرعة في العمل، لكن كورونير تكلم ضده ونصحهم بالانتظار لحد الآن والاكتفاء بالمراقبة فقط. وقال: لأنني لا أعتقد

بـأن الواحـد سـيوجد أبـداً في الأرض الوسـطى فقـد سـقط في أنـدوين منـذ عهـد بعيـد، وأرى بأنه قد أصبح في قاع البحر الآن، هناك سيبقى للأبد. حتى يتكسر العالم وتنزاح الأعماق.

لـذلك لم يفعلـوا شـيئاً في ذلـك الوقـت، لكـن قلـب إيلرونـد كـان متوجسـاً. وخاطـب ميثرانـدير قـائلاً: مـع كـل هـذا فأنـا تنبـأت بـأن الواحـد سـيتم إيجـاده. وبعـد ذلـك سـتكون حـرب ثانيـة. وسـينتهي هـذا العصـر في تلـك الحـرب. في الحقيقـة سـينتهي بظـلام ثـاني. مـا لم تنجينـا فرصـة قليلة غريبة، أو أن عيوني لم تعد قادرة على الرؤيا.

فقـال لـه ميثرانـدير: كثـيرة هـي الفـرص الغريبـة وهـي مـن ضـرائب العـالم. وسـتأتي المسـاعدة غالبـاً من أيدي الضعفاء عندما يتعثر الحكماء.

هكـذا قلـق الحكمـاء، لكـن لم يـدرك أحـد مـنهم بـأن كـورونير اتجـه إلى الأفكـار المظلمـة وكـان خائنـاً في قلبـه. لأنـه كـان يرغـب بـأن لا يجـد أحـد سـواه الخـاتم العظـيم. فهـو قـد يسـيطر عليـه ويـأمر كـل العـالم بالخضـوع لإرادتـه. فقـد درس طـويلاً طـرق وأسـاليب سـاورون آمـلاً في هزيمتـه. أمـا الآن فقـد أصـبح يحسـده كمنـافس ولا يكـره أعمالـه الشـريرة. واعتقـد بـأن ذلـك الخـاتم الـذي كـان لسـاورون سـيبحث عـن سـيده مجـدداً. وسـيظهر للعيـان مـرة أخـرى. لكـن إذا طُـرد ثانيـةً، فعنـدها سيسـتلقي الخـاتم مختفيـاً. لـذلك كـان راغبـاً في اللعـب مـع الخطـر وتـرك سـاورون لفـترة مـن الوقـت. متـأملاً بحرفتـه وحنكتـه القـادرة علـى إحبـاط كـلاً مـن أصـدقاءه والعـدو. عندما يجب أن يظهر الخاتم.

لـذلك وضـع مراقبـةً علـى حقـول غـالادين لكنـه سـرعان مـا اكتشـف بـأن خـدم دول غولـدور كانـت تفـتش كـل طـرق النهـر في تلـك المنطقـة. ثم اكتشـف بـأن سـاورون كـان مـدركاً لطريقـة مـوت ونهايـة إيسـيلدور. لـذلك فقـد نمـا خوفـه وانسـحب إلى حصـنه في أيسـنغارد. ولم يعـد يبحـث أبـداً في علـم خـواتم القـوة وفنـون صـياغتها. لكنـه لم يـتكلم للمجلـس عـن شـيء مـن ذلـك. مـع ذلـك فقـد تمـنى بـأن يكـون أول مـن يسـمع أخبـاراً عـن الخـاتم. ولهـذه الغايـة جمـع لديـه حشـد عظـيم مـن الجواسـيس والكثـير مـن الطيـور، الـتي أعـاره إيـاهم راداغاسـت لمسـاعدته. الـذي لم يشـك بـه يومـاً. معتـبراً أن هـذا لم يكـن سـوى جـزء مـن مسـاعدته في مراقبة العدو.

نمـا الظـل عميقـاً في ميركـوود، وتوجهـت كـل الكائنـات الشـريرة إلى دول غولـدور، قـدمت إليهـا مـن كـل الأمـاكن المظلمـة في العـالم. وتوحـدوا ثانيـةً تحـت إرادة واحـده. وكـان حقـدهم موجهـاً

ضد الجان والناجين من نومينور. لذلك استدعي المجلس مرةً ثانية، ونوقش فيه علم الخواتم كثيراً، لكن ميثرانديرِ تكلم إلى المجلس قائلاً:

هو لا يحتاج إلى ذلك الخاتم الآن، فإنه سيجده مادام الخاتم موجوداً على الأرض ولم يتم تدميره بعد. منذ مدة وهو يسكن في الأرض بدون اسم ومازالت قوته حيّة. وسيكبر ساورون ولديه الأمل. صحيح أن قوة الجان وأصدقاء الجان أقل الآن مما كانت عليه في الزمن القديم. لكن عما قريب سيكون قوياً جداً حتى بدون الخاتم العظيم. لأنه يحكم التسعة، ومن السبعة استعاد ثلاثة، لذلك يجب علينا أن نضرب الآن.

وافق كورونير على هذا لأنه يرغب بدفع ساورون للابتعاد عن دول غولدور. القريبة من النهر. فينبغي أن يبحث هناك فلا يوجد لديه المزيد من الوقت. لذا فإنه لآخر مرة ساعد المجلس ووحدوا قوتهم وهاجموا دول غولدور، فطردوا ساورون من مكان سيطرته. وعادت ميركوود لتكون مفيدةً من جديد.

لكن ضربتهم كانت متأخرةً جداً بسبب حدس سيد الظلام، حيث كان مستعداً لهم منذ مدة طويلة، فقد أعد له أولايري، خدمه التسعة، كل تحركاته وكانوا قد ذهبوا أمامه ليجهزوا لمجيئه. لذا فإن هروبه كان خدعةً، فعاد قريباً، ولم يتمكن الحكماء من منعه ثانية من الدخول إلى مملكته. وفي موردور رفع ثانية الأبراج المظلمة لباراد دور. وفي تلك السنة اجتمع المجلس الأبيض لآخر مرة، فانسحب كورونير إلى أيسنغارد. ولم يتشاور مع أحد ثانيةً إلا مع نفسه.

تجمع الأوركس. وبعيداً في الشرق والجنوب كان البشر الهمجيين يتسلحون. ثم من وسط تراكم الخوف وإشاعة الحرب القادمة، فقد أثبتت صدق نبوءة إيلروند. بالحقيقة فقد وجد الخاتم الأوحد. عن طريق أكثر الصدف غرابةً حتى إن ميثرانديرِ لم يكن يتوقعها. وكان خبر إيجاد الخاتم مخفياً عن كورونير وعن ساورون. لأنه كان قد أُخذ من أندوين منذ مدة طويلة قبل أن يسعوا إليه هناك. كونه وجد من قبل شخص من شعب صغيرٍ من صيادين الأسماك الذين يسكنون على ضفاف النهر. قبل سقوط ملوك غوندور. أخذه من وجده إلى ما وراء البحث للاختفاء في الظلام تحت جذور الجبال، وسكن هناك، وبقي حتى سنة الهجوم على دول غولدور. وقتها كان قد وجد مرة ثانية من قبل مسافر. هرب إلى أعماق الأرض فاراً من ملاحقة الأوركس. وعبر إلى بلاد بعيدة جداً، حتى أرض بيريانناث. الناس الصغار. الناس النصف. الساكنين غرب إيريادور. من يومهم كانوا منعزلين في بلدهم الصغير.

مستثنين لصغرهم من حسابات الجان والبشر، حتى ساورون، ولا أي من الحكماء، إلا ميثرانديرِ الذي قدم لهم دائماً النصح والاستشارة.

بفضل حظه ويقظته كان ميثرانديرِ أول من علم بوجود الخاتم. قبل أن يعرف ساورون بأية أخبار عنه. لكنه كان مستاء ويشك، لأن قوة الشر سوف تكون عظيمةً إذا ما استخدمه حكيم. ما لم يكن مثل كورونير الذي تمنى أن يصبح طاغيةً وسيداً للظلام بدوره. لكن لا يمكن للخاتم أن يبقى مخفياً عن ساورون للأبد. ولا يمكن لأي حرفة أو قوة من الإنس والجان أن تدمره. لذلك وبواسطة مساعدة دوناداين من الشمال، وضع ميثرانديرِ مراقبةً على أرض بيريانناث وانتظر لفترة من الوقت. لكن ساورون كانت لديه الكثير من الآذان، وسرعان ما سمع إشاعة عن الخاتم الأوحد. الذي هو رغبته فوق كل الأشياء، لذلك بعث نازغول لجلبه. ثم أوقد الحرب وفي هذه المعركة مع ساورون انتهى العصر الثالث كما بدأ.

لكن أولئك الذين شاهدوا الأشياء التي حدثت في ذلك الوقت، من أعمال الشجاعة والأعاجيب. أخبروا عنها في حكاية حرب الخاتم في مكان آخر غير هذا الكتاب. وكيف انتهى كلاهما بالنصر وإنهاء الحزن المتوقع منذ زمن طويل. أمّا هنا فيُسمحُ لنا أن نقول مايلي. ظهر في تلك الأيام وريث إيسيلدور من الشمال. وأخذ شظايا سيف إيلينديل. الذي أُعيدت صياغته في إيملادريس. وذهب إلى الحرب قائداً عظيماً من البشر. كان اسمه آراغون بن آراثون، وهو الوريث التاسع والثلاثين من السلالة الصافية لإيسيلدور. كان يشبه إيلينديل كثيراً. أكثر من كل الذين سبقوه. كانت هناك معركة في روهان، وخسر الخائن كورونير، وأُلقي به من أعلى أيسنغارد وانكسر. وحدثت معركة عظيمة على الحقول أمام مدينة غوندور. وكان قائد قوات ساورون وقتها هو سيد مورغول الذي عبر إلى الظلام في تلك المعركة. من ثم قاد وريث إيسيلدور جيش الغرب إلى البوابة السوداء لأرض موردور.

وفي تلك المعركة الأخيرة كان ميثرانديرِ وأبناء إيلروند، وملك روهان وسادات غوندور، وولي عهد إيسيلدور، ومعهم دونادين من الشمال. كانوا قد شهدوا أخيراً الموت والهزيمة. فكل شجاعتهم كانت دون جدوى لأن ساورون كان قوياً جداً. رغم ذلك وفي تلك الساعة جاءت إلى البرهان كلمات ميثرانديرِ التي قالها. عن أن المساعدة ستأتي أخيراً من أيدي الضعفاء عندما يتعثر الحكماء. لذلك فالكثير من الأناشيد منذ ذلك الحين كانت تمجد

بيريانناث. الناس الصغار. الساكنين في سفوح التلال والمروج. وهم الذين جلبوا النجاة للعالم.

لأن فرودو النصف، كما قيل، وبناء على طلبٍ من ميثرانديرعُهد لهُ بأن يتحمل العبء بنفسه. ولوحده مع خادمه فقط عبرا من خلال كل الأخطار والظلام ووصلا أخيراً رغماً عن ساورون إلى جبل الهلاك، هناك رمى خاتم السلطة العظيم في النار التي صنع منها. ودمره هناك فاستُهلكَ شرّهُ.

عندها سقط ساورون وهزم تماماً وانتهى كظل الحقد، فانهارت أبراج باراد دور وأصبحت خراباً، ارتعدت الكثير من الأراضي من إشاعة سقوطها. وهكذا جاء السلام ثانيةً، وتفتح ربيع جديد على الأرض. وتوج وريث إيسيلدور ملكاً على غوندور وأرنور. وارتفعت قوة دونادين وتجدد مجدهم. وفي باحات قصور ميناس أننور أزهرت الشجرة البيضاء ثانيةً. لأن الشتلة وجدت من قبل ميثرانديرفي ثلوج ميندولوين المرتفعة عاليةً بيضاء فوق مدينة غوندور. على الرغم من أنها مازالت تنمو هناك، فمازالت الأيام القديمة غير منسية من قلوب الملوك.

أنجزت كل هذه الأشياء، والفضل الأكبر في انجازها كان بسبب يقظة ميثرانديروحسن مشورته. وفي الأيام القليلة الماضية ظهر كسيدٍ وقور عظيم ملتف بالأبيض، كانت تلك هيئته عندما ركب إلى المعركة. لكن لم يأتِ بعد وقته للمغادرة لأنه يعلم بأن لديه مهمة حراسة الخاتم الناري الأحمر. وهو الخاتم الأول بين الثلاثة التي اؤتمن عليها كيردان سيد المرافئ والملاجئ، ومن ثم تنازل عنه إلى ميثرانديرلأنه يعرف من أين أتى والى أين سيعود.

قال له : خذ هذا الخاتم لك لأجل أعمالك ولأجل همومك التي كانت ثقيلة. لكن كلها كانت حسنه، ليدعمك ويدافع عنك ضد التعب. لأن هذا هو خاتم النار. مرفقاً بطيّبات القلوب التي أحييتها بشجاعة العالم القديم الذي نمى بارداً. لكن بالنسبة لي، فإن قلبي متعلق بالبحر، وأنا أقيم على الشواطئ الرمادية. أحرس المرافئ حتى تبحر السفينة الأخيرة. عندها سأكون بانتظارك.

كانت تلك السفينة بيضاء وقد أخذت مدة طويلة في بناءها. لمدة طويلة انتظر النهاية التي تكلم عنها كيردان. ولكن عندما حدثت كل هذه الأشياء، كان وريث إيسيلدور قد استلم سيادة البشر. وعبرت سيادة الغرب له. فبدا واضحاً بأن قوة الخواتم الثلاثة قد انتهت أيضاً. وأصبح عالم البكر (الجان) كبيراً وطاعناً في السن، وفي ذلك الوقت أبحر آخر نولدور

مـن المرافـئ تاركـاً الأرض الوسـطى إلى الأبـد. وبالنهايـة ركـب حـراس الخـواتم الثلاثـة مسـافرين عـبر البحـر. وهنـاك في غسـق الخريـف أخـذ السـيد إيلرونـد السـفينة الـتي جهزهـا كـيردان وأبحـر خارجـاً مـن ميثلونـد. فـارتفع حـتى بـدت بحـار العـالم تحتـه منخفضـة ومنحنيـة، ولم تعـد تـزعجهم ريـاح السـماء المسـتديرة أبـداً. فقـد حُملـت علـى الأجـواء العاليـة فـوق سـحب العـالم. وعـبرت إلى الغرب القديم. ووصلت نهاية إيلدار من القصة والأغنية.

﴿النهاية﴾

دمشق في: ١٥/ حزيران / ٢٠١٥


OMNIScriptum